

إطار لملاحم المجتمع وصورة العصر

تطور الصحافة العربية
في مصر

أنور الجندى

تطور الصحافة العربية

وأثرها في الأدب العربي المعاصر

(الأول) : الصحافة السياحية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية (صدر)

(الثاني) : تطور الصحافة العربية في مصر (إطار للامح المجتمع وصورة العصر)

(الثالث) : تطور الصحافة العربية بين الحربين (١٩١٩ - ١٩٣٩)

في العالم العربي (تحت الأعداد)

(الرابع) : تطور الصحافة في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم

(تحت الأعداد)

مطبعة الزينبالية

شارع محمد الشاذلي ٣ طابعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدي

في مجال البحث في تاريخ الأدب العربي المعاصر منذ أوائل حركة اليقظة في العقد السابع من القرن التاسع عشر إلى أوائل الحرب العالمية الثانية ، تجيء الصحافة في المسكان الأول من نهضة الكلمة وأثرها البعيد المدى ، فاذا قلنا أن الحركة السياسية والاجتماعية والتطور الفكري والبياني ، والمؤلفات والأبحاث والدراسات المختلفة ، كل هذا إنما خرج إلى الرأي العام من نافذة الصحافة أولا ، لانندو قول الحقيقة ، ولأهمية الصحافة ، هذه الأهمية البالغة كان لابد من إجراء دراسة واسعة في قطاعين هاميين : القطاع السياسي ، والقطاع الاجتماعي .

وقد كان كتابنا « الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى أوائل الحرب العالمية الثانية » قد حفل بالدراسات الخاصة بالقضايا السياسية ، وقد وجد إهتماما طيبا من الباحثين ، والدارسين في هذا الحقل ، مما دفعنا إلى إستكمال البحث في نفس المرحلة بالنسبة للقطاع الاجتماعي ، فكان ثمرة العمل ، هذا البحث الذي تقدمه اليوم ، والذي يعد موازيا للبحث السياسي في نفس الزمن والمراحل ومكمله . . .

وقد كان أهم ما عني به هذا البحث : محاولة رسم إطار للملامح المعاصرة وصورة المجتمع ، وهو في هذا المجال يكمل دراستنا المستقلة « الشرق في فجر اليقظة » وكنا قد تناولنا في كتابنا « الفكر العربي للمعاصر في معركة التخريب والتبعية الثقافية » عديد من القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية - في مرحلة ما بين الحربين - ومن هنا ، فأننا لم نكرر أنفسنا في هذا الكتب الأربعة التي ذكرناها وقد اختص كل منها بجانب مستقل ، وهي

في مجموعها تسكمل بعضها البعض في دراسة شاملة للمصر كله منذ (١٨٧١ تقريبا إلى ١٩٣٩)
(صحافة - سياسة - مجتمع - حضارة - فكر) . بوصفها مرحلة متكاملة في تاريخ
الشرق الاسلامي والعالم العربي .

أما هذه الدراسة التي بين أيدينا فقد إمتازت بأنها قدمت أبحاثا جديدة أهمها :

- (١) نماذج متعددة لتطور الأسلوب منذ فجر الصحافة إلى نهاية الفترة .
- (٢) تراجم عديدة للصحفيين ، ودراسة لرؤساء التحرير .
- (٣) معارك ومساجلات الصحف .
- (٤) قضايا الصحف ، طرائف الصحافة ، الأخطاء المطبعية ، توقيعات الصحفيين .
- (٥) خطوط عريضة للمجتمع في مرحلتيه : قبل الحرب الأولى وبين الحربين
في مجال المسرح ، والمجتمع ، والأزهر ، والرحلة ، والفسكاهة ، والأغانى .
- (٦) مذكرات الصحفيين ، والكتاب في مجال العمل الصحفي .
- (٧) صحافة النقد السياسي الساخر ، وصحافة الأدب والثقافة .
- (٨) الكاريكاتير والصحف الهزلية .
- (٩) دراسة شاملة للمصاحفين (الكتاب الذين يكتبون في الصحف من غير محرريها) .
- (١٠) دراسة دخائل الصحافة وأسرارها من الداخل .

* * *

ويمكن القول أنه بهذا الكتاب تكون دراسات الصحافة العربية في مصر
(إلى أوائل الحرب العالمية الثانية) قد يسرت بجهد المقل ، وإن صورة للمجتمع
قد وجدت ، وأصبحت قادرة أن ترسم ملامح المصر ، وإن كانت في حاجة إلى استيفاء
بدراسة أرجو أن أجد من الله العون على إتمامها وهي :

« جبرتي المصر الحديث » : [الأخبار والتراجم] ؛ وستضم شحنة ضخمة من يوميات

الصعق في مختلف الأحداث الكبرى خلال هذه المرحلة التي اخترنا تنظيمها . فإذا
راجعنا هذا العمل - الذي بدأناه معتمدين على الله منذ مطلع الشباب ونحن اليوم على
أبواب الخمسين من العمر - لوجدنا أن دراسة تضم الآن (١٨) مجلداً قد أصبحت في يد الباحث :

(١) الشعر (٢) القصة (٣) النثر (٤) اللغة العربية (٥) أدب المرأة (٦) الترجمة (٧) الفكر
العربي (٨) أدب المقاومة والتجمع (٩) الصحافة السياسية (١٠) الصحافة الإجتماعية
(هذا الكتاب) (١١) المارك الأدبية (١٢) الشرق في فجر اليقظة (١٣) الفكر
والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا (١٤) أضواء على الأدب العربي المعاصر (١٥) صفحات
مجهولة من الأدب العربي المعاصر (١٦) مفكرون وأدباء، وهي تضم ٢٧٥ شخصية في العالم
العربي .

وفي مجال الترجمة للأعلام خارج مجال الأدب قدمنا : (١٧) أعلام ورجال أقلام
(١٨) أعيان الجيل ، وتضمنان دراسة لـ ١٢٥ عالماً ، وبهذا يمكن القول بأن الدراسة جميعها
تتكون قد شملت ٤٠٠ شخصية من أبرز المفكرين والباحثين في العالم العربي كله عبر
فترة من أدق فترات اليقظة في الشرق (١٨٧١ - ١٩٣٩) خلال ما يقرب من
سبعين عاماً .

* * *

وتبلغ حصيلة هذه الدراسة حتى الآن عشرة آلاف صفحة ، وقد استنفدت
من الجهد والوقت سبعة عشر عاماً كاملة ، فقد بدأت هذه المراجعات في دار الكتب
المصرية بباب الخلق والقلمة بالقاهرة عام ١٩٥٠ ومضينا نواصل البحث خلال هذه السنوات ،
لا نتخلف يوماً ، للكشف عن النائب في مجال توقف بحث الباحثين فيه عن حدود المؤلفات
الطلبوعة ، ولذلك فإننا لا نبالغ إذا قلنا أن أبرز ما في هذه الدراسات ، أنها تقدم المادة الخام المدفونة في
بطون الصحف والتي لم يتحقق لها أن تنسق في مؤلفات أو دراسات قبل ذلك ، وإني لأرجو

أن أوصل هذا العمل حتى استكمل قطاع اليوميات الوطنية والأحداث التاريخية والوفيات والمواقع والتراجم ، خلال هذه الفترة على نحو يضع بين يدي القارىء «الخطوط العامة للمصر كله» من خلال الصحافة ، وهذا هو العمل الذى أطلقت عليه « جبرتي المصر الحديث » .

وقد تقدمنى فى هذا المجال ثلاثة أعلام : (١) عبد الرحمن الجبرتي ، فى موسوعته التى توقفت منذ عام ١٨٢٥م (٢) أمين سامى فى موسوعته « ققويم النيل » (٣) أحمد شفيق باشا فى موسوعة « حويات مصر السياسية »

فإذا أتمت هذا العمل رجوت أن أكون قد قدمت فى مجال الأدب والصحافة للماصرة حفرية نافمة ، تسد نقصا ، وتحقق عملا يلقى الضوء على هذه المرحلة الهامة الدقيقة من تاريخ الأمة العربية ، وإذا كان هذا العمل قد استطاع فعلا أن ينطى فى مجال الأدب العالم العربي كله خلال تلك المرحلة ، فإنه فى مجال الصحافة لم يتحقق بمد تنطية تطور الصحافة فى غير مصر ، وقد حاولنا محاولات كثيرة مستهينين بالصحف الموجودة فى دار الكتب بالقلمة ، لإتمام هذه الدراسة ، غير أن الدوريات العربية على كثرتها وتنوعها لم تكن كافية كفاية فنية لأن تحقق رسم صورة كاملة للصحافة العربية وتطورها توازى ما استطعنا أن نحققه بالنسبة لمصر ، وذلك لأسباب عدة أهمها : أن الصحف الوطنية فى هذه الأقطار لم تكن - فى خلال تلك المرحلة - وهى مرحلة إحتلال لأغلب هذه الأقطار - تصل إلى القاهرة ، وإنما كانت تصل الصحف الموالية للاستعمار والحكومات التى يقيمها الإحتلال .

ومن هنا فإن الصورة التى يمكن أن ترسم عن المغرب أو العراق لا يمكن أن تكون كاملة ، لأن صحافتها الوطنية المدافعة عن الحرية والمقاومة للاستعمار غائبة عن مجال البحث ، ولذلك فإننى أرجو أن نتاح لنا الفرصة لزيارة علمية واسعة خلال وحدات العالم العربي نستطيع فيها إتمام هذا

البحث واستكمال ما يحتاج إليه الدراسة الموضوعية من رسم صورة المجتمع، والممارك الأدبية، ودراسة الأعلام على نحو يوفى حواشى الصورة العربية ويكملها ، وذلك أمل مقنود بفضل الله وهو المسئول عن تحقيقه .

* * *

وفى هذا المجال نستطيع أن نتحدث عن « الموسوعة » فنقول إننا قرأنا لها أنقى مرجع وإطلعنا على ثلاثة آلاف دورية .

واقدم كانت الفكرة أساساً هي « القضاء على النظرة الإقليمية الضيقة » التي كانت سائدة فى دراساتها عن الأدب العربى ، لذلك كان من الضرورى أن يكتب الأرب العربى من جديد على نحو موحد تدرس فيه الظواهر المختلفة التي مرت بالوطن العربى فى ضوء « وحدة الفكر والضمير والشعور والتوق » . وقد كشفت « دراستنا فى أدب المقاومة عن هذه الحقيقة فى مواجهة « النفس العربية » للاستعمار والاحتلال وممارك المقاومة ، والثورات المتعددة ، وكان من الضرورى أن يرود هذا العمل « كاتب » لا يتطلع إلى الثمرة السريعة ، ولا الجزاء المادى ، فىكتب دراسة على مستوى الأمة العربية فى فترة تبلغ حوالى سبعين عاماً ، وهى الفترة التي واجهت فيها الغزو الاستعمارى والاحتلال .

ولست أذكر مدى الجهد الذى بذلته والذى اضطررنى إلى اتخاذ « نظارة » طيبة ، وكيف أمضيت أكثر من ثلاثة أعوام مقيماً إقامة تامة فى مكتبة القلمة بالقاهرة بين الأضابير القديمة من الصحف والدوريات ، واسكنى أذكر أننى لا أعد هذا العمل شيئاً كبيراً أو عظيماً ، وإنما - أعده مخلصاً - عملاً تمهيدياً لعمل أكبر منه وأكثر شمولاً وتحقيقاً ، ومع ذلك فإن عملى بالنسبة لهذه الدراسة لما ينته بهد ، فقد تولدت عشرات الموضوعات والدراسات الفرعية التي تحتاج إلى مزيد من العمل ، ومع هذا الجهد الذى بذلت ، وقد طبع أغلب هذه الأجزاء على حسابى الخاص ومن رزق أولادى ، فإن قليلين جداً

هم أولئك الذين أولوا «الموسوعة» بالنظره الفاحصة والفقء البناء أو ألقوا الضوء على بعض أجزائها ، ولم يكن مطمئني في هذا تطلما إلى شيء ما سوى الرغبة في الارتفاع بأراء الباحثين ووجهات النظر الأخرى التي توسع أفاق البحث .

وقد أعطفتى هذه دراسة التي مازلت أعيش في دائرتها ، أعطفتى فكرة ونظرية ، أما «الفكرة» فهي أن فكرنا العربي الإسلامي: فكر حي متحرك إيجابي مرن متطور ، قادر على الحياة والاستمرار والنمو ، والتجاوب على المستويين : الزمنى والبيئى ، فهو يعتمد «زمنياً» دون أن يتحطم ، ويقاوم كل مؤامرات تمزيقه أو تدميره ، ويعتمد «بيئياً» فيشمل العالمين العربي والإسلامى ، فضلاً عن أنه قدم إلى أوروبا أعظم مقومات الفكر الأوربى المعاصر وهو «المنهج التجريبي» ، فضلاً عن عديده من المقومات التي قامت عليها النهضة والحضارة الحديثة أما «النظرية» فهي أننا في حاجة إلى تأكيد أساس فكرى قيم عليه نهضة فكرنا الحديث ، هذا الأساس الذى لا يمكن أن نستمدده إلا من جوهر فكرنا العربي الإسلامى ، وتتمثل فيه قيمة الأسيطة ومقوماته الأساسية . فقد كان فكرنا دائماً مفتوحاً وقادر أعلى الأخذ والمطاء ، وله من مقوماته ما يمكنه من الحفاظ على شخصيته وملاحه ولن يستطيع أبداً أن يتخلى هذه المقومات .

ولن أستطيع أن أنسى في هذا المجال أنه بالرغم من قصور التقدير الأدبى لهذا العمل ، ربما لجنوح الباحث عن الدعاية لنفسه ، لن أنسى أوائك الأبرار الكرام من شبابنا الذين إنصلوا بى وما زالوا يتصلون وهم يمدون رسائلهم وأطروحاتهم وسأظل بيمون الله مستعداً لأن أكون في خدمة أى باحث في هذا المجال بكل ما يمكن تقديعه من أجل إحسان العمل وإبلاغه من السكالم قدر المستطاع .

هذا وبالله التوفيق

أسود الجندى

نهاية ١٩٦٧ م

موضوعات البحث

س

(القسم الأول)

١٧ (الباب الأول) صحف وأقلام وصراع أنسكار

« تطور صحافة الرأي في أوائل الحرب العالمية الأولى »

- ٢٣ : صحافة جمال الدين
٢٥ جريدة مصر
جريدة مرآة المشرق (سليم هنجوري)
٢٨ (وإبراهيم القاني)
٣١ تلاميذ جمال الدين بعد سفره من مصر
٣٢ جريدة مصر للقاهرة (أديب اسحق)
أثر الصحافة في مجلس شورى القوانين
٢٤ (عبد السلام لاوبلي)
٣٦ صحف مصرية في لندن وباريس
٣٦ مرآة الأحوال : رزق الله حمون
٣٧ الخلافة : لويس سابونجي

قبل الاحتلال وبعده :

- ٣٩ « الأهرام » : آل تقلا
٤٢ الطائف (عبد الله نديم)
٤٤ المروة الوثقى : جمال الدين وعبد عبده
٤٦ للقطم : صروف ونمر ومكاريوس
٤٩ المؤيد : علي يوسف
٥١ اللواء : مصطفى كامل
٥٢ الجريدة : لطفي السيد

٥٣ (الباب الثاني) دلائل الصحافة

س

(الباب الثالث) معارك ومساجلات الصحف :

- ٦٦ . . . بين للؤيد وقلواء والجريدة
الصحافة الوطنية والاحتلال (مكرور
والصحافة)
٧٨
٨٥ الصحافة ومماعة قناة السويس
٨٨ . . . بين مصطفي كامل وهلي يوسف
٩١ . . . صحف وطنية وصحف معتدة
للنبر : حافظ عوض وعده محمود -
٩٣ . . . الظاهر : محمد أبو شادي
بين فريد وجدي (الاستور) واطن السيد
٩٧ (الجريدة)
مذكرات صحفى : سليم مراكيس (لسان
الحال)
١٠٢

(الباب الرابع) : إطار لصورة العصر والمجتمع (من الاحتلال إلى أوائل الحرب

- ١١٧ (العالمة الأولى)
١١٩ (١) الأزهر
١٢٨ (٢) للراءة
١٣٩ (٣) الرحلة
١٤٥ (٤) للصحافة

عما كات للصحافة :

- ١٥٠ (عما كة عبد العزيز جاويش)
١٥٧ قضية السكاملين
١٦٣ قضية ذكرى دلفواى
١٧٤ قضية التفرقات
١٧٦ عما كة أصحاب المقطم

١٧٧	قصيدة فدوم	١٨٢
١٨٠	المجوم على أسرة محمد علي	
١٨٢		(٥) المجتمع
١٨٢	الأغاني والأناجيد	
١٨٣	المرح	
١٨٤	الأعياد	
١٨٥	الحاكم	
١٨٩	دولة الخبير	
١٩٠	قصة الزمام	

(الباب الخامس) : طرائف الصحافة :

١٩١	(الإضاءات المستنارة)	
١٩٤	المقدمات والتقاريف	
١٩٦	المواقف المخرجة	
	مذكرات أحمد حافظ عوض (الصحافة بين	
٢٠١	١٨٩٨ — ١٩١٤)	
٢٠٩	النقد الاجتهادي	
٢١٢	الاصطلاحات الصحفية	
٢١٥	طرائف الصحافة	
٢١٩	وفيات الأعيان	
٢٢٢	نقد للصحافة والمجتمع	

(القسم الثاني)

(الباب السادس) : صحافة ما بين الحربين وتطور الصحافة في الأسلوب والمضمون

٢٢٥ (بين ١٩١٩ - ١٩٣٩)

٢٢٧ مدخل تاريخي للفترة .

٢٣٣ الصحافة خلال الحرب الأولى

٢٣٧ الصحافة في ثورة ١٩١٩

٢٤٣ رئيس التحرير .

٢٤٨ داوود بركات ، خليل ثابت

٢٤٨ أمين الرافعي .

٢٤٩ عبد القادر حزة .

حسين هيكل ، حافظ عويس ، أنطون الجميل ،

٢٤٩ خليل ثابت

٢٥٠ الدكتور هيكل

عبد القادر حزة ، التابعي ، توفيق هباب ،

٢٥١ عباس المقاد

٢٥٢ التابعي

٢٥٥ فكري أباطة

٢٥٨ إبراهيم عبد القادر المازني

٢٦٠ أحمد حسين

٢٦٣ محمود كامل

٢٦٣ توفيق حبيب

٢٦٥ توفيق دياب

٢٦٧ لطفى جمه

٢٦٩ (الباب السابع) : دخائل الصحافة : في مرحلة ما بين الحربين

أثر الاحتلال في الأدب والصحافة (زكي

٢٧٧ مبارك)

٢٨١ صناعة الأخبار

٢٨٢ المخبرون

٢٨٣ أخبار الأقاليم

٢٨٤ ما لا يذعر في حينه

٢٨٤ أثر السوريين في الصحافة

- ٢٨٦ عايات الصحف
- ٢٨٩ المجوم على الصحف وتخطيها
- ٢٩٠ كلة عابرة أحدثت أزمة
- ٢٩١ سالون الأهرام
- ٢٩٢ الأخطاء الطبعية
- ٢٩٩ (الباب الثامن) : تطور الصحافة الأسبوعية
- ٣٠١ صحافة النقد السياسي الساخر
- ٣٠٤ روز اليوسف والكشكول
- ٣٠٩ الأدب الكشوف
- ٣١٠ تجربة حسن عفيف المصري
- ٣١٥ الكاريكاتير والصحف الهزلية
- ٣١٧ فن الكاريكاتير
- ٣٢٢ سانتس وصاروخان
- ٣٢٤ صحافة الأدب والثقافة
- ٣٣١ (الباب التاسع) : الكتاب والمصاحفون
- مرحلة ما قبل الحرب الأولى
- ٣٣١ ميخائيل عبد الحيد
- سليم عنهورى ، محمد بريم ، جزة فتح الله
- أديب اسحق ، أمية الحداد ، إبراهيم
- ٣٣٧ اللقانى
- أحمد حلمى ، حسن حسن الطويرانى ، الشيخ
- ٣٣٣ القمربلى
- ٣٣٤ يوسف الحازن
- ٣٣٥ خليل مطران ، نقولا الحداد

س

(مرحلة بين الحربين) . . .

- ٣٣٦ . داود بركات ، عبد القادر حزة
عباس العقاد ، ابراهيم عبد القادر اللازني ،
٣٣٧ أحمد وليق
٣٣٨ . عبد الله حسين ، الدكتور محمد أبو طايبة
٣٣٩ . جورج طنوس ، نجيب هاشم ، منيرة ثابت
٣٤٠ سعيد هل
٣٤١ . الشيخ صالح روتر ، الدكتور سيد كامل
٣٤٧ توفيق حبيب ، عمود عزى
٣٤٣ فكري أباطه
٣٤٤ محمد المهاوي
٣٤٥ . توقيعات الصحفيين . صحفيون اجانب في الصحافة
٣٤٦ للراة في الصحافة

المصاحفون (فترة ما بين الحربين) .

- محمد أبو العيون ، أحمد زكي باهنا ، محمد
٣٤٧ . مسعود ، منصور فهمى . . .
محمد صبرى ، وحيد ، محمد ابيب
البتانون ، التفازاني ، توفيق
اسكاروس ، محمد فريد وجدى ،
٣٤٨ . سليم حسن ، أحمد فلوش ، مي زيادة
مرطوسون ، أحمد فؤاد ، هل مصطفى
معرفة ، أحمد عفيق ، عزيز عاكسي
لطفى جده ، عبد القمال الصميدى ،
٣٤٩ . محمد رمزي ، خشكيب أرسلان . . .
الأب القسيس الكرمل ، الزهاوى ،
٣٥٠ حسن القاياتي ، محمد ثابت . . .
٣٥١ . تكريم الكتاب (الدكتور هيكل)
٣٥٥ . الصحف العربية في مرآة الصحف الأجنبية

س

- ٣٥٧ . . . (الباب المباشر) : إطار لصورة العصر وملامح المجتمع (بين الحربين) . . .
- ٣٥٩ (١) تحرير الرأى
- ٣٦٤ (٢) مجتمع القاهرة
- ٣٦٦ (٣) للقاصى . ٦
- ٣٦٧ (٤) منم السكرات
- ٣٦٩ (٥) بنك مصر
- ٣٧٢ (٦) الأزهر
- ٣٧٥ (٧) سهرات رمضان
- ٣٧٥ (٨) الولد النبوى
- ٣٧٦ (٩) الطرق الصوفية
- ٣٧٩ (١٠) أصحاب العصر
- ٣٨٠ (١١) لباس الرأس
- ٣٨١ (١٢) التمهيل
- ٣٨١ (١٣) الفكاهة
- ٣٨٢ (١٤) الأغاني الشعبية
- ٣٨٦ (١٥) الأفراح الشعبية
- ٣٨٨ الشاعر على الربابة
- ٣٨٩ (١٦) تطور المجتمع بعد ثورة ١٩١٩
- ٣٩١ (١٧) توت هنخ آمون
- ٣٩٣ لجنة الفرائنة
- ٣٩٤ (١٨) أمير الشعراء
- ٣٩٥ (١٩) جان الدين ومحمد عبده
- ٣٩٨ (٢٠) مدام جوليت أدام
- ٤٠٠ (٢١) مصريون في مالطة

مصادر البحث

إذا كانت الآثار المكتوبة في العصر الحديث هي الكتاب والصحيفة ، فإن « الصحافة » :
هي أبرز النوافذ وأهمها في مجال البحث والدراسة والتاريخ ، وعن طريقها يمكن رسم إطار
لصورة العصر والمجتمع والصحافة نفسها ، هذه الصورة التي نحاول أن نرسمها من خلال
هذه الدراسة . أما « الكتاب » فهو موجود في أيدي الباحثين . أما الآثار الصحفية
المنشورة في بطون « الدوريات » : الجرائد على اختلاف أنواعها وأبحاها فهي ما تزال
أشبه بالضائمة ما لم نجد من يقاها له الفرصة لمراجعتها وتنسيقها واستخلاص عصارتها .
وهذا ما حاولنا أن نقوم به في سبيل رسم « إطار لصورة العصر والمجتمع » من خلال الصحافة .
فلقد كانت الصحافة نفسها أبرز المجالات لتأريخ العصر ورسم صورة المجتمع في مختلف
أدواره وأحداثه ومواقفه وقضاياه ، وفي مجال للمارك الفكرية والأدبية والاجتماعية ، وعن
طريق الصحافة ظهر الأدب وتطور الأسلوب وبرزت مختلف قضايا الاجتماع والاقتصاد
والسياسة ، ولقد حرصنا في هذا البحث أن لا نكرر ما أوردته الكتب والمؤلفات ، وإنما
رغبنا في أن نضيف إضافات جديدة تحقق للباحث آفاقاً أرحب من خلال نظره محدثه
ووثائق مطوية .

أم المصادر :

— المجلات —

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) كل شيء والدنيا والاتفين - ١٩٢٩ | (٥) الكشكول - ١٩٢٢ |
| (٢) مصر الحديثة المصورة - ١٩٢٩ | (٦) روز اليوسف - ١٩٢٦ |
| (٣) المصور - ١٩٢٦ | (٧) السياسة الأسبوعية - ١٩٢٦ |
| (٤) اللطائف المصورة - ١٩١٦ | (٨) البلاغ الأسبوعي - ١٩٢٦ |
| — الصحف اليومية — | |
| (١) جريدة الأهرام - ١٨٧٥ | (٥) الأخبار « أمين الرافعي » - ١٩٢٢ |
| (٢) اللواء - ١٩٠٠ | (٦) البلاغ - ١٩٢٣ |
| (٣) المؤيد - ١٨٨٩ | (٧) السياسة اليومية - ١٩٢٢ |
| (٤) الجريدة - ١٩٠٧ | المراجعة (إلى عام ١٩٢٩) |

صحف وأقلام وصراع أفكار

تطور صحافة الرأي إلى أوائل الحرب العالمية الأولى

يدور البحث حول رسم إطار للعصر والمجتمع من خلال نافذة الصحافة في هذه المرحلة ، من ظهور صحافة الرأي في مصر إلى أوائل الحرب العالمية الأولى . وقد بدأت صحافة الرأي في اعتقادي بظهور الصحف التي وجهها جمال الدين الأفغاني منذ ١٨٧١ هذه هي المرحلة الأولى التي عمقت مفاهيم الكتابة بظهور صحافة أكثر إيماناً بالرأى الحر وأكثر قدرة على التعبير المعصرى المتحرر من قيود السجع والصناعة اللفظية ، ثم كان تحول الوقائع المصرية^(١) إلى صحيفة رأى عام ١٨٧٩ بإشراف الشيخ محمد عبده ، وجاءت المرحلة التالية في هذا التطور بظهور «المؤيد» سنة ١٨٨٩ كأول صحيفة وطنية مصرية وذلك بعد فترة السنوات الأولى من الاحتلال ثم توالى الصحف اليومية السياسية : اللواء ، الجريدة ، الدستور ، ثم كان الصراع بين اللواء والمؤيد ، وبين المؤيد والجريدة ، وبين الدستور وهذه الصحف جميعا .

لا بد لى تكون «صورة العصر» واضحة من خلال الصحافة ، بوصفها المجال الحيوى ، لليقظة الفكرية وللحركة الوطنية ، والذي كان أشبه بنهر يجرى ، حاملا كل شىء في طريقه ، رأى الأحرار ، ورأى النفوذ الأجنبي : بريطانيا أو فرنسا ، ورأى الخديو وقصر عابدين ، ورأى السلطان وقصر بلدز ، وحتى تكتمل الصورة لا بد من إلقاء نظرة على أطرافها ، فالدولة العثمانية قائمة تضم العالم العربى ، ومصر منذ أوائل القرن واجهت الحملة الفرنسية التي جربت حظها كأول حملة استعمارية في العصر الحديث ، وقد حاولت أن تسيطر لإقامة

(١) صدرت الوقائع المصرية ٣ / ٨ / ١٨٢٨ ، أدخل عليها تعديل جعلها صحيفة رأى باشتراك محمد عبده وتلاميذه سعد زغلول وعبد الكريم سلمان وإبراهيم الهلباوى وصدرت بهد : روضة الأخبار عبد الله أبو السعود (٢٩ / ١١ / ١٨٧٤) فالإهرام (سليم وبشارة نقلا) ٥ / ٨ / ١٨٧٦ والوطن (جندي إبراهيم وميخائيل عبد السيد) ١٧ / ١١ / ١٨٧٧ .

إمبراطورية فرنسية على أرض مصر والشام ، ولكنهما فشلت ، وقامت حركات ثلاث تريد أن تجدد الشرق ولكنهما لم تستطع أن تتكامل أو تستمر، وغلبتها القوى التي كانت تتحفظ لالتهم المنطقة ، هي حركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وحركة محمد علي في مصر وحركة الإصلاح في تركيا . . . ومن محمد علي إلى إسماعيل حيث التوسع الحضارى والديون وحرق قناة السويس التي كانت نقطة التقاء الغزاة وسيطرة النفوذ الأجنبي ، وفي الشام حلبة ضراع يقوم به النفوذ الاستعماري ، بين القوتين الغازيتين ، فرنسا مع المارون وانجلترا مع الدروز ، ثم يقع الصدام ويضع النفوذ الأجنبي يده في نفس الوقت الذي تبدأ فيه حركة المقاومة ، وفي فارس استبداد ومحاولة للتحرر ، وفي تركيا محاولات لإيجاد دستور وحكم نيابي ، وفي مصر نفس المحاولة ، أما الصحافة فهي في أول أمرها لسان الحكام والأمراء والنفوذ الأجنبي ، ثم هي بعد قليل لسان الأمة والنفوذ الأجنبي والحكام جميعا ، ثم هناك الصراع بين الوان النفوذ المختلفة . .

وفي هذه الفترة تبرز مواقف متمددة ترمم حركة التاريخ :

(١) صدر الدستور العثماني الأول (٢٣ ديسمبر ١٧٨٦) أصدرته وزارة مدحت ، ثم حل السلطان مجلس البعثان بمد (٤٢ يوماً) في ٥ فبراير ١٨٧٧ ، وأعيد الدستور (بعد تسع وعشرين عاماً) عام ١٩٠٨ .

(٢) بدأت الهجرة من الشام (لبنان وسوريا وفلسطين) إلى الولايات المتحدة بأمريكا عام ١٨٧٦ وفي نفس الوقت إلى مصر وإلى مناطق كثيرة من أفريقيا .

(٣) قدم جمال الدين الأفغاني من فارس والهند إلى تركيا ثم إلى مصر عام ١٨٧٠ ثم عاد إلى مصر ١٨٧١ للمرة الثانية فأقام بها حتى ١٨٧٩ .

(٤) في مصر كان حكم إسماعيل في نهايته ، وقد تشكل مجلس شورى النواب (إيريل ١٨٦٦) ومجلس شورى بديل في اغسطس ١٨٧٨ ثم عزل إسماعيل ٢٦ يونيو ١٨٧٩ وتولى

إبده محمد توفيق الذي كان قد تعرف على جمال الدين الأفغاني ، وقال له كلمته المشهورة : أنت في مصر موضع آمالي أيها السيد ، ثم لم يلبث أن أخرجه من مصر بعد أن تولى الحكم بأيام .

في هذه الفترة وجد الكتّاب السوريون الذين هاجروا من الشام مجالا فالتفتوا حول جمال الدين ، الذي كان قد إحتضنه رياض باشا وأجرى عليه راتباً ، ومن حول جمال الدين تجتمع من السوريين العامين في ميدان الصحافة : أديب اسحق وسليم الفقاش وسليم عنحوري ، وقد صدرت لهم بفقوذ جمال الدين صحفاً ثلاث :

مصر : (أديب اسحق وسليم الفقاش) ١٨٧٧

التجارة : (« « «) ١٨٧٩

مرآة الشرق : (سليم عنحوري) ١٨٧٩

وقد اشترك في تحرير هذه الصحف جمال الدين ، ومحمد عبده وإبراهيم الأفغاني - الذي أشرف على مرآة الشرق - ، وتبدأ هذه الصحف مرحلة جديدة يمكن أن يطلق عليها (صحافة الرأي) وقد استمرت على هذا النحو حتى أخرج جمال الدين .

ولكي تكتمل الصورة من بمدنعم أن الاحتلال عام ١٨٨٢ قد أوقف الصحف الوطنية ، كانت الأهرام هي الصحيفة الوحيدة التي بدأت عام ١٧٧٦ وعاودت الصدور بعد الاحتلال مباشرة ، ومضت ثمان سنوات طويلة مريرة ، لم يرتفع فيها صوت وطني واحد ، حتى أصدر النفوذ الاسقماري جريدة : (المقطم أوائل عام ١٨٨٩) ، ثم صدر « المؤيد » قبل نهاية العام . وكان كرومر ممثل الاحتلال الإنجليزي في مصر يرسم للصحافة سياسة ماكرة ، ترمي إلى إطلاق الشحنة الوطنية مما وصف من بعد بمباراة : رفع الغطاء عن الإناء الموضوع فوق القمار لتصرف البخار . . .

وكان « المؤيد » صحيفة الوطنية والمقاومة منذ صدر ١٨٨٩ ولم يصدر « اللواء » إلا عام

١٩٠٠ بمد مرور أحد عشر عاماً على صدور المؤيد ، وكان أشد ثقلاً في ميزان الحركة الوطنية ، وأكبر مقاومة للنفوذ الاستعماري ، ومن هنا حرص الاستعمار على مقاومة هذا التيار وتأكيده مركزه فشجع ظهور « الجريدة » عام سنة ١٩٠٧ لساناً للحزب الأمة : حزب للمعتدلين الذين يؤمنون بالاتقاء بالإنجليز في منتصف الطريق .

وكان عام ١٩٠٧ خطيراً حقاً ، فقد تأسست فيه أحزاب ثلاث : « الأمة » وصحيفته الجريدة و« الحزب الوطني » وصحيفته اللواء ، وأسس الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » وما كاد كرومر يخرج من مصرف نفسه العام حتى تبلور الموقف ، جاء الدون غورست بدلاً منه فأقر مع الخديوي سياسة الوفاق ، فالخديوي إلى الإنجليز وأدار ظهوره للحركة الوطنية بمد أن كان يشجعها ، وتكشف الموقف عن أربع جهات تمثلها الصحف الأربع :

المقطم : لسان الإنجليز .

المؤيد : لسان الخديوي .

الجريدة : لسان الطبقة الجديدة « أصحاب المصالح الحقيقية » التي صفها الإنجليز

اللواء : لسان الحركة الوطنية عامة والحزب الوطني في هذه المرحلة .

وكانت هناك زعامات مختلفة تصدر العصر في مختلف مجالاته الفكرية :

محمد عبده (الذي أطلق عليه الشيخ المقي ثم الأستاذ الامام) يمثل التحديد الديني واللغوي .

ومصطفى كامل ومحمد فريد من بعده يمثلان الزعامة الوطنية .

ولطفي السيد يمثل فلسفة المنفعة ، ودعوة مصر للمصريين ، ومقاومة كلا الدعوتين :

الجامعة الاسلامية والحركة الوطنية وفق مفهوم الوطنيين وأسلوبهم .

وقاسم أمين : صاحب الدعوة إلى تحرير المرأة .

صحافة جمال الدين

قبل الاحتلال كانت صورة جمال الدين الأفغانى هى أبرز الصور ، الرجل الذى قدم مصر من أرض الأفغان تحيط به هالة من الإعجاب والحذر فى أواخر عصر إسماعيل ، وكون مدرسة من الشباب المثقف كانوا يلتفتون حوله فى قهوة (متانيا^(١)) ومن بين هؤلاء كان محمد عبده أبرزهم وأكثرهم إعجاباً بالسيد ، وكان حول جمال الدين مجموعة من الصحفيين السوريين : أمثال أديب اسحق ، سليم عنجورى ، سليم النقاش . . وأغلب هؤلاء قد تحول من بعد وانضوى تحت لواء النفوذ الاستمارى ، وفى هذا العصر كان ذلك الرجل الذى كسب شهرة أكثر مما يستحق : يعقوب صنوع المسمى « أبو نضارة »^(٢) وقد ألقى جمال الدين الأفغانى فى هذه الفترة خطباً وأحاديث فى مختلف الأندية وكتب هذه الخطب تلميذه الشيخ محمد عبده ونشرها فى الأهرام والتجارة وغيرها ، ثم سافر السيد مطوفاً فى الأرض ، فلما وقعت الثورة العربية نفى الشيخ المفتى ، وفى باريس التقى فأصدر « العروة الوثقى » حتى عاد محمد عبده إلى مصر وقصد جمال الدين إلى استانبول ، وانطوت صفحة وبدأت صفحة جديدة فى ظل الاحتلال ، صفحة ذلك الصراع الضخم بين الوطنية المصرية من ناحية وبين الاحتلال ، ودارت المركة من خلال الصحف ، كان سلاح هذا الصراع الأول هو : الصحافة والصحف حتى الأحزاب السياسية فى هذه الفترة تكونت من خلال الصحف ، فقد صدرت الصحف أولاً ثم تكونت الأحزاب من داخلها ، وفى ظل المرحلة الجديدة ظهرت أقلام كثيرة . . عشرات الأقلام . ولم تكن كل الأقلام شامية ولكن كانت هناك أقلام مصرية بارزة : إبراهيم القانى ، إبراهيم الموبلى ، على يوسف ، محمد عبده الخ . .

وقد كان أغلب المناضلين والسكاكين فى مجال الوطنية والسياسة والاصلاح الدينى

(١) تفاصيل هذه الصورة فى كتابنا « الفرق فى بحر البيضة » .

(٢) تفاصيل حياته فى كتابنا « الثقافة العربية فى معركة التنوير والشورى » .

والاجتماعى صحفيون أو مصاحفين^(١) ، كلهم حمل القلم وعمل فى الصحافة ، ومن هنا كانت الصحافة هى الاطار الحقيقي لليقظة الفكرية ، وهى بؤرة النهضة وحركة الحرية واليقظة . جمال الدين الأفغانى ، وسعد زغلول ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وأمين الرافعى وأحمد وفيق كل هؤلاء حملوا القلم تحت لواء الصحافة .

هذه أبعاد الصورة فى هذه المرحلة التى تبدأ بظهور صحافة الرأى المعارضة للنفوذ الأجنبى والاستبداد الداخلى ، وقد كانت أولى هذه الصحف «نزهة الأفسكار» لابراهيم المويلحى وعثمان جلال الصادرة ١٨٦٩ والتى أفلقتها حكومة إسماعيل بمد عددين عندما تبين للمستوليين خطورتها عليهم .

وعندما وقع الاحتلال توقف إصدار صحف جديدة فى القاهرة ١٨٨٢ ولم يصدر خلال السنوات التالية له صحفاً ذات بال حتى صدر المقطم فى ١٤/٢/١٨٨٩ والتويد ١/١٣/١٨٨٩ . وقد استمرت هذه الصحف تؤدى دوراً ثورياً إيجابياً متحرراً حتى أخرج جمال الدين الأفغانى من مصر بمد أن قبض عليه عشية ٢٩ أغسطس ١٨٧٩ ، هنالك نشرت الصحف البلاغ الرسمى الخاص بإيماده ثم تحولت وجهة أخرى .

وكانت صحيفة مصر توالى نشر كلمات جمال الدين الأفغانى وندواته

(١) المصاحف : اصطلاح أطلقه على الكتاب غير المترجم لمنه الصحافة .

(٢) صدرت جريدة مصر مرة أخرى عام ١٨٩٥ بإشراف قيصر وصوبل تادرس المنقبادى .

جريدة مصر

(٢٣ نوفمبر ١٨٧٨)

في عشية يوم الجمعة وفد على الإسكندرية سيدنا فهرست كتاب السكال ، وفذلكة حساب الجلال ، أستاذنا الأجل الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الأفغانى ، فابقسم له الثمر عن درر الهناء به ، وتمرر الشفاء عليه ، وسمى إليه النبهاء والوجهاء ، وما من جارحة فيهم إلا وهى تود لو كانت أذنا فتلتقط درره وجواهره ، أو عينا لتجتلى مطالعه ومناظره .

وقد أعد له جبريل افندى المجمع نجل بارودى دى فنفى مأدبة فائقة الحسن والظرف تأخذ باللب والظرف ، جامعة لمحاسن السكالات وكالات المحاسن متوفرة أسباب الهناء والسرور كاملة وسائل الأفس والحبور .

* * *

مساء الأربعاء (٢١ مايو ١٨٧٩)

كانت قاعة زيزينا محفلا لنبهاء الناس ، أحدثت الأعين فى الحجرات والمقاعد بروح الفضل والحكمة المتجسمة فى ذات سيدنا الأستاذ وانتجت الأسماع لالتقاط درر ألفاظ الحكمة والتشرف بجواهر أقواله الفلسفية ، فقام أعزه الله فى هذا المجمع خطيبا ، يصقل الألباب ، ويعهد مناهج الأدب بالكلام البرىء السكاف الخالى من السكف حتى تمتلث الجوارح لو كانت آذانا تلتقط درر حكه .

خطاب جمال الدين فى زيزينا

يا أيها السادة^(١) ويا أيها السيدات : أرى من الواجب علىّ أولا أن أثنى على الجرائم الشريفة الشرقية التى مضت عليها الدهور ومرت المصور وهى فى حالة السكون لمع الموانع الخارجية وقسر القوامر الداخلية ، ومع ذلك لم تفقد مزاياها العالية ولم تعدم سجاياها السامية بل برزت ونمت ، فرأينا أصولها الشريفة سادة شرفوا هذا المحضر لإعلاء كلمة العلم ورفع منار

المعارف وتأييد أمر الفضل إعتقاداً بأن العلم سلطان عادل حكيم، إذا حل ببلد قوم تبعه الفنى والثروة لأنهما لا يحصلان إلا بالتجارة والزراعة والصناعة التى لا تحصل إلا بالعلم .

لا أريد أن أذكركم بمجد آبائكم الكرام وأنسكم إما أن تكونوا من آباء المصريين أو من حفدة الفينيقيين أو من سلالة السككانيين، وأن المصريين قد بلغوا فى الهندسة ذروتها ومن الحساب غاية ومن المساحة قاصيتها ومن جر الأثقال مفتهاه، وعلّموا اليونان الحكمة والفلسفة، بل إن شخصا واحدا منهم قد بث فى اليونان روح المعرفة وعلمهم فن تدبير المنزل حين كانوا همجا متوحشين، وأبان لهم كيفية الزراعة والصناعة على حين كانوا يعيشون بالصيد والقتص، وإن جل علمائهم ومعلم حكائهم لم يغالوا الفيلسفة إلا بما تعلموه فى مدرسة مصر العظيمة. ولا أذكركم بالفينيقيين وأنهم واضعوا أصول الصناعة وخاضوا عباب البحار وكانت إنسكترا واليونان من مستعمراتهم ولا تزال أسماء بلاد أسبانيا وسلانينا شاهدة بأنهم رفعوا على تلك الأقطار ألوية تمدنهم، وأن أهلها كانوا لا يعرفون الصناعة ولا التجارة بل كانوا يقدمون لجدودكم كفضوز الطبيعة ومعادنها الثمينة، وأنهم علموا اليونان الخط وكان أعظم حكائهم منسوباً إليهم وهو تاليس الصورى .

أن الهرميين والمسلات وأعمدة السكرنك تفقأ بأصابها الدهرية أعين المعترضين الذين يرمون الشرقيين بالهمجية والفقص فى الفطرة، وأن تلول نينوى وأطلال صور وبعلبك ومفيس وشبيه ما بقيت إلا لتثير الغبار على أبصار المفكرين الذين ينظرون إلينا بعين الاحتخاف والاحتقار. (وانك) لن تجد لتأخرنا غير سببين أصليين وهما : التمهصب والاستبداد فأما الأول فهو عبارة عن سوء استعمال الدين، فأما إذا نظرنا بين المتأمل البصير إلى الشارعين من عهد (مهاديو) إلى ذردشت إلى موسى إلى عيسى إلى محمد، لا نجد فى شرائعهم إلا الدعوة لمعرفة مبدأ حق، وهو الله، والحث على الفضائل وفعل الخير والزرع عن الزائل والشرور. ولسكننا إذا نظرنا إلى السكثير ممن انبهموا فلإننا نراهم قد استعملوا تلك الشرائع لاشفاق

والنفاق وأنخذوها وسائط لإضرام الفتن ووسائل لإلقاء الإحن ، حتى أمكن للشاعر
العربي أن يقول :

إن البيانات ألفت بيننا إحناً وأودعتنا أفانين المداوات

أما الاستعداد فهو أن تكون أمة من الأمم مقيدة بسلسلة رأى واحد من الناس
لا تتحرك إلا بإرادته ولا تفعل إلا لإرضاءه ، فإذا الأمة على هذه الصورة لزمها لا محالة أن يصرف
كل منهما ما أودع فيه من العقل والذكاء لمرضاة شخص واحد فيكون السكل فانيا فيه :
ومن المعلوم أن الرجل الواحد ولو انفرد في العقل والذكاء والهمة وعلو النفس لا يستطيع
جلب السعادة لنفسه فضلا عن جلبها لأمة كثيرة . « ا . ه .

د مرآة الشرق ،

X ولما تولى إبراهيم اللقاني تحرير جريدة مرآة الشرق ابتداء من العدد ١٦ ، بدأ طابع جديد من الكتابة الوطنية والسياسية في الصحافة العربية في مصر يمكن أن نستكشفه من نظرة إلى نماذج منه وعلى هذا النحو^(١) :

على وزرائنا - حفظهم الله - أن يمتطوا عن أنفسهم جلابيب الراحة ويقاوموا الإغفاء ويصالوا شيئاً من بياض نهارهم بسواد ليلهم جداً وسمياً في تحصيل أسباب الإصلاح واستجلاب دواعى السعادة ، نعم ، لا ننكر ما يعترض دون ذلك من المصاعب ولكن همم الرجال تزلزل الجبال وتسهل المشاق ، خصوصاً إذا انبعث السمي عن غيرة حقيقية وحمية وطنية ونفس أبية ضاع حقها وتداعى ركن عزها وانبنى على تدبير محكم وسياسة مستقيمة ، كما يكون سعى وزرائنا فهم وطنيون أحرار الطباع أشرف النفوس لا يرضون الخسف ولا يدينون للخسف وقد توفرت فيهم بواعث السمي ودواعى الاجتهاد .

وتشهد الأحوال الحاضرة أن حكومتنا في قبل هذا الزمان لم تفقد القانون العادل الذى يكفل لكل ذى حق حقه ولكنها فقدت من يقوم بحفظ ذلك القانون ، وذلك لتآلف أعضائها من عبدة الهوى وعبيد الشهوات لا يرون الحق لا ما يوافق أغراضهم ولا ما يوافق القانون ، واستيلاء أفكارهم الرديئة الناشئة عن مبادئهم الفاسدة على أفكار رئيس الحكومة القابض على زمام الأمر فيزينون له المشوه ويحسنون التبييح ويظهرون الحق باطلاً والباطل حقاً .

وأهم المفاصل هي عدم مراعاة الاستحقاق في منح المراتب والمناصب ، فكنت ترى الحاشية والمقربين إليهم يقدمون من شاءوا من أقربائهم وأوليائهم مع مصادرة التيار الجديد .

(١) مجلة مرآة الشرق ١٨٧٨ تولى تحريرها إبراهيم اللقاني (العدد ١٦) ١٤ أغسطس ١٨٧٩ .

وقد عارضت الرقابة هذا الاتجاه ولم تقف عن نقده حتى أنها أصدرت أمرها بمصادرة جريدة الوطن خمسة عشر يوماً ، وقد نشرت الوطن هذا القرار في عددها (١ - يونية ١٨٧٨) تحت عنوان : إخطار رسمي من إدارة المطبوعات « على هذا النحو : » مع سبق إخطار أرباب الجرائد بتعديل مسلكهم بالنسبة للمآل والزمان ، ما زال مشاهداً عدم الالتفات لذلك ، لذلك وحيث أن ما سطر في كل من جريدة الوطن ، وجريدة التجارة مخالف ، قد استوجب الحكم بتعطيل الجريدتين المذكورتين مدة خمسة عشر يوماً « ثم علقت الجريدة قائلة : « .. فامتثالا لهذا الإخطار الرسمي وجب علينا تعطيل جريدتنا مدة خمسة عشر يوماً ، وكنا نود لو صرح في هذا الإخطار بيمض العبارات التي لم تحظ بالقبول أو التي خرجت على الأصول ، وذلك لإصلاح الخلل وعدم الوقوع ثانية في الزلل . لا أن نتمادى إلى تعطيلها بدون سبب فإننا لم نعلم سبباً سوى ذكر فصل عن لزوم تنقيض فائدة الديون أما إذا كان التعطيل بسبب ذكر حقوق أعضاء مجلس النواب فهذا ليس بشيء بالنسبة لما هو مذكور .

وقد سئل أحد كبار وزراء أوروبا عن سن قانون لمنع حرية المطبوعات وذلك لمنع الضرر ورفع تشويش الأذهان والخطر ، فقال إن الواقي الوحيد لمنع الخطر هو ذات حرية المطبوعات ، ولممرى لقد أصاب هذا التحرير في هذا المقال . فالجرائد هي بمنزلة بلسم للميل وماء لرواء الغليل ودواء لشفاء السقام ونوراً لأولى الأفهام وهدى لرفع فاسد الأوهام .

* * *

هذا هو الطابع الصحفي الجديد الذى رسم صورة جديدة للكتابة يمكن أن يطلق عليها صحافة الرأى من خلال تلاميذ جمال الدين غير أن أمر هذا اللون لم يطل فلم يلبث أن أهدم جمال الدين الأفغانى^(١) وسدر بلاغ رسمى بإبعاده نشر على هذا النحو :

رسمى : (ورد إلينا الإخطار الآنى بطريقة رسمية فنهزناه امتثالاً وهو بالحرف الواحد)

« لما كان الأمن والأمان والراحة والاطمئنان يتوقف عليهما تمام العمران في جميع الممالك والبلدان ومن أنجح الأبواب وأصاح الأسباب التي بها نجاح الممالك وسلوكها في أقوم المسالك قطع دابر المفسدين فيما يضر بالدنيا والدين ، ويكون ذريمة للمطائشين المتظاهرين بين الناس بمظهر الحرية بدون أساس البائين ذلك على غير شرع واصل ثابت وفرع ، وإنما هي مجرد خزعبلات وترهات وإشراك وأحبولات نصبوها لافتناس أمثالهم السفهاء والجهال الذين هم بمنزل عن معرفة شيء من صوالح الأحوال وللتوصل إلى اغراضهم الفاسدة ومقاصدهم السيئة الكائنة .

وحكومتنا . . . التي ما زالت على بصيرة متيقظة كل التيقظ ، فن ثم قد إستشعرت بأن هناك جمعية سرية من الشباب ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية رئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغانى مطرود من بلاده ثم من الآستانة العلية لما إرتكبه من أمثال هذه المفسدة في ديارنا المصرية المتحقة بالقبض من أهل الضبط والתיقظ والربط ، على أوراق عنده مضمونها شاهد عليه بالتوصل بتلك الجمعية إلى السعى في جميع القبائح والمفاسد التي لا تخفى على أهل الكياسة ، خصوصا رجال الحكومة المتمكنين المديرين على السياسة والرئاسة ، فالتزمت هذه الحكومة الحازمة أن تتخذ الطرق اللازمة ، وتستعمل السداد في قطع عرق هذا الفساد فأبمدت ذلك الشخص المفسد عن الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لإزالة هذا الفساد من هذه البلاد عبرة للمعبرين ولمن يتجاسر على مثل هذا من المفسدين » .

(٢) تلايد جمال الدين بعد سفره من مصر

لا شك كان للشاميين في مجال الصحافة العربية دور ، ليس في مصر والشام وحده ، بل في العالم العربي كله ، وفي الجزائر والمغرب الأقصى وتونس . وإذا نظرنا إلى الصورة من الداخل في مصر في مدة ما قبل الاحتلال رأينا مجموعة من شباب الشام (سوريا ولبنان في الأغلب) الذين طمعوا في الهجرة إلى مصر ، في ظل تشجيع إسماعيل باشا للمناصر غير المصرية التي كانت تعاونه في هذه الفترة وخلق ولاء يدين له ، ويخدم أغراضه ، غير أن أغلب هؤلاء لم يلبثوا أن انقضوا عليه ، وعاونوا خصومه ، فسلمت تقلا هاجمه في الأهرام واستظل بالحماية الفرنسية ، ويعقوب صنوع الذي كان ممثلاً للرقص في قصر عابدين ثم طرده الخديو فسافر إلى باريس أصدر صحفاً متعددة هاجمه فيها وأطلق عليه اسم « شيخ الحارة » منها : أبو نظارة ، أبو نظارة زرقا ، أبو صفارة ، ولم تكن خصوصته لإسماعيل ولاءاً لمصر ، ولكنه كان يعمل على ولاء واضح لفرنسا^(١) .

أما أديب إسحق وسليم عنحورى وسليم الدقاش فقد أخذوا صف جمال الدين خلال إقامته في مصر ، أما أديب إسحق فقد خرج من مصر مغاضباً للوزير رياض لخلاف شخصي معه وأصدر صحيفة أطلق عليها (مصر القاهرة) هاجم فيها الاحتلال البريطاني (وحده) وأبد النفوذ الفرنسي ووصفه بالرحمة والعدل ، ثم عاد أديب إسحق إلى مصر وأصدر صحفاً والت الاحتلال البريطاني وأيدت القصر .

وهذا نموذج من كتابات أديب إسحق في جريدته التي أصدرها في باريس :

(١) الرأ دراسة منه في كتابنا (الثقافة العربية بين التعريب والشهوية) .

جريدة مصر القاهرة

مصر «القاهرة» جريدة حرة سياسية ، محرر الجريدة وصاحبها : أديب اسحق
تطبع في باريس تحت سماء الحرية ، وتذعر ما يعود بالنفع على البلاد العربية .
«حرة» . إضاء . مساواة» باريس ٢٤ ديسمبر (كانون أول) ١٨٧٩
[نمر أول أعدادها افتتاحية جاء فيها] :

(الافتتاحية) إننا على يقين من أن استبداد رياض باشا في الحكومة المصرية يحمله
على منع البريد المصرى من نقل الجريدة في داخل القطر ، غير أننا لا نعدم الوسيلة لإيصالها إلى
المشركين في أوقاتها ، فقد أقمنا في المدن والثغور المصرية وكلاء من الأحناب ترسل إليهم
الجريدة بطريقة مأمونة العاقبة وأما من رام أخذها بنير واسطة هؤلاء الوكلاء فإننا نرسلها
إليه في ضمن ظرف على شكل الرسالة فلا تصل يد الاستبداد إلى منعها عنه .

وكل ما يرد إلينا من مستهدفات الصحيفة ينشر مكثوم النية أو مشهورها على ما يروم
المرسل . نوافق على ذلك من يكاتبنا من البلاد الشرقية المحفوفة بمكاره الاستعباد ميثاقاً
محفظة حفظ الشرف ونصونه صيانة الروح .

هذه صحيفة مصر - طواها الاستبداد فانت شهيدة ثم أحييتها الحرية فماشت سعيدة .
حاول رياض باشا المتصدر في مصر إطفاء نوري وأبي الله إلا أن يتم نوره وإن كره الظالمون .
أمانتي بدعوى الحرص على الخواطر أن أثيرها إلى الفتنة بل خاف أن أكشف الحجاب
عن حقيقة أحواله فزعم أنى ناصية الشر لفرقة منه أو تشيما لسواه .

مسلكى : أن أكشف حقائق الأمور ملتزماً جانب التصريح متجانها عن التمريض
والتلميح ، وأن أجلو مبادئ الحرية وآراء ذوى النقد وأن أوضح مآب الاصوص الذين
نسميهم اصطلاحاً أولى الأمر ومثالب الخونة الذين ندعوهم وما أمناء الأمة ومفاسد الظلم
الذين نلقبهم جهلاً ولاة النظام .

مقصدي : أن أمير بقية الحمية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربي وأرفع النشاوة عن أعين الساذجين وأحيي الغيرة في قلوب العارفين ليعلم قومي أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه . وليخرجوا من خلة الخسف وينبذوا عنهم كل مواسس ، ويستمتعوا في مجاهدة الدين ببيموناتهم وأموالهم وأوطانهم إلى الأجانب بما يطمعون في رفعة المقام فن مات دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد . ومن عاش بعد أولئك الشهداء فهو شهيد .

ومضى أدب اسحق يهاجم حكومة رياض باها فإذا تمرض للاستعمار ركز الهجوم على إنجلترا فقط ، أما فرنسا فهي ليست في نظره دولة مستعمرة تستغل باخواننا في شمال أفريقيا وإتجاهي مناو الحرية يقول :

« على مثل ذلك طبعت حكومة الإنجليز وعلى مثله نراها في المهند قد جمعت أمراءها غلماناً واتخذت أبناءها عبداً واستخدمت عامتها فيلة وبيمرانا وعلى مثل هذا يراها المصريون أن رضوا برياض باشا وزيراً يقول ليس في هذا القطر من ينقده بخطاب أو يحسن بجواب أو يميز بين الخطأ والصواب ، ويستقدم الأجانب لأعظم المناصب ويشعروا على الأمير ويشد على الوطنيين النكير ويلغى الجرائد الناطقة بالصدق الرائدة عن الحق .

أما سائر الدول فإنها أقل من تلك الدول شراً وأكثر منها رفقا وبراً . تعامل الخاضعين لها بالتي هي أحسن حتى يكادوا يحمدون وفادتها ويشكرون ولايتها .

ثم يجامل فرنسا فيقول : رياض باشا « أداماخنستون » القائل بهمجية المصريين المتعقد بأنحطاط مداركهم المصريح بضمف عزائمهم الجاهل بالازدراء بهم . « الأمة الفرنسية المعروفة بحب الإنسانية المشهورة بالحرص على حقوق الحرية والمدنية القائمة بأمر العدل المتبوءة في قلوب الشرقيين مكاناً عالياً » .

ما هو رياض باها

«رجيل»^(١) دون الربة . خفيف المعارضة . أغبر اللون . مفكسر العين تشير صفرتة إلى الضميمة . وتدل تنوء جبهته على صلابة الرأي . فيه مزية العزم والإقدام وهو من بيت الوزان من يهود مصر الأذكاء . أقيم جده على وزانة النقود فأظهر الإسلام وتبمة بنوه من بعده إلى هذا العهد ، وللناس ما ظهر ولله ما استتر . وهو نبيه الفسكرك لو حصل من العلم شيئاً لما بعد عن مقام أهل الفضل ، على أنه عريض الدعوى يتنعمق في كلامه تنعمق الميزاب في كانون فإذا سمعته بعد المهممة والتمنمة يقول بكلام العوام خدمة الوطن ظنفته من الجديرين . بالرئاسة الخبيرين بالسياسة فإذا راقبت أعماله رأيت حركة ولا بركة . صاحبته صبيا كانت صبيا في ترقيته بأنه كان من مفروزه الأمير عباس فيستحضره في محامل أنسه ومجالس طربه فلما دب عارضه رفمه إلى بعض المناصب فما لبث أن أنه البكوية . لم أرفي سيئاته ما يدل على الصباح ليكون محلا لهذه الشبهة .

أثر الصحافة في مجلس شورى النواب

ولم يلبث أثر صحافة الرأي أن بدا واضحا في دوائر مجلس شورى النواب .

يتمثل ذلك في جلسة مجلس شورى القوانين (الخميس ٢٧ مارس ١٨٧٩) فقد عقد مجلس شورى النواب جلسته وبدأ ينظر فيما لديه من الأعمال وإذا عطوفتلو رياض باشا رئيس مجلس النظر يدخل وفي يده مرسوم للفض المجلس وثارت نائرة الأعضاء . ودارت مناقشات حادة ، وكان عبد السلام المويلحي أبرز خطباء الجلسة الذين اشتبكوا مع رئيس النظر في المناقشة . وكانت الوزارة قد تألفت في أوائل هذا العام (١٨٧٩) برئاسة ولي العهد (محمد توفيق) ودخل بين أعضائها وزيران أوربيان أحدهما إنجليزي وهو سير ريفرس ويلسن وقد تولى وزاره المالية وثانيمها فرانسى وهو سير بلنير وقد تولى وزارة الأشغال ، وذلك بناء على

(١) عدد ٢٣ ديسيمبر ١٨٨٠ (مصر-القاهرة) باريس .

الاتفاق الذي تم بين الخديوى إسماعيل والدولتين الإنجليزية والفرنسية ، وكان مجلس الشورى قائماً فى ذلك الحين فتقدم باقتراحات إلى وزارة المالية لتخفيض الضرائب الفادحة وطلب المجلس حضور وزير المالية فلم يحضر فأرسل ملاحظاته على ذلك لوزارة الداخلية فلم ترد إجابة على المقترحات ، وطلب النواب الإجابة وألحوا فى الشكوى من الضرائب فرأى الوزيران الأوربيان وكان لهما الرأى الأول فى الوزارة ، أن بقاء مجلس شورى النواب بسبب لهما العقبات فاعتزما التخلص منه ووافقهما وزير الداخلية والحقانية (رياض باشا) ثم استقر رأى الوزارة كلها على حل المجلس بحجة أن مدة نيابته قد انتهت وهى ثلاث سنوات وأصدر مرسوم الحل ، هنالك قال عبد السلام المويلحى : أن المجلس طالب بدم قطع أى أمر فى أى شىء كان إلا باشتراكه ، وجرت بينه وبين رياض مناقشة حادة ، اشترك فيها محمد راضى الذى قال : الأمر الصادر الآن ذكر فيه أن المجلس انتهت مدته مع أنها ما انتهت وحاصل الأمر أنه لا بد من عودة المجلس بعد المدة التى قررها لأجل رؤية تلك المسالك الملحوظات .

ورد عبد السلام فهمى على ما وجهه (رياض) فقال : من ضمن ما قلتوه أن أهالى مصر همج ، وأنه لا يوجد فيهم عشرة يفهمون ما يقال فى الجرائيل (الجرائد) مع أنه لا يصح نسبة جميع أهالى الوطن لهذه الحالة التى لا تليق » .

وأجبه الرأى إلى إسقاط الوزارة الأوربية بعد أن فضت المجلس ، واجتمع النواب الأحرار فى بيت الشيخ البكرى نقيب الأشراف ثم فى منزل إسماعيل راعب رئيس مجلس النواب الأول على هيئة جمعية وطنية فضم صفوة أصحاب الرأى وطالبوا بإسقاط الوزارة وتأليف وزارة وطنية برئاسة محمد شريف ، كما طالبوا بتعديل نظام مجلس شورى النواب وتخويله السلطة المترف بها للمجلس النيابية فى أوربا .

وقد أذعن الخديوى إسماعيل للمطالب وكان ذلك انتصاراً للمجلس .

صحف عربية في لندن وباريس

أصدر السوريون الموالون للاستعمار صحفاً ممتددة خارج الوطن العربي خلال فترة ما قبل الاحتلال البريطاني لمر ١٨٨٢ ، وقد صدرت هذه الصحف باللغة العربية في لندن وباريس وكها تحارب الدول العثمانية وتحمل عليها ومن هذه الصحف :

لويس صابونجي : جريدة النخلة (لندن) ١٨٧٠

لويس صابونجي ويوسف شلفون : جريدة النجاح (لندن) ١٨٧١

يعقوب صنوع : أبو نضارة (زرقة) ، أبو زمارة ، أبو صفارة (باريس) ١٨٧٩ ، ١٨٨٠

أديب اسحق : جريدة مصر (باريس) ١٨٧٩

رزق الله حسون : مرآة الأحوال (لندن) ١٨٧٦

ويحاول رزق الله حسون أن يستدرج المصريين والعرب إلى الكتابة في صحيفته فيتهمه بأنه لن ينشر أسماهم على شريطة أن يظلموه هو عليها ، يقول :

مرآة الأحوال — بريطانيا ١٨٧٦ (رزق الله حسون)

« كل ما يرد من مطالمة مضمونها الانتقاد على سياسة أو حكومة محلية فإنها تندرج في المرآة من دون أن يشعر باسم كاتبها إلا برغبة منه وليعلم أنه بمقتضى الحرية الإنكليزية الوارف على الدنيا ظلالم لا يطالب بما في صحيفة وقائع إلا مديرها فلماذا تاتي المراسلة بلا إمضاء يلتبس المعتمد عليهم بآخرين ، وكل رسالة ليست من مستهدفات مرآة الأحوال ينص عنها . والواضح أن أغلب الصحف التي صدرت في لندن وباريس كانت ذات ولاء للنفوذ الأجنبي في البلدين ، وقد استهدف أغلب هذه الصحف تمزيق وحدة الروابط القائمة في هذه المنطقة وفق المخطط الذي رسمه الاستعمار لتلك في مقدمة الاستيلاء عليها والقضاء على وحدة الفكر العربي الإسلامي . وقد وجدت الدعوات القفرية وخاصة

الصهيونية مجالا ضخماً في هذا المجال ، وقد ماون الصحفيون الشاميون في العالم العربي كله نفوذ الاستعمار الفرنسي والانجليزى معاً ، سواء في الصحافة المصرية أم في صحافة طرابلس الغرب أو تونس أو الجزائر أو المغرب الأقصى ، والسودان وكلها كان لهم سبق الاشتراك في أنشائها . ولهذا التيار إمتداد بعد الاحتلال البريطانى لمصر .

فقد أتاحت بريطانيا لزرقي الله حسون إصدار جريدة « مرآة الأحوال في لندن للتنبيد بخصوم بريطانيا وهو في نظر المؤرخين أعظم كاتب هاجم الدولة العثمانية وممل على تمزيق وحدة العالم الإسلامي العربي في هذه الفترة وماون المستشرقين في إنجلترا وفرنسا ، وقد قاد معركة مقذمة ضد أحمد فارس الشدياق صادق صاحب جريدة الجوائب التي كانت لساناً للدولة العثمانية ، حتى أنه أصدر مجلة خاصة لهذا الغرض أسماها (رجوم وفساق إلى فارس الشدياق) يكتب ضد خصومه بلهجة قاسية ، ومن هؤلاء عهد القادر لباني صاحب مجلة ثمرات الفنون البيروتية) .

أما لويس صابونجي ، فقد كان صاحب ولاء واضح لبريطانيا ، وكانت صحفه بها تحمل اتجاهها ومفاهيمها ، وفي صحفه النحلة ، وموسى الخلافة ، والنجاح والخلافة حملات شديدة على ما أسماهم توفيق حبيب (خصوم الموارنة) = مجلة المستقبل (١٩١٤) . وهو الصحفي الوحيد الذي جمع في هذه الفترة بين العلم والدين فهو قس ودكتور في الفلسفة . وقد طاف العالم كله وتنقل بصحفه بين آسيا وأفريقيا وأوروبا .

وقد أصدر صابونجي جريدة (الخلافة) في لندن سنة ١٨٨١ وكان يطبها على الحجر ، ويفقد فيها العثمانيين ، وقد تبرع لها بعض الموالين من الانجليز بمشرة آلاف جنيه . كما أصدر « الاتحاد العربي » عام ١٨٨١ في لندن يدعو فيها العرب إلى الثورة على الدولة العثمانية ، كما أصدر جبرائيل هبد الله الحلبي للحكومة الفرنسية في باريس جريدتي المشتري والصدى عام ١٨٦٧ لنفس الغرض .

وكانت هذه الصحف سبيلاً من سبل الاستعمار في الشرق ، إذ كانت ترسل إلى السعمرات

الفرنسية والبلاد المحتلة لنؤيد وجهة نظر معينة وتمحى تياراً فكرياً مضللاً ، أما أبو نضارة المسمى (جيمس سانوا) فهو ليس شامياً ولكنه يهودى إيطالى ولد فى مصر وكان يصدر صحفه فى باريس بعد أن تفاه الخديو ، وقد أوقف صحفه على ذم إسماعيل ، وكان يكتب باللغة العامية وهو أول من حاول اتخاذها أسلوباً عاماً ، وقد وجه همه إلى الكاريكاتير والفكاهة والزجل وأدخل كلمات فرنسية وعربية عامية إلى كتاباته كقوله (دخلنا الرستوران وأكلنا بشه بانيه) وقد تردد أن جمال الدين الأفغانى كان يشجعه ، وقد قرأت نصاً لجمال الدين فى صحيفة مصر يشير فيه إليه إشارة الازدراء والاحتقار .

وقد عمل كثيرون من الشاميين المسيحيين فى أوربا منهم جبرائيل دلال وابن الشميل وخليل غانم ، وكانوا جميعاً أولياء للمنفوذ الغربى بقسميه الفرنسى والبريطانى من أجل الحصومة مع على الدولة العثمانية التى كانت تقف فى طريق إستيلاء الاستعمار بعض أجزاء العالم العربى وتقسيمها . وقد أعانت هذه الحملات فملا على تحقيق هذا الغرض .

وقد نشر محمد عبده مقالاته فى الأعداد الأولى للأهرام ١٨٧٦ كما نشرت مقالات فى صحف هذه الفترة باسم (مظهر بن وضاح) وهو اللقب الذى اختاره جمال الدين لنفسه ولم يكن الأفغانى يكتب ولكنه كان يعلى ، ومن ذلك مقالاته (الحكومات الشرقية وأنواعها) وأهم مقالاته كانت فى الحملة على الإنجليز .

قبل الاحتلال وبعده

(١) الأهرام

وانطوت مرحلة ما قبل الاحتلال وبدأت مرحلة جديدة حافلة بالأحداث والتغيرات المتعددة بميدة المدى ، فقد توقفت الأهرام بعد الاحتلال (٠٠ بولية ١٨٨٢) حتى صدرت في ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ حاملة على عرابي واصفة إياها « بالعامى عرابي ورفاهة البناة » مادحة سلطان باشا والجنرال ولسلي ، ثم لم تلبث الأهرام أن حددت موقفها من الاحتلال البريطاني في ١٩ أغسطس ١٨٨٤ ثم صدر الأمر العالي بتعطيلها وجاء في أمر التعميل « نظراً لأن جريدة الأهرام نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية ونظراً لأن المدد الصادر من هذه الجريدة في ١١ أغسطس ١٨٨٤ نشر فيه مراسله من لندرة من هذا القبيل أشد طعنا مما سبق نشره ونظراً لأن نشر مثل هذه الجمل مع ما عليه من حالة القطر الحاضرة وحالة الأفكار بعد مخلا للنظام العمومي تغلق الأهرام شهراً من تاريخ إعلان صاحبها » .

وكانت الأهرام قد اصطدمت بنفوذ الخديو إسماعيل بمد صدورها بسفوات قليلة، ففي إبريل ١٨٧٩ هاجمت الأهرام الخديو إسماعيل وأتهمته بالاستبداد والإسراف وسرقة أموال الدولة ، وقالت إن الخديو إحتجز لنفسه بنير حق من أموال الفلاحين مائة ألف جنيه إسترليني وكانت المراقبة الإدارية قد تقررت على مالية مصر ، وتمهد إسماعيل باشا بإرسال الأموال إلى خزانة الملاية فحدث أن قطاراً حمل من طنطا إلى عابدين ٨٥ ألف جنيه فكشفت (صدى الأهرام) فصلاً بمهوان (ظلم الفلاح) : حملت على إسماعيل باشا حملة شديدة فاستاء إسماعيل وأرسل قوة من الجند أحاطت بالفندق للقبض على سليم تقلا ولكن بشارة تقدم من المحاصرين فأخذوه فأمر إسماعيل بسجنه في سجن مظلم فكشفت ثلاثة أيام لا يدري ما يحل به أما أخوه فقد استنفر ففصل الدول فسموا عهد الخديو .

قال له إسماعيل : إنك تكذب ضد من توجد حياتك وموتك بيده ، فأجابه إن ما نشر هو رأي حقير لا يستحق غضب أفنديها ولكن إذا قطعته بنت رأساً أكبر ، قال : فغضب إسماعيل

لهذا الكلام وأمر بسجنى فأيقنت إنى مائت ولكن توفيق باشاعلى أثر ذلك اضطر
الإخوين إلى الالتجاء لحماية فرنسا ففالاها، ولما أثبرت المسألة المصرية سنة ٨١ سافر بشارة
تقلا إلى الآستانة ومنها سافر إلى باريز ولندرة . وظل سليم وحده يصدر الأهرام يوميا
وجاهد في أوربا جهاداً حسناً وعاد سنة ١٨٩٢ فأنعم عليه الخديو بالرتبة الثانية .

في الثورة المراتية حرروا دار الأهرام فسافر إلى سوزيا وعاد فأصدر الأهرام في نشرة
صغيرة على صفحة واحدة وفي سنة ١٨٩٢ قصد الآستانة وقابل السلطان الذى أدى له بمحدث
عن مد السكة الحديدية من دمشق إلى المدينة ومن ممان إلى العقبة وأنعم عليه بالباشوية .

وقد وسم سليم تقلا شياسة الأهرام بهذه العبارة « سلطة سنية وتابعة عثمانية ومصر
للمصريين ورأى عام في الشرق العثماني » فلم يتحول عنها طوال حياته ، ولم يتحول عنها
الأهرام بعدها، ثم نقل بشارة إدارة الأهرام إلى القاهرة (٩٨ شارع الإسماعيلية) ثم أصدر
البرامهد الفرنسية وتوفى (١٥ يونيو ١٩٠١) .

...

وفي أوائل عام ١٨٨٩ صدر المقطم مواليا للنفوذ البريطانى ، ولم ينته العام حتى صدرت
أولى الصحف الوطنية الكبرى « المؤيد » وكان صدورها هو رد الفعل على صدور المقطم .
واستمر المؤيد أحد عشر عاما الصحيفة الوطنية الأولى والوحيدة في مصر حتى صدرت
الواء عام ١٩٠٠ وتواتت الصحف .

الدمتور : فريد وجدى (١٩٠٧-١٩١١)

الجريدة : لطفى السيد (١٩٠٧-١٩١٥)

المدير : محمد المهياروى وأحمد حافظ عوض (١٩٠٦-١٩٠٨)

النظام : محمد مسعود ١٩٠٩

وكانت سياسة الأهرام خلال فترة ما قبل الاحتلال ضد المراتيين فكان حزب

الخدويو يوزع الأهرام خلسة بين الجنود . ولما دخل الإنجليز القاهرة عاد سليم من سوريا فاستأنف مع شقيقه إصدار الأهرام وأعطيا تمويضا قليلا فابتاعا مطبعة . وفي ١٨٨٤ سافر بشارة إلى لندن لحضور المؤتمر الخاص للتباحث في المسألة المصرية .

وعطلت الحكومة جريدة الأهرام في ٢٠ سبتمبر ١٨٨٤ بحجة أنها كتبت فصلا قالت فيه (إن حكومة مصر تخدم أنجلترا دون مصر) . وقصد بشارة باريز وحمل وزارة خارجية فرنسا على تأييد مطالب الأهرام واعتذر نوبار لفصل فرنسا . « هذه الحوادث التي حلت مؤسسه الأهرام إلى الاحتفاء بدولة أجنبية فلولا هذه الحباية لم يبق عليهما إسماعيل وكانا يقولان أنهما يعضدان سياسة فرنسا لأنها الدولة الوحيدة التي نهضت للدفاع عن حقوق مصر .

وعرفت صداقة الأهرام للدولة العلية وقد سافر بشارة إلى الاستعانة بعد محاكمة المرابين وأعلن ولائه للسلطان .

وفي هذه الفترة استقدم أصحاب المقلم مجاتهم « المقتطف » فأصبحت تصدر من القاهرة منذ عام ١٨٨٦ ثم صدرت مجلة الهلال ١٨٩٢ وفي نفس الوقت ظهرت مجلات شهرية تحاول أن تنافس المجلتين وتأخذ نفس الطابع الشكلى مع الاختلاف في المضمون .

(١) المنار « رشيد رضا » ١٨٩٩

(٢) الحياة « فريد وجدي » ١٨٩٩

(٣) الوسوطات « محمد فريد وحافظ عوض » ١٨٩٩

(٢) الطائف

وصف الثورة العراقية

في خلال الثورة العراقية كانت هناك صحافة تهاجم الانجليز والخذيو وتؤيد عرابي أبرزها « الطائف » التي كان يصدرها عبد الله نديم في معسكرات القتال ، ومما يذكرك له من عبارات الحماسة وإثارة المشاعر في خطبه التي كان يلقيها في التجمعات الشعبية قوله : إن قذائف مدافع الإسكندرية تصل إلى قبرص من هذه الناحية ، وقذائف مدافع الآسقانة تصل إليها من الناحية الأخرى ، فكلمتا جالت المراكب الإنجليزية فهي تحت رحمة مدافعنا « وصفق له الناس . . .

وكان أحمد سمير أحد محرري الطائف يصف المعارك الحربية فيقول :

في (١) ليلة الأربعاء قام المهام سعادة أحمد بك عبد الغفار ومعه ستون فارسا من المساكر ومائة من مشاة الحرب وكن للعدو بجوار عزبة نوبار باشا وكانت قد توجهت أورطة على خط سكة الحديد خشية أن يكون للعدو هناك أرساد أو طلائع وفي منتصف الساعة الثامنة من الليل ألقى العرب نياها وبقيت بألبستها وفاجأت العدو وكبسته وهو في رباطه فأطلقت اليران من الجانبين ثم جاءت السوارى وهجمت من خلف العرب ففرت طليعة العدو وتركت الميدان وما زال هذا المهام يتبهمهم ونار البنادق تطرم حتى اختفوا خلف روبة في وسط سكة الرمل .

وقد كان للثورة العراقية آثار ومعقبات فقد بلغ الذين حوكموا بعد محاكمة عرابي ونفيه أكثر من ثلاثين ألفا ، وقد جمع هذه المحاكمات سليم خليل نقاش في كتابه « مصر للمصريين » في ثلاثة آلاف صفحة منع صدور أجزاءها الثلاثة (الأول والثاني والثالث)

وسمى بالأجزاء الستة من الرابع إلى التاسع عام ١٨٨٤ ، أما الثلاثة الأول فبعد أن شرع في طبعتها أوقفته الحكومة إذ ذاك عن نشرها وتمحوى تاريخ مصر منذ عهد محمد على وإبراهيم وعباس وسعيد وإسماعيل وتشتمل على وقائع مصر والسودان ، وقد ذكر إذ ذاك أن الرقابة وجدت في ترجمة محمد على وإسماعيل ما يجب حذفه ، والوقائع الموجودة بالكتاب مستقاة من جريدته (المحروسة) .

ومما يذكر أن محمود سامى البارودى أحد زعماء الحركة العربية قد قال مصوراً حركة المرابيين : لقد كنا نرى منذ بداية حركتنا إلى قلب مصر إلى جمهورية مثل سويسرا ولكننا وجدنا العلماء لم يستمدوا لهذه الدعوة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم . . .

(٣) العروة الوثقى

وكان من آثار الثورة المرابية أيضا نفي الشيخ محمد عبده القدى سافر إلى بيروت ومنها لحق بأستاذه جمال الدين الأفغانى فى باريس وأصدرا معا العروة الوثقى عام ١٨٨٤ ، هذه الصحيفة التى أصدرت ثمانية عشر عدداً ولم تسكمل العام وكان لأعدادها دوى وأثر من ناحيتين : من ناحية الصياغة الأدبية ومن ناحية المضمون . وقد صدرتها بريطانيا فى كل مكان وصل إليها نفوذها ، كما مفعمت فى مصر بلاد الدولة العثمانية ، ومع ذلك فقد نفذت إليهما ونسخها الكثيرون وتلفذوا عليها أمثال رشيد رضا وعبد القادر المغربي .

وفى مصر قرر مجلس النظار فى جلسة يوم ٢١ يوليو ١٨٨٤ منع دخول جريدة العروة الوثقى إلى القطر المصرى بحجة أنها مهيججة للأفسكار ، ولما كانت إدارة البريد الفرنسى لا يمكنها منع إرسال الجريدة المذكورة من باريس إلا بأمر خاص من الحكومة الفرنسية فقد خابرت الحكومة المصرية الحكومة الفرنسية فى ذلك . وكان جمال الدين الأفغانى منذ عام ١٨٨٣ يكتب فى صحف أوروبا ومن كلماته هذه المسكلمة بعنوان :

(الحق والباطل أو نتائج سياسة الإنجليز فى مصر)

علامة العامل والفيلسوف السكامل جمال الدين الحسينى الأفغانى نشرها البصير (باريس) نيسان (إبريل) ١٨٨٣ . قد طبعت ترجمة هذه المقالة فى جريدة الجوسسيس الفرنسية وهى أهم الجرائد الراديكالية فى فرنسا ونقلها عنها بعض جرائد باريس ونشر قسم منها فى السنندر والديلى لفراف والديلى نيوز وهى من أعظم الجرائد الإنكليزية وفى النبو فرمى برس أشهر جرائد النمسا .

يقول « ما أختلف رأيان فى أمر إلا كان أحدهما حقا والآخر باطلا ، إن الحق أوسع الأشياء تواضعا وأجلاها برهانا وأوضحها بيانا ، ولقد صنفت الحكماء فيه كثيرا وبيّنوا سنفته ، وذكروا شواهدة وقسموه إلى أقسامه ، من حقوق الملك والدول والرعاة والرعايا وشرحوا فى مصنفاتهم إن الحق قوام الاجتماعات الإنسانية منزلية كانت أو مدنية ، وأن مدة دوام الاجتماعات وبقاء الدول بمقدار دوام الحق فيها وبقائه لأن الحق يحصل التسكافؤ بين القوى

المجتمعة لا اكتساب الأمانة والسعادة اللتين هما غاية سيرة الأمم في حياتهم ، فإذا حصل الانحراف عنه زال التكافؤ فاضمحل الاجتماع ووقفت الأمم دون بلوغ غايتها .

انظر إلى الحزب الحر في الحكومة الإنجليزية كيف كانوا يحامون عن حرية الأمم ويحشون الدول على إطلاق ربق العبودية عن الشعوب ويدافعون عن الإيرلنديين وبجماهرون بذيائهم الحزب المحافظ ويفذكرون شوائع أعمالهم في حرصهم على الفتوحات ، وكانوا ينددون على دزرائيلي في إقدامه على حرب الأفغانيين قائلين له أن سير على خان حر في بلاده له أن يقبل سفير الروس ويرفض سفير الإنكليز وليس لأحد أن يمارسه في أمره هذا .

وأعجب من هذا أن المصريين بأجمعهم ولا أستثنى منهم أحداً أرادوا أن يضعوا في بلادهم أساس الحرية بتشكيل مجلس النواب تخلصاً من ربة الاستبداد الذي كان يستجلب الوبال على المستبد ومن استبد عليه كليهما وخروجاً من مضيق العبودية التي نشأت من الإيثار والاستيثار بلا ملاحظة المنافع والمضار ، وطلباً للانخراط في سلك الأمم المتقدمة رجاء أن يحظوا من السعادة بما حظيت به الأمم . لما رأى الغرب ميل المصريين إلى الحرية وسيرهم إليها وسميهم في طلب أسبابها ما ونوا أن واجهوهم بالرد وعارضوهم بالعنف ودافعواهم عن الوصول إليها وأوجبوا الشقاق بين الراعي والرعية . أ. هـ .

(٤) المقطم

في ١٤ فبراير ١٨٨٩ صدرت المقطم وعرضها ما أسمته « تأييد السياسة الإنجليزية التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع أن يمينس فيه ويجاهر بأرائه وأقواله » .

وقد أخذ الثلاثة (صروف ونمر ومكاريوس) دكانا صغيرا في شارع أولاد عثمان وسموه (دار المتطف) وكان شرط كرومر عليهم : لا تزجوا باسم الوكالة البريطانية إذا أخطأتم فقدمتم للقضاء ، ثم توهمون الناس بابتكهم إنما تدافعون عن الاحتلال البريطاني للاحسان إلى مصر . ثم لسكم بعد ذلك من الأموال ما تشاءون . وفي تقدير الباحثين والمؤرخين أن جريدة الأهرام تحولت ١٨٨٤ إلى جانب الشعب ، وكتب فيها مصطفي كامل ، هنالك أصدر الاحتلال صحيفة تحمل لواء دعوته فكانت « المقطم » ، فلم يلبث أن واجه الوطنيون التحدى بإصدار المؤيد في نفس العام ، فلما تحول المؤيد إلى صف الخديو أصدر الوطنيون اللواء عام ١٩٠٠ وقد كتب فارس نمر فصلا صور فيه مدى ثقل المهمة التي قام بها المقطم وذلك بمديف وأربعين عاما من إصدار المقطم ، قال : بعد الهجرة إلى مصر^(١) فتحننا مطبعة كاملة المعدة لطبع المتطف وطبع ما يأتيها من الخارج لنستعين به على سد نفقاتنا ونفقائه ، وكانت عواقب الحوادث المرابية قد أوقعت مصر في أزمة مالية ظلت ثن من عسرها أعواما فلم يرد على المطبعة مطبوعات تسد الربح منها الحاجة أو تكفي لإدارة المطبعة فأنشأ المرحوم شاهين مكاريوس « اللطائف » وكنا نحمر لها الفصول التاريخية والمواضيع السهلة الطلية رجاء أن تروج بين العامة وتساعد على إدارة المطبعة ، فلم يأت ذلك بالفائدة المرجوة ، ولذلك خطر لبعضا أن نصدر جريدة أسبوعية لنشر الأخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية فمارضت في ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم ، ونحوها من الدخول في مآزق السياسة حتى أشدت

(١) ذكريات فارس نمر - المتطف (مايو ١٩٢٦) .

الحاجة إلى تدبير محل كاف للطبعة وجمعنا تفكرياً إما في إصدار جريدة أسبوعية أو
المهاجرة إلى الولايات المتحدة كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة إلى الديار المصرية .

ثم تغلب رأى شريكى على رأى وأزمننا إصدار جريدة إخبارية أسبوعية تكفى
مع المقتطف لإدارة حركة المطبعة وتتمير رأس المال ، وبينما نحن نستعد لذلك شاء القدر
أن يتصدى لنا من استخف بركة أنفسنا واستغفنا إلى استبدال الجريدة الأسبوعية بجريدة
يومية رغماً عنا ، وسبعان من قسم الحظوظ ، فقد قسم لى أن أحل أعباء هذه الجريدة اليومية
وأفقد راحتى ولفدى وما تميل إليه فطرتى ومن الاشتغال بالملم ، وبرز المقتطف رجاء أن يكون
دخل الجريدة اليومية عوناً لنا على إدامة المقتطف وانقطع زميلى إلى تحريره من كل عمل
سواه ، ولا أنمرض هنا لذكر شيء مما لقيت من جراء الاشتغال بالسياسة وخوض
معاركها على مبدأ الاشتغال بالملم في قول الصدق والانصراف للحق ، لا يشينى عنه إرهاب
بوعيد ولا وعود بمال ورتب ونياشين وما قاسيت من المتاهب التى كثيراً ما غادرتنى أفضى
الهيالى وأنا أتقلب فى فراش الموموم من تماقب الاضطهاد تلو الاضطهاد بسبب الدسائس
التى تحاك لى فى الظلام وأن أكنتم خبرها فى أعماق صدرى مخافة أن يدرى بها شريكى
فيضطربا فلا يستطيع أحدهما متابعة الدرس والمطالمة وتحرير المقتطف بما يفيض ذلك من
راحة البال وصفاء الذهن ، ولا يستطيع شريكى الآخر القيام بأشغال المطبعة والجريدة
والجلة بما يقتضى من الأمن والاطمئنان ، وإذاً فلنلقى واضطربا اضطرابى بارت
الأشغال وسامت حالة العمل والمال ، ولذلك بلغ منى أنى كنت ألتقى أخبار الحكم على
بالإعدام من الناقلين على بسبب سياسة المقطم وأنا صامت حتى ألفت الصبر على المكائد
ولم أعد أعبا بتلك الأحكام بعد ما تكررت على ثلاثا بالإعدام وهى لا تزال محفوظة بين
أوراق ليقرأها من تقع إليه بمدى ويترحم على مصدرها كما أترحم أنا عليهم اليوم بعد

لما بانحت من العمر هتيا ولم يبق أحد منهم حياً فبعضهم مات خفف الله ويمضهم مات
غيلة أو بإنقاذ حكم الإعدام عليه . . .

. . .

وقد نظم الشاعر أحمد شوقى فى وصف المقطم حجة نشرتها المؤيد (٢٦ سبتمبر
١٨٩٥) جاءت على هذا النحو :

زعم المقطم أنه يذشى وينثر فلسفه

سدد المقطم ياله من فيلسوف فى السنه

وقد كان أصحاب المقطم يجهأ كرومى والاستعمار يهاجمون الحركة الوطنية ويهاجمون
الخدويو عباس ، وقد حاول عباس الإنعام على فارس عمر برتبة الباشوية فرفض . .

(٥) المؤيد

ظهر المؤيد قبل نهاية العام الذي صدر فيه المقطم وقد توالى صدور المؤيد منذ ١٨٨٩ حتى توقف عام ١٩١٥ (وكان الشيخ على يوسف قد تركه عام ١٩١٢ وتوفي في ٢٥ أكتوبر ١٩١٣) وقد أنقذه سمد زغلول من الحجز حين اختلف مع شريكه أحمد ماضي ثم إنخذه الخديو عباس لساناً لسياسته من بعد ، وأعطاه أربعة آلاف جنيه فاشترى ما كينة طباعة رأس كبرى عام ١٩٠٦ ، هي أول ما كينة روتانيف تطبع ١٢ ألف نسخة في الساعة . وقد قام على تحريره بمد صاحبه (على يوسف) على التوالي : سيد كامل ، وحافظ عوض ومحمد أبو شادي وحامد إبراهيم أول من قال بتقديم الفاتورة للإنجليز بمد الحرب .

وكان تقرب على يوسف من رياض باشا فاتحة نجاحه وما زال يحوم حول الوزراء والحكام حتى عام ١٩١٢ حين تولى أعلى سلطة صوفية وكانت له الكلمة الأولى في أعلى الجهات « وقد لبس الشيخ لسكل زمن لبوسه وأخذ حيال كل ذي سلطة من الوسائل والحالات ما يؤدي لنجاح خطته على يديه بحكمة وحصافة » .

وقد وصف الخديو عباس جريدة المؤيد في مذكراته^(١) فقال : كان المؤيد في الواقع يحفل بالمقالات العظيمة ، بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة ، وكان الشيخ (على يوسف) بأسلوبه اللاذع وبلاغته التي لا تفيض وعاطفته التي كان يطامن من فلواتها لحسن الحفظ فلسفة إنسانية فائقة ، قد غدا بفضل اتصاله اليومي بالشخصيات البارزة متقدما في كل علم وفن وكان يتحدث إلى القراء عن مسائل تستثير مخيلاتهم .

وقد صورت الأهرام موقف « المؤيد » في الحركة الوطنية — يوم وفاة الشيخ على يوسف^(٢) فقالت : سار المؤيد بين عنزة من قلم المطبوعات وعسر مالي ، ولكن عين المنفور له رياض باشا ظلت ترمقه وتقيه العثرات إلى أن اشتد ساعده وكثر إقبال

(١) المصري : مايو ١٩٥١ .

(٢) الأهرام — ٢٥ أكتوبر ١٩٣١ .

الأمة عاينه بعد نشره تلذرافاً عن الحملة السودانية بقيادة اللورد كمتشنر وصل إليه
خلسة من فتي فبطل فآقامت عليه الحكومة قضية برىء منها ، وكانت هذه القصة محرراً
للشعب ليقتبل على المؤيد ، وتلا ذلك نشوب الحرب بين الدولة العلية واليونان ، فأوعز
رياض باشا إلى الشيخ على بفتح باب الاكتتاب في جريدته لإعانة التأسيسات العسكرية
العثمانية ولإعانة المسلمين الكريدين وترأس دولته ذلك الاكتتاب ، ونمت الحركة الوطنية
وقتشذ نموها الكبير فصار المؤيد محرراً لأفكار الكتاب وآراء العطاء ومن الوطنيين إلى أن
أنشأ المرحوم مصطفى كامل جريدة اللواء ، فانشطرت القوة شطرين ، كان أكثرها إلى جانب
مصطفى كامل ، ولكن المؤيد ظل مجاهداً في سبيله ، ولما ألف مصطفى كامل (الحزب الوطنى)
ألف الشيخ على حزب (الإصلاح على المبادئ الدستورية) لتظل له الزامة وفي مناهضته
للحزب الوطنى أكبر دليل على ثباته وعزمه وصبره ، وقد نعام المقطم فقال : شق علينا نعى
هذا الرصيف المهام ٠٠٠ بمد ما قضينا أحسن سنى العمر جميعاً في جهاد عظيم ، وصادم
سياسى مستديم حتى قبيض الله للجميع الاتفاق على مراعاة أحوال مطومة ومبادئ سياسية
مفهومه « ، والمقطم يقصد بهذه العبارة الإشارة إلى اتجاه المؤيد حين اختار السير فى نفس
خط المقطم فى تأييد السياسة البريطانية فى مصر بعد إنعقاد الاتفاق الودى بين الخديوى
هباس وممثل بريطانيا فى مصر « الدون فورست » .

(٦) اللواء

ظهر اللواء (أول يناير ١٩٠٠) فحمل لواء الحركة الوطنية على نحو يختلف عما كان من اتجاه المؤيد . إنتم طابع اللواء بالحماسة الخطابية والإصرار على خصومة الإنجليز دون أن ترتبط هذه الخصومة بعلاوة الخديو عباس ، وفي نفس الوقت الذي تحول فيه الخديوي عن الحركة الوطنية بقى اللواء على خطته ، وعندما قضى مصطفى كامل أخستير الشيخ عبد العزيز جاويش رئيسا لتحريره فسكانت أقوى مراحل الجهاد الصحفي في مقاومة النفوذ الإنجليزي في مصر . ولا هبرة بما يذكره بعض الكتتاب من إعتاد اللواء على موارد يلدز وعابدين ، فقد كانت الأهرام تتمتع على الفرنسيين وكان المقطم يعتمد على البريطانيين والمؤيد يعتمد على عابدين .

ذلك أن الصحف يومها لم تكن من القدرة بحيث تستطيع الاعتماد على مصادرها ، وكانت تابعة لجهات أو موالية لها وواضحة في تأييد موقف هذه الجهات ، ولعل اللواء هو أول جريدة لم يكن لها اعتماد على جهة ذات نفوذ واضحة التأثير في سياسته ، أو أنه لم يضع نفسه تحت ضغط جهات تفرض عليه سياسة تختلف مع هدفه الأساسي الذي رسمه لنفسه ، فقد كان الخديو عباس يؤيده في أول المراحل فلما تحول الخديو سنة ١٩٠٤ لم يتحول اللواء كما تحول المؤيد ، ثم وانقطعت مؤازرة يلدز بمد عام ١٩٠٨ ومع ذلك فإن اللواء لم يتحول عن خطته السياسية ، والواقع أنه إنما كان يعتمد في مصادره على سرة المصريين الذين يؤيدون سياسته وفي مقدمتهم مرحوم محمد فريد الذي كان ينهض بأضخم جوانب هذه الأعباء .

٧- (الجريدة)

وصدرت الجريدة عام ١٩٠٧ وأعلنت عن هدفها واضحاً وهو «تحقيق الأمان الوطنية باتفاق يتم بين الاحتلال وبين الأعيان المصريين - وخدم - باعتبارهم أصحاب المصالح الحقيقية» وقد كشف لطفي السيد عن مفهوم الأمة عنده حين قال: «إن الأمة لا تتكون من الأفراد وإنما تتكون من العائلات والأعيان هم رؤساء الأمة الطبيعيون لأنهم رؤساء العائلات وإن السبيل إلى تحقيق مطالب الأمة، هي الطرق السلمية للمشروعة التي لا تمس مصالح الأجانب ولا تجمل للأنجليز ذريعة جديدة لتثبيت مركزهم في مصر، أما الطرف من جانب الجمهور فإنه يؤدي إلى العناد والقسوة من جانب الاحتلال القوي، وأنا نعلم الأنجليز إذا لم نترف بالتحسن المادي والإداري الذي وصل إلى مصر في عهد الاحتلال».

ثم ظهرت صحيفة «الظاهر» محررها محمد أبو شادي وحملت على الشيخ محمد عبده بمناسبة نقواه بأكل لحوم المنخنقة وأقذعت في هجاء الشيخ وطالبت بعزله، كما تولى مهاجمة الشيخ بمقالات على درجة كبيرة من الافذاع، الصحفي الأفاق «محمد الشربتلي»، يقول الشيخ رشيد رضا إن كل الصحف قد ردت على الظاهر ودافعت عن الشيخ عبده ما عدا «الولاء». ثم ظهرت صحيفة «النبر» محرريها: أحمد حافظ عوض، ومحمد سعيد وتابعت سياسة عابدين. وظهرت مصباح الشرق لإبراهيم المويلحي (١٤ أبريل ١٨٨٨) وكانت موالية للسلطان عبد الحميد، وقد نشرت مقالات فياضة في هذا دعم هذا الولاء. وكانت تنشر خبر تنقلات صاحبها على هذا النحو:

«حضر صاحب هذه الجريدة من سفره إلى دار السمادة بعد أن حاز جميل الانعطاف السلطاني ونال جزيل الانعام الشاهاني وكيف للعلم واللسان أن ينطلقا بشكر بعض هذه المنن المتواليمة والدمع المترادفة» وكان يقدم رسائل أبو الهدى الصيادي بقوله: رسالة طلعت علينا من أفق الشرق لعظيم من عطاء الإسلام^(١).

دخائل الصحافة

- (١) الهلال - جرجى زيدان م ١٩٠٧ و م ١٩١٠ .
- (٢) مصر الحديثة المصورة (١٩٢٩ - ١٩٣٢) .
- (٣) مجلة كل شيء : (عدد من الأدباء) (١٩٢٩ - ١٩٣٥) .
- (٤) مجلة الجامعة (محمود كامل الحامى) مجلد سنة ١٩٣٢ .

يرى عديد ممن كتبوا فصولا ومقالات عن الصحافة فى هذه الفترة ، أن الصحافة الشرقية وضعت فى الأصل لخدمة أغراض الحكومة أو موظفيها وأن أرباب الصحف كانوا يستميتون على نشر جرائدهم بنفوذ الحكومة ، وكانت الحكومة تشترك بنشاط النسخ ، وكان بمض الوزراء يزود وكلاء الجرائد بكتب التوصية للديرية تأمرهم بمساعدة تلك الجرائد ، وكانت الجرائد آلة فى يد الحكام تسيح باسمهم ، وتقرنم بأعمالهم ، وكانت الصحف فى عهد إسماعيل تقضى بإبعاد الوطنيين وتقريب الأجانب ولم تكن الجرائد تصرح بهذا النرض إما تزلفا إلى إسماعيل أو خوفا من عصاه . وأشار جرجى زيدان إلى ما أصاب صاحب الأهرام وكيف كان حاله لو لم تقصره دولة أجنبية (يقصد فرنسا) .

فلما بدأ العرايين حركتهم أنشأوا عدة جرائد للدفاع عن سياستهم أشهرها جريدة التفكيك التى سماها غرابى (لسان الأمة) وجريدة الحجاز والزمان والطائف وغيرها وأنجحت الحكومة إلى إيقاف هذا التيار وتقييد الأقوال ، فسنت قانونا للطبوعات عام ١٨٨١ يقضى أنه لا يحق للطابع نشر كتاب ما ، قبل الإذن بطبعه من قلم الطبوعات .

وما أن مرت فترة قليلة بعد الاحتلال حتى أطلق للصحافة العنان وسمح بإصدار الصحف فصدرت صحف كثيرة وكانت الصحف فى هذه الفترة تعيش فى أزفة ومنهنيات ، ولها ما كيفيات تدار بالود .

وكان راتب أعظم محرر يتراوح بين خمسة جنيهات إلى ثمانية ، والأغلبية المطلقة للمصحفين كانت من السوريين واللبنانيين ثم أكثر عدد الجرائد والمجلات ، واحترف الصحافة كل من لاصناعته ولا حرفة ، وصارت الصحافة « مودة » وملهاة لأبناء الأغنياء والأعيان ينشرونها لمجرد التسلية ، ولسكنها لم تجد سوقاً فأقفلها أصحابها . أما الأغلبية الساحقة من أصحاب الصحف في ذلك الحين ، فكانت جماعة ممن لا عمل لهم « يتخذونها وسيلة لا يترأس الأموال بالطن على العمد والأعيان والتدخل في شؤونهم الخاصة بمباراة سمجة جافة » ولما كان أغلب أصحاب الصحف يبيدين عن هذه الصناعة فقد استخدموا جماعة من الكتاب والمحررين ، وكان بعضهم يكتب إلى ثلاث أو أربع جرائد أسبوعية ، وكانوا يكتبون صحفهم في الأندية العمومية والقهوات وكان معظمهم يجلسون في قهوات ميدان باب الخلق والعقبة الخضراء ، وعماراة متاتيا ، وميدان الخازندار . وفي هذه الأندية كانوا يكتبون الغلافات (فلاف الصحف التي يرسل به في البريد وعليه العنوان حيث لم تسكن الصحف كلها توزع مع الباعة) ويحاسبون وكلائهم ومحصليهم ويسارمون الذين يريدون الطمن فيهم ومن يريدون الدفاع عن أنفسهم ؛ ومن اشتهروا في هذه المرحلة :

(١) الشيخ الشربطلي ، يكتب في جريدة (النهج القويم) ويكتب لصحف متعارضة ومختلفة في المبدأ والمذهب .

(٢) محمد توفيق صاحب (حمارة منفي) وقد اشتهر بقدرته على التفكيك والإشراك وقد سبق غيره من الكتاب إلى فن البارودي (المسخ) وتقليد عبد الله نديم في تدوين الحادثات البلدية ، وقد بلغ عدد ما يطبع من حمارة منفي عشرة آلاف نسخة ، وامتاز صاحب الحمارة على زملائه بأنه لم يكن يتحدى غير أصحاب الشخصيات البارزة وقد أسرف في الطمن على الشيخ محمد عبده وصوره صوراً قبيحة منسكرة فحرم وحكم بسجنه .

(٣) الشيخ النجار صاحب الأرفول ، اشتهر بنظم الرجل البديع بلغة عامية عذبة متضمنة نكتة بديمة رقيقة .

٢ - وكان حماد موارد الصحافة إلى ما قبل ثلاثين سنة قائما على الاشتراكات لضيف موارد البيع والإعلانات ، والاشتراكات كانت عادة تدفع مؤخرا ، ولشكل جريدة سجل حافل بأسماء المشتركين وما في ذمتهم من متأخرات تربو أجهانا على ألوف الجفيفات يقبل صاحب الجريدة بيما بالثبات .

واسكل صحيفة وكيل يقجول في منطقة معينة من البلاد فيختص أحدم بمديرية أو مديريات مجاورة ينتقل من قرية إلى قرية مطالبا بالاشتراكات ناشرا مقالات المدح والثناء على اللديرين والمأمورين ورؤساء المحاكم ومماونى الضبط مشهرين بهذا أو ذاك من الممد والأعيان « جرا المضم أو إرضاء لشهوة فرد أو جماعة ، وقد بلغ من (شطارة) بعض وكلاء المقطم فى الأقاليم أنهم كانوا يوهمون الممد والأعيان أن مجرد الاشتراك فى المقطم يجعلهم « حاية أنجليزى » وما عليهم لإثبات ذلك إلا الاحتفاظ بملاف الجريدة الطبعوع عليه اسم المشترك وإبرازه لرجال الحكومة وغيرهم وقت التوزيع » .

ويقول جرجى زيدان أن الصحف إنقسمت بعد الاحتلال إلى أقسام تحزب بعضها للدولة العثمانية على الإنجليز والبعض الآخر لفرنسا على الإنجليز ، وأول صحيفة ناصرت الإنجليز هى « الزمان » لصاحبها (علكسان سرافيان) ، ثم المقطم فامتعض الوطنيون منها فأنشأوا جريدة المؤيد ، وأن ظهور المؤيد كان خطوة كبيرة فى الصحافة لأنها أولى الجرائد الوطنية الكبرى ، وقال جرجى زيدان (فى مقال له عام ١٩١٠) أما بقاؤها إلى الآن - أى المؤيد - وما نالتة من الشهرة ونفوذ الكلمة فإنه راجع إلى اقتدار صاحبها وثباته ، وما لم يذكره جرجى زيدان إن إفلن بارنج (اللورد كرومر) قد اتصل به أصحاب المقطم عام ١٨٨٨ وأنه مهد لهم الطريق لإنشاء جريدة يومية ، صدرت عام ١٨٨٩ ، وقد أوعز مصطفى رياض (المعروف برياض باشا) إلى الشيخ على يوسف فأصدر المؤيد بعد ظهور المقطم بستة أشهر فلما اشتد الخلاف بين عباس واللورد كرومر ١٨٩٢ اتخذت العمية جريدة المؤيد لسانا لحال الخديوي .

٣ - صدرت بين ١٨٢٩ - ١٨٩٢ نحواً من ١٥٠ جريدة بين سياسية وعلمية وطنية وحقوقية وأدبية لم يبق منها حياً حتى عام ١٩١٠ إلا ثلث هذا العدد .

ويقول جرجى زيدان : بلغت الصحافة منذ ١٨٨٢ ما لم يباغها غيرها ، وسبقت سائر الأمصار العربية . فقد انحطت الصحافة في سوريا قبل إعلان الدستور (١٩٠٨) فأصبحت مصر عطف رحل أرباب الأفلام وعشاق الحربة وطلاب الرزق ، ونحن نرى أن حرية الصحافة هذه كانت أسلوباً من أساليب كرومر في التنفيس بالسكامة ، وفي نفس الوقت فتتح الطريق لسكتابات السوريين للظمن على سياسة السلطان عبد الحميد خصم بريطانيا وفق خطة مرسومة تهدف إلى تمزيق الدولة العثمانية ، والسيطرة على مختلف الأنظار التابعة لها .

ويقول جرجى زيدان إن الفترة من تولى عباس ١٨٩٢ إلى ظهور اللواء ١٩٠٠ تمثل دوراً مستقلاً من أدوار الصحافة ويرى أنه خلال هذه الفترة نضج المقطم والمؤيد واشتد ساعداها ، وهي وطيس الجدل بينهما ، وأهمل قانون المطبوعات فأطلقت حرية الصحافة وتسكأثر ظهور الجرائد الأسبوعية ، وأن الأهرام ثبتت في خطتها (أى مؤارزه وجهة نظر فرنسا) ، كما تنهت الطائفة القبطية في أثناء ذلك إلى الصحافة ، فأعادت جريدة الوطن وكانت قد توقفت ، وصدرت جريدة مصر وهي أكبر الجرائد القبطية ، ويرى جرجى زيدان أنها على الإجمال كانت احتلالية الخطة (وهي غير جريدة مصر التي كان يصدرها أديب إسحاق وسليم النقاش من قبل) .

ويحصى جرجى زيدان ما صدر من الصحف ١٨٩٢ - ١٩٠٠ فيقول إنه بلغ في العالم العربي ١٥٠ صحيفة منها ٨٩ صحيفة في مصر وحدها ، وقال إن أسباب كثرتها إطلاق سراح المطبوعات « فأصبح الكاتب لا يسأل عما يكتب ولا حرج على الناس في إصدار الصحف » .

ولد كثرة في هذه الفترة تحدث الصحف عن العرش العثماني والخلافة الإسلامية لاسبابها إنتصار

الدولة العثمانية على اليونان ، ولما أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ « تملقت آمال المصريين بقرب نيته لأنفسهم وأخذوا يجاهدون لطلبه » فلما تولى بطرس خالي الوزارة أراد أن يخفف لهجة الصحافة الوطنية فأعاد قانون المطبوعات .

وكانت الصحف في هذه الفترة تتضمن : الإفتاحية ، بريد أوروبا ، بريد الاستانة العلية ، أخبار دواوين الحكومة والقضاء ، رسائل مكاتبي الأقاليم ، وكانت تحوى مدح شيخ الخفراء ، أو شكوى من قلة المياه ، أو هجاء في أفلام كتاب المحكمة . أما الحملات فسكانت تفسر دون عنوان ، والتلغرافات كانت قليلة مختصرة . وكانت تفسر مقالات لعدد من الصحفيين . وكان يعمل بها : (الحرر) للمقالة والإفتاحية و (المترجم) لترجمة بريد أوروبا (المخبر ، والمراسل) لأخبار دواوين الحكومة والمحاكم (المصحح) لمراجعة التجارب (البروفات) (١) .

• • •

٣ - وبدأت في هذه المرحلة حملة على الصحف المنحرفة والصالاة وقد استعمل النفوذ الاستعماري هذه الحملة لتوجيهها ضد الصحف الوطنية فقد هاجمت (مصباح الشرق عام ١٨٩٨ ما استمه (الجرائد الساقطة) قالت : لا تزال هذه الجرائد الساقطة انماوية تهوى من مهاوى الدناءة إلى حضيض الدم ، وأصحابها يسحبون من ضيق الحياة إلى ضيق السجن جزاء ما يسحبون فيه من أقدار التعرض للناس بالأنك والبهتان وأوضار الشتائم والسباب صناعة تخفوها لأكل العيش منموساً بماء حياتهم ، ووقاحة وجوهمهم ولعل تواتر صدور الأحكام من المحاكم عليهم وتشديد العقاب سد في أوجههم هذا الباب » .

(١) ألقى « يعقوب أرتين » خطاباً إحصائياً عن الصحافة المصرية في المجمع العلمي المصري عام ١٩٠٥ جاء به إن الصحف عام ١٨٨٩ = كانت ٣٣ جريدة ومجلة وطام ١٩٠٤ = ١٧٦ جريدة ومجلة منها ١١٨ عربية (١١ عربية يومية) ٥٥ عربية أسبوعية ، ٣٠ عربية شهرية ، ١٩ عربية نصف شهرية منها ١٣٣ جريدة في القاهرة . وأبرز صحف القاهرة : الأهرام ، الجوائب ، اللواء ، للأزبد ، للانظام ، الوطن ، مصر ، الظاهر .

وقد أوردت مصباح الشرق هذا التعليق إشارة إلى حكم محكمة السيدة زينب الجزئية (١١ يولية ١٨٩٨) بحبس حسين شاكر صاحب جريدة الطالب مدة شهرين وبغرامة قدرها ألف قرش .

* * *

ومن هذه التماذج قضية الشيخ محمد عبده على أصحاب جريدة : النهج القويم والشيخ سليمان العبد كآرويهما (مصباح الشرق ٧ يوليو ١٨٩٨) :

قدم حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبده بلاغا إلى النيابة العمومية بأن أصحاب جريدة النهج القويم نشروا في جريدتهم مقالة تحت عنوان (أدوار الأزهر) تضمنت طعنا شديداً في حقه ، وقد اعتنت النيابة بهذا الأمر وابتدأت في صباح ذلك اليوم لتحقيق الدعوى بمركز محكمة السيدة زينب الجزئية ، فاستحضرت الشيخ محمد الشربيني والشيخ محمد الخيمي بصفتهم متمهين ومحمد الفليوبي وإبراهيم سعد ومحمد حسان شهوداً .

سئل الشيخ محمد الشربيني : عما إذا كان رأي في المقال تغييراً عن الأصل الذي كتبه فأجاب بالسلب إلا ما كان من بعض الخطأ الطبعي . ثم سئل عن حضور الشيخ سليمان العبد هل كان صباحاً أم مساء وهل كان يتردد على المطبعة وإدارة الجريدة قبل الآن ، فأجاب بأن حضوره كان في الساعة التاسعة قبل الظهر تقريباً وأنه لم يسبق له تردد عليهم إلا حينما كانت المطبعة بشارع محمد علي ، فلما انتقلت إلى محلها الحالي حضر إليهم مرتين الأولى إيقص عليهم ما كتبوا المقالة في موضوعه ، والثانية ليقدم لهم الشكر على نشر هذه المقالة وكان معه في هذه المرة الشيخ حمزة فتح الله وشيخ آخر .

س : هل سبق أن كلفكم بنشر شيء في الجريدة .

ج : لا

س : قلت الآن أن الشيخ سليمان العبد أنك متشكراً على نشر ما قصه عليك

ففي أي يوم كان ذلك وهل كان معه أحد وهل كان أحد حاضرًا وقت مجيئه .
ج : كان معه الشيخ حمزة فتح الله وكنت أنا موجوداً ومضى القليوبي رئيس جمعية المطبعة وعلى ما أظن جاء قبل الظهر من اليوم الخامس أو السادس بعد العيد ولم يجلس بل ظل هو ومن معه واقفين .

* * *

وهذه القصة كما ترونها جريدة مصباح الشرق : « كانت النيابة العمومية قد أهتمت صاحب النهج القويم : الشيخ محمد الشرييني عن المقالة التي نشرها في جريدته عدد ٢٤٩ الصادر في شهر الحجة ١٣١٥ الماضي ونسب فيها لحضرة الأستاذ الشيخ محمد عبده مطاعن تتماق بأعماله في الأزهر مثل تمزيقه للكتب التي كانت في أيدي الأساتذة القدين بتلقون الدروس فيها وكذلك الإدهاء بأنه سبهم وأمر المشرفين باهانتهم ونحو ذلك من الأباطيل التي جاءت في تلك المقالة بمباراة التشنيع ولما استدعى صاحب النهج القويم قال إن من روى له هذه الأخبار هو الشيخ سليمان العبد فإنه حضر إلى إدارة جريدته وأمر بنشر تلك المقالة وما جاء فيها برمتها وأنه بقي عنده حتى كتب المقالة ووعده بترويج جريدته مكافأة له على نشرها ، ثم حضر إليه بعد النشر وتشكر له على نشرها وكان يصحبه الشيخ حمزة فتح الله .

والا سئل الشيخ سليمان العبد أنكر كل الإنكار وقال انه لا يعرف صاحب جريدة النهج القويم ولا يعرف محل إدارته ولا علاقة له به أصلاً ، وإن بينه وبين حضرة الشيخ محمد عبده الصداقة التامة والوفاء الكامل وأنه يجلس مقام حضرة الشيخ عن أن يقال فيه ذره مما جاء في تلك المقالة وأن ما بينهما من الود لا يسمح له أن يأتي بأقل شيء يغير خاطر حضرة الشيخ . ثم استدعت النيابة شهود صاحب النهج القويم (محمد الخيامي ، إبراهيم سعد ، محمد ، محمد العليوي حسان) وكلهم أجمعوا على أن الشيخ سليمان العبد هو الذي ذهب إلى محل إدارة الجريدة وروى تلك الوقائع بصوت جهوري سمعه كل منهم لأنه

كان يتكلم بمحبة زائدة واستدعى الشيخ سليمان العبد مرة أخرى حيث واجهته النيابة مع الشرييني ، فأصر سليمان على الإنكار وأصر الشرييني على اتهام سليمان وطلب من النيابة أن تستدعي الشيخ حمزة لأخذ أقواله ، فأجابت النيابة أن الشيخ حمزة أخذت أقواله وهو ينكر حضوره مع الشيخ سليمان في إدارة جريدته . وطلب الشرييني من النيابة أن تستحلفه اليقين وقال : فإذا أنكرك أيضا أفوض أمري إلى الله ولو كنت أعلم أن الشيخ سليمان العبد ينكر ما وقع وهو متصف بالعالية اتركته وتحملت المسئولية كلها على عاتق فأجابه النيابة بأن الشيخ حمزة حلف اليقين أمامها فلا ضرورة لاستحلفانه مرة أخرى .

س : حقيقة إنكم نصحتم الشيخ محمد عبده وبذل النصيحة يستلزم من المنصوح حالة ذلك المنصوح فهل رأيتم في الأستاذ الشيخ محمد عبده حالة توجب تلك النصيحة .

ج : طريق الساف الصالح رضى الله عنهم أجمعين بث النصيحة للأخ متى اجتمع على أخيه ولو بدون شيء يستدعى ذلك ، وأنا ليس بيني وبين حضرة الأستاذ إلا الصداقة ولا أعرف إنسانا مستقبيا مثله .

س : هل شكوت الشيخ محمد عبده لحضرة الشيخ حسونه كما ذكر في مقالة النهج القويم .

ج : كلا إنه من كبارنا فهل اشتكى كبير لكبير .

س : قلم : إنكم لم ترو حضرة الشيخ محمد عبده يستعمل الفلظة مع المدرسين والطلبة فهل سمعت من غيرك أن حضرة الأستاذ المولى إليه استعمل تلك الفلظة .

ج : لم أسم من غيري ذلك ولو سمعته لكنت نصحت الشيخ لأنه يقبل النصيحة .

وبعد ذلك اتفق حضرة الفاضل مصطفى بك بيرم إلى الجامع الأزهر إبراهيم لسؤال فضيلتكم الشيخ حسونه النواوى عما بمله في هذه المسألة وقد بلغنا أن إجابة الشيخ المولى إليه كانت

قاصرة على أنه لم يسمع قط من أحد المدرسين أو الطلبة أدنى شكوى في حق الأستاذ الشيخ محمد عبده وإنما سمع بمثل تلك الإشاعات عنه فيما مضى وقد حققها حضرته بنفسه فتحقق من كذبها « ١٠٥ »

وفما يتصل بهذا الاتجاه ما بلغه التوسع في هذا النوع من الصحف فقد اشتهرت صحف الحمار ، حماره منبقي (أحمد توفيق) والسيف أحمد عباس وكان أصدر محمد توفيق الحمار عام ١٨٩٨ واتفق في كتابتها أثر الشيخ سانو (أبو نظارة) وعبد الله نديم ، والشيخ حسن الآلاني ، والشيخ محمد الفحار على نظام الأجزاء والمقامات والمحادثات بين شخصين ، يدخلون في عباراتهم جملا وألفاظا ينفر منها القوق السليم . كما قامت مجلة السياف على النقد المزل في جملة لا تزيد عن سطرين ، وعبارته محتوية على نكتة أو إشارة دقيقة لا يدركها إلا الواقفون على أسرار البلد ودخائل أكابرها .

وقد بلغ هذا الاتجاه مداه سنة ١٩٠٩ حين اضطر مجلس شورى النواب والجمعية العمومية إلى بحثه حين تلقى اقتراحا من (أمين الشمسي) عضو المجلس يتصل بخطر هذه الصحف . يقول التقرير : إننا نرى أسافل الناس يقدمون على إنشاء الجرائد ، وقد ملأوا الدنيا سفاهة وتمديا على الأعراض ، على أن الجرائد هي مرشد الأمة والحكومة والطبوعات هي ركن من أركان العمران ، فاقترح على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة الاتفاق مع وكلاء الدولة على سن قانون عمومي للطبوعات يقي الناس شر هذه الفوضى أو أنها تقرر مناقبة من يخرج عن حده . وعلق الشيخ محمد عبده في المجلس على هذا التقرير فقال : « إن القذح في الأعراض ونشر ما يخل بالأداب سواء كان بصفة رسائل مستقلة أو نشر مقالات بالجرائد ، قد كثر في هذه السنين بسبب إطلاق حرية الطبوعات ، وبما أن ذلك ممنوع شرعاً وسياسياً فنلفت نظر الحكومة إلى ذلك . »

٤ - وقبيل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كانت الصحف الكبرى في مصر هي :
الأهرام ، المحروسة ، الوطن ، المقطم ، مصر ، الأخبار ، البصير ، الرقيب ، الأقدام (وذلك
بترتيب ظهورها وأقدميتها) وقد رسمت إحدى صحف الحزب^(١) الوطني دور هذه الصحف
في هذه الفترة على هذا النحو :

الأهرام (لسنة ٣٧) : سياستها عثمانية مصرية ، لا تتأخر عن محاباة فرنسا ،
والدفاع عن مصالحها في مصر سواء أكانت اقتصادية أو سياسية ، ومع ذلك
لا تهمل المصالح المصرية غالباً إلا إذا كان الأمر متعلقاً بشركة من الشركات . وهي
مع الحكومة في موقف الاعتدال ، تفر لها بالحسنة وتنتقد السيئات عليه وهي في حيدة
مع الأحزاب السياسية ونجاملها كلها أو بعضها أحياناً وهي أكثر الصحف (الشامية)
عناية بمصالح الوظيفيين .

المحروسة : مكتوب عليها أنها في سنة ٣٧ (١٨٧٥) ولسكنها لم تصدر إلا (٩٩٧
عددًا) وهي مع حداثة عهدا قد تطورت في مشربها مرات ، ولسكنها الآن تسكتب بلهجة
مصرية ، وهي في آرائها بالنسبة للعمية (عابدين) كالزويد وبالنسبة للمصالح الفردية
وطنية صرفة .

الوطن : (السنة ٣٤) احتجبت ٢٢ عاماً بمد أن أبطالها ميخائيل عبد السيد ثم أعادها
(جندي إبراهيم) بمد ١٢ عاماً ليتسنى له نشر الإعلانات القضائية ، وهو يرى العمد
(يقصد عمدة البلاد) هدفاً تراش له السهام فلا يترك في كتابته سهماً إلا وجهه إلى واحد منهم
أو أكثر ، وسياسة الوطن العمومية ، احتلاله أكثر من المقطم حتى انه كان يحرص الانجليز
على ضم مصر إلى المستعمرات الإنجليزية ورفع الراية عليها مستعملاً في ذلك سماجة لم تصل
إليها جريدة قبلها ، ولا يخلو عدد من أعداده من طعنه في السليين أو إيلام لمواطنهم .

(١) (جريدة الشعب ٨ مايو ١٩١٢) .

المقطع : سياسته انجليزية صرفة . لولا أنها تعكس بحروف عربية وكل أعمال الحكومة مدوحة لديه . ولقد بلغت ثقة الاحتلال به حداً متناهياً حتى أنه يقوم بترجمة وطبع التقرير الذى يصدره المعتمد البريطانى سنوياً فيكون علمه به أسبق بكثير من علم أعضاء البرلمان الانجليزى ، أما مصلحة المصريين لديه فلا شيء ، وهو يتقدم مشروعات الحكومة يبسطها للجمهور ويرشح الأذهان لقبولها والتماس العافير لكل أعمالها ، حتى لو كانت إرسال المشائق قبل عقد المحكمة (والمعروف أن المقطم أعلنت فى ابان التحقيق فى حوادث دنشواى ١٩٠٦ أن المشائق قد أرسلت إلى مكان المحاكمة قبل إصدار الحكم بأيام) .

وأصحاب المقطم أغنى الصحافيين مالا ، وأكثر أطياناً ، ورغماً من أن الصحافة فى مصر مجلبة للخسارة ، فإنهم جموا منها ثروة يقصر عن حملها أكبر أرباب المشروعات وربما كان لديهم فى كل شركة أسهم ، وهم أقدر الصحفيين على الضغط على عواطفهم ودس أشد المطاعن وأكثرها أفعاماً بالسموم فى قالب نصيحة مبرقشة .

مصر : قبطية بمعنى الكلمة ، واحتلالية بأوسع من ذلك . ومن مناقبها أنها رضمت عريضة وقدمتها للوكالة البريطانية تثبت فيها أن الدستور ضار بمصر غير مفيد ، وقد أنشأت هى وجريدة الوطن السفارة القرياقصية فى إنجلترا بمساعدة القسس البروتستانت وقد حبذت قانون المطبوعات عند سدوره لما علمت أن المقصود به هو الصحف الوطنية وحدها .

الأخبار : (يوسف الخازن) فى سنتها (١٦) وهى جريدة لا مبدأ لها ولسكنها تحافظ على عدائها للدولة العلية وسداقتها للاحتلال .

المؤيد : عاشت مهمة إلى سنة ١٨٩٢ ثم أصبحت منذ ١٩٠٤ جريدة احتلالية باطفاً وظاهراً .

(الجريدة) : أول جريدة أنشئت برأس مال كبير قدره ٢٠ ألف جنيه ، لما وقعت حادثة العقبة ١٩٠٦ وظهر للورد كرومر ، تأثر للرأى العام بجريدة اللواء ورفعها على كل

الصحف التي سارت طوع إرادته أو من صنع يد عربية وأفرنكية ، سورية وغير سورية ، فرأى كرومر أن تصدر جريدة مصرية بحقته ، تكون سياستها مصرية غير مرتبطة بالدولة العلية ، لذلك كاشف أخصائه والمترددین عليه من الأعيان أمثال : محمود سليمان ، حسين عبد الرازق ، عبد الرحيم الدمرداش ، فألفوا شركة من نحو ١٢٠ ذاتاً من أعيان الأريفة عشر مديرية لتمثيل سكان البلاد وأرباب المصالح بمقدار ما يمثلهم مجلس شورى القوانين أربع مرات ، لأنه يؤلف من ثلاثين عضواً ، وألفت شركة الجريدة من أضعاف هذا العدد وكان مقدراً لها أن تسير على خطة يرسمها لها اللورد .

وقد غيرت حادث دنشواى السياسية العامة للاحتلال فتضمنت أركان ذلك الغرض الذى أنشئت له الجريدة وكان هدفها هو اتفاق الأعيان (لا غيرهم) مع الاحتلال وتقبل كل شيء منه بالرضا باعتباره كسباً للأمة ، حتى تتوفر لها السكفادات للحكم الذاتى ، وهى أول من أسمى المعتمد البريطانى صاحب السلطة الفعلية والحدوى صاحب السلطة الشرعية .

وتتمثل خلاصة هذه المراجعة فى هذه المرحلة حقائق واضحة :

- الصحف هى التى أنشأت الأحزاب .
- جميع الصحف كانت تطالب بالاستقلال والدستور مع اختلاف المفاهيم بينها .
- انتقلت الصحف الوطنية إلى أيدي المصريين بعد أن كانت فى أيدي السوريين .
- أدى تسكأر الصحف الوطنية إلى تمكين الروابط العسكرية والروحية والاجتماعية بين الشرقيين والمسلمين ، وكثر الحديث عن الجامعة الإسلامية ، وأولت الصحف اهتمامها بأخبار العالم الإسلامى ونقلها من لغاتها الهندية والفارسية والروسية والتركية فضلاً عن الإنجليزية والفرنسية .

- إرتقى الإنشاء وارتفعت أجور السكتاب حتى بلغت ضعف ما كانت عليه .
- ظهر نفوذ الصحافة في مسألة (مد امتياز قناة السويس) فالصحافة هي التي ألزمت الحكومة عقد الجمعية العمومية لاستشارتها في هذا الأمر ، وقام الحزب الوطنى بدور ضخم رئيسى في هذا الأمر ، وقام الوطنيون بالمظاهرات ، يطلبون رفض المشروع .
- ظهرت الصحف في مختلف عواصم القطر : القاهرة والأسكندرية وأسيوط وطنطا والفيوم والمفصورة .
- وكانت الجرائد العربية في أوائل نشأتها تطرح على المشتركين طرح الصابون . على حد تعبير جرجى زيدان فن اشترك عد ذلك أريحية منه للأخذ بناصر صاحبها — ولا يمد دفع الاشتراك من جملة الحاجيات ، ثم أصبح القراء يطلبون الصحف وكثيرون منهم يرسلون البديل مقدماً .
- تألفت للصحفيين نقابة اشترك فيها أرباب الصحف .

معارك ومساجلات الصحف

بين المؤيد واللواء والجريدة

جرت المداك (١) والمساجلات بين الصحف الوطنية الثلاث التي تمثل الاتجاهات الثلاث في فترة ١٩٠٧ وما بعدها : المؤيد يمثل الحدوي واللواء يمثل الحزب الوطني ، والجريدة تمثل حزب الأمة ولشكل منها وجهة نظر .

١ - بين علي يوسف ولطفي السيد

كتب الشيخ علي يوسف عام ١٩٠٦ بعد إصدار (المؤيد) بسبعة عشر عاماً يشرح ظروف إنشاء صحيفته فقال :

أصدرت الآداب ١٨٨٩ مجلة أدبية أسبوعية ، وسفحت لي فرصة بعد ذلك ، تقدمت فيها إلى رياض باشا (رئيس الوزارة المصرية) فأشار إلى بعض المقربين من دولته ، أن استرخس منه لإصدار جريدة سياسية يومية ، ولكنني ترددت كثيراً في ذلك ، لعلني أن جريدة سياسية تصدر عن مصري مسلم ؛ بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين ، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القومية التي كانت قابضة إذ ذاك على زمام أميال القراء اختياريّاً أو اضطراراً ، جريدة لا تتأثر بدسائس الدساسين ووشايات الواشين الأوربيين وغير الأوربيين ، وتحتاج إلى رأس مال أكثر من مالي ، وإلى حول أكبر من حولي ، وإلى معارف جمة ووسائل عدة أنا خلو من كثير منها . ولكن جد دافع قوي لي ، ذلك من إحسان دولة الوزير أو إشارته إلى نظارة الداخلية مسترخصاً بهذه الجريدة ، صدرت أول ديسمبر ١٨٨٩ في حجم أربع صحف قليلة المواد ، سار المؤيد

(١) المؤيد ١٨٨٩ اللواء ١٩٠٠ الجريدة ١٩٠٧ .

كالوليد ، وبينما هو يجهو جهو الطفل في مهده ، إذ عصفت به ريح خبيثة من مكائد مفاظريه الذين كانوا يحشون أن تمش جريدة مصرية مسلمة ، فتمسحوذ على أميال المصريين وعواطنهم وقانون التنازع في هذه الحياة يجعل الفضال أشد في زحزحة النير عن مكانه من هذا الوجود ، سعة الله في خلقه ، ولن تجمد لسنة الله تبديلا .

ودب ديب الخلف بين مدير المؤيد (المرحوم الشيخ أحمد ماضي) وبين صاحب إمتيازه كاتب هذه السطور بسبب ما دس أولئك الدساسون ، وليس من حق هذا التسلم أن يزيد الآن في التفصيل إكراماً لرفات صديق في عالم آخر ، ولكن نتج عن هذا الخلف احتجاج المؤيد عن قرائه من ٣٠ سبتمبر إلى ٢٠ نوفمبر ١٨٩١ .

وكانت اليد الحاسمة لهذا الخلف هي يد ذلك الغيور الفضال سمد بك زغلول (وكان وقتئذ محامياً) إذ اختاره الشريك حكماً للفصل في موضوع النزاع ، فأنتهى حكمه بترك المؤيد لصاحب إمتيازه بمد ما أرضى محكمة بمال من عنده ومن آخرين من فضلاء الشبيبة المصرية . ويومئذ خاب سمد بك زغلول قائلاً : قد صار لك المؤيد بلا منازع فإن كنت كفؤاً للملك فاجمل من همتك وثباتك فيه رأس مالك وبرهن على ثقة إخوانك به .

وكانت هذه السكباب أشد تأثيراً على نفس من كل مشجع ومرغب في عمل ، وظهر « المؤيد » بعد الاحتجاج وكهت خالياً من رأس مال له سوى القلم والصبر والاحتمال ، وكانت رئاسة النظار في يد عطوفة تلو مصطفى فهمي والدسائس ضد المؤيد أقوى منهم قبل ، وقد هال أعداءه ظهوره ثانياً ، فوشوا إلى الحكومة بأن هناك جمعية سرية أخذت على نفسها الاتفاق على المؤيد والكتابة فيه ضد الحكومة والاحتلال ، وكانت ربح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة لولا أن مقرباً من الوكالة الانجليزية ومن عطوفة رئيس النظار (ونعني به المرحوم محمد بك بيرم) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشايات بنفسه فظهرت له الحقيقة ، وانتهى الأمر بمقابلة سمد زغلول أمطوفة رئيس النظار ليدحض بالبراهين اللاحقة تلك الدسائس البالغة .

وأنا بين جواذب الأنصار ودوافع الأعداء أعمل جهدى لسكى يثبت المؤيد ويعيش
فلا يكون العار على المعرى أن يسجل عليه النشل كما شرع فى عمل . ثم وجدت اضطهاداً
من الحكومة ظهر بأقبح مظاهره حتى وصل إلى خد اقتال أبواب الدواوين فى وجه
صاحبه وكتابه ومخبريه ، ولم ينتهى هذا الدور حتى جاءت وزارة رياض باشا فى يناير
سنة ١٨٩٣ ويومئذ ألقى قلم المطبوعات التى أنشئ لمضايقة المؤيد ليس إلا ، يوم كانت
وظيفة البارودى دى مالوروى مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه
فى كل ديوان . فلما تولى رياض باشا منحه أجازة لم يعد بمدها إلى العمل وخلص المؤيد
من عوامل الاضطهاد الشديد واستمر فى طريقه . حتى كانت سنة ١٨٩٩ قضية التنازلات
المشهوره التى لم تنته حتى بلغ المؤيد بفضل اقبال الأمة عليه أضعاف ما كان قوة وانتشاراً .
ويوم كان عدد مشتركيه لا يتجاوز ٦٠٠ نسخة وعده ما يباع منه لا يتجاوز الستين
فى القاهرة كانت الآلة التى تطبع بها صغيرة جداً تدار باليد الواحدة وتطبع بالكبس ولا يزيد
عدد ما تطبع فى الساعة عن ١٠٠ نسخة وكان هذا من شأنه فى السنتين الأولين ثم ازداد
عدد ما يطبع منه رويداً رويداً حتى كان فى آخر سنته الرابعة ١٤٠٠ نسخة فاضطررنا إلى
شراء آلة من معمل الوزبه تدار بالهدين ممأ وتطبع بسكابس اسطوانى إلى ٦٠٠ نسخة فى
الساعة الواحدة (١٦ يناير سنة ١٨٩٤) حيث ظهر المؤيد فى أربع صحف كما كان ، وليكن
فى كل صحيفة ستة أعمدة . ثم تضاعف الانتشار حتى بلغ عدد ما يطبع منه خمسة آلاف
وكثر المواد والاعلانات حتى اضطررنا إلى جلب مطبعة ألمانية كبرى تطبع بسكابس
اسطوانى وتدار بالبخار فظهر المؤيد فى ثمان صحف (١٦ يوليو ١٨٩٩) . ثم وفقنا لطبعها
على آلة طبع من أحسن طراز أخير من اختراع الخواجة ماريونى الفرنساوى ، ولما كانت
هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها فى مصر وجلبت إليها ، وتبدأ بعملها منذ اليوم
(٢ أكتوبر ١٩٠٦) فقد دعونا الكثيرين من حضرات العلماء والقدوات والأعيان لتشریف
إدارة الجريدة وقت الشروع فى الطبع (الساعة الثالثة بمد الظهر) .

الآلة روتاتيف تطبع بواسطة صناعة جديدة غير الحروف المعتادة وتنجز في الساعة الواحدة طبع اثني عشر ألف نسخة من الجريدة ذات الثمان صفحات مقطوعة مملوكة مطوية معدودة .

٢ - من الجريدة إلى المؤيد

ساء العقلاء ما كتبه المؤيد أمس من الطاعن على أعيان الأمة ونوابها الذين يرجو كل مصري أن تكون لهم الكلمة العليا في حكومة بلاده ، أن كل مصري يحب بلاده يعلم أن الأمم لا تقوم إلا بمثل هذا الحزب ، حزب الأمة الذي وقف المؤيد قلبه على معاداته ، وأنه ليوعده بأن يحاربه بالسلاح السموم ، سلاح السمى بينه وبين صاحب السلطة الشرعية أيده الله . ويرى أن يفهم أعضاء حزب الأمة إذ يقول ما معناه أنها تتعرض في قولها للسلطة الشرعية ، وأن حزب الأمة وجريدته براء من هذه التهمة . اشتهر^(٢) المؤيد من زمن قلبه بالمعرب ، ومحاولة استبقاء الوهم الذي سرى في نفوس كثير من الناس ، أنه دون غيره لسان حال مسلمي مصر والغائب عن الأمة في بيان سياستها والدعوة إلى مصالحها ؛ نعم الشيخ من حزب الأئمة تسميته بهذا الاسم ، وأنكر عليه احتكار النيابة عن الأمة ، وحبته أن هؤلاء الأعيان الذين حضروا ليسوا هم أغلبية رؤساء العائلات ونواب الأمة ، وما كان هؤلاء وحدهم هم المؤسسين للحزب بل معهم أكثر منهم من المشتركين في الجريدة وبوافقهم هل ذلك أضاف أضافهم من غير المشتركين .

وقد ادعى حافظ عوض في لندره أنه يمثل أكبر حزب في الأمة ، ولا يترك عليه رفيقه الشيخ على ذلك ، بل يقولون أنه قد كان هو الواضع الأول للطباعة حافظ أفندي الذي تربى في حجاز المؤيد تربية السياسة ، وهو الذي لقبه هذه الدعوى ، فكيف أحرقت سمادة الشيخ نيران الغيرة على الأمة عندما قام بثلاثها أمثالها وأعيانها ، إن هذه الغيرة ليست

غيره على الأمة وإنما هي غيرة على (المؤيد) وخوف عليه من السقوط بعد ظهور الحق الذي يقوم به حزب الأمة وجريدته ، فإن بقاء الباطل تسكون في غفلة الحق عنه ، ولذلك بدأ الشيخ على في السعي والسكيد للحزب والجريدة .

٣ - من الجريدة إلى المؤيد

أنشأ (١) بعض أهل الغيرة من الأمة جريدة (المؤيد) إذ رأوا من العار عليها إلا يكون لسلبيها وهم السواد الأعظم فيها جريدة يشتغلون بإدارتها وسياستها . ولا أذكر وفاء الشيخ على يوسف أو كفوده لنعم الذين منحوه هذا الزينوع من الثروة والجاه ، فإن ذلك من تاريخه الشخصي . أنشأوا المؤيد وغذوه بعداد أعلامهم وفضل أموالهم حتى كان له من الشهرة ما كان باسمادهم وامدادهم وبوحدة بين الجرائد التي أنشأها أدباء المسيحيين (٢) (السوريين) لا يعلم الشيخ على يوسف وسياسته ولا بدهائه وكياسته ، فالتطمع من علل وجوده ، وسبب من أسباب بقاءه ، فلقد تنكر منه بمض الذين أسسوه ودعوه قبل أن يبلغ أحمده ، ويقدر على رميهم بسامهم وهجومهم بقوافيهم . لا أنكر دهاء الشيخ على وحذقه في الحيلة على ما قصد إليه المؤيد من نيل المال والجاه ، وكيف وأنا ممن رأى كيف ثبتت قوادمه وحوافيه ، ورب البيت أدري بما فيه ، إنما حذق الشيخ على محصوراً في أمر واحد ، هو اختباره لحال البلد واختباره لأوسع أبواب الرخ فيها ، أموال تبذل ومقالات تنشر ، فاشتهر المؤيد بأنه جريدة المسلمين ولما حالهم بمصر إذ لم يكن لهم جريدة أخرى تشاركه في هذه المزية وطفت أنهار المؤيد بالنعوت والألقاب (الجريدة الإسلامية الكبرى) أكبر جريدة عربية وظن الشيخ على يوسف بمثل هذه الألفاظ أنه هو نفسه لسان مسلمي مصر وممثل سياستهم . ولو كان هو الذي تولى تحرير المؤيد منذ

(١) ١٣ أكتوبر ١٩٠٧ .

(٢) جرى العرف في هذه الفترة على أن تستعمل كلمة المسيحيين بمعنى أنهم السوريون .

أنشئ بمعارفه التي خرج بها من الأزهر وهو لم يصل بدراسته فيه إلى شهادة العالمية ولا قاربها لما قيل أنه لسان أحد ، وكيف كان الأزهر على عهده بمد علم الجغرافيا والتاريخ مما ينافي التعلم الديني وبعد عقبة في طريقه ، حتى ظل الشيخ على عهد قريب يظن أن مكة والمدينة (زادها الله شرفا) في أفريقيا . ثم زالت ثقة التابعين بالمؤيد من جهة ، وتعددت الجرائد الاسلامية من جهة ثانية .

لهذا يتألم الشيخ على حين يرى لجريدة ما فوق ما يرضى أن تثبت بها وتدوم ، كما يرى من سمومه التي ينفثها على اللواء في مذاهب السياسة فإن خطتهما في الأصل واحدة . وقد كان ينشر في المؤيد لمصطفى أفندي كامل وقتئذ - أبلغ وأشد تأثيرا في تلك الخطة مما يكتبه الشيخ على نفسه ، ولكن لما صار لمصطفى أفندي كامل جريدة ونال بها الجاه والشهرة مثلما نال الشيخ على وأوسع ، صار مصطفى باشا كامل ذلك من أسباب ذبذبة الشيخ على التي عرفها الناس كلهم وعرف رأيه في الظاهر والمخبر واعتقاده بأنهما لن يصلا إلى مساماة المؤيد ومنازعة احتسكار زعامة الجرائد الاسلامية والعربية .

ومن يعرف هذا كله ولو اجمالا لعرف السر في وقوع تأسيس الجريدة على قلبه كالصاعقة في محاولة الايقاع لها واسقاطها ، وحزبها مما يسمى فيه من السعاية ويدأب فيه من السكد كثيرا وبما يكتب قليلا حتى قال غير مرة أنني أسقط هذه الجريدة بأربع مقالات .

وإذا نقر كثير من الناس أو نفرؤا من الجريدة لسوء ظلمهم في خطتها فالشيخ على يوسف هو الذي ينفر عنها وبكيد لها ولأصحابها لحسن ظنه فيها واعتقاده . بأن خطتها هي الفضل وأن طريقتهما هي المثل وأنه مهما وصف نفسه بالاعتدال لن يستطيع أن يجاريها في اعتدالها ، لو كان الشيخ على قائما بما نال من ففلة الأمة بمساعدة الحوادث والظروف غير كاملة في احتسكار زعامة الصحافة منها ، وإيهام تمثيل الرأي العام في مصالحها

لسر بوجرد حزب الأمة وجريدتهم وأخذهم عوناه ، وأن كانوا على غير خطئة وطريقة ،
حفظا لكرامة الأمة التي يتقرب إليها ، كبر على الشيخ على يوسف أن يدمى عشرات
من أعيان الأمة ونهبائها ورجال الشورى منها أنهم يمثلونها ويتكلمون عنها لا أكبارا
للأمة وتمظيلا لها بل أكباراً لنفسه التي يراها أولى باحتسار ذلك بما ينبق لجريدته من
الشهرة أيام كانت الضرورة تلجئهم وتلجأ أمثالهم إلى نشر آرائهم فيها .

٤ - من المؤيد إلى الجريدة

شرحت (١) كيف قدمت في نوفمبر ١٨٨٩ إلى (رياض باشا) وهو يومئذ ناظر
الداخلية ، وطلبت منه إعطائي رخصة لإنشاء جريدة يومية باسم (المؤيد) وكيف وجدت
من دولته مساعدة المشجع والناصح المفيد أشهرها لم تغل ثم تغيرت الوزارة ، وكيف
اختلف بعد السنة الأولى من إنشاء المؤيد الشيخ أحمد ماضي مع صاحب امتيازته ، حتى
احتجبت الجريدة عن الظهور شهرا ونيفا وقام عشرة من الفضلاء وفرضوا على أنفسهم
مائة جنيه يدفعها سمد باشا للشيخ المرحوم مقابل تنازله عن حقه في الشركة ، بمد
أن تحقق أنه كان مدفوعا ومؤيدا من الخلف من أشد خصوم المؤيد السياسيين .

وصاحب المؤيد يفخر بأنه ساعد ماديا وأديبا ، وأنه وجد من الكتتاب الفضلاء
خير الأعدان في نشر المقالات والطباعة والآراء النافمة ، والحقيقة أن المؤيد لم يرق
إلا بصاحبه ، وأنه لولا ما وجد المؤيد في عالم الصحافة ، لدام العار الذين كان لاحقا
بالمسلمين (بالوطنيين) لمدم وجود صحيفة لهم زمنا طويلا .

إن اليد التي أوجدت المؤيد في أشد الظروف حرجا على الصحفي المسلم هي يد صاحبه ،
من شهر سبتمبر ١٨٨٢ إلى ديسمبر ١٨٨٩ (سبمة أهوام ونصف) لم يكن لمصرى

مسلم في بلاده جريده ، لأنه كان قد قدر على أقلامه أن تسكسر بعد الثورة المرابية وقضى على الجرائد الاسلامية أن لا يكون لها في مصر وجود ، خشية أن تثير نائرة التعصب الديني كما كانوا يزعمون ، حتى أن صاحب المؤيد قضى نصف عام بطرق باب قلم المطبوعات وهو يطلب رخصة بإنشاء جريدة علمية أدبية فلم يدل الاختبار بها وتحقيقتها إلا بعد شق الأنفس وما عرفه بعضهم إلا بتلك الجريدة الأدبية الصغيرة « الآداب » ، لم يعض عليها عامان حتى أخذت حظها من الانتشار وكانت الخطوة الأولى لجريدة المؤيد (هي) صاحب المؤيد على ما به من ضعف وقصور (فقد) قام بواجب كبير على الأمة الإسلامية في مصر لم يقم بمثله هذا الجمع من سراءة القطر ولا أدثاله ، وسد نقصا كان واجبا على القادرين وفتح طريقا كان مسدودا في وجه كل علم وفاضل وأديب ، وقاوم من الصعوبات التي اعترضته في طريق عمله بالصبر والثبات والعمل ، ما لو حاول غيره مقاومته لتحطمت وتلاشى أمام القوى الهائلة .

ومن تاريخ المؤيد أن جميع أصحاب الجرائد العربية قاموا قومه واحدة وكانوا كلهم من السوريين وانفقوا وهم في أمرهم على بعضهم مختلفون ، على أن يزهقوا روح المؤيد وليدافصاروا يسدون عليه كل طريق ويتمقبون له كل أثر لشدة ما كانوا يخشون من قيام صحافة اسلامية تأخذ بزمام الرأي العام فلا يكون لصحافتهم بعد ذلك السلطان الذي كان لها وأعظم به من سلطان ، لطالما استمان أوائك الرصفاء بسلطة القناصل ، وللضرورات أحكام واتنازع البقاء قرائن ، ولطالما استعملوا الصحافة الأفرنجية المحلية لتحريف أقوال المؤيد التي أوجفت القلوب ، وكانت التلمزقات تغدو وتروح بين مصر وأوربا قائلة حذار حذار مما وراء السقار .

والحكومة في أدوار كثيرة تساعد هذه الحملات وتضاعف مكائد الكائدين نارة بمضايقة البارون مالورتي الذي أنشئت له وظيفة المراقبة على المطبوعات المصرية لأجل المؤيد فقط ، وما رأت باقفال أبواب الدواوين دون صاحب المؤيد ونخبه .

وكان كثيرون من المميين والعارضين يوارون وجوههم من بعيد وفي مقدمتهم بعض أعضاء مجلس شورى القوانين حتى لا يتهموا بإعطاء الأخبار ، أو الاتحاد في الأفكار مع المؤيد . وقصة التفرقات ذيل من ذبول ذلك الاضطهاد ، كل هذا وصاحب المؤيد صار على هذه المكائد محتاط لها ساع ليل نهار لإحباط المصاعى المضرة به حتى تغلب عليها ، وبهذا تمهد السبيل لكل مصرى مسلم قادر أن يصدر صحيفة ولو يوماً واحداً أن يصدرها . وإذا صح أن يقال أن المقطم فضلها في وجود المؤيد واشتهاره ، قائماً مثله في هذا مثل البارز المغلوب في اعلان فصل غالبه . إن روح المناظرات التي قامت بين المؤيد والمقطم سفين عديدة كان أصحاب المقطم فيها من أكفأ المناظرين ، أى كانت منحصرة في تنازع أولية المقام في الصحافة المصرية . وقد انتهى ذلك التنازع وأخذت الصحافة الاسلامية مكانها اللائفة بها من الأمة ، وصار المؤيد لسان حال أرباب الأقلام . أما شأن المؤيد مع غيره فعلى عكس ما زعم . . .

زعم هذا الكاتب أن المؤيد ناهض الجرائد الاسلامية التي صدرت بعده ليحتفظ على ذلك الامتياز الذي انفرد به سنين عديدة ، إمتياز كونه جريدة المسلمين ولسان حالهم . والكاتب خصم ذو عرض سيء فلا يمتبر قوله حجة في هذا الموضوع إلا بالأدلة الدامنة والأدلة في هذا إنما تؤخذ من كتابات المؤيد وكتابات غيره ، والقضية قد تكون معكوسة ، فيقال أن الجرائد الإسلامية التي ظهرت بعد المؤيد ربما تظن أو يظن بعضها أنه ما دام المؤيد حائراً على مكاتته الأولى ، معرفاً به عند العموم ، مختصاً بالثقة الكبرى فلا سبيل لزاحته وأخذ مركزه إلا بعمل يزعم تلك الثقة فيه ، ويميل ببعض الناس عنه ، ومع الدأب من الاستمرار على ذلك وانتهاز الفرص والضرب على نفمة التشهير به كلما هفا هفوة أو غلط غلطة أو ارتكب خطأ (والمعصمة لله وحده) . وقد بينت أن بعض الرصاف وصل إلى أقصى ما يمكن الجرى فيه بهذا المضار إلى حد تصور الغلبة والفوز .

• من على يوسف الى اطاق السيد

قدر (١) مدير الجريدة أن خطة اللواء والمقطم خطتان متطرفتان إحداهما تتجه إلى سلطة قصر الدوبارة وتزيد أعمال المحتلين ، ولو كان ملؤها الحظ ، والأخرى تدعو إلى الاستقلال بالطفرة وخطتها عدائية ، والجريدة ترى أن الطفرة محال وعواقبها مضرّة .

بقى أن مدير الجريدة بلسان حزب الأمة يقول : أن المؤيد يفتاز دائماً في سياسته العامة إلى إحدى السلطتين ، وقد قلنا في بيان أصول خطتنا أننا نتصر للسلطة الشرعية دائماً ، كلما نازعها الاحتلال في حقوقها ، وقال هو عن سياسة « الجريدة » أنها لا تتحيز لجهة من السلطتين ، ومعنى هذا أن سلطة المؤيد الشرعية وسلطة الاحتلال الفاسدة ، كاتاهما عند « الجريدة » سواء فلا تحيز لواحدة دون الأخرى ، إذا اختلفا وتنازعا . ولا ندرى كيف يوفق مدير الجريدة بين ادعائه خدمة الأمة بالصدق ، وبين قوله أن الجريدة لا تتحيز لإحدى السلطتين ، مع العلم بأن مصلحة الأمة في التحيز للسلطة الشرعية كلما قام نزاع بينها وبين سلطة الاحتلال التي ظل اللورد كرومر طول مدته في مصر يعمل على إحلالها محل السلطة الشرعية حتى تكون البلاد مستعمرة إنجليزية فعلا ولو لم تسكن كذلك اسما .

أما خطة الجريدة فهي الخطأ المحض ، لأن السلطتين الموجودتين في مصر الآن لا يمكن أن يوضعا في كفتين متعادلتين ليقال أن مصالح الأمة بينهما .

رأى للمؤيد في حزب الأمة

وقال (٢) الشيخ على يوسف : إن الحجر الأول الذي وضع في أساس عمل (الجريدة)

(١) (للمؤيد) ٨ أكتوبر ١٩٠٧ .

(٢) للمؤيد ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٧ .

مقاومة الجرائد الوطنية التي تنضبط سادتنا المحتلين . والحزب هو شركة الجريدة ، والشركة هي الحزب ، وعلى أثر حادث العقبة إشتد سخط اللورد كرومر على جميع المصريين ، ورأى النفر من مقربي الوكالة البريطانية أن يشتغلوا بتأسيس جريدة تعزى إلى جماعة من كبار الأعيان ، يكتب فيها المعارفون بدخائل الأشياء وبما وراء الأمة حتى يتسنى لهم بعد ذلك أن يقولوا أن سراة الأمة يقولون غير ما يقول أولئك الصماليك الذي لا ناقة لهم في هذه البلاد ولا جمل ، وأضيف أن المشروع هو مشروع الشيخ محمد عبده وأنه مات قبل أن يتمه ، أو من فكرة المرحوم سلطان باشا قبل موته ، وهو المشهور بغيرته الوطنية (!) فيجب على سراة الأمة الذين يقتفون أثره في خدمتها أن يبرزوا هذه الفكرة إلى الوجود ، وكان في مقدمة المشتغلين بتأسيس شركة الجريدة جماعة من كبار موظفي الحكومة لما رأوا من فائدة هذا المشروع العمومية ، ولعلمهم أن خدمة الأمة بالصحافة عن طريق استرضاء الوكالة البريطانية واستمطافها على المصريين خدمة شريفة ، ولا تتنافى مع الأوامر التي تحظر على المواطنين مكاتبة الجرائد والإدلاء بالأخبار ، ومحمود باشا سليمان رئيس الشركة كان أبعد الناس عن الاشتغال بالسياسة ونجله - يقصد محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستورية من بعده - سكرتير مستشار الداخلية من أعضائها والداعي الذي يباشر دعوة العمدة والأعيان أي هذا المشروع المبارك ، وجرى توزيع التذاكر والنشرات بأسماء المكتتبين .

وأن مستر روبرتسون أحد أعضاء الحزب الحر في البرلمان الإنجليزي في مصر قابل كثير من المصريين والانجليز ، وكان ممن قابلهم اثنان من كبار مؤسسي الجريدة بإشارة من اللورد كرومر ، فقال كل منهما لذلك المصو : إنني تمكنت من تأسيس جريدة وطنية ستكون لسان حال المصريين بدلا من هذه الجرائد التي تتاجر بالوطنية (يقصد بالجرائد التي تتاجر بالوطن صحيفتي اللواء والمؤيد) .

وكل ما كان حول العمل يحمل « الجريدة » في واد وما تدعيه الآن من مجرد مبادئها على

كل نعيم لإحدى السلطتين في واد آخر ، لذلك قال الكثيرون أن خروج كرومر من القطر المصري أصاح دفعة سفينة الجريدة أو غير وجهة ربانها ، لذلك اضطروا للاعلان من جديد بمبادئ جديدة ، المبادئ حسنة ، ولكنها محتاجة إلى التنقيح في الوضع حتى تذهب الريب التي خالطت النفوس فيها ومحتاجة إلى استكمالها ، لأنهم يريدون أن يكونوا لسان الأمة ، وليس لأحد حق أن يدعى خدمتها ، أما الحزب فهو مشكل لأن يكون قوة أمام الحكومة باسم الأمة ، وقد يضارها في الوجهة إلى حد تنازع السلطة .

رأى حسن موسى المقاد

قد ذاع قبل صدور الجريدة أنها احتلالية في صورة وطنية ، فيكون أنها احتلالية في صورة وطنية ، فيكون المقطم الثاني ، أو يحمل محله لعدم تأثيره ، فتشام الناس منها ، فقلت لهم على صفحات جريدة المدبر ، مهلا حتى تصدر ، فإن كانت لصالح البلاد فرحبا بها ، وإلا فيصيبها ما أصاب المقطم من قبل فما كان غير بسر إلا وهى في الدنيا تقسم الأيمان أن لا تحيد عما فيه صالح الأمة ، فسكنت أطالها متأملا فيما تكلفه الضمائر ، حتى بلغ منها أربعون هدداً ، فما استطعت عليها صبراً ، ففاجأتها برسالة أندد فيها على اعوجاج خطتها فاعتدلت في الجملة ولكن بصورة كان الفرض منها ذر الرماد في الأعين ، ولم يفدها ذلك سوى انحطاط شأنها .

وما نشمر إلا وقد أعلنت عن تأليف حزب الأمة مبينة خطة مبادئه ، فقلت كما قال غيرى : خيراً ، ودخل معه من أحسن الظن به مؤملا ، وما لبثت إلا أن أسفرت عن عدم أحقيتها للاستقلال ، حتى تعلم العلم الوافي ويكون لها معامل كعامل أوروبا ، مما أثبت لها الخداع الذي رماها به الأهرام وغيره حتى قام مسامحوها بزمونها بالإعوجاج وسوء الخطة نحو البلاد .

ولما كان محمود باشا سليمان هو الساعي والمؤسس لهذه الجريدة وله التأثير على سياستها حتى لنا أن نخطبه في هذا الشأن فنقول ما الذى حمله على أن يسلك بها خطة الأضرار بوطنه العزيز :

الصحافة الوطنية والاحتلال

كيف حارب الاحتلال الإنجليزي الصحافة الوطنية ، يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في تقرير له سنة ١٩١٠^(١) ، أن الصحافة السياسة في بلادنا كانت ولا تزال روح الحركة الوطنية فيها ، لما دخلت الجنود الإنجليزية مدينة القاهرة وقبض الإنجليز على أزمة الحكومة فعضوا على الدستور الذي نالته الأمة في عهد توفيق وأعادوا الحكومة إلى نظامها الاستبدادي واستعملوا منتهى القسوة والشدة في أمارة الحركة الوطنية . ولم يبق في البلاد صحيفة وطنية تمبر عن لسان الأمة ، واستولى الرعب والنفور على الأفئدة ، هنالك فكر اللورد كرومر في إطلاق العنان للصحف الوطنية لا رغبة في الحرية ولكن على يقين من موت الحركة الوطنية ، توهم أن الصحف بحملاتها لا تستطيع أن تزعم الثقة في سياسته ، وأنه رمى بإطلاق حرية الصحافة إلى الامتنان على الأمة بإطلاق الحرية لها وإعلان ذلك أمام العالم الأوربي ليوممه أن الاحتلال الإنجليزي يتبع في مصر سياسة الإصلاح والحرية . لكن الصحافة الوطنية لما عادت إلى الميدان واسترجعت حريتها ، أعلنت على اللورد كرومر حرباً عواناً ، وأخذت تذيع للقراء الوطنيين الفظائع التي ارتكبتها الاحتلال .

استخدم اللورد كرومر في تلك الحرب الصحفية (جريدة القطم) التي كانت تدافع عن سياسته وتجهتد في إكسابه ثقة الأغلبية من الأمة ، ولكن الصحافة الوطنية كانت بحملاتها المتوالية تقصى القلوب عن الإدارة الإنجليزية وتففرهم منها ، وثبت روح العداء للاحتلال في كافة الطبقات . ساعدها على الانتشار لغير من رجال الحرب الوطني القديم الذين اضطروا بمد إخماد الثورة المرابية إلى الأزواء في منازلهم فساعدوا أولاً جريدة المؤيد التي كانت لسان حالهم إلى أن ظهر المرحوم مصطفى كامل في ميدان الجهاد الوطني وأنشأ

تجريدة المؤيد ، وتذبذب المؤيد في خطة المداء للاحتلال فهبذته الأمة ، وأقبلت على (القواء) وصار المرحوم مصطفى كامل يضم حول جريدته الأنصار والأتباع ، وبجاهد في تكوين رأى عام وطنى وجهته الاستقلال والتطرف في معاداة الاحتلال واستمرت الصحافة الوطنية ثبت كراهية الإدارة الانجليزية ونفشر فكرة الجلاء .

كان كرومر يرى أن الحرية الصحافية في مصر لا يمكن أن تؤثر على مركز الاحتلال وسياسية فجاهر في تقاريره بأنه ليس من مبداء تقييد حرية الصحافة وكتب في تقريره سنة ١٩٠٤ فصلا عن الصحافة يهدى فيه من روع الانجليز من جهة ويعين على الأمة المصرية من جهة أخرى ويشير من طرف خفى ، إلى أن الحكومة قادرة على إسترداد تلك الحرية في الوقت الذى تريده .

كان يعتقد أن مبداء الضنط على حرية الصحافة ومنمها من إعلان شكوى الأمة من سياسة الاحتلال ربما يفضى إلى إشتداد حركة المداء للاحتلال وكون نار الحقد في القلوب فسكان يرى حملات الصحف الوطنية كالبخار الذى يتصاعد من ماء في درجة الغليان لا يلبث أن يتسكثف فيتساقط ماءً بارداً لا ضرر فيه .

وظل كرومر على رأيه إلى أن حدثت حادثة دنشواى فظهرت الصحافة الوطنية فيها بمظهر جليل ونالت مركزاً خطيراً ومنزلة كبرى في ميدان المعركة الوطنية ، فقد كانت الصحف قبل وقوع هذه الحادثة ثبت في طبقات الأمة فكرة الاستقلال ، وكانت تتخذ من مساوىء الادارة البريطانية حجة لها في نشر مبادئها ، واسكن صحف الاحتلال كانت من جهة أخرى تضعف تأثيرها بتذكيرها الأمة بمظالم العهد القديم ومقارنته بحكم الاحتلال البريطانى ، فلما وقعت حادثة دنشواى ضمنت حجة الصحف المحبذة للاحتلال وارتفع صوت الصحف الوطنية وقويت شوكتها ورأت الفرصة سانحة للتشهير بالفظائع التى ارتسبها الاحتلال ، وانهز مصطفى كامل هذه الفرصة فأنخذ حادثة دنشواى سلاحاً ماضياً في يده شهره في وجه اللورد كرومر وسياسته ، وبذلك أصلح في تقوية فكرة المداء للاحتلال وتكوين رأى عام قوى غابجه تحرير البلاد ونزع كل ثقة في السياسة الانجليزية تقوى مركز الصحافة

الوطنية بعد هذه الحادثة وصار لها صوت مسموع في البلاد، وألفت حولها الألواف من المعضدين والأنصار، فقد كان طلبه المدارس قبل وقوعها منصرفين عن قراءة الصحف، وأهل القرى في نفلة عنها فلما تردد صدق حادثة دنشواى في الأذهان وصورت الصحف الوطنية فطائع الانكليز بعبارات مؤثرة تنهت أفكار الطلبة إلى قراءة الصحف فأقبلوا عليها أفواجا، وصارت لهم من ذلك المعهد مجموعة دروس وطنية كانوا محرومين منها في مدارسهم، لأن يد الاحتلال قد أنهت من قلب نظام التعليم، وإقامته على مبادئ المصلحة الانكليزية فأخذت الصحف الوطنية تعوضهم ما فقدوه بين جدران المدارس التربية الوطنية التي هي أساس نظام التربية والتعليم في مدارس أوروبا.

وبدأ اللورد كرومر بعد حادثة دنشواى يتخوف من ترك ذلك العامل القوى، حامل الصحافة حراً يشهد بأعماله السيئة ويفسد عليه سياسة فحش الأمة، هنالك بدأ بجاريها وجهاً لوجه فأفرد في تقريره سنة ١٩٠٦ فصلين خطيرين عن الحركة الوطنية وصحافتها ملاًها طعناً فيها وسباً في سياستها، وكان يرى بذلك إلى إضمار تأثير الصحافة الداعية إلى الثورة والتعصب الدينى، وكانت كتابته في هذا الصدد دالة على شدة حقه على الصحافة الوطنية التي أخرجت مركزه وفضحت سياسته في مسألة طابه ودنشواى.

ومن ثم أبدى اللورد كرومر في الصحافة رأياً مخالفاً لرأيه سنة ١٩٠٤ فقد شمر اللورد بعد حادثى طابه ودنشواى أن الصحافة الوطنية قادرة على إهانة الرأي العام عليه وعلى إخراج مركزه، وقد رمى السواد الأعظم من المصريين بأنهم من أعظم الناس تصديقا لما يقال، إلا أن اللورد كرومر لم يجسر على المجاهرة بتقييد حرية الصحافة وإن كان أشار من طرف خفي إلى ذلك.

وكان يتخذ من الحرية المغطاة للصحافة في مصر حجة في يده، يوم بها الأمة المصرية أن إنجلترا تميل إلى الحرية في وادى النيل، وأنها تتمتع بفضل الاحتلال الإنجليزي بما لا تتمتع به الأمة النمائية تحت حكم عبد الحميد، لأن اللورد كرومر كان يتوخى دائماً في

سياسة تفجير المصريين من حكم السلطان السابق وبحسب ألف حساب لميلهم إليه ، فكانت الحرية الصحفية من ضمن الوسائل التي استعملها اللورد كرومر في سبيل هذه الناية ولذلك لم يجرأ على تقييدها . وزاد حرج كرومر بعد حادث دنشواي وبما زاء احراج مركزه إنشاء مصطفى كامل لجريدتين يوميتين إحداهما باللغنة الفرنسية (الاتيندار اجبسيان) والأخرى بالانجليزية (ذى اجبسيان ستاندرد) فكانتا تردان صدئ الحلات التي ينشرها اللواء وتنشره في العالم الأوربي .

تغير مركز الصحافة بعد رحيل كرومر ولدوم اللورد فورست .

يظن البعض أن الضغط الذي لاقته الصحافة المصرية في عهد اللورد فورست يرجع إلى تمادى الصحافيين^(١) الوطنيين في شدة اللهجة والتطرف ويمتبرونهم الحيب الذي ألجأ الاحتلال إلى تقييد حرية الصحافة وإعادة قانون المطبوعات القديم ، والحقيقة أن ما لاقته الصحافة الوطنية من الضغط كان جزءاً متما لبروجرامه السياسي الذي أنبمه المعتمد البريطاني الجديد فقد كانت مهمة (اللورد فورست) في مصر هي تهدئة الخواطر الثائرة ضد الإدارة الانجليزية وتثبيت مركز الاحتلال الذي زعزعته سياسة اللورد كرومر . وكان اللورد فورست يتوهم أن الحركة الوطنية ليست حركة استقلال بل حركة تدمير من تصرفات اللورد كرومر ، فبدأ عهده بالموافقة على الافراج عن مسجونى دنشواي ، حتى يقل هياح الوطنيين وانفعالهم بهذه الحادثة ، وبدأ يمايل اللديو مماثلة لينة تناقض تلك المعاملة الوحشية التي كان يمامله بها اللورد كرومر ، وكان يظن أن اللديو هو قوام الحركة الوطنية فإذا رضى اللديو عن سياسة المعتمد الجديد وسار على خطة اللواق منه لم يمد هناك محل لبقاء الحركة الوطنية .

وقد أتبع المعتمد البريطاني تلك السياسة مؤملاً ايجاد رأى عام معتدل يسكت عن الاحتجاج على الاحتلال في ذاته ويسير في سبيل الاتفاق والتفاهم مع السياسة البريطانية

(١) هكذا كانوا يكتبونها .

في وادي النيل ، وفملا جراه في هذا الضمار بمض الصحف العربية مثل المؤيد والمبر ،
فأخذنا نطمئن في سياسة الحزب الوطنى المتطرفة وتدعوان الأمة إلى التفاهم مع الاحتلال ،
ولكن صحافة الحزب الوطنى وفى مقدمتها (اللواء) وقفت حجر عثرة فى سبيل نجاح
غورست فى سياسته وإدراكه غايته وظهرت فى تلك الفترة التى تغيرت لها سياسة إنجلترا
فى وادي النيل بمظهر جليل ضمن بقاء الحركة الوطنية واستمرارها ، ذلك أن (اللواء) الذى
كان وقتئذ اسان الحزب الوطنى المارض للاحتلال أخذ ينادى بالاستقلال والجلاء ويمجد
إحتجاجه على بقاء الاحتلال ويحذر الأمة من الركون إلى سياسة انكسار فكانت خطة
(اللواء) مقاومة الاحتلال فى ذاته لا فى سياسته ، لم تقو الصحف المعتدلة الداعية إلى
التفاهم والانجليز على مكافئة الصحف المتطرفة التى كانت مكونة فى ذلك العهد ، من اللواء
والدستور والاستقدار أجسيان واجيشيان ستندارد ، كذلك لم يضمف تأثيرها الفعال
فى الرأى العام ذهاب وفرد المعتدلين إلى لندن وسعيهم فى وضع أساس للتوفيق بين المصريين
والاحتلال ، وتفهمت صحافة المعتدلين أمام الصحف المتطرفة ، وأصبحت موضع سحق
الأمة وظلت صحافة الحزب الوطنى آخذة قيادة الرأى العام المصرى ، وأمكن فريد بك أن
يحفظ سياسة الحزب ويمحول دون خمود الحركة الوطنية وركونها للاحتلال حتى أداء ذلك
الغرض الشريف إلى المجاهرة بانتقاد خط الخديو السياسية واستنكار انفاقه مع المعتمد
البريطانى فاخترق الحزب الوطنى فى تلك الأثناء أزمة صعبة . لما رأى غورست ذلك ،
حول على عاربة صحافة الحزب الوطنى التى هى الحائل الوحيد دون نجاحه فى سياسته ،
واعتقد أن محاربتها ستقلل من حدها وتضمف من شوكتها ، (هنالك) عهد إلى
تقييد حريتها والتسكيل برجالها ، وكان فورست يمتقد أن تحل الخديو عن الحزب
الوطنى وامتماضه من حملاته على سياسة الوفاق واستيلاءه من مجاهرة (فريد) بأن
أرادة الأمة شىء وأرادة الخديو شىء آخر ، كل ذلك مفض إلى أضفاف شوكة الحزب ،
وكان هناك من رجال الحكومة من يحقدون على صحف الحزب الوطنى لحملاتها المتكررة على

خياتهم فكانوا يحرضون المعتمد البريطاني على تقييد حرية الصحافة ، وقد فكر أولاً في محاربة الصحافة الوطنية بالمحاكم ، واتهمز فرصة كتابة اللواء مقالا عن (فظائع الانجليزية السودانية) وطلب أن ترفع الدعوى العمومية على الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء ، وانتظر أن تحكم المحاكم على الأستاذ حكما قاسيا ولكن المحاكم أظهرت استقلالاً تاماً في تلك القضية ، فبرأت الشيخ من التهمة ، (هنا) بدأ يفكر في طريقة أخرى بعد أن وجد أن المحاكم ليست السلاح الفعال في محاربة الحركة الوطنية ، وقد أعرب عن ذلك في تقريره سنة ١٩٠٩ . لذلك فكر في إعادة قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ ذلك القانون الذي يفقد الصحفيين كل ضمانة قانونية حيث يجعلهم تحت رحمة الإدارة مباشرة فيستطيع أن يمتل أي جريدة بدون محاكمة ولا إبداء أسباب مقولة . وأهم موارد (المادة ١٣) وهي « يسوغ محافظة على النظام العمومي والآداب والدين تعطيل أو قفل أي جريدة أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بعد انذارين أو بقرار من مجلس النظار بدون إنذار » وقال الدون فورست في تقريره ١٩٠٩ عن قانون المطبوعات ١٨٨١ : إنه الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها مراقبة الصحافة وأن تطبيقه بالحكم والدرابة لا يفتح باباً لتسهيل الآمال السياسية كما يكون في محاكمة الصحف ولا يترك سبيلاً للمظاهرات وأنه فعال في منع وقوع الجريمة .

وصدر قرار مجلس النظار بإعادة هذا القانون في ٢٤ مارس ١٩٠٩ وهو يوم تعتبره الأمة من أيام حدادها المشثوم ، اليوم الذي قضى فيه على حرية الصحافة . وقد فهم الناس جيداً أن هذا القانون ما أعيد إلا لمحاربة صحافة الحزب الوطني التي آلت بصراحتها كل من الاحتلال ورجاله . وأشار مجلس الوزراء في قراره حيث أن عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد (جرائد الحزب الوطني) إلا تمادياً في المتطرف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك بشكوى الناس بإسنان الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التي بالبلاد

ضرراً بليغاً . فقد قرر مجلس النظار (كذا) . . . والحقيقة التي حاول الاحتلال إخفاءها تفريراً بالعالم التمدن هو أن الجمعية العمومية قد أظهرت تأملها من ترك الحكومة للصحف الساقطة تنهش أعراض الفاس بلا رادع ولا زاجر ، ولا شك أن محاربة هذه الصحف الحقيرة أمر واجب لا شبهة فيه ، ولكن ذلك شيء ومحاربة مبدأ حرية الصحافة شيء آخر . ولما أعيده قانون للطبوعات أصبحت الصحف الوطنية تحت رحمة الإدارة وكان السير فورست ينتظر أن تكون مجرد إعادة سببها في القاء الرعب في قلوب الصحفيين الوطنيين من جهة وانقضاء الجمهور المصري عن صحافة الحزب الوطني من جهة أخرى موها أنها كانت السبب في القضاء على حرية الصحافة ، ولكن مركز الصحافة لم يتزعزع بل زاد ثباتاً وارتقاء . واستمرت صحافة الحزب الوطني على خطتها بعد صدور قانون سنة ١٨٨١ ولكنها صارت مهددة بأن تصاب بضربات ، ولم يمر ثلاثة أشهر حتى نفذ القانون لأول مرة في اللواء . أذرت الحكومة (اللواء) وبنت إنذارها على أنه نشر مقال تأييداً لتجرا ذلك الشاب الهندي الذي قتل السير كرزون ويللي في الهند وسبق الشيخ جاويش للمرة الثانية أمام المحاكم لما كتبه على مقالة نشرها إحياءاً لذكرى دنشواي وانتهت محاكمته بحبسه ثلاثة أشهر ، وقبل أن يصدر الحكم صرح ناظر الحقاينة في حديث له أن لا بد من الحكم على الشيخ جاويش . وفي يوم واحد أُنذر اللواء وحبس الشيخ جاويش فسكانت الصدمة شديدة حتى خشى الكثيرون أن يتزعزع مركز الصحافة ويخفت صوتها .

وخشى الكثيرون أن يتسرب اليأس إلى النفوس ولكن الجلد الذي أظهره الشيخ جاويش في الحبس وثبات الصحافة الوطنية على خطتها واستمرار الحزب الوطني في مقاومة الاحتلال وإعطاء الأمة مثال الصبر والثبات ، كل ذلك حفظ مركز الصحافة ووقاها شر التمهق أمام ضربات الاحتلال وانقلبت الحرب التي أعلنتها الاحتلال على الحزب الوطني خيراً له وشرّاً على الاحتلال حتى كان يوم خروج الشيخ جاويش من الحبس يوم ابتهاج عظيم ، فلدته فيه الأمة وسام الشجب إظهاراً لتعلقها الشديد به ، وخفت صوت المعتدلين .

(٣) الصحافة ومسألة قناة السويس

ظهرت في ميدان المسائل السياسية حوالى شهر أكتوبر ١٩٠٩ مسألة سياسة خطيرة قامت لها الأمة وقدمت وظهرت فيها الصحافة الوطنية بمظهر جليل زادها قوة ورفعة ، هي مسألة امتياز قناة السويس . أخذ المستشار المالى مستر بول هارفى يفسكر فى وسيلة يحصل بها على المال بمد أن بدده الاحتلال فى مجاهل السودان ، ورأى أن خير طريقة يصل بها إلى غرضه المفاوضة مع شركة قناة السويس لمد امتيازها أربعين عاما إلى عام ١٩٦٨ وقسمة الأرباح بمد هذا التاريخ مناصفة بين الحكومة والشركة ، وذلك فى مقابل (أربعة ملايين من الجنيهات) تدفعها الشركة للحكومة المصرية وجانب من الأرباح من سنة ١٩٢١ إلى ١٩٦٨ على طريقة اتفق عليها المستشار والشركة .

وظل المشروع تحت طى الخفاء زهاء سنة ، وكان فى عزم الحكومة إنهائه بسرعة حتى لا يزعمها احتجاج الصحف الوطنية ولكن فريد بك تمكن من الحصول على نسخة من المشروع ونشرها فى اللواء . وقد أظهر ما فيه من الغبن الفاحش الذى يلحق بمصر إذا تم هذا المشروع ، وأخذت الصحف الوطنية بعد ذلك تتناول المشروع بالانتقادات المالية والسياسية المبنية على الآراء الناضجة والحقائق الثابتة ، وتكاثفت صحف الحزب الوطنى فى هذه المسألة الحيوية وانفتحت جميعها على مطالبة الحكومة بمرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه ، فقامت فى البلاد حركة أفكار كبيرة نورت الرأى العام وارتفعت أصوات الأمة من كل جانب ملبية نداء صحافتها مطالبة بمرض المشروع على الجمعية العمومية ولم يسع الحكومة إلا لإجابة مطلب الأمة ، تهدئة للخواطر ، وفلا أحيل المشروع على الجمعية العمومية ، وكانت الصحف انتهت من درسه وإظهار ضرره بالمصالح المصرية من الوجهتين المالية والسياسية وأجمت الأمة على مطالبة أعضاء الجمعية برفضه بقانا وإقامة الحجج القومية على ذلك الرفض . وأقيمت فى خلال ذلك خطب عديدة فى أنحاء البلاد وعقدت جماعات جمة وأقيمت مظاهرات رهيبية ، كل ذلك لا بلاغ أعضاء الجمعية العمومية

رغبة الأمة في رفض المشروع وكانت هذه الحركة نتيجة كتابات الصحف في مسألة القناة وقد بلغ من قوة الصحافة في هذه المسألة أن هيأت الأفسار بالدليل والبرهان إلى مقاومة مشروع الحكومة وكونت رأيا عاما قويا هيأته الحكومة واحترمه أعضاء الجمعية العمومية لأنه كان يمثل إرادة الأمة فانتهت مذاكرة الأعضاء في المشروع برفضه بإجماع الآراء وفاضت الأمة فوراً مبيّنا وأكبرت صحافتها الوطنية (حتى أن) أعضاء الجمعية العمومية الذي قدروا خدمة الصحافة في مسألة القناة قرروا الاحتجاج لدى الحكومة على إعادة قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة فكان قرارهم أعظم رد على الدعوى التي نسبت إليهم وهي أنهم كانوا البادئين بدعوة الحكومة إلى معارضة الصحافة . أما المتمد البريطاني فقد ساءه بلوغ أقدرة الصحافة الوطنية إلى هذا الحد رغم إعادة قانون المطبوعات ، وأخذت الحكومة تعد للمدة لاتخاذ وسائل أخرى أشد صرامة في مقاومة تأثير الصحافة المعادية للاحتلال .

وحدث في أثناء حادث الورداني أن ألقى السير فورست مسئولية الحادث على الحزب الوطني فكان ذلك إعلانا للصحافة بحرب جديدة يزداد فيها الضغط عليها وفملا طوردت صحافة الحزب الوطني قبل أن يتم طبع التقرير وبعد ظهوره مطاردة عنيفة . وصدر قرار مجلس النظار بإيقاف جريدة العلم فلم يسكت الحزب الوطني بل أنشأ عدة جرائد جديدة لم ينقطع صدورها مدة الشهرين يوماً واحداً ، فكانت الأمة تتهافت على قراءة تلك الجرائد ولا يظهر الحزب جريدة إلا ويزداد إقبال الجمهور عليها وأثبت حادث إيقاف (العلم) أن الرأي العام قد تشبع بمبادئ الحزب الوطني وأصبح لا يهيمه إلا الإقبال على صحفه مهما حاربها الاحتلال واشتد في معاربتها وجرى التفكيك في وضع نظام لمحاكمة الصحافيين بتقديم الضمانات التي كان قانون المطبوعات ينحولها لهم وكان هذا النظام الجديد حلقة من سلسلة قوانين جديدة وضعت بعد حادث الورداني ارهاب الأمة كانت محاكمة الصحافيين تجرى على حسب القواعد المتبعة في محاكمة الأفراد فكان لهم درجتان للحكم ، ابتدائية واستثنائية ، وفي ذلك من الضمان القانوني ما فيه لأن مرور القضية أمام هيئتين متعاقبتين فيه ضمانه كافية لظهور الحقيقة

وتقرير المدل فيها وقد ظهرت فائدة هذا النظام القضائي في محاكمة الشيخ جاويش لأول مرة ، حيث حكمت (محكمة أول درجة) على الأستاذ بمقوبة (فرامة) على إحدى التهمتين اللتين أسفدتهما إليه النيابة ، ولكن محكمة ثانی درجة ، بمد أن نظرت في القضية من جديد حكمت ببراءته من التهمتين . وكان هذا النظام من شأنه إطالة مدة المحاكمة فیزداد إهتمام الجمهور بالحركة الوطنية ويتشوقون إلى أنباء المحاكمة وما ينشر فيها من المرافعات والاجراءات والأحكام فكانت المرافعات التي تاتي في القضايا السياسية عبارة عن دروس وطنية تستفيد الأمة منها فائدة كبرى ، ويتمثل فيها الغرض المقصود من سوق زعماء الحركة الوطنية أمام المحاكمة . وكانت كل محاكمة تضم إلى صفوف الحزب الوطني أنصاراً وأشياءاً تزداد بهم صولة ورفعه ولم يلبث أن ظهر في ١٦ يونيه ١٩١٠ قانون إحالة جنح الصحافة على محاكمة الجفايات وقد قصد الاحتلال من ذلك أن تتم محاكمة جنح الصحافة بأقرب ما يمكن من السرعة حتى لا يترك القصد السكاني لاهتمام الرأي العام بالقضايا السياسية .

بين مصطفى كامل وعلي يوسف

(اللواء - المؤيد)

بدأ مصطفى كامل يكتب في المؤيد منذ ظهوره في ميدان الكتاتبة ، ثم أصدر اللواء ١٩٠٠ ، وكان اللواء والمؤيد تسيران في خط واحد أول الأمر ، وكانت الحركة الوطنية مؤيدة بالخدوي ، ثم تغير الموقف ، عزل كرومر وجاء خلفه غورست بسياسة الوفاق وأدار الخديو ظهره للحركة الوطنية ، واختلاف معه اللواء ، وسار معه المؤيد ، ثم جاء عام ١٩٠٧ فأعلن الشيخ علي يوسف إنشاء حزب الإصلاح ، في نفس الوقت الذي أعلن فيه حزب الأمة عن نفسه ، وكان الحزب الوطني مشككاً من قبل ولكن أعلن رسمياً في نفس العام .

وفي ١٩١٢ سجلت جريدة الشعب^(١) (إحدى صحف الحرب الوطني) صورة للملافة بين مصطفى كامل وعلي يوسف ، والخدوي ، تقول : يظهر أن صاحب المؤيد (علي يوسف) كان قد وطن نفسه على أنه زعيم الصحافة الإسلامية (الوطنية) في مصر واطمأن لذلك ، فلما ظهر اللواء رأى فيه أكبر مزاحم ، فأخذ ينصب له الإشراف في داخل الجمعية « قصر عابدين » ، وخارجها وبه قد له كل مرصد أملا في إسقاط اللواء (ليخلو له الجو ، ولم يظهر اللواء بالمؤيد إلا بعد سفر صاحب المؤيد إلى لندن عام ١٩٠٣ ووقوفه بين الإنجليز ذلك الموقف للعلوم ، وتسميته لوندرة (كعبة المصريين السياسية) فلما التزم الصمت متوخياً مرضاة الاحتلال وتقبله وفاق ١٩٠٤ قبولاً حسناً كان ذلك مصرعاً لجريدة المؤيد

نفسها وفاز اللواء عليها وكان صاحب المؤيد قد حاول نسكت عهده الوطنى بعد أن أصبح ذا مال وعقار ، فانسخ عنه مصطفى كامل وأنشأ اللواء سنة ١٩٠٠ حتى لا يلعب صاحب المؤيد بالرأى العام ، وكان أبرز أهداف اللواء : العقيدة الوطنية والدفاع عن مجد الإسلام ، وظهرت غيرته جليلة فى غارة المسيو هانوتو على الإسلام والمسلمين ، ومع هذا كانت الحكمة العليا فى عالم الصحافة للمؤيد لظن السواد الأعظم من الأمة فى ذلك الحين أنه لا يزال الجريدة المخلص للوطن ، لذلك استمر اللواء جريدة ثانوية حتى سافر صاحب المؤيد إلى لوندرة فى ١٩١٣ ووقف من الإنجليز موقفه المعلوم فيومئذ عرفت الأمة طويقه فنبدته ظهريا واحتلت اللواء المحل الأول وظل المؤيد جريدة التلون .

وكان الاقتدار الصحفى الفضل الأول ما جعل للواء المنزلة الرفيمة ، وكان الحديث بين صاحبه وبين الغازى مختار باشا (ممثل الدولة العثمانية فى مصر) وفيه أنزل المؤيد منزلته الحقيقية فكان فى ذلك القضاء عليه وردت إليه النسخ رزما حتى ضاقت بها نوافذ مصلحة البريد وتظاهر ضده الكثير من أهل القطر ، وأحرقت نسخته فى الجهات على مقروعة الطرق وزاد اللواء رفة بعد حادث « دنشواى » فقد رفع صوت مصر فى أوروبا .

وهز كرمى اللورد كرومر هذا لم يسبق إليه بمصرى من قبل ، واجتمع لدى إدارته عدة آلاف من الإمضاءات بطلب العقو عن مسجونى دنشواى ، الذين كان محكوموا على بعضهم بالأشغال الشاقة أو المؤقتة وعلى بعضهم بالسجن ، فلما أضاف نسخته الإنكليزية والفرنسية ، بلغ اللواء غاية لم يبلغها قبله جريدة فى الشرق .

وقد ألف مصطفى كامل (الحزب الوطنى) وهو طريح الفراش بعد إلقاء خطابه فى أكتوبر ١٩٠٧ فى مسرح زينيا بالاسكندرية ، وفى ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ طبع من اللواء (٢٩ ألف نسخة) وزعت وقت مرور جفازة صاحب اللواء ، وهو أكبر

رقم بلفته الصحافة إذ ذاك ، ثم انتقلت إدارة اللواء إلى يد الحزب الوطنى بواسطة شركة تألقت لهذا الغرض وقدرت رأس ماله بمبلغ أربعين جنيه وبلغ أوجه بمدان تولى رئاسته الشيخ عبد العزيز جاويش ، فقد برأ القضاء جاويشا فى قضية الماملين وطمن المتمد البريطانى فى القضاء . ولما وقع الاعتصاب بين المحررين والكتاب وعمال الإدارة وجامى الحروف والسباكين والطباةين والموزعين ، حتى آآة الطبع نفسها ، وسناديق الحروف امتدت إليها يد الإفساد ، صدر اللواء فى يوم عطلته تحديا وعمال الأعضاء بأنفسهم فى إصداره .

صحف وطنية وصحف معتدلة

الإلقاء ضوء كاشف على صورة المجتمع ، والحياة العسكرية ، وآثر الصحف فيها ،
نختار فترة من أدق الفترات في هذه المرحلة ، هي فترة عام ١٩٠٧ الذي يمد من الأعوام
الحاسمة ، حيث ظهرت فيه الأحزاب السياسية الثلاب الوطنى ، الإصلاح ، الأمة وكانت
أم الصحف فيه هي (الأهرام ، المؤيد . اللواء ، الدستور ، الظاهر ، المنبر) والسؤال هو :
كيف كان موقف هذه الصحف من الحركة الوطنية ، ومن رأى العام ، وكيف كان
الصراع بينها جميعا .

يقول العلامة فريد وجدى : لم تظهر الحرائد السورية في مصر لمطالبة الحاكين
بحق مسلوب ، أو محاسبتهم على عمل مألوف بل بالمكس ، كانت تقرب إلى الحاكين ،
بالديح والإطراء وتلبسهم شفوفا من حلال القضاء ، ولا تطلب إليهم إلا من طريق الاصباحة
والرجاء ، و (الأهرام) التي لازمت الأمة في حائر أدوار تدرجها فحضرت استبداد
إسماعيل ولقيت منه مائى الفاظون بالحق أمام السلطات المطلقة ، وشهدت أول عهد
توفيق ، تلك الأيام الهادئة الباسمة ، وبلغت فيها من الشهرة والانتشار غاية ما يمكن
لجريدة في تلك الأيام ثم شهدت حركة الأمة قبيل ثورتها (الثورة المرابية) وبعدها
في أول عهد الأنجليز .

وظهرت (المقطم) بلهجة وطنية واستمرت على ذلك نحو العام حتى كان (المؤيد)
يستظهر بأقوالها فى كثير من الأحيان ، ثم تحولت إلى مشايعة الاحتلال وتسوى سيرة
الدولة العلية ، ذلك لأن أصحاب المقطم ليسوا من أبناء هذه البلاد ، وهم مهما انتحلوا

لأنفسهم من صفات الوطنية فإن يكون منها إلا بقدر ما تحققه أفعالهم وأعمالهم ، وإذا كانت الأمم تقبلاً من أبنائها الذين يذهبون في سياستهم غير مذهبها فهي تقبلاً بالأولى من الملتحقين بها إذا نهجوا في سياستهم غير منهاجها .

فالأمة لا تعتبر (المقطم) جريدة وطنية ، حتى يصح أن تثور عليه جرائم مصر بالتأنيب لاجباره على أن يقول مالا يريد قوله ، ولو كان المصريون اكتفوا بهذا الإعلان كلما كتبت المقطم شيئاً ضد مصالحة البلاد لسكان المقطم اليوم لا يعرفه أكثر المصريون ، ولسكفهم أخذوا يناقشونه الحساب ويبادلونه السباب فاشتهر بين الناس اسمه وذاعت مبادئه . أما (الجريدة (١)) . . . فليس تحت سماء مصر من يجهل المبدأ الذي تكونت من أجله الجريدة ، والأصابع السكرومربة التي أقامتها لإطفاء جذوة الشعور الوطني ، الذي أشملها مصطفى كامل في أفئدة المصريين فقضت سنتها الأولى في نكران مبدأ الوطنية وتهجين الحزب الوطني ورجاله ، ثم دالت دولة كرومر ووجدت الجريدة نفسها بالعراء ، وسقط في يد مديرها الذي أجاد الدفاع عن مظلومي دنشواي .

ولم تبرهن الأمة المصرية على حياة شعورها وبقظة عاطفتها الوطنية في خاتمة من الحوادث بأحسن مما فعلت بازاء الجريدة ولن تزال الجريدة بما تأخذ كل يوم من دروس الأدب عن الأمة حجة حية على قوة الرأي العام في هذه البلاد . وقد اجتمعت طائفة من أعيان الأقاليم قبل نحو السننتين من الزمان وفسكروا في التعاون على تأسيس جريدة مستقلة من كل سلطة تجتمع إلى علو تحريرها جمال الرداء ، وأبهة الثراء ، فتجذب هذه الأمة السكينة من بين مخالب هؤلاء المتحمسين (الحزب الوطني) همس بذلك بعض الأعيان فأنصل خبر هذا العزم بالاوره كرومر فيصير قصر الدوبارة إذ ذاك فوجدوا منه كل تشجيع وبلغ الناس هذا الشعور فقالوا : إن في الأمر لسراً وقد عمد الإنجليز بعد أن أعجزهم

(١) الدستور - ٤ سبتمبر ١٩٠٨ .

إمانة شعور المصريين بجرائدهم للأجورة ، إلى تحذيره ، والتعزير به بواسطة هذه الحيلة
المجيبية ، وكان الناس بين مكذب ومصدق حتى انتخبت اللجنة التأسيسية مديراً للجريدة
عامياً لم ترض الأمة عن دفاعه في حادثة دنشواى (يقصد : لطفى السيد) فقوى ظن
الظانين ، وزاد في الظنون السيئة ما تفضلت به جريدة التيمس على الجريدة من التقربط
والإطراء قبل ظهورها ، كيف علمت التيمس خطة هذه الجريدة قبل نشرها إن لم تكن
قد رسمت لها خطة السير في الوكالة البريطانية ولكن هذه الأحكام لمن تكن إلا ظنية
لا يمول عليها المثبتون الذين يريدون بناء أحكامهم على الحوادث المحسوسة فظل هؤلاء
منقظرين حتى قرب إبان ظهورها وتعيين المحررين ، فكان في تسميتهم دليلاً حسيماً تمهيداً
على مجافاة مشرب (الجريدة) لمطالب المصريين .

(جريدة الظاهر (٧)) . . . ظهر للكافة عياناً تحامل الظاهر على الشيخ محمد عبده
رحمه الله مشايعة لما اشتهر من مسخط الجناب العالى (الخديو) عليه إذ ذاك فارتكب
(الظاهر) في الحط من كرامة ذلك الإمام الجليل والغض من قدرة مالا يليق صدوزه
من هداة الأمم وأطباء هيئتها الاجتماعية ، لاسيما وبراءة الشيخ مما كان ينسبه إليه ويعزوه
له ظاهرة للعيان لا تحتاج لبرهان ، فأثر ذلك في قلوب المصريين أثاراً سيئاً ، ولم يرد
في (الظاهر) . ما يجب أن يكون في (الجريدة) التى يديرها رجل قانونى ، له مواقف
مشهودة في التفرقة بين الحق والباطل ، وظل الظاهر على غلوائه في حق ذلك الأستاذ
الكبير حتى تحقق الناس سوء الفهم في تلك المطاعن فكان ذلك أول ما شهدته النفوس
له بالانتقاض والمضاضة . وبينما الناس وإياه على هذا الحال من الشك وإذابة حالت به الحال

(١) جريدة الاهر لصاحبها محمد أبو شادى حصلت على نس فتوى أصدرها الاساذ محمد عبده
إلى جماعة من سكان فرنساغال المسلمين الذين رحلوا من الهند إلى جنوب أفريقيا ، هذه الفتوى خاصة
بإباحة أكل المسلم اللحوم التى يذبحها أهل البلاد من المسيحيين من طريقة أسماها الظاهر ، الموفوفة ،
تانيا : جواز لبس المسلم لقمعة نقاديا من سخرية أهل البلاد من العمامة والطرش .

إلى تخلص مبدأ جديد وهو مشايمة المحتلين ، والضرب على نعمة القالية في أطرائهم ،
والتمدح بهم ، ظهر ذلك في لحن كلامه فتبين للناس سرعة تقلبه من غير ما سبب ظاهر ،
ولا حكمة مقولة ، وبدت بوادر خطيرة عليه بلا تدريج وأومعته أهواءه أن من الفكايبة
بمن تقرب إليهم أولاً أن يناقض خطته السابقة معهم فيمدح من كان يذمهم ويذم من كان
يذمه ، فانقلب يمدح الأسعاذ المفتي (محمد عبده) ويطر به ويبنى له من صروح الثناء
ما ينقض سابق مطاعنه فيه ، حتى أنه صبغ نفسه بالسواد يوم موته حداداً عليه وشفع
ذلك بالطنن في (الشيخ علي يوسف) في قضية الزوجية وغلا في ذلك غلوا أخرجه
عن حدود المقول فتحققت الأمة عند ذلك أنه سريع التحول مفقاد لأهوائه ، يرمى
إلى حيث رمت إليه ، والأهم إن لم تأنس من خدامها الثبات والحزامة لم تحس من الصلابة
والشهادة غضت طرفها عنهم .

(جريدة المنبر) : أصدر المنبر حافظ عوض ومحمد مسعود ، وكانا يعملان في المؤيد
وقد ظن الناس أن انفصال الشابين عن تحريرهم سيورثه الفاقة الكتابية ، وسيقضى عليه
بالسقوط التحريري ، فأصبح المؤيد أرق مما كان عليه تحريراً ومادة ، أحدهما لم بالإنجليزية
والآخر لم بالفرنسية ، فلماذا لا تكون جريدتهما في مثل (المؤيد) الذي لا يعرف
صاحبه ما يعرفانه من اللغات الأجنبية ، هذا هو الدور الأول للمنبر .

أما الدور الثاني فقد بدأ بعد ذهاب أحد صاحبيه إلى لوندرة (حافظ عوض) وتصريحه
لأحد مكاتبى الجرائد بأن في مصر حزبين مشاكسين ، أحدهما المتطرفون وهم قوم قايلاو
العدد ، يطلبون الشهرة ليس إلا ، وليس لهم أقل تأثير في سياسة مصر ، وثانيهما
المتدلون وهم الذين يمثلهم حضرته ، وهم أكثر عدداً وأصحاب المصالح الحقيقية في مصر .
وذكر في عرض كلامه أن المعتدلين لا يجهون الآن أن يتكلموا في الاستقلال ولا في نبذ
سلطة الاحتلال بل ولا عزل الموظفين الإنجليز ، وإنما هم يطلبون توسيع اختصاص
المجالس الانتخابية وشيئا من الإصلاح في التعليم ، وقال الناس : شاب خول لنفسه

حق السفارة بين المصريين والإنجليز بدون أن يستشير في هذا الأمر أهل البصر عن الأمة التي يتوب عنها ، وذهب الناس في تلميل هذه السفارة الفحائية كل مذهب وقابلت الأمة هذه السفارة بالاستخفاف وأعرضت عن (المقبر) استيلاء من هذا الدور الذي لمبه صاحبه بنير احتياط ولا تحفظ ، وزاد استيلاءها أنها أحست بتغير ذريع ظهر في سياسة (المقبر) فبعد أن كانت تدعو إلى التآليف ونحث على التضامن أخذت تعمل على التفريق بفصول كتبها بخطيء فيها كل من خالفه بلسان الساحر التتمير .

أما (المؤيد) فقد تحول عن خطته وتغير عن سابق طريقه ، كان اعتقاد الناس أن يقرأوا في المؤيد ظارات شعواء ضد الحكومة وسيرها ، فحلف ذلك مسألة ظاهرة ، ثم اتفق أن ذهب صاحب المؤيد إلى لوندرة فاحتفل به فخطب خطبة سياسية شفت عما في صدره ، من التحول إلى سياسة الملايكة والمخادعة فأكد للناس صدق ظنه في تحوله عن منواجه الأول ، فكان جواب بعضهم أنه تابع في سياسته لبعض المصادر المالية فأشارت إليه بالصمت فأمتثل .

(الوطن ومصر) تذهب الجريدتان مذهب مسألة الإنجليز فهما بمن يمتقدون أن الإنجليز دخلا هذه البلاد لإصلاحها ثم تركها لأهلها حاسلة على كل وسائل الحياة الأدبية والاجتماعية ، وقد أدرعا بصراحة في القول تخرج من حد التهور وتسلحا بلمهجة ليست العادلين في شيء فهما لا يتأدبان بأداب طائفتهما .

(اللواء) (١) هي اليوم ترجمان الشعور الوطني ، تمثل في عبارتها وأسلوبها صورة الروح المصرية بكل دقائقها ، وقد كان هذا التأثير للمؤيد قبلها ، فلما تحول عن مذهبه الأول خلفه اللواء وهو لم يزل في خلافته إلى اليوم ولو تحول لتحولت الأمة عنه ، ويميب العائبون على اللواء نظرفا في مذهبه وشدة في لهجته وينسى هؤلاء بأن الرجل الحي إذا شعر بفقد

(١) يلاحظ أن فريد وجدي كان مواليا للحزب الوطني في هذه الفترة .

أمتة الاستقلال ، وهو أكبر ما تصاب به الأمم من جائحات الحياة كان من أقل واجباته أن يقاوم ويظهر أله .

لا حرج على المطالب بحقوق بلاده أن يتحدث في لهجته ، وأن يشتد في عبارته ، بذلك إنما ترجم عن شعور طبيعي ، هو أول علامات المحققين ، وأوضح دلائل الصادقين ، وإنما الحرج والويل لأولئك الذين يظهرون بإزاء ضياع استقلالهم بادرين ، جامدين ، هل يصح أن يتكلم مصري عن شئون بلاده وحقوقها السلوبة بغير تلك اللهجة التي هي لهجة طبيعية لكل متكلم مسلوب الحق ، ويميب المؤيد ، على اللواء هذه اللهجة ويمدها أنا تطرفاً وطوراً تهوراً ، وحينما يسميها جينا وتهوسا ، ولو تذكر أنه بنى دوره وقصوره وركب عربقه بثمن مثل هذه اللهجة القديمة لما خط من تلك المسبات حرفاً واحداً ، ولقد كان مصطفي كامل مثالا من هذه الأمثلة الحية على هذا اللون فن نازعه في ذلك فقد نازعه في أخص أوصافه وصميم صفاته .

بين فريد وجدى ولطفي السيد

صدرت جريدة الدستور لصاحبها ومحورها العلامة محمد فريد وجدى في ١٦ نوفمبر ١٩٠٧
وفي ١٨ نوفمبر ١٩٠٧ استقلت «الجريدة»: جريدة الدستور فقال لطفي السيد:

(١) ظهر العدد الأول من الدستور بمقال عن الحالة الإجتماعية والسياسية لمصر حمل فيها لأول يوم من ظهوره على آراء المعتدلين فسفهها بأدلة كأدلة (اللاء) ولا مندوحة لمقرظ الدستور من أن يقول بأنه من (اللاء) بمنزلة (المنبر) من (المؤيد) لم يأت بخطه جديدة في إصلاح ذات البين، وتقصير مسافة الخلف بينهما، أو رفق فرجة الماكسة بل جاء على العكس يزيد في طنبور التفريق نعمة ويصيح لشيوخ حزب الأمة أن يستمعوا بأراء بنهم وأحقادهم من الشبيبة وبطالب بجمع الأمة إلى زعامة مصطفى كامل.

* * *

وقال فريد وجدى: أما نحن فنقول أننا نعتقد أنه ليس في مصر في عهدنا الحاضر فتنة أشد حلالاً وابطناً وتفريقاً لأنفتنا، وعمكنا للمستعمرين من محتقنا بقصد إنقسامنا إلى معتدلين ومطرفين. تقول الجريدة: إننا ما جئنا بخطة جديدة لإصلاح ذات البين، بلى! إننا جئنا بمحاربة فكرة التطرف والاعتدال، وكفى بإزالتها مصاحلاً لذات البين وجامماً للطرفين المتنازعين. إننا نعتقد أن أكثر الخلاف بين الجرائد منشؤه التنازع على الرئاسة، فالؤيد هو أبو الجرائد الإسلامية (الوطنية) ومؤسسها الأول، يرى أنه أحق بقيادة الرأي العام و (اللاء)

لا يرى (المؤيد) أهلا لتلك التحول الذي طرأ على لهجته في السنين الأخيرة ، فجاءت (الجريدة) نابذة للرئاستين ممدية النفس يعيل الأمة إليها دون غيرها لاشتراك الأعيان في تأسيسها . لقد انتظر الناس ظهور الجريدة بلف يوم صدورها فما حان اليوم حتى برزت الجريدة مكتوب عليها . « من حقق النظر وراض نفسه على السكون إلى الحقائق وإن ألتها في أول صدمة كان اغتباطه بمدحهم إياه » فقال الناس ، يا للعجب ، جريدة مصرية يقوم بإنشائها أعيان مصر لخدمة المصريين وإيقاظ عواطفهم ، تصدر بهذه الجملة الدالة على أنها ستعمل على العقائد الموروثة والعواطف المتأصلة في النفوس حملات مدكرة حتى تخرج صدور الناس عليها فيوسمها الناس ذما ، ويشبهونها شتما ، فتسكون بما راضت به نفسها على السكون للحقائق أفرح بدم الناس لها من مدحهم إياها .

هل نحن من الدين على باطل فجاءت الجريدة لمسكأقتنا فيه ، هل نحن من الوطنية على ضلال حتى أنت الجريدة لنازعنا فيه ، وقرأ الناس في الجريدة مقالات فلسفية ومباحث في الاقتصاد والتعليم ، مما اعتاد الناس مطالعته في المجلات الشهرية ، فهل مرت الجريدة بذكر الاستقلال ، هل مست موضوعا دقيقا بين المصريين والمحتلين ، هل ناضلت عن حقوق مصر بلهجة المصري النيور ، هل علمت المصريين كيف أن الوطنية ، سياج الأمم ومساك الشعوب .

كلا ، لعلنا على باطل في أمرنا ، وجاءت الجريدة لهدايتنا إلى الحق فيه ، فهل شعت في التوفيق بيننا وبين المحتلين ، هل دعتنا إلى تسلم قيادنا إليهم ، إذن ما الجريدة ؟ فلا هي على مشرب الجرائد الوطنية تعبر عن شعور المصريين وتقدم بالدروس المرقية لعواطفهم ، ولا هي على هدى الهداة المخالفين ، فتستحق منا احترام الخالف المخلص فنقرأ لندرك وجه الحق من القبيض ، قال الناس ليست الجريدة على شيء فآزكوها وكادت تصبح خيرا إن كان لولا أن تداركها مجلس الإدارة فأعلن أن وراء الجريدة حزبا يقال له (حزب الأمة)

وأعضاؤه رؤساء المائلات السرية في البلاد وأنه ساع في نشر التعليم بماله وجاهه ونهيه
الأمة للاستقلال وحكم نفسها بنفسها .

فصق الفاس طربا ، وقامت الجريدة زاعمة أن الأمة طفلة قد غرر بها المتهورون ،
وأنها فاقدة الشعور قد ألهاها بالخيال الموهون ، فألت على نفسها لتفضحن تلك الجرائد
ولتنقذن عليها عملها وأنها ان تصرح للأمة إلا بما يناسب حالها ويتفق مع قابليتها ، فلما
مارست الأمة وعالجتها تبين لها أنها بإزاء أمة ذات شعور حى وعواطف وطنية صحيحة .
فكافحتها أشهراً متعددة كفاحاً يبعث أن يسمى إنهما ثم اضطرت لمشايمة الأمة في شعورها
فكانت النتيجة على عكس ما قصدت ، قصدت أن تجذب الأمة لجذبها الأمة ورامت أن
تهذبها فرأت أنها هي المحاجة للتهذيب ، فكانت الجريدة بهذا الاعتبار أول الأدلة على قوة
شعور المصريين وعلى حياة وطنيتهم .

فالؤيد ومن نحاهم يقولون أن الأمة لم تزل محتاجة إلى الإرشاد ، ولم نصل بمد
إلى سن الرشد الذى يسمح لها بانتخاب سياسة لنفسها ، بل لا بد للصحف من تعديل
رأيها والصبر على شطحها . وكلمة (الجريدة) شمارها يشمر بأنها تمد خطة للحملة على
الرأى العام حملات منكورة حتى أنها توطن نفسها على أن ستلاقى فى ذمة وسخطه
ملا يطيقه إلا من راض نفسه على السكون إلى الحقائق .

أما (اللواء) فبدهاء اعتبار الأمة راشدة عاقلة يجب إحترام شعورها ، فهو بعيد عن ذات
سدرها ، وهى عين الخطة التى كان عليها (المؤيد) قبل عشر سنين ، حتى بلغ التحمس به
إلى حد فقدت الأمة معه رشدها . أن زعم زاعم أن اللواء متطرف فى خطته ، فالأمة
كلها متطرفة معه إذن ، فمن نعم على اللواء فينقم عليها كلها ، وإذا تقرر هذا فإن مسألة
اختلاف الجرائد مسألة تنازع فى الرئاسة وهذه الرئاسة من حقوق الأمة الطبيعية .

أعد بعداً^(١) لطفى السيد حياته السياسية ضيف القاب خائر المعزومة ، يائسا أو قريبا من اليأس ، وأدار جريدته على مبدأ يفاير مبدأ الحزب الوطنى كل المنايرة ، لما كان يقرأ القارىء فى تلك الصحيفة إلا حملات عنيفات على الشهور الوطنى وطلاب الإستقلال بمحجة أن الأمة لا تزال همياء صماء بكفاء ، وأن كل الذى فيها حركة مصطنمة أو جدها بمعض السياسيين التحمسين الذين لا ينظرون إلا لمصالحهم القذاتية ، فلم يعض على لطفى السيد فى هذا الظن عام حتى توالب عليه من الضربات ما جملة ينظر غير النظر الذى دخل به ممها فى ممعمان السياسة .

وتكلم^(٢) لطفى السيد عن (الوطنية) كلاما يعتبر فى علم الفلسفة اليوم من بقايا القرون المظلمة ، التى كان فيها أمر النوع الإنسانى قائما على مبدأ (المنفعة) المادية المحضه ، والحاجات الحيوانية الصرفة ، ولم يدرك أن العالم الإنسانى قد تدرج نحو السكالك ، فهو كل يوم يطلب وجوداً أرق وحالا عن حالات الحيوانية أبعد ، مما يظهر لى أن لطفى بك قليل الإطلاع على معارك الإفهام والههم ، فى العالم الإجتماعى ، فهو من أمثال نظرية الوطنية والمنفعة فى دورها الأول . وما ظنك بمخيطيب يقوم فى القرن العشرين وسط أمة فى مضطرب الأمم ومزدحم المذاهب الاستعمارية تعبر عطشى لسلسبيل العلم الرائق لتحل به فوامض التناقضات التى تراها بين يديها ، ومن خلفها ، فلا يواتيها من نظرية الوطنية والروابط الإجتماعية إلا بأخس مما كانت عليه أيام كان الرجل يسلب جاره عاملا على « مبدأ المنفعة » . نعم ، قامت الوطنية على المنفعة كما يقول ، ولكن غاب عنه أن المنافع قد ارتقت فى ذاتها ، وفى نظر الأمم ، فبمقد أن كان الإنسان يرى أن المنفعة هى أن يمشى على هيئة قبيلة ، وأن يطارد جميع مجاوراته من القبائل كما هى حال الوحوش الهائجة ، ارتفعت المنفعة فى ذاته واتسعت نظرية الإجتماع فى نظره فمال لتسكويين أمة فانساق لتوحيد قبائله ففعل فسكانت الأمم ، وكان من لوازم اتساع نظرية

(١) ١٨ / ٥ / ١٩٠٨ جريدة الدستور . (النس مع بعض التصرف) .

(٢) ٢٦ أغسطس ١٩٠٨ .

الوطنية ارتقاء شخص « المنفعة » وكانت المقدمات هي التي تبذل لتمهيد لمصر تلك الحياة الاجتماعية التي يتسع معها معنى الوطنية فلا يقصر على أبناء البلد الواحد ونشر مبادئ الإخوة الإنسانية وقد بدت مقدمات هذا العصر الأوربي الجديد، فانشئت لديهم محكمة التحكيم في لاهاي وحلت مشاكل كثيرة قامت بين الأمم وتكلموا في توحيد اللغة لتوحيد المواطنين وتصبح الأمم كالأسر المختلفة في مملكة عامة هي أوروبا بأمرها ! فأين لطف السيد من هذا كله ، أنه لا يزال من الوطنية في أدنى أشكالها ، فهو يقول المصريين إبقوا وطنيتكم على المنفعة المجردة . وتقضى هذه الفظرية الخشنة أن لا يضحى المصريون أى مصلحة لهم ولا يكابدون أى تنازل كان فى مصلحة أمة أخرى .

مذكرات صحفي . سليم سر كيس

لم أجد بين ما قرأت من كتابات الصحفيين ما هو أكثر أحاطة وجرأة من كتابات سليم سر كيس المبتوثة بين ثنايا مجلدات مجلته^(١) التي ظلت تصدر من ١٩٠٦ - ١٩٢٦ كان متقدما عصره في مفاهيمه للصحافة ومنهج تحريرها ، بدأ حياته الأدبية في صف الحروف ثم انتقل إلى تصحيح المسودات ، إلى تفتيح الرسائل ، قـكتابة المقالات في المواضيع المختلفة ، تنقل بين سوريا مسقط رأسه ، فأوروبا (باريس ولندن) ثم عاد إلى مصر ، أصدر جريدة الشير وحمل على السلطان عبد الحميد ، واختلف مع قادة تركيا العثمانية ، ولم ترض كتاباته الخديو عباس فقبض عليه وحوكم فسافر إلى أمريكا وعاد بعد خمس سنوات إلى مصر ١٩٠٥ وعزم على الاعتماد عن السياسة ، وكان على ولاء كامل مع اللورد كرومر والاستعمار البريطاني وانضم إلى تحرير المؤيد ١٩٠٦ وعرف بـقالانه التي كان يكتبها تحت عنوان « الشيء بالشيء يذكر » .

صكين كنت أحرر المشير

يقول : في سنة ١٨٩٦ كنت أقيم في القاهرة أصدر (للشير) زارني من يقول : مالك ولأبي الهدى ، وذلك على أثر حملة على أبو الهدى الصيادى في صحف مصر (كان أبو الهدى أبرز مستشارى السلطان عبد الحميد وهو حامي الأصل) المتحدث هو الشيخ كمال الصوفى مفوض الاستانة الوفد لمصالحه الجرائد واسترضائها : قال : أنت تطمن عليه ، وهذا خطأ ، أليس الأفضل أن يكون هذا الرجل العربى صاحب الحكمة العليا في الاستانة فيستطيع العرب أن يصلوا إليه ، خير من رجل تركى .

وكان قد علم أنني سأنشر صورة كاريكاتورية لأبي الهدى في المشير في حالة منكرة (صورة الأخطبوط) في العدد الذي يصدر غدا .

فقال : اسحب الصورة وأنا اتقدمك أربعين جنيها ، فأرسلت خادمي إلى المطبعة ، وبعد قليل عاد بالخشبة وعليها الرسم فدفعتها إلى الشيخ ، فنقدني أربعين جنيهاً إنجليزية ، وانصرف ، وصدر المشير بدون صورة هزلية . وفي العدد التالي نشرت الصورة وكتبت الحكاية وكيف اشتري الصورة الأولى مني ، بأربعين جنيهاً وقلت بما أن هذا المال مرصود لرشوة الصحافة فإذا لم أخذه تفاوله سواي فقد أخذته وأعدت نشر الصورة .

المشير : ٨ يوليو ١٨٩٩

أعترف بأني ارتكبت في هذين اليومين جريمة اللصوصية ، ولمل ذنبي لا يكون أعظم من ذنب حواء وآدم فإنهما سرقاتفاحة ، وأنا سرقت مقالة من منزل الدكتور شمبل لأنه كان بجيلا بها . فاذا وصل هذا العدد من المشير إلى صديقي الفاضل ، وذهب إلى مكتبة ، وفش على مكان فيه فلم يجده ، وتحقق ما أقول ، فارجوه أن لا يعاقب البواب أو الخادم . بلغني أن الدكتور شمبل مصاب بجدار (روماتزم) فمررت إلى منزله العامر أعوده نحو الساعة السادسة مساء ، فقال الخادم أن الطيب خرج في عربة للنزهة ، فدخات إلى مكتبة الدكتور وجلست بين الكتب والأوراق التي تحيط حضرته في غربته ، وأردت أن أسلي نفسي بالقراءة ريثما يعود ، ثم حانت مني التفاته إلى مكتبه وإذا هناك أوراق مبعثرة مكتوبة فدلتني سايقة الصحافي التي عفى أنها أصول مقاله يكتبها الدكتور وحملتني الوقاحة المذمومة في كل انسان إلا الصحافي على الاطلاع عليها ونظرت إلى ماحولي فلم أر من يراقبني فأخذت تلك الأوراق وقرأتها ، وإذا هي مقاله بدأ بها وكتب منها ثلاثة أوراق لاغير ، وبدأ بالرابعة والمقال بيان مفاوضة بين الروح الامني والدكتور ، أما أنا فأخذت أوراق المقالة ووضعتها

في جببي ، وخرجت قائلاً للخاهم ، أن الطبيب تأخر ، وأنا لا أستطيع الانتظار ، وكان للمقالة التي اختلستها من مكتب الدكتور شمائل رنة وحديث ابن الناس ، فقد علمت جريدة الأخبار يوم الجمعة بأمر السرقة وتلاها مكان البصير هنا ، وفي الغد نشرت الأخبار رسالة مني ونشر المقلم رسالة أخرى اعترفت فيها أنني السارق ، وما ظهر المشير يوم السبت حتى طاف الباءة ينادون ، محرر المشير حرامى ، فهاتف الناس على قراءة المشير ليقفوا على جلبة الخير .

٤ سنوات و ٤ شهور و ٢٠ يوماً في تحرير المؤيد

عملت في تحرير المؤيد (يونيو ١٩٠٦) بعد أن اختلف (مع صاحبه) محمد مسعود وحافظ عوض وكان محرران المؤيد منذ اثني عشر عاماً على صاحب الجريدة اترك الادارة ، وقد ادخلت إلى الصحافة العربية بواسطة طريقى المستحدثة في تحرير المؤيد .

(١) المحدثات على طريقة (الانترفيو) فسكتب في كل حادث خطر ، انتقل إلى مكان الحادث وأحدث الأعيان وذوى الراى . (٢) ادخلت إلى المؤيد طريقة العنوانات الواضحة وهى طريقة جرت عليها سائر الجرائد بعد ذلك (٣) ادخلت : كتابة المقالات القصيرة وتقطيع المقالات والاكتثار من أوائل الكلام ، بل إن كانت المقالات أطول من اسان التمام . (٤) ادخلت المقالات الأمريكية .

وقد تأكد صاحب المؤيد من أننى أهيش لأكتب ، ولا أكتب لأعيش ، فسكان إذا تميب في أوروبا أو سوريا أو الآس—ثانة يضمن ما يريد له جريدته من الثمبات على مبادئها لوجودى محرراً بها .

X حدث مساء ٢٤ يوليو ١٩٠٨ أننى كنت جالسا وإذا بالشيخ يوسف الخازن يقول : ورد تفراف الأمة بإعلان (الدستور العثمانى) ، توجهت إلى إدارة المؤيد ففتحت الأبواب وراجعت ما في مكتبتهما من المجموعات السياسية والدولية وقضيت الليل فى الكتابة حتى الصباح ،

وكان (المؤيد) أول جريدة أذاعت هذه البشري ، ونشرت القانون الأساسي وتاريخ الدستور الأول والماهدات ، ثم أصدرت المؤيد مرتين في النهار .

X أردت أن أكون أول من ينشر شيئاً عن كتاب كرومر (مصر الحديثة) فأرسلت إلى إحدى المكتبات في لندن ، قالت المكتبة أنه من المستحيل ذلك ، غير أنها أرسلت بمضى نسخ من إعلان صدر بمناسبة صدور الكتاب بصفة نموذج ، هي ورزمة من الأوراق مؤلفة من ٨ صفحات بحجم كتاب اللورد وهي الملزمة الأولى فيها الصحيفة الأولى والنهريسة ونصف المقدمة .

الشيخ علي يوسف : كيف كان يهرج جريدته

علي يوسف حرر أنؤيد ٢٠ سنة ووصل بجريدته إلى حالتها الحاضرة ، وهو لا يعرف حرفاً واحداً من لغة أجنبية ، ومع هذا فإن من يقرأ مقالاته لا يصدق أنه هو الذي كتبها لأنها لا تختلف في شيء مما يكتبه لطفى السيد ويعقوب صروف وما قد برأ في اللغات .

حدث ذات يوم أنني خرجت من منزلي وخرجت على القهوة وهي كما لا نجعل مرجع الناس في مصر كل ساعة من ساعات والنهار والليل ولقيت منها عزيز خاني . قال « مقالة علي يوسف عن المجالس النيابية من يقرأها يتصور أنه يقرأ فصلاً من روح الشرائع لمونتسكيو .

ولشيخ علي يوسف مزية مدهشة عرفتها في كل هذه السنوات ، هي أنه أقدر كاتب على الاقتباس وأن له ذاكرة ليس أقوى منها في استيعاب ما يمرض لها . ويدهشني من (علي يوسف) مقدرة النادرة على الكتابة في أي موضوع خطير مهما كانت الظروف المحيطة به ، وأغرب من هذا أنه إذا حدث أميراً أو وزيراً أو صحيفياً أراد بعد أسبوع كامل أن بدون ما سمعه من محدثه فإنه يستطيع أن ينقل ما سمعه صحيحاً ، وقد يظن قوم أن كل الذي يفعله الرجل أنه يكتب مقالة افتتاحية لجريدته ، وهذا خطأ فاضح ، فهو دون سواء من الصحفيين الذين أهرقهم يقرأ كل سطر ينشر في جريدته قبل نشره وقبل تسليمه

إلى مرتبي الحروف ، حتى أنه ليقرأ إعلان « فقد ختمى » ورسالة فاقوس ، ولا يقرأها فقط بل يمر بقله على أكثر السمكات أيضا لكتابها وتسميلا لمرتبي الحروف

عرفت صاحب المؤيد يكتب أفضل مقالاته وأكثرها أهمية والقيامه قاعة حوله والأصوات كثيرة والجلبة عظيمة ، و عنده أكثر من زائر فلا ينقطع ففكرة ولا يقف تيار فربحته ، ورده على اللورد كرومر يوم استقال ، أعجب ، فافرح اللورد من إلقاء خطابه في الساعة الحادية عشرة ونشرت ترجمة الخطاب ليلا ، فلما أصبح الصباح كان رد الشيخ بين أيدي العال ، ومقالات (قصر الدوارة) كان يكتبها قبل الظهر وتصدر في المؤيد الساعة الثانية في اليوم نفسه .

كيف يمررون الجرائد في مصر ومن هم الذين يمررونها ؟

أننى طويل (١) اللسان بشهادة الحكومة العثمانية الماضية التي سبق لها أن رفعت على قضية بحجة إطالة اللسان، والحقيقة أننى إذا لم أكتب فإننى أتكلم وإذا لم أكتب ولم أتكلم نصف ساعة فإننى أتتحرر .

انتقلت من تحرير المؤيد رحمة بقراه وبفلسه ، أن الذين يمشون من شق القصة (بقصد القلم) لم يدركهم الفن كما أدرك صاحبنا البالي فهم لا يملكون أكثر الأحيان وخصوصا في الشهر ٢٠ رايلا ولذلك أرسلت إليهم التذكار بحانا لوجه الله — استغفر الله — بل أرسلتها بحانا طمعا بما يكتبونه فدا من الإطراء والثناء صلا ، أنهم يمررون الجرائد بطريقة شرقية محضنة أى بدون أى قياس ولا قاعدة ولا ضابط . فيسكيلون الألقاب جزافا على نسبة الفائدة . وإذا كتبوا عن رجل أنه الوجه الأريحي الهام ، فأعلموا أن صاحبنا مشترك جديد ، وأن اعتدوا على حقوق الخديوى فزادوا على اسم ممدوحهم «سمادة البيك» وما هو كذلك فأعلموا أنه مشترك جديد وقد دفع قيمة الاشتراك نقدا . ومتى ذكروا اسمه أكثر من مرة

في أسبوع واحد، فتأكدوا أنه عمدة ، وقد وعد أن يكثر عدد الشركين ، ولوكلاء الجرائد في الداخلية سلطة مفيدة فهم يكتبون رسالة عن افتتاح « كِتَاب » قد يكون أضييق من هذه اللوحات وعدد الطلبة قد لا يزيد عن مجموع الدنانير في جيبي وجيوب جميع المالبين ويعلأ الوكيل نصف عمود في وصف الرجل وأطرائه . فأعلم متى قرأت ذلك أن الوكيل قد أرسل دفعه من التحصيل وأعلم أنه أيضا أبقى لنفسه دفعة أخرى .

أما أخبار أوربا وأمريكا والهند والصين وسوريا وكل بلاد ماعداً مصر فلا أهمية لها عند جرائدنا، والذين لا يقرأون إلا الجرائد مصر يعيشون ويموتون بمد عمر طويل وهولا يعلمون شيئاً مما يجري في العالم إلا ما ينقله إلينا أحمد زكي بك (يقصد العلامة شيخ العروبة) من حين إلى آخر ، بل يحدث أحيانا لجرائد ما أن تحذف تلفراف روتر عن الانتخابات في إنجلترا اتضع محلة إعلان « فقد ختمى » . أو ترفع إحدى مقالات (بيان لادمته) لنشر رسالة من سر ياقوس ، بل أن بعض جرائدنا إذا جاءها تلفراف هافاس متأخرا وكان المحرر كسولا، تصدر (الجريدة) وفيها العبارة الآتية: (لم يرد شيء مهم في تلفرافات هافاس اليوم) .

ومن عادات جرائدنا أن الصحافي يقرأ في جريدة رخيصة خبيرا جديدا لم يحصل عليه في وقته فينقله إلى جريدته دون أن يشير إلى مصدره بعد أن يغير لقبه ، فإذا كان الخبر صحيحا (سمين) وإذا ظهر أنه مكذوب ، يقول أن المهدة على الرصيصة الفلانية لأننا نقلنا الخبر عنها . وألطف ما في جرائدنا تقريظ السكتب فإنها تقرظها ناظرة إلى المؤاف لا إلى التاليف فلو أن فتحى باشا زغلول وضع اسمه على طرايع اللوك لأصبحت تيمس مصر .

لما كفت أحرر المؤيد رفع إلى صاحب المؤيد كتابا في الإنشاء لأقرظه فقرأته واستأنت كثيرا لما فيه من الضعف والسخافة فكاتب في مؤيد ذلك اليوم ما معناه « وضع حضرة فلان كتابا في الإنشاء جمع بين الركافة والضعف وكان الأول أن لا يصدره للناس بل أنه ارتسكب جريمة في إصداره ولو علم القضي وابن المقفع أنه يقعداها بعثل هذه السخافة

لاضطربت عظامهما في قبريهما» . . فلما أصبحت دعاني صاحب المؤيد وبصرت عند رجلا لا أعرفه : قال الشيخ : أن الأستاذ ناظم عليك لأنك إنتقدت كتابه أمس نخذه إلى مكتبك وانظر في الأمر ، فجائني المؤلف عاتبا ناقما ، فبينت له أنني إن كتبت رأيي في كتابه وبعد مناقشة . قال : أنت لا تريد أن تسيء إلى فأرجوك أن تقرظ كتابي . . وأنت بارع وفي وسعك أن تحال على تقريله ، فسكتت : « صكنا قد أيدينا رأينا أمس في كتاب فلان ثم علمنا أنه لا يريد الانتقاد بل يريد القضاء المحض فراعاه لإرادته نقول أهدانا (فلان) كتابا في الإنشاء لم ينسج على منواله في بلاغته ويلىق أن تزدان به المكاتب » . وأسرعت إلى غرفة صاحب المؤيد وعرضت عليه التقريل فادهشه جدا ، وقال أنت تهزأ به . فقلت : لقد قرأ القضاء واستحسنه كثيرا ، فضحك الشيخ وقال : انشره لعل فيه عظة له .

تعريف جرائدنا

- | | |
|---------------------------------|--|
| « مصر » مسيحية مثل كل شيء . | « المؤيد » مسلم قبل كل شيء . |
| « الوطن » قبطي قبل كل شيء . | « الأهرام » فرنساوية قبل كل شيء . |
| « المقطم » إنجليزي قبل كل شيء . | « الجريدة » أمية قبل كل شيء . (نسبة إلى الأمة) . |
| « اللواء » جلائي قبل كل شيء . | « مصر الفتاة » ريفولنري (مسدس) قبل كل شيء . |

« العلم » كل شيء قبل كل شيء .

كتاب الصحافة وأعلامها

(في المؤيد) حامد إبراهيم — إسماعيل شكري — محب الدين الخطيب — ممر منصور — عبد المؤمن عبد الحكم — محمود الباجوري .

حافظ عوض : (وسل إلى المية عن طريق الصحافة) ثم لا يزال يتناولها مجانا .

محمد مسمود (انتقل من المنبر إلى قلم الطبوعات) فريد وجدى : (الاستور) .
مصطفى لطفى المفلوطى : خليل مطران :

الصحف وعبروها

«الأهرام» : داود بركات . انطون الجميل . X «المقطم» : الدكتور عمر . يعقوب صروف .
سامى قصيرى . X «الجريدة» : لطفى السيد . نجيب شاهين . يوسف اليستاني . (ى . ب)
صالح شاكر . X «الهواء» : فرج انطون . عثمان صبرى . X «العلم» : عبد العزيز شوايش .
أحمد حلمى . أمين الرافعى . X «مصر» : نادر شوده . توفيق حنين . عوض واصف .
X «الوطن» : صبرى إبراهيم ، اسكند شاهين . جرجس طفوس . X «الأخبار» : يوسف
الخازن . توفيق حبيب . X «مصر الفتاة» : الحازن . X «الأهالى» : عبدالقادر حمزة سليمان فوزى

مريف بالكتاب

سأبدأ بنفسى : واد حشرى ، كاتب يحاول معرفة ما سيطبع ، يقول أكثر ما يعلم ،
مكثر فكيف يجيد ، لا يرى من يمدحه فيمدح نفسه

«الشيخ على يوسف» يحرر المؤيد بكل ممانى الكلمة ، ولا يفوته فيه حتى إعلان حبوب
ولكنه لا يستعملها . يقولون أن المية احتكرته ولكن بالفأحة فقط ، وهو طويل
النفس ، والصبر ، شديد النمز واللمز إذا أخرجته .

«عبد الدين الخطيب» نابتة قومه فى صحافة مصر اليومية بينما جميع مواطنيه يتاجرون
بالبن البننى والصابون ، إذبه يداعب الدولة الثمانية على صفحات المؤيد .

«داود بركات» معجزة الأنباء ومعجم المعلومات . يستطيع أن يحرر محضر الجمعية
الدمومية ولو لم يحضر جلساتها . «انطون الجميل» . خفة روحه تشفع لسكوته .
«الدكتور عمر» : شرس فى مفاظرته مراعاة لإسمه ، مولع بالسجع ولو لم يكن صوته

«طربا» . «الدكتور صروف» : اقتطف من كل بستان ثمرة حتى لقد تلخبطت معدته
فأصيب بتخمة ، فاستعان بالملوف .

« لطفى السيد » : صديق الفلاح ولكنه يحاطبه بالبادوجوجيا ، لو كنت إياه
لا اتخذت المقامرة حرفة وأتت على طول في مونت كارلو . فإن يخنه يفلق الصخر ،
الأتري كيف سخر الله له مائة وجيه غنى سلوه الجريدة ومطبعتها ، كان (أفوكانو) محامى
الأفراد فصار المحامى عن الأمة ، كان يخطب في المحكمة فصار يكتب في الألو ف .

«نجيب شاهين» . لو اهتم بمواد الجريدة اهتمامه بملابسه لكانت الجريد آية الآيات .
ما عابة القصر فهو طويل النجاد .

« يوسف البستاني » : اختصر اسمه إلى (ى ب.)

« فرج انطون » : هو دخيل فيه مع أنه صاحب الجامعة .

«عثمان صبرى» / اللواء . «سامى قصيرى» / المقطم .

«الشيخ شاويش» : مولع بزيارة دوائر الحكومة حتى لقد زار مصلحة السجون ،
واسكن في سبيل ما يراه حقا ، وترك اسمه الفانى في السجن ، هو وأحد حلى من زملائه في
العطف على المسجونين .

«أمين الرافعى» : إذا كان موقفا في الحماسة توفيقه في كتابه المقالات بشره يكرس
الفناء . هو نجدة قسوية للمصحافة . يحب فيكتور هيمو أكثر من حبه لهالتون .
«مصر» : تادرس شنوده توفيق حنين . عوض واصف .

«الوطن» : صبرى إبراهيم : أهم ما يشمله وضع عنوانات المقالات يمتقد أن المكتوب
يمرف من عدوانه . اسكندر شاهين : الوطن

«جرجى طنوش» : هو مكاتب وادى النيل في الإسكندرية ومحرر في الوطن بمصر .

الأخبار : يوسف الخازن : لو أن الشيخ يرسف الخازن في اعرجاج طربوشه لباطث
الأخبار .

توفيق حبيب : كثير الحركة والنشاط والمعلومات والأثناء .

مصر القناة : كبير محرميها (جراحی) في مضاء المبضع وحدة الفولاذ .

الأهالي : عبد القادر حمزة : هو الآن في أهالي اليوم محل إسماعيل باشا أباطة في أهالي
الأمس ، ولسكنه محل الحسام فقط ، وليست له اليد التي تضرب به عذرة في ذلك السن .

سليمان فوزي : لما فرغت الجوائب من ترشيحه للتحرير ماتت كما تفعل دودة القز .
انتقل من المؤيد إلى الأهالي .

محمد مسمود : انتقل من المنبر إلى قلم المطبوعات فأصبح يقتل نفسه بيده .

محمد فريد وجدى : تنازل عن الدستور للدولة العثمانية بعد أن قالت له تركيا القناة
دستورك بابك .

المنفلوطى : كان يعمل في المؤيد أسبوعياً فأصبح يعمل في المعارف ، يومياً هو في المسدين
توفيق حنين في الأقباط .

خليل مطران : حاول في جوائبه (يقصد مجلة الجوائب) أن يدرك منزلة أحمد فارس
الشدياق ولكن مصر غير الأستانة . وإسلام مطران أصعب من إسلام الشدياق مع محاولة
شوقى وسعد .

لسان الحال واللكه ونجى

يشهيد الله ومجلدات سبع سنوات من جريدة لسان الحال البيروتية أننى أول ما نالته

أسادت المراقبة الصحافية وإنما نكبت أكثر من أى صحافى آخر بالقسيد والضغط على حرية قلمى وفكرى . كانت سوريا أقدم مكان ظهرت فيه الجرائد السياسية ، كالحرية مطلقة لجرائد بيروت لا مراقبة عليها ولا سيطرة حتى بلغ من الخبر والجنان (بطرس البستاني) ومن لسان الحال أنها كانت نكبت بحرية لا تقل عن الحرية التى تمتع بها الآن فى مصر ، وفى عام ١٨٨٥ كفت أحرر لسان الحال ، وبدأت المراقبة فى بيروت . وكانت مسودة الصحف ترسل صباحا وتعاد بعد الظهر فإذا رأى (مساعد الرقيب) أى عبارة يعرف أنها لا ترضى المکتوبجى (الرقيب) حذفها بجزر أسود ، ثم تعرض له أحيانا بعض عبارات لا يدرى ماذا يفعل بها فيضع عليها علامة مستطيلة بجزر أحمر ، ثم تقدم إلى المکتوبجى الذى لا يعرف اللغة العربية ، فيضرب على كل عبارة عليها إشارة حمراء ، ثم يؤثر بكلمة (كور لشدو) هذه كلمة الأجازة ، وتناد إلى محرر الجريدة الذى يحمل الحروف ويحذف ما حذفه المکتوبجى ويضع مكانه مقالات أخرى ، وترسل المسودة ثانية إلى المکتوبجى ، فيجربى ما جرى أولا وهكذا إلى أن تطبع الجريدة ، فلما عجزت عن احتمال هذه القيود تركت بيروت ١٨٩٤ إلى باريس ومنها إلى الإسكندرية فأنشأت للشير ، ولم يكن فى مصر جريدة خاصة بالمباحث الحرة الثمانية ، ومبالغة فى الحرص على سلامتى استعنت بصديق أنجليزى اسمه المستر فولر فوضعت اسمه فى ذيل المشير بصفة مدير ، ولما وصلت أعداد المشير إلى (بيروت) صدر الأمر بإحراقها .

× إن حياة^(١) سليم سر كيس من فضل الوكالة البريطانية ، ساعده اللورد كرومر على حفظ حياته ، فقد طلبته ولاية بيروت من حكومة مصر لها كته ١٨٩٥ وتسليمه ، وعرض الأمر على الوكالة البريطانية

× قال كرومر : أنك تطمن في حكومتك طمنا جارحا فاني قرأت بمض مقالاتك ،
ثم قال : إذا طلبوك فأنت لا تترك مصر أن شاء الله .

وقال لى كرومر : الست (بروتستانتى) ، ألا تذكر قول السكتاب والأنبياء : لا نقل سوا
فى رئيس شمبك .

وكفت كثير العطن ، والشتايم تترى كل يوم ، وقالوا عنى : سر كيس ابن ابليس
وفى ١٨٩٥ نقلت المشير إلى القاهرة ، ونشرت كتاب (سر مملكة) الذى فصلت فيه كيف
قتل مدحت .

× منذ نشأت الجرائد العربية فى الشرق لم يجتمع المال والعقل لصاحب جريدة
واحدة . نحن فى حاجة إلى حالة وسط بين مجلة الضياء مثلا وحمارة منبى ، كانت الحمارة تبيع
١٢ ألف نسخة من كل عدد ، وكان (الضياء) يمانى المشاق فى الحصول على ٥٠٠ مشترك .

× أن الصحفى هو خادم «القرش التعريفية» لأنه يعتمد فى حياة جريدته على إقبال القراء
خصوصا غير المشتركين الذين يشترون جريدته كل يوم ، بقرش تعريفية ، فهو مضطر أن
يرضى ألف شخص ، فانظروا إلى مركز الصحافى الحرج ، متى استاء واحد من جريدته
امتنع عن شرائها .

× جرائدنا العربية فى وصفها وترتيبها وتبويبها وتحريرها وإعلاناتها لم تتقدم منذ
نشأتها حظوه واحدة ، بل لا تزال على حالها كما كانت فى عهد آباءنا وأجدادنا ، وأريد
بالآباء والأجداد : الجنة والجنان فى سوريا والجوائب فى الآستانة لأحمد فارس والمهروسة
والعصر الجديد (أديب إسحق والنقاش) فى مصر ، وتأخذ الجريدة العربية اليوم فتجدها
مثل الجنان والجنة منذ ٤٠ سنة ؛ الصحيفة الأولى للمقالة الافتتاحية ، وأخبار البريد ، والثانية
لأخبار الجهات والثالثة للأخبار المحلية والتلفرافات والرابعة للإعلان .
(م - ٥ تطور الصحافة العربية)

× كان البستاني ينقل لجرائده من الصحف الانكليزية فتقرأ اسم الجنرال مولسكى هكذا ولا تزال حرائدنا حتى الآن تقول (موليك) وكان البستاني يترجم كلمات الاستحسان في خطب البرلمان ترجمة حرفية بقوله (اسموا اسموا) ولا تزال تترجمها كذلك حتى الآن .

المقالة الافتتاحية في الصفحة الأولى ، الصحف ٤ صفحات وبعضها ٨ صفحات ، لماذا لا نجعل مقالنا الافتتاحية في الصفحة الرابعة ، ومختصرة ومفيدة ، فيكون في العدد الواحد في مكان معين معروف ثلاث مقالات افتتاحية ، في ثلاث موضوعات خطيرة .

× نقش المؤيد تحت اسمه بحروف كبرى أنه جريدة يومية سياسية وتجارية ، وزاد عليها اللواء أدبية ، وزاد المفرد العلمية والمقطم كاللواء تماما وكذلك الوطن والدستور .

× اشترك المؤيد ١٧٠ اللواء ١٨٠ المقطم ١٧٠ كالمؤيد ، والجريدة ١٦٠ (قرشا) مع أن الجرائد جميعا تصدر في حجم واحد تقريبا .

× المؤيد تقول أن جميع المكاتبات ترد باسم صاحب الجريدة ومدير سياستها (على يوسف) وليس في المؤيد اسم آخر ، أما في اللواء فتجد أن مؤسسها مصطفى كامل باشا وأنها لسان حال الحزب الوطني وأن جميع الرسائل ترسل باسم رئيس تحريرها ومدير سياستها المسئول الشيخ عبد العزيز جاويش ، أما الأهرام فقد اكتفت بأن المكاتبات ترسل باسم إدارة الأهرام ؛ أما المقطم فقد اكتفت بأن تكون الرسائل باسم (أصحاب المقطم) وأكتفى الوطن باسم صاحبه بحروف عادية كما فعل المؤيد والجريدة ومصر ، بينما كتبت أصحاب المقطم بحروف فارسية .

× يميل رؤساء اللواء إلى النفرة من إشراك المحررين معهم في الشهرة بل يريدون حفظها لذاتهم . وصاحب الدستور يضع توقيمه في عدد واحد على أكثر من مقال ، أما صحف اللواء والجريدة والدستور ، فإن رؤساء تحريرها يوقعون دون سائر أصحاب الصحف .

نهاية للتؤيد

يصور سليم مركيس في مذكراته ماذا آلت إليه جريدة التؤيد في أواخر أيام منشئها
وبد وفاته ؛ يقول :

ان سوء الادارة يرجع إلى أن الشيخ على يوسف جعل نفسه مديراً ومحرفاً فتم له
ما أراد من جهة التحرير وفسد أمره من جهة الإدارة ، ولما شعر بالتأخر سلم إدارتها إلى
اسكندر طراد المحامى ثم عبد الخالق مذكور ، ثم عهدوا برئاسة محرر التؤيد إلى حامد ابراهيم
كل مدة حرب البلقان وحرب طرابلس والحرب الأوربية الحاضرة .

فإذا جاء روتر بتلغراف « أن السير إدوارد جراى ألقى خطبة في (البارلمان) عن الحالة
السياسية صدرت الأهرام وفي صدرها تعليق على ذلك بقلم داود افندى بركت رئيس تحرير
الأهرام ، وهو رجل قضى نحو الثلاثين عاماً في مطالعة الصحف الأوربية والوقوف على آراء
رجال السياسة ثم هو يطالع في الأسبوع ٢٠ جريدة ومجلة أوربية ويستوعب ما فيها .

ويصدر المقطم وفي صدره تعليق على ذلك التلغراف بقلم الدكتور فارس نمر الدكتور
في الفلسفة والعارف بالامات الكثيرة والذي قضى نحو ٤٠ سنة في المطالعة والكتابة ثم يصدر
التؤيد وفيه تعليق على ذلك التلغراف بقلم الشيخ حامد ابراهيم وهو لم يقرأ أصل التلغراف
بل ترجمه ولا يعرف لغة أجنبية ولاقرأ جريدة أو مجلة سياسة وإنما اكتسب بمض معلومات عن
السياسة من مطالعات مقالات الأهرام والمقطم .

سليم مكاريوس قضى شطراً من عمره في أوروبا لدراسة الصحافة وعاد إلى مصر ملأً
القاهرة من أولها إلى أصغر حاراتها ببيعة المقطم حتى لقد نسمع نداء عليه مع نداء باعة اللبن .
وظل مشرفاً بنفسه على البيع .

× محمد رشاد القاضي وحفي ناسف : أنى أكثر الناس احتراماً وتقديراً لرشاد بك وحفي بك ، الأول قاض نزيه وحفي منصف فيور والثانى علامة لغوى مفضل وشاعر رقيق ولكن تحرير المؤيد ليس قضاء ولا رحلة ولا رساله لغوية ولا قصيدة عزاء ؛ تحرير الجرائد يستلزم معركة اللغات والهمة والثناء .

× مدير إدارة المؤيد يجب أن يكون مسيطراً على التحرير متى كان قادراً خيراً يكون مسئولاً عن رواج الجريدة وبعلم أن قلم التحرير إذا أهمل أو أساء أو بالمصلحة المالية .

× لو كنت مديراً لإدارة جريدة لا أسمح لقلم تحريرها أن يجعل مقالاتها الأولى فى الصيام وواجباته أو أسقف اليوم . . فى نفس اليوم الذى تكون تليفراقات روتر قد حملت أبناء سقوط موناستير والاستيلاء على حصن كذا . « هذه خطرات صحفى حشرى » .

إطار لصورة العصر والمجتمع

من خلال الصحافة العربية في مصر

من الاحتلال إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (١٨٨٢ - ١٩١٤)

الأزهر

كان الأزهر قد أبرز في خلال هذه المرحلة مجموعة من الأعلام ، بدأ ذلك بظهور : حسن العطار وتلامذته ، وفي مقدمتهم رفاعة رافع الطهطاوى ، ومحمد عياد الطنطاوى ، قصد أولهما إلى باريس وكان له دوزة الضخم في الترجمة والتأليف ، وقصد ثانيهما إلى روسيا وخدم اللغة العربية ، وأبرز الأزهر حسن الطويل أستاذ محمد عبده .

ثم كانت مرحلة اليقظة التي شارك فيها جمال الدين من خارج الأزهر ، ومحمد عبده الأزهرى الذي ظل بميدان من مناسبات الأزهر ، مؤثرا فيه ، قاضيا ومفتيا ، وكان عرابي قائد الثورة على الاستعمار البريطانى من الأزهر . وقد نفى محمد عبده بعد الثورة فأصدر مع أستاذه الأفغانى « العروة الوثقى » في باريس ثم عاد إلى مصر عام ١٨٨٦ فقاء الدعوة إلى تجديد الأزهر وكان هناك حزب يخاصم المفتى ويعارض دعوته وعلى رأسه يوسف الدجوى ومحمد بنحيت .

ومن الأزهر خرج أعلام برزوا في ميادين السياسة والصحافة: إبراهيم الهلباوى وسمد زغالول وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش وعبد الله نديم والمفلوطى وعبد الله فكرى وحمة فتح الله وحفى ناصف ، وكان الشيخ عبده قد شارك في قانون تعديل أنظمة الأزهر عام ١٨٩٦ واشترك معه حسونه الفواوى ، وسليم البشرى ، وعبد الكريم سلمان وسليمان المبدو هو القانون الذى قدم في الأهمية مواد الأخلاق والحساب والجبر والتاريخ الإسلامى والمهندسة وتقويم البلدان

وكانت ثورة الأزهر ١٩١١ بمسء وفاة الشيخ عبده (١٩٠٥) من أبرز الثورات على تعديل أنظمة الأزهر . وكان أبرز مظاهرها الحيااة المتجددة في الأزهر : « الرواق العباسى » حيث كان الشيخ محمد عبده يلقى دروس التفسير وهى دروس جددت

مفهوم القرآن مرتبطاً بالحياة ، كان الشيخ يلقبها بعد المنزب ، ويقم عليها بعض الحراس فلا يسمح بحضورها لأحد إلا بإذن منه ، وقد إختار لها صفوة من الشباب المتفتح ، حتى أن (رشيد رضا) الذى كان قد اقترحها على الشيخ المقتى ، عند ما حاول تقديم (عبد العزيز جاويز) ليحضر هذه الدروس ، طلب منه الشيخ محمد عبده أن يسأل (جاويز) عن الفترة التى قضاه فى الأزهر ، وهل كانت طويلة أو قصيرة ، فلما علم أنه أمضى فى الأزهر طامين أو ثلاث ، قبله فى الحلقة ، وفى الرواق العباسى فى الصباح كان يلقى الشيخ سيد المرصق تفسير الحماسة ، أو تفسير المفصل للزنجشى .

* * *

(٢) وقد رسم إبراهيم اللويلهى صاحب جريدة مصباح الشرق^(١) صورته مجلس من مجلس العلم فى الأزهر الشريف قال : قال صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى حديث له مع العلامة المحقق أمام اللغة والأدب الشيخ محمد محمود الشنقيطى أن يحيى ابن الامام مالك رضى الله عنه جاء إلى مصر ومات فيها ، فقال الشيخ الشنقيطى بل الذى جاء إلى مصر أخوة محمد فقال شيخ الجامع ويجوز أن يحيى جاء أيضا ومات فيها ، فاجابه الشيخ الشنقيطى أن باب الجواز واسع جدا يدخل منه مالك نفسه وغيره فى الحجى إلى مصر واسكن لا تقبل إلا ما أثبتته الثقة ، وأن كثيرا من الأخبار ينقل غير صحيح ، وقص عليه قصة أبى حنيفة وقتادة التى ذكرها الزنجشى فى السكشاف وسها عن الغلط الذى فيها . وهى أن قتادة دخل السكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا مما شئتم ، وكان أبو حنيفة رضى الله عنه حاضرا وهو غلام حدث ، فقال سلوة عن نملة سليمان ، أذكرأ كانت أم أنثى ، فسأله فأخجم ، فقال أبو حنيفة كانت أنثى ، فقيل له من أين عرفت فقال : من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ، فلو كانت ذكرأ لقال : قال نملة ، ذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة . وأبو حنيفة رضى الله عنه أجل قدرا وأوسع علما من أن يفوته أن التاء فى قالت لا تدل على

تأثيث علة لأن العاء في نعمة للوحدة لا للتأثيث ، والقصة مكذوبة على الإمام الأعظم بدليل أن الاستدلال الذي يليق بالإمام بأنها أنثى موجود في قوله تعالى (فتبسم ضاحكا من قولها) بخادله بعض جلاس الشيخ جدا لا قطعة انصاف العالم الموفق الشيخ محمد نجيت باستصواب ما قاله الشيخ الشنقيطى ، ثم سأل بعضهم عن حوت بونس أذكر هو أم أنثى ، فاستدل الشيخ الشنقيطى على أنه ذكر بالضمير في قوله (للبت في بطنه إلى يوم يبعثون) ثم فصّل الشيخ الشنقيطى قصة أخرى مكذوبة على الإمام الأعظم رضى الله عنه وهى ما نقله الإمام الحافظ في كتابه عقود الجنان في مناقب أبى حنيفة الفهمان الخ .

* * *

(٣) وفي مؤتمر اللغات الشرقية الذى عقد في هيمبرج (ألمانيا) سبتمبر ١٩٠٢ أنثى «مصطفى

بيرم» رسالة عن الدراسة في الأزهر قال فيها :

أن الدين الاسلامى الحنيف لا يجمع من تعلم أى علم من العلوم المعروفة الآن بين الأزهرين بالعلوم الحديثة . كالرياضيات والطبيعيات والعقليات ، ومن كان في شك مما نقول فاعليه إلا أن يلتقى نظرة على تاريخ القرون الأولى من الإسلام ومحافظتها على الدين مشهورة ، فيرى أن جيدها كان مزدانا بسكثير من فحول العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم وألّفوا فيها المؤلفات العظيمة . كانت العلوم الفقهية من رياضية وغيرها تدرس في الأزهر ولكن المشتغلين بها نذر من الطلبة ، وأخذ القول بحرمة بعض العلوم المغلقة يتسرب شيئا فشيئا إلى الأزهر كما تسرب إلى غيره من الجوامع الاسلامية حتى تركت هذه العلوم في الأزهر شيئا فشيئا .

ولكن بفضل الله وكرمه لم يطل الأمر كثيرا حتى قبض الله لنا من علمائنا الأعلام من تنبيه لأسباب فأخرنا العلمى وأخذوا في السعى لإعادة تدريس تلك العلوم النافعة القوية للمساكة الذهبية ؛ ونخشية المفاجأة بإعادة تدريسها للجامع بمد مارسخ في أذهان السكثيرين أن ما بها يعدو على الدين ، رأى ولاية الأمور أن يمهّدوا السبيل لإدخالها في الجامع الأزهر يأخذ رأى أفاضل العلماء الأزهريين ، فسكلموا والذى المرحوم السيد محمد بيرم (من مدرسى جامع

الزيتونة ومدير الأوقاف التونسية وقاضى محكمة مصر) بهاته المهمة العلمية، وبعد أخذ وعطاء بينه وبين الشيخ محمد الانبأبى شيخ الاسلام بمصر، والعلامة محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك العهد، استقر الرأى أن يكتب لهم استفتاء هذه صورته بعد الديباجة :

* * *

« ما قولكم رضى الله عنكم : هل يجوز تعلم المسلمين العلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبييات وتركيب الأجزاء المبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف لاسيما ما يبنى عليه زيادة القوة فى الأمة بما تجارى به الأمم الممارسة لها فى كل ما يشمله الأمر بالاستعداد ، بل هل يجب بمض تلك العلوم على طائفة من الأمة بمعنى أن يكون واجبا وجوباً على نحو التفصيل الذى ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزالى فى أحياء العلوم ونقله علماء الحنفية أيضاً وأقروه، وإذا كان الحكم فيها كذلك فهل تجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرابحة الآن بالجامع لأزهر وجامع الزيتونة والقروين وغيرها؛ أفيدو الجواب ولا زلتم مقصدا لأولى الألباب .

* * *

فأجابه الشيخ محمد الانبأبى بالفتوى التالية بعد الديباجة :

يجوز تعلم العلوم الرياضية ، مثل الحساب والهندسة والجغرافية لأنه لا تعرض فيها لشيء من الأمور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أو دينوية وجوبا كفاثيا ، كما يجب علم الطب لذلك ، كما أشار الغزالى فى مواضع من الأحياء ، وإن مازاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل وزيادة النكسكن فى القدر الواحد فتعلمه فضيلة، ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال بالشكولات الفلسكية على الحوادث المستقبلية فانه حرام كما قال الغزالى وعلل ذلك بما حصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير للكواكب والتعرض للأخبار بالمنبيات مع كون الناظر قد يخطئ لظفاء بمض الشروط ، أو الأسباب عليه لدقتها . أما الطبييات وهى الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية إستحالتها وتغييرها كما

في الأحياء (باب العلم) فإن كان ذلك البحث عن طريق أهل الشرع فلا منع منها ، كما أفاده العلامة شهاب الدين بن حجر ، بل لها حينئذ أهمية بحسب أهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعادن والنبات للتمكن من علم الطب ولمعرفة عمل الآلات النافعة في مصالح البناء ، وإن كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لأنه يؤدي للوقوع في العقائد المخالفة للشرع .

(وعرض لمعلم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالسكياة فأجازها) وقال: فلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات .

وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منافذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والسكلام والجدل ، بل يجب كتماية من هذه الثلاثة ما يحتاج في الحجاج عن العقائد الدينية والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد بالفتوى

الرسمية الآتية رقم ١٧١ :

«إفادة حضرة الأستاذ شيخ الإسلام موافق لذهبتنا ولما استظهره من أن الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة أيضاً ، ولم يتقرر رسمياً إدخال هذه العلوم إلا في ٢٠ محرم ١٣١٤ فأصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الأزهر الآن شاملة للعلوم الدينية وآلاتها ولبعض العلوم الدنيوية وغيرها من العلوم النافعة التي كانت غير متداولة في الأزهر كتاريخ الإسلام وسناعات الإنشاء قولاً وكتابة واللغة فنّاً وأدباً ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان .

ولتنشيط الطلبة على الاجتهاد في هاته العلوم المدخلة حديثاً أوجد أولو الحل والعقد وتخص فهم العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالياً مبلغاً مالياً قدره ستائة جنيهه سدواً يعطى مكافأة للتابعين في هاته العلوم .

(٤) حاول الخديو عباس حلمى الثانى فى مذكراته تصوير موقف الأزهر من وجهة نظره الخاصة قال : كان المشايخ من جانبهم يقومون لى بدور همزة الوصل بينى وبين الجنود ، ولعلمهم لم يكونوا كالأخرين فى تنزههم عن الغرض ، فان الإيمان لا يكفى دائماً لإطعام رجال الدين ومهما يكن إعجابهم بمسرات الفردوس فانهم لا يكرهون أن يتبعوا الطرق التى تقود إليها على خير ما يسمهم من رفاهية ورفد . إني ما حصلت من الأزهر على شىء دون أن أكون قد اشترت مساهمة العلماء من أعضاء هيئة كبار العلماء المشغولة عن إدارته بمنحه مالية .

(٥) وقال حاولت تجديد الهواء فى ذلك البيت القديم : الأزهر الذى لم يشأ أن يتطور مع الزمن فى الوقت المناسب والذى سيجد نفسه مضطراً ذات يوم إلى قبول نظم جديدة ثابتة من خارج هيئة كبار العلماء يوم تولد الثورة داخل هذه المؤسسة التى جحدت التطور . ولا ريب أن ما ذكره عباس حلمى كان حملة حاقدة ، فقد كان الأزهر دائماً مصدر الثورات الوطنية والمقاومة للظلم والاستبداد ، وكان ملاذ الحرية والمقاومة ، ولقد كان عباس حلمى من كبار المداورين المناورين وكانت موافقة مع الشيخ محمد عبده تدل كلها على رغبته فى تأكيد سلطانه وتفوقه .

* * *

أشارت الصحف إلى (جراية الأزهر) .

فى ١٩٠٩ أشار أحمد فتحي زفلول وكيل وزارة الحفانية فى تقريره إليهم فقال : أنه يردهلى الأزهر يومياً ٢٤٤٩٦ رغيفاً منها ٤٠٣٣ رغيفاً من ديوان الأوقاف ، ٥٢٨٩ من وقف عباس باشا الأول ، و ١٥٠٠ من وقف أحمد راغب و ٤٥٣٦ من وقف أوتوزير ، و ٢٤٩٠ من وقف زينب هانم كريمة محمد على باشا و ٥٢٨ من وقف راتب باشا و ٤٦٤ من وقف سلطان باشا و ٤١٤ من وقف الحاج عبده ، و ٥٥٥ من وقف جميلة هانم اسماعيل ، و ٦٠٠ من وقف عمر لطفى باشا و ٣٤٥ من وقف الحاجة رشيدة ، وقد ردت اللجنة ثمن

الأرغفة بمبلغ ١٥٦٠ جنيه في السنة يدفع منها ديوان الأوقاف ٢٦٠٠ جنيهاً .
وقد أشار مصطفى بيرم في رسالته عن الجامع الأزهر التي قدمها إلى مؤتمر المستشرقين بمدينة هامبورج ١٩٠٢ إلى ذلك فقال فقال : المستحقون من الطلبة للجراية محصور عددهم فلا يأخذ الطلبة كلهم جريات بل الجراية لا تصرف إلا للمدد الممين في وقفية الواقف وما زاد على ذلك المدد يبقى منتظراً حتى يخلو محل (وعندئذ تعطى له الجراية ، وأقل مرتب يأخذه الطالب نصف رغيف من الخبز وأكثره ستة أرغفة في اليوم أما العلماء فلا ينقص نصيب أحدهم عن عشرة أرغفة في اليوم .

X وأشارت الصحف إلى أن جراية الأزهر عام ١٩٢٨ (٥٢ ألف رغيف في اليوم) يبلغ عنها ٢٢ ألف جنيه في السنة ، وأن أول عمل للشيخ محمد مصطفى المراغى بعد تولي منصب شيخ الأزهر أن تنازل عن الجراية المقررة له وأمر بتوزيعها على فريق من الطلبة ، وبدأ هذه بأبطالها . وقال الصحف : أن خبز الأزهر من أردا ما يخبز في القاهرة وكثير من الهاورين يبيعونه بأنفسهم أو بواسطة النقباء بثمن بخس .

* * *

(٦) أشارت الصحف عام ١٩١٠ إلى علامة من رجال الأزهر استطاع أن يحصل درجة عالية في الطب هو « الشيخ حامد الوالى » أستاذ العلوم العربية بمدرسة اللغات الشرقية في برلين ، وقد أمضى امتحان الدكتوراه في علوم الطب بدرجة فائقة ، ونشرت الصحف الألمانية عنه فصولاً مطولة حيث لم يسبقه طالب في كلية الطب بما صممه ألمانيا .

وقالت جريدة العلم : أنه من متخرجى الأزهر ومدرسة دار العلوم : أحرز الدكتوراه في العلوم الطبية ، وهذه أول مرة أعطت جامعة برلين أعلى درجة شرف تمنحها الكليات لأزهري في العلوم الطبيعية وفن الطب منذ المصور المتوسطة .

أما الرسالة التي تقدم بها فتشمل على دراسة من كتاب تاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعة

الطبيب العربي المشهور ، وتاريخ أربعمائة طبيب عاشوا في عصور مختلفة وظهروا في أمم ممتدة مع بيان مؤلفات كل منهم وبيانات ذات شأن من تاريخ الطب اليوناني .

وقد ولد حامد والي في ٢٢ ديسمبر ١٨٧١ في بلدة بيت أبو علي (شرقية) ووالده الشيخ حسن والي كان مدرسا بالأزهر والمدرسة الخديوية ، وقد تعلم الدكتور الأزهرى في الأزهر ١٨٨٤ وفي عام ١٨٨٨ دخل دار المعلم ثم عمل مدرسا في المدارس الأميرية وفي ١٨٩١ أرسلته الحكومة المصرية مدرسا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين (٧) أولت الصحف إهتماما بالشيخ محمد بحيث (توفي في ١١ أكتوبر ١٩٣٥) .

فقات عنه الأهرام : أنه كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده ، وقد دفعه إلى تلك المعارضة شهوة المنافسة وتمحريض أولى السلطان ، وكان في نفسه طموح إلى مساماة الإمام في منصبه ونفوذه وشهرته ، وهو من أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفي وأبسطهم لسانا في وجوه الخلاف بين الشافعي وأصحاب أبي حنيفة .

ولد ١٨٥٦ — واشتغل بالتدريس في الأزهر والقضاء وفي ١٩١٤ عين مفتيا للديار المصرية وأحيل إلى العاش ١٩٢١ .

* * *

(٨) نمت المنار (م ٢٠ — ١٩١٧) أحد أعلام الأزهر وصديقا من أصدقاء الشيخ محمد عبده « عبد الكريم سلمان » فأشارت إلى صلة الصداقة بينه وبين المفتي ، وأنهما كانا يسكنان في حجرة واحدة ، وقال رشيد أنه كان أذكى من محمد عبده ، وقد حملا معا في الوقائع المصرية ، ثم خلف عبده بعد اعتزاله العمل ، وأنه ساعده في إصلاح الأزهر وألف كتابا في ذلك . وله مقالات متفرقة في الصحف كالوقائع ومجلة الآداب والمؤيد والمقطم . يقل فيها ماهو موقع منه أو معزو إليه

(٩) وفيما يتصل بصلة الشيخ محمد عبده بالجريدة الرسمية «الوقائع المصرية» قالت الصحف (١)

أنه عين محرراً ثالثاً في الجريدة الرسمية وأن رياض باشا رئيس الوزراء إذ ذاك هو الذى إختاره ، وكلفه بتقديم تقرير ضاف لترقية تحرير الوقائع المصرية ، عين بمدها رئيساً لقلم تحرير الجريدة الرسمية وسمى المحرر الأول ، وعمل معه : سمد زغلول وعبدالكريم سلمان وسعد وفا وإبراهيم الهلباوى وكانوا جميعاً من تلاميذ جمال الدين الأفغانى وقد بدأت الجريدة فى إنتقاد « ما تراه منتقداً فى الأعمال والمسكتوبات الرسمية » وأعطى لرئيس التحرير الحق فى أن تخصص لهما من الجريدة غير رسمى ينشر فيه لنفسه وزملائه ما يرى فى نشره وأذاعته وسيلة إلى الإصلاح المنشود .

وقد كتب محمد عبده فى شؤون الإصلاح كثيراً ، ومن ذلك كتابته فى دعوة الفلاحين إلى عدم النفور من الأعمال التى يكلفون بها ، وكتب عن الثقافة والتعليم مقالات طويلة .

المراة

أولت الصحافة في هذه الفترة اهتماما كبيرا للمرأة العربية: تلميمها وتحريرها وسفورها، وكان رفاعة رافع الطهطاوى هو أول من دعا إلى تلميم للمرأة^(١) في العقد الثالث من القرن التاسع عشر في كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين ، وقد حرصت الصحف والمجلات على تناول هذا الموضوع من بعد حتى صدر كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين عام ١٨٩٩ فأنار شجة كبرى ، بل إن الجبرتي قد أولى اهتمامه بالمرأة ، فقد أشار توفيق حبيب في هامش الأهرام إلى ذلك حين قال : إن الجبرتي أورد في كتابه تراجم كثيرة من سير النساء المعروفات من حريم بعض الولاة والأمراء والسفاجق والملماء وصور «السيدة المصونة والجمهرة المكنونة» ، وأنها كانت من خيرة أهل زمانها ، ولم تخرج إلا من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، ثم من بيت زوجها في نكحها إلى قبرها .

* * *

ويمكن القول بأن عالما بارزا من علماء الأزهر قد سبق أيضا قاسم أمين في الدعوة إلى « حقوق النساء » في رسالته التي تقدم بها إلى مؤتمر المستشرقين في استوكهولم عام ١٨٨٩ ، ذلك هو الشيخ حمزه فتح الله بمفوان « باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام » والشيخ حمزه إذ ذاك هو المفتش الأول للملوم بنظارة المعارف والمدرس بمدرسة الملوم الخديوية قال : أشار على من إشارته أمر أن أكتب شيئا في شأن النساء في الإسلام مما يختص بالعتاية بهن وما توجب الشرع للطهره من حقوقهن ، وفقا لما يتوهمه بعض

(١) راجع كتابنا (الفكر العربي للعاصر) و (الفرق في فجر اليقظة) .

الأجانب من أن النساء في شريعة الإسلام كاليهناء أو النعم السوائم ليس لهن رعاية ولا بهن حفاية وكانت تلك الإشارة قبيل الرحيل بزمن قليل فسكتبت ما يسره الله تعالى .

وقد أورد في رسالته بعض من نبغ منهم في العلوم ، وأحرزن قصب السبق في المنطوق والفهوم وأخذ عنها جهابذة الرجال من العلماء الأعلام ، وقال « إن طلب العلم مشترك الوجوب بين الرجال والنساء ، وبناء على هذا الأصل الديني ، فقد طالما برع منهم كرائم آربين في العلوم على ذوى المهائم ، وتوارىخ الأمة عابقة بعبيرهن ذكرأ، زاهية بأخبارهن زهراً ، بل قد خصهن بعض أئمتنا بالتأليف وبعضهم خصص به المحدثات منهن ، وبعض كذلك لكن بوجه مخصوص التزمه كصاحب مسند النساء وهو مجلد ضخم التزم فيه مؤلفه ذكر الأحاديث التي روتها امرأة عن امرأة ، من غير أن يكون في سندها رجل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما تواليفهن في الأدب والسفر والإنشاء وسرعة البدئية ، فهو بلا ارتياب عديد التراب أو قطر النعام أو زهر السكائم .

وقال : إن من أخذ عنهن الرجال الأعلام كريمة بنت محمد بن حاتم المرزوية ، وزينب بنت أبي القاسم ، وشهادة الكاتبة ، وزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم « وقد لقي بحث الشيخ حمزه فتح الله اهناهما كبيراً حتى أن أحمد مدحت رئيس الوفد المئاني في المؤتمر قال : إن العالم الشيخ حمزه بسبب مؤلفه المختص بشئون النساء المسلمات وواجباتهن وما لهن من الحقوق قد أحرز المجد وحظى بمزيد الشرف بمجل هذا اللغز وكشف ذلك المسمى والمشور على تلك الصالة التي لم تزل منشورة لأوروبا ولم يسبق لها حل معضلها إلى الآن وكلهم يعلم أن أوروبا لم تتوجه أنكارها للدرس ما يختص بالأمر الشرقي إلا منذ عهد قريب وإلى ذلك المهد لم تكن أوروبا تحمل للشرق إلا صورة مجهولة أو شوه غير ذى صروح ولهذا لم توجه عنايتها نحوه ولا أهدت نفسها في معرفة حقيقة .

وجهة القول أن المرأ المسلمة على ما ذكرها، قاصرة للرجل إلى شهواته لتقضاء أوطار زوجها

أو سيدها ولم يملوا أن المرأة المسلمة لو كانت في حقيقة الأمر كما قالوا لم يكن العرق
العربى هو مطلع شمسها ومدرج عنهما جذيرا بأن توجه إليه عنايتهم ولا أهلا لطموح
أنظارهم إليه ، وهل من المحتمل أن ينتج عن تربية امرأة بهذه المناسبة محررة مما يظنون
من كل فضيلة سوى ذلك الفرض الشهوانى ، بنون صالحون للخطط السنوية والمناسب العلية
أو نواد ماهرين أو علماء نبغاء أو شعراء بلغاء أو جهابذة فضلاء .

وقد بلغ من عناية العرب بهن أن شعراءهم يرون أن مدائحهم لا تحوز القبول
ولا تحظى بالصلوات ، ولا يصاح لها بالأشباع إلا إذا صدرت بالنسب واستهلكت بالنزل
وافتمت بأشعار التشبيب . فيكون ذكر عاصمهن في الأماديج داعية إلى سماع القصد
بتامه كإرفع الإسلام الواد وأشار إلى حديث الرسول : حبيب إلى من دنياكم ثلاث
النساء والطيب وجملة فرة عيني في الصلاة .

وقال أن ما نصت إليه الشريعة من أن إنغربوا ولا تضيوا وحض الناشئة على ترجيح
ذات الدين على ذات المال والحسب ، وعلى أن لا يكون الزوج من القرابة لثلاث يخلق
الولد ضاويًا أى نحيفًا وعلى الرجال أن يراعين خصال الزوجات على حسن الخلق مهمن ،
وأن يلفظوا بابتلطفوا في تأديب أولادهم ابنه بالوعظ والتحذير .

وقال : إن التربية في الإسلام ليست قادرة على اسلاح الأجسام وتثقيف العقول بالعلوم
والمعارف بل التربية في شريعتنا أوسع نطاقا ، والإسلام يعمد إلى انتقاء المقاتل وإسطفاء
المكرائم .

X وفي عام ١٨٩٤ وضع مرقص فهمى الهامى كتابا في قالب رواية بعنوان (المرأة
في الشرق) تحدث فيه عن تعليم المرأة ورفع الحجاب والاختلاط وضرر الزواج بأكثر
من واحدة ووجمل حق الطلاق من حقوق الزوجين وأوجب طلبه من سلطة القضاء .

× وفي عام ١٨٩٩ بدأ المؤيد ينشر فصولاً من كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين، وصنع (الأهرام) مثل ذلك ، فقد كان قاسم أمين يلتقي بالصحفيين البارزين ويمرض عليهم خلاصات من آرائه يهد بها لنشر كتابه .

× وفي يوم ١٥ مايو ١٨٩٩ كتب الشيخ علي يوسف في المؤيد بقول :

ألف العالم المفضل والكتاب المجيد صاحب العزة قاسم بك أمين كتاباً جليلاً في أمم مواضيع الهيئة الاجتماعية بوجه عام ، باسم «تحرير المرأة» ، مثل فيه المرأة المسلمة أوضح تمثيل حيننا أن الحالة السيئة التي صارت من مميزاتنا هي السبب الأول في تأخر العالم الإسلامي الحاضر وسأل كل الذين يهمهم شأن مستقبل الإسلام أن يعملوا لتحسين حال المرأة وتحريرها من ربقة ما هي فيه جهد استطاعتهم .

قال المؤلف « قد طرقت باباً جديداً من أبواب الإصلاح في أمتنا واتمست وجهاً جديداً من وجوهه في قسم من أفراد الأمة له الأثر العظيم في مجموعها وأنت في ذلك بما أظنه صواباً فإن أخطأت فإني من حسن النية ما أرجو منه غفران سيئة خطأي وإن أصبت كما أظن وجب على أولئك التلمذيين أن يعملوا لنشر ما أودعته في هذه الوريقات . وتأنيده بالقبول والمعمل . . . إننا نظن أن يكون ظهور هذا الكتاب مصدر تغيير عظيم في أفكار أمة ينشأ عنه فيما بعد تغيير أعظم في أخلاقها .

× وفي ٢٠ مايو نشرت المؤيد تحت عنوان : ترقية شأن المرأة وتحريرها بحمنا قالت أن مؤلف تحرير المرأة يبحث في شؤون المرأة وما هو مركزها في الجمعية البشرية بالنسبة للرجل ووظيفتها في العائلة وما وجهت إليها الشريعة الفراء من تكاليف وأسندت إليها من وظائف .

× ثم نشر في ٢٨/٥/١٨٩٩ المقال الثالث تحت عنوان تربية المرأة وتحريرها .

X وصادت فترة صمت حتى جاءت افتتاحية المؤيد في ١٩ أغسطس ١٨٩٩ تحت عنوان : تحرير المرأة والحجاب وكان كتاب قاسم قد صدر فعلا وأصبح في أيدي القراء . قالت : ما أكثر الذين نحرشوا للرد على حضرة الكاتب الفاضل قاسم أمين صاحب كتاب تحرير المرأة ، ولكن ما أقل المهذبن المتأدين منهم .

وقد وردت علينا عشرات الرسائل في الرد على مواضع (تحرير المرأة) ولكن أكثرها كان شططا ولنظا أو مهارة ، وهذرا فضربنا بها عرض الحائط وتركنا كاتبونا يرموننا بالتحيز لحضرة المؤلف ، أما الآن فقد وافقنا الذين يفتنون القول فيتبعون . أحسنه ويساجلون مناظريهم على شروط آداب البحث ، وقد نشرناها مسرورين مؤملين . أن تلك الفسكرة الشريفة التي بعثت حضرة المؤلف على تأليف كتابه تأخذ بمتابعة النقط الخطأ من التنقيح حتى تظهر فتظهر الحقيقة وتعي بها الحقيقة التي تصونها الشريعة الإسلامية القراء وتطلبها مصالح المسلمين مجردة عن لوث الأوهام .

X وفي ١٣ سبتمبر ١٨٩٩ تردد الكلام عن (الحجاب وتحرير المرأة) ونشرت المؤيد رسالة من (عبد القادر حمزة - دمنهور - أحد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية) وهو عبد القادر حمزة صاحب جريدة البلاغ فيما بعد ونشرت في ١٤ ، و ١٦ ، و ٢٤ ، ردود . وتقد وفي يوم ٢٦ مقال في فصل الخلاف في تحرير المرأة لكاتب من طمطا ، وقد أشار إلى هذه المركة (توفيق حبيب) فقال : بدأ قاسم أمين التحرير بالعربية مستترا ، ونشرت في المؤيد ١٨٩٦ ثم في سنة ١٨٩٧ فصولا تحت عنوان « أسباب ونتائج » وأخرى تحت عنوان « أخلاق ومواعظ » وكانت هذه الرسائل جديدة في الأسلوب وفي طريقة التفكير . وفي وصف الشخصيات فأحدث خجة في الأوساط الأدبية والسياسية .

X ثم بدأ (محمد علي كامل) والد الأستاذ محمود كامل الهامى والكاتب المعروف وصاحب مجلة الجامعة ، بجمع رسائل قاسم أمين ونشرها في كتاب واحد صدره عقده ١٨٩٨ .

يوصف أنها لفاضل مصرى ، ولم يعرف الجمهور أنه لقاسم أمين إلا فى اليوم التالى لوفاته ، وفى مطبعة الترقى الصغيرة لصاحبها محمد على كامل بجوار محل سوممان الساعاتى نشرت المطبعة الأولى من كتاب تحرير المرأة ١٨٩٩ ، ثم وسع محمد على كامل مطبعة الترقى وكانت فى مكان محلات أورزى باك (عمر أفندى) فى شارع عبد العزيز ، وكانت مطبعة الترقى سنة ١٩٠٠ أكبر وأكمل وأخف مطبعة عصرية مديرتها مصرى فى القطر المصرى وخرج بخسارة ألوف الجنيهات .

X فى هذه الفترة كانت هناك مجلات شهرية تصدر فى مصر باسم المرأة ، وتصدها نساء كاتبات شاميات ومصريات منها هند نوفل واسكندرية أفريتو وليبية هاشم .

غير أن هذه المجلات النسائية كان محررها فى الأغلب رجال كما ظهرت كاتبات أمثال ، تريب فواز العامية (من الشام) وفى السنوات التالية ظهرت رحمة صروف التى كانت تكتب فى المقطع وترجم مقالات من اللغة الإنجليزية (١٩٠٨) وساره الميهى التى كانت تكتب فى جريدة العلم (١٩١٠) متعددة عن الحضارة والأخلاق وقد أصدرت من بعد مجلة نسائية .

وفى هذه الفترة ظهرت باحثة البادية (ملك حفنى ناصف) فكتبت فى الصحف وألقت محاضرات فى الجامعة ١٩١١ قالت فى إحدى خطبها : إن كان لفتنة ما أن تجتمع وتبحث فى شؤونها فلا أحق منا نساء مصر وفتياتها أن نكون تلك الفتنة ، فإننا على درجة من التأخر تؤلم نفس التفكير فيها وترجع خطوات واسمات عن سبيل التقدم ، وللتربية عندنا إحدى طريقتين : أما القسوة وأما التدليل وكلاهما نضر فالقسوة ترهق الطفل وتملمه الغل ، والتدليل يطرحه فى مهواة الضرور ، وقد جمعت باحثة البادية مقالاتها هذه فى كتابها (النساءيات) التى طبع فى مطبعة الجريدة وقدم له (لطفى السيد) وكتب عنه عبد العزيز جاويش فى جريدة العلم مثنيا ؛ وكتب عبد الكريم سلمان فى تقرير هذا الكتاب يقول : يمكننى أن أذكر

شيئا سمعته من أن رجلا لقيته في حياتي وكانت سنة إذ ذاك تتجاوز مائة عام وسني سبعة عشر على التقريب . قال ذهبت إلى الأسواق ورجعت حائرا في أمرى ، رأيت امرأة في السوق وما عهدتها قبل هذا النهار إلا قعيدة البيت ، فابن المرأة التي حدث عنها عدتني هذا وزمانها لا يتجاوز المائة والعشرين سنة ، وقد كان مقرها كسر بيتها تخرج منه إلى قبرها وابن المرأة في هذا الزمان ، فقد تراها على وشك الاسفار حاملة قطرها ذاهبة إلى مجمع فيه كثير من النساء يمددن بالثبات وفيهن كثير من المتملمات فتقعد بينهن على مفبر الخطابة (يقصد ملك حفنى ناسف) فقابرى بلا مبالاة على خطتك هذه وأحمى أذنيك من لؤم اللامعات ، وقال : لم تنس ما جرى يوم سافرت بنت المرحوم مهدي (أبو ياقنة) لطلب العلم في الخارج ورأينا بناتنا ناظرات مدارس ثانوية ومفتشات .

لا وظهرت في هذه الفترة فريزة على فوزى (العلم ١٩١١) فهاجمت الاستعمار البريطاني لهوه التربية الإسلامية من مفبر المدرسة المصرية كما ظهرت للافانم الشماخية (العلم ١٩١١) .

ولها بحث عن المرأة في جريدة العلم (١١ يوليو ١٩١١) تقول : ظهر لقادتنا العامان أن من أهم البوايح على انحطاط الشعب جهل المرأة . ولممرى أنهم أصابوا كبد الحقيقة ولكن أين الدواء لهذا الداء ، قد يقال أن المدارس الأهلية آخذة في (إعداد شعب راق) من نساء المستقبل ولكن الظواهر تدل على خلاف ذلك ، لأن البرامج التي أعدت لتعلم البنات تكاد تكون واحدة وواضماها واحد ونحن نعلم ما هي عليه من الققص الميب . لا يخفى أن المرأة نسخة من الرجل ، وعندما أشرقت شمس الإسلام رفعت المرأة السلة من الوهد إلى النجد لأن الله منعها من الحقوق وخولها من المراكز ما كانت تهتم به أو يخطر على بال .

ظهرت هذه الحقوق (الجديدة) لنا معشر النساء للسلمات منذ ألف وثمانمائة وعشرين سنة فقام رجالنا بما يجب عليهم إزائنا . ولم ير الرجال بدا من تعام النساء حتى العلم مع الاحتفاظ بالمرض والافتقار في الثيرة على ناموس الشرق ، فنبتت النساء نبوغا عظيما حتى سارت الرجال من الرجال تشد إلى بعضهم ليستقوا من نهر علومهم .

ولكن دالت الأيام وانمكست آية الإصلاح وحل صفا الجهل محل ضياء العلم ورجعت المرأة المسلمة إلى حالتها ، وتنبه المسلمون فملعوا أن من أسباب ما أصابهم تفرطهم في أمر النساء ، لأن فساد الرجال ما هو إلا نتيجة التربية الفاسدة التي تلقوها على أمهات جاهلات من الصفر . هب رجالنا للأخذ بيد المرأة حتى تفجرب رجالا يكونون مثال الصلاح والإصلاح ليترجموا لأمتهم مجدها وهم قد رموها في بؤرة ضلال . إننا في حاجة إلى إنشاء مدارس للنساء على نسق يتفق عليه النيورون والمفسكرون فيها وهناك يتحقق الأمل في تخريج بنات يكن مثيلات عايه بنت المهدي وولادة بنت المستكفي وأمثالها سابقات الزمن السالف .

× وفي ١٩١٢ بدأت (نبوية موسى) ناظرة مدرسة اللغات بالمنصورة تلق محاضرات في الجامعة التي كلفتها تدريس تاريخ مصر : تقول في إحدى هذه المحاضرات أن كلا الأملين المصرية والعربية قد بلغ الاهتمام بشأن المرأة فيها شأوا بعيداً حتى ساوت الرجل أو كادت .

وتحدثت عن أهمية الدراسة التي تقوم بها ومدى الرسالة التي تحملها : « كآني بسيدات القاهرة وقد بلغن هذا الدرر فقلن مبتلمات ، عبثا تعب هذه الفتاة نفسها وتأتى من مدينة بعيدة لتسرد لنا حوادث تاريخية لا يسكفنا الإطلاع عليها أكثر من تصفح كتب التاريخ ، ومن هي ترى تلك السيدة التي تنكف القهاب إلى إدارة الجامعة لسباع هذا الدرر وهي تحسن القراءة وفي منزلها كثير من كتب التاريخ ، يقنن هذا وقد فأنهن أنى سأبدل الجهود في جعل هذه الدرر أخلاقية نسائية ، فلا أترك فرصة تمر إلا انتهزتها في إظهار مهارة النساء في الماضي والحاضر ، راجية أن أشجذب ذلك همما نحن المصريين فنعرف ما وصل إليه فضليات النساء وكرامتهن فيقتدى بهن في علو الهمة والشم عسى أن تسرد شيئاً من ماضى مجدنا وسالف عزنا؛ أزيد أن تحيا النساء ولو اسما لا حقيقة فيقال أنهن قد إجتمعن اليوم في دار الجامعة ليتناقش بعضهن بعضاً ، ولا يلبث هذا الاسم

ان يصير حقيقة وقد يكسب الإنسان الطبع بمجرد التظاهر به فيمثله ، أريد أن نحيا نحن النساء ولا أرى من عائق في سبيلنا .

وقد أصبح من أنصار نهضة عتلاء الأمة المصرية كما مد إليها عطاء الاحتلال يد المساعدة ولم يعد في سبيلنا إلا الكسل والخمول ، أريد أن نحيا المصريات حياة حقيقية فيتلقي العلم ويسمع إليه سعيًا متواصلًا ، وقد آليت على نفسي ألا أتأخر عن الحضور إلى الجامعة كل يوم جمعة حتى يصبح معلوما لدى السيدات ذلك اليوم .

X وفي هذه المرحلة ظهرت عائشة التيمورية وقد أشار «حسن الشريف» في مذكرات له نشرها في إحدى المجلات قال : كنت أحدث يوما إلى المرحوم حفي ناصف وقد جاء ذكر عائشة التيمورية فقال لي رحمة الله :

هذه السيدة ستتقدم إلى الأجيال المقبلة بلقب شاعرة ، وسيضاف اسمها إلى قائمة إدياء القرن التاسع عشر ، نعم كانت تنظم الشعر إلى حد ما ، أما هذه القصائد التي تقرأها لها في كتب الأدب فليس لها فيها سوى فضل إختيار الموضوع وبمض شطرات ، فقد كانت عائشة تنظم شعراً ركيكا وترسله إلى (أى إلى حفي ناصف) لأنقحه وأصلح من شأنه فكنت أجهد نفسي في التنقيح حتى أوتر أن أنظم القصيدة كلها من جديد وأعيدها فتشرها باسمها . وقال حسن الشريف مملقا : وأعتقد أن الرجل صادق ، فإ كان حفي ناصف في حاجة إلى إدياء شعر غيره ، وهو الفنى بأدبه وشعره وشهرته عن كل ادعاء .

X وفي هذه الفترة قدمت (خلدة أديب) الكاتبة التركية المسلمة المشهورة إلى مصر ، وصلت عام ١٩٠٩ من استانبول وانضمت إلى الحزب الوطني في مصر وألقت الخطب علنا ضد الإنجليز لأنهم كانوا يشجعون اليونان على احتلال أزمير وإنشاء ولاية أرمينية في شرق الأناضول .

X وفي عام ١٩٠١ أصدر قاسم أمين كتابه الثاني (المرأة الجديدة) ردًا على اللقود

التي وجهت إليه كتابة (تحرير المرأة) والمعروف أن كتابه الأول الذي أحدث ضجة
بهذا اشترك في كتابته الشيخ محمد عبده بل كتب بعض فصوله وانهما كانا يراجمانها معاً ولكتاب
تحرير المرأة قصة تتصل بملاقة سمد زغالول ومحمد عبده وقاسم أمين بصالون نازلي فاضل (١) .
وقد صدرت في مجال الرد على تحرير المرأة كتب ومقالات وصحف ومن أهمها كتاب:
لفريد وجدى وآخر نطلعت حرب ، وقد أيد المؤلفين دعوة قاسم أمين في تربية المرأة
وتعليمها واختلفا معه بالنسبة للسفور .

وكان قاسم أمين قد أيد في رده على دوق داركور حجاب المرأة المسلمة وقال أنه
ضروري للمرأة . وأنه خير ما نصان به الآداب العامة ، وقد نقل طلعت حرب هذا النص
إلى المربية في معرض الرد عليه بحسبانها رأيا ارتأه أولاً ثم تحول عنه في كتابه تحرير
المرأة وقال فريد وجدى في كتابه (المرأة المسلمة) : علينا أن نعمل كل ما يمكننا
لنتقرب المرأة من كالمها وتدخل إلى حدود وظيفتها وأن نعتبر ان كل ما يبدها عن هذه
الوظيفة داء اجتماعي يجب التآلب على ملاحته أو بذل الجهد في حصره في محلة ، وأن
كل امرأة مهما قيل أنها مكشوفة لنتجيم أو باحثة في المكروبات هي ناقصة وعاصيته للطبيعة
. وخارجة عن حدود وظيفتها .

وقال : إن للمرأة كالأخاها لا يتأتى لها الحصول عليه البتة إلا إذا صارت زوجة
وأما تلد وتربي وتدبر البيت ، وأن كل شيء يبدها عن وظيفتها ينقص من كالمها ويؤثر
عليها تأثيراً سيئاً . وقال : أنا لا أنكر أن الحجاب شراً ، ولكنني أعتقد أنه مانع من
شر أكبر فهو بهذا الاعتبار لا يجمع من النهذيب ، وقد غير فريد وجدى رأيه هذا
في الحجاب كما غيره بعد ذلك في أشياء كثيرة من شؤون المرأة .

(١) لتوسع في هذا المعنى يراجع كتاب : « الفرق في بحر اليقظة » لكتاب السطور .

ومما يتصل بالمرأة والصحافة نذكر مجلة (مرآة الحساء) التي أصدرها سليم سر كيس باسم «مریم مزهر» حتى يتمكن بها من إدخال آرائه إلى الشام والدولة العثمانية وكانت كتاباته وصحفه ممنوعة عنها ، أصدرها في أول نوفمبر سنة ١٨٩٦ ثم كشف النقاب عنها في مارس سنة ١٩٠٧ وقال : أردت أن تدخل بريد الممالك العثمانية ، ولا أعرف لمریم مزهر مسمى حقيقى ، ولم يكن هذه أول مرة اشتملت اسمها ونشرت به ، وكنت كلما سألت عن مكانها عمدت إلى الحيلة فإذا كان السائل من دمشق قلت له أنها من مصر وإن كان من بيروت قلت له إنما هي من حلب . وفي ذات يوم فوجئ سليم سر كيس بخطاب عن قريب حقيق لمن تسمى مریم مزهر وقد ظهر فجأة ، هنالك خشى سر كيس أن يحضر لمحاسبته على إيرادات المجلة ، قال سر كيس : لقد هدم الخطاب المشروع الذى كنت قضيت وقتاً في إنشائه .

الرحلة

خلعت الصحف في هذه المرحلة بكتابات متصلة عن الرحلة والسفر وزيارة الممالك والأقطار وكان في مقدمة هؤلاء الرحالة: أحمد زكي الملقب من بدمشبيخ المروية، فقد زار (الاندلس) بعد اشتراكه في مؤتمر المسكرفين ١٨٩٣ وكتب رسالة في الأهرام.

(مرفقة و ٢٣ يناير ١٨٩٣)

قال : لم أصل إلى تخوم أسبانيا إلا بعد أن أمضيت في القطار مدة أربع وعشرين ساعة لم تكبحل فيها عيني بأحد الكرى حتى أجهدي السير وأضناني السرى ، ولكن تجددت قواى حينما شمت عبير الأندلس ، واستنشقت نضجاته . وتمت بالنظر إلى صافى سبائه وقد ترسمت بالدرارى . وحينئذ شجعت مع تيار الأفكار ولكنى مالبت أن إنقبض صدرى وعائنى السكابة وتولانى الانزعاج إذا حلت بى جيوش من اللوعة والأسف والحسرة والهدف لأننى تفكرت ماناله الاسلام من المز والافتدار فى هذه الديار أيام كانت تخفق فوق الأندلس أعلامه وتجول فيه أقوامه ناشرة ألوية الفخار والحضارة ، رافعة رايات المجد والكرامة ، أيام كانت خلفه المغرب تفوق مناظرتها فى المشرق بما احتاطت به من أسباب البذخ والذهمة والمرقان حتى كانت ملوك أوربا تنزلف إلى الخلفاء وتلتمس رعايتهم وحمائهم ، أيام نبغ العلماء والمترعون والمكتشفون الذين أفادوا العالم بأجمه ورفعوا كلمة الاسلام وجاءوا بأقوم برهان على إن الدين الحنيف يساعد بكأمانه وجزئياته على البحث فى أمرار الطبيعة وأنه يحض على اقتناء ثمرات المعارف بجميع أنواعها ومطالبها .

وقد كنت وأنا فى باريس درست نحو اللغة الأشبانية للاستمانه به على مخاطبة القوم او مبادله لأفكار معهم مباشرة ، فلما حضرت (ايرون) وتكلمت مع أصحاب الفندق

تحقق لي أن درس النحو شيء ومعرفة اللسان شيء آخر ، وتذكرت أني أكون أول من زار جميع الأندلس من المسلمين والمصريين خصوصا من أبناء هذا الجيل وكتبت ما آراه .

* * *

وتوات رسائل أحمد زكي من مدن الأندلس فكتب من «قرطبة» : رأيت فيها المسجد الجامع الذي لا نظير له في العالم الاسلامي وقد بقيت معالمه الرئيسية على ما هي عليه وانسم بالله أننى أكرت من البكاء الرحيماء درت في صحونه وبين عمدانه ووقفت في محرابه وتأملت ما فيه من غرائب الاتفاق التي لا تخظر على بال مع الفحامة والضخامة ، وكل ما رأيت في هذا الجامع القدي محتوى على اثني عشر ألف عمد من مختلف الصوان وكما منقوشة : التاج والقاعدة بكيفية تخالف بعضها ، أما المحراب فهو مصنوع من أحجار دقيقة مختلفة الألوان متراكبة مع بعضها على نظام النيسفساء فتحدث منها أشكال متناهية في الجمال ، وآيات قرآنية وأحاديث نبوية وإذا نظر الانسان من ذات العين رأى الوانا وأضواء وأشكالاً وتراكيب تخالف كل ما يراه لو وقف من جهة الشمال ، وكذلك الأمر فيها لو وقف في الوسط أو تقدم أو تأخر .

* * *

(٢) وحفلت جريدة «المؤيد» برسائل الزعيم محمد فريد - وهو كاتب ومؤرخ - عن رحلاته إلى الأندلس والمغرب عام ١٩٠١ يقول .

قرطبة : وصلتها صبيحة ٢٣ أغسطس ١٩٠١ فلم يرقي منظرها لأننى وجدت الشوارع الكبرى الموصلة من المحطة لداخل المدينة كلها متربة وغير نظيفة لا بلاط بها ولا حصباء . أغلب بيوتها قديمة إسلامية ، لكل منها فناء تحيط به أعمدة الرخام وفي وسطه فساق الماء والأشجار وفي شبايكها قضبان الحديد فهي تشبه من عدة وجوه ، البيوت القديمة بمصر ، قصدت إلى الجامع الأموي فوجدت ما يدهش اللب ويخلم القلب حزنا ، رأيت مسجدا جامعا تطاولت إليه أيدي التعميب المسيحي (الغربي) فملقت الأجراس في مناراته ووضعت التماثيل والصلبان في مدخله . لكن هذه الاضافات الحديثة لم تشوه من منظره بل هو لا يزال ناطقا بأنه أزر إسلامي (وإذا وقف) الإنسان عند مدخل هذا الحرم الموسع لا يملك نفسه لا أقول من البكاء حتى لا أكون مبالغا ، بل من الشموخ بانقباض النفس وضيق

في الصدر لما يرى هذا المسجد الجامع خاويًا من المسلمين ، خاليًا من الموحدين ، خصوصًا حينما يرن في آذانه صوت الأذنين وترتيل المرتلين وصوت القسوس والرهبان بدل نداء المؤذن وتكبير المصلين .



ويقول : بعد أن تمتت الطرف بآثار الإسلام والمسلمين وتمسرت على هاتيك الدول التي زالت وعت آثارها وردت غرناطة وصحراها وقرطبة وجامعها واشبيلية وقصرها ، أردت أن أمر بمدينة «طنجة» أضخم ثغور الدولة المراكشية لآتمحق من الفرق السكائن بين مسلمي الدول النابرة ، ومسلمي هذه الدولة التي حافظت على إستقلالها الآن ، رغمًا من اكتتاف الفرنسيين لها من الغرب والجنوب . وأقول بكل أسف أن من يريد أن يرى بعميقه كيف تموت الأمم ولا تبدى أي حركة لحفظ كيائها فليتوجه إلى مراكش ، خصوصًا بعد أن يزور أسبانيا .



من الجزائر : (١٣ أكتوبر ١٩٠١) . كنت أظن أن ما تنشره الجرائد عن أحوال المسلمين في الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية تحت سلطان الدول المسيحية (الغربية) مبالغ فيه أو أمثله كراهية الفاتح الأجنبي حتى قاذى حب الإستطلاع إلى القطر الجزائري فرأيت بعيني وتحققت بالخبر ما سمعته بالخبر ، وتأكدت أن مسلمي الجزائر في تماسة ليست بمدى تماسة ، فلا ضمانة للحرية الشخصية ولا الملكية المقارية بل ولا الحقوق الشخصية ، أراضي تسلب وتنزع ملكيتها لتوزع على المهاجرين من الفرنسيين بلائمن ، وأوقاف خيرية تصادر مقابل ترتيب شيء زهيد للقيام بمجاهيات ما بقى من الجوامع والزوايا بعد هدم ما هدم منها ، وإبرياء تزج في السجون بعد أن تحمك المحاكم الفرنسيين ببراءتهم .

ويعامل المسلمون في الجزائر بقوانين مخصوصة في غاية الشدة والصرامة ، فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الإجتاع وحرية السفر وحرية مطامة الكتب والجرائد ، نعم يصعب على الذي يعرف حب الفرنسيين للحرية والمساواة أن يصدق ذلك ولكن من يتكاف

مشقة زيارة بلاد الجزائر بتحقق أن ما هو جائز في بلاد فرنسا غير مباح للمسلمين في
للمستعمرات فلا يجوز لهم أن يؤلفوا أى جمعية ولو لفتح المدارس ونشر التعليم المجرد ، وهذا
الاذن لا يمنح مطلقا كما أنهم لا يجوز لهم تأسيس مطبعة أو جريدة ، ولا يوجد في جميع اقليم
الجزائر غير (جريدة المشرق) وهى جريدة رسمية تكتب في فضل فرنسا على العرب والحض على
القبائل بالولاء ، ولم أجد في جميع مدينة الجزائر نسخة من اللواء ولا من المؤيد مع أن المشتركين
فيها كثيرون ، ولا تصل هذه الجرائد إلا لإدارة البشر مبادلة وهناك تحفظ في حرز مكين
حتى لا تخرج بمض إعدادها من الإدارة فتصل أخبار الاسلام والمسلمين إلى إخوانهم
الجزائريين . وقد منعت الجرائد التونسية التي كانت تنشر أخبار المساكم الإسلامية على الأورام
أيام حرب اليونان مع الدولة العلية ، ولما أرسلت إلى الجرائد المصرية أثناء إقامتي بمدينة
الجزائر حجزتها إدارة البوسطة وأرسلت إلى جميع الجوابات فقصدت إلى المسيو ميرانت
رئيس تحرير جريدة البشر وطلبت منه بتوصيل جرائدي إلى أوروبا بإرسالها بمنوان إلى
باريس فأرسلها إلى بطريقة استثنائية :



ومن الغريب في بلاد الجزائر أنه لا يجوز للمربي أن يسافر خارج المركز الذي يقيم
في دائرته إلا بإذن من البوليس . ولقد مضى على فتح فرنسا للأقليم الجزائرى سبعون
عاما وجيشها للان لم ينقص عن خمسين ألف محارب يكافأها ٥٧ مليوناً من الفرنكات
سدويا ، وما ذلك إلا لتخوفها من الأهالى وعدم اطمئنانها إلى جانبهم واسكن لا يمكن
استمالتهم بهذا الضيق وتلك العامة الخالفة لقوانين المدالة .



ويقول : بعد أقت بوهران يوما وبعض يوم سافرت إلى تلمسان ، أغلب الأراضى
مزروعة كروم ، وأغلب أسماء المحطات أفريقية محضة ، وقد زرت القاضى شبيب بن عبد الله ،
وهو يجيد الكلام بالفرنسية ، وله بالام تام بكل ما يخص بأحوال بلاده وله مواقف في فلسفة

الديانة الإسلامية قدمه إلى مؤتمر المستعمرات في باريس ١٩٠٠ حيث كان السلم الوحيد .
وقال محمد فريد : من أراد الوقوف على درجة إمتهان الفرنسيين للمعربي وإذلاله
وتحقيره علنا ، فليطلع على جرائدكم وبالأخص جريدة الميسور كاربنتير الذي هو أشهر
الفرنساويين عداوة المحرب إذ لا يخلو عدد من مقالته في هذا الموضوع يتألم لها فضلاء
التونسيين .

* * *

(٣) زار (أمين الرافعي) فرنسا والفرن ١٩١١ . وقابل الطلبة المصريين في أوروبا
(٢٠ أغسطس ١٩١١) يقول :

يذهب الطالب إلى أوروبا فيخضع بالفاتن من مدنيتهما وسرعان ما يقع في شركة فتراه
ينفض يده من العلوم ويقبل بكل جوارحه على الملامى .

وبعد أن صور هذه الظاهرة قال : وصفوة القول أنه لا يجوز إرسال أحد إلى أوروبا
للتعميم إلا بعد التحقق من إستقامة أخلاقه وقوة إرادته التي تمكنه التغلب على عوامل
الفساد الفاشية هناك ، أما من ليس لهم وازع من دين أو عقل فكل خطوة يخطونها
في أوروبا لا تقربهم من العلم وإنما تقربهم من الهاوية التي ابتلعت منهم الكثيرون .

* * *

ومن باريس كتب يقول :

ذهبت إلى باريس للمرة الثانية ومكثت بها ستة أيام زرت فيها بعض الآثار والشاريع ،
وأحث المصريين الذين يكثرون من زيارة تلك المدن على مشاهدة ما تحتونه من الأشياء
النافعة ، في ذلك عبرة لنا إذا أنعمنا النظر فيما نحن فيه الآن ، وما سيكون غدا ، ذلك خير
من قصد الشموات وركوب اللذات والانكباب على الملامى شأن كثير من المصريين
الذين يزورون باريس لا لشيء غير ارتكاب المنكرات ، وليسكن لنا أسوة حسنة في الوفد
الجبشى الذي زار باريس ، فانهم عوضوا عليهم مشاهدة الملامى فرفضوا وأثروا رؤية
الأشياء النافعة . وفي مقالات متعددة تحت «عنوان مذكرات سائح» لأمين الرافعي نشرها في جريدة

العلم ١٩١١ كتب عن جولانه المتعددة وزيارته لمفزل فكتور هيجو ، وغيرها من المواقع التاريخية كما كتب عن زيارته لمدينة بنزرت في تونس .

* * *

أما رحلة شوق إلى الأندلس فقد كانت عام ١٩١٥ ، ولم تكن في حقيقتها رحلة بل كانت إقامة منقرب فرض عليه النفي خارج وطنه بأمر السلطات الحاكمة في مصر لأنه هاجم سلطة النفوذ البريطاني في تعيين السلطان حسين كامل . وقد شرع شوق بمجرد وصوله إلى برشلونه ، في تعلم اللغة الأسبانية ، ثم زار الأندلس بمد عقد الهدنة ، ولما عقدت الهدنة ١٩١٨ لم يسمح له بالعودة إلى أواخر ١٩١٩ وقال حسين شوق في كتابه « أبي شوق » أن أشيلية هي التي أوحى إلى شوق رواية أميرة الأندلس .

الصحافة

واجهت الصحافة في خلال الفترة إهتماماً كبيراً من المتمدنين البريطانيين ونورد هنا نموذجين : أحدهما لورد كرومر سنة ١٩٠٣ والآخر للسير ألفرد مورست سنة ١٩٠٩ .

(١) يقول كرومر في تقريره : كان في بدء الاحتلال الإنجليزي ما يسمونه بمسألة الصحافة فإن كثيرين من ذوى الآراء الحقيقية بالاعتبار من الأوربيين والوطنين سواء كانوا موفقين أو غير موفقين رأوا أن إعطاء الحرية التامة للجراند في مصر موجب للضرر .

وقد ظهر لنا أن منح الحرية التامة للصحافة قد لا يخلو من الضرر ، على أن هناك إعتراضين على تقييد حرية الصحافة (الأول) هو أن وجود حامية إنجليزية في القنطرة يضمن أن الكتابات المهيجة لا تقضى إلى الإخلال بالأمن إخلالاً عظيماً و (الثاني) أنه من المبعث سن قانون خصوصى للجراند الوطنية ما لم يتمشى ذلك القانون على الجرائد الأوربية أيضاً ، لأن كل صاحب جريدة وطنية تخشى طائلة القانون ينقل حقوقه وامتيازه إلى رجل أوربي فملاوا اسماً ، أما أنا فسكنت مخالفاً لتقييد حرية الصحافة منذ أول الأمر ، ولكنى لم أعول كثيراً على الاعتبارات فإني رأيت أولاً أن الحجج التي تقوم على تقييد حرية الصحافة لا تعادل الحجج التي تقوم على إطلاق حريتها وثانياً أن كبار رجال الحكومة كانوا يقومون على احتمال انتقاد الجرائد لهم بل على قبل أن يؤثر الإصلاح ، تأثيره المطلوب .

وقد أبدت الحوادث هذا الرأي فمرت سنون كثيرة ، والجرائد المصرية تامة الحرية

(م — ١٠ تطور الصحافة العربية للعاصرة)

ولكن الحكومة اضطرت إلى إقامة بعض القضايا على بعض الجرائد لطمعها على اللوك الأجنب والندوي وأعضاء المائة الخديوية . وكان الرأى العام مؤيدا للحكومة فى تلك القضايا القليلة ولم تكن إقامة القضايا سياسية ، ومع أن القانون يحول الحكومة الحق فى أن تطلب من كل صاحب جريدة أن يحصل على رخصة قبل إصدار جريدته إلا أنها لم تعمل بهذا الحق منذ مدة طويلة . وبالإجمال أن النتيجة جاءت على ما يرام ، على أن الجرائد المصرية من أجنبية ووطنية كثيرا ما تنشر أخبارا غير صحيحة . وكثيرا ما تنتقد إنتقادا قانونيا مفيدا ولكنها تقتبحم فيه أحيانا آراء على غاية من الجهل والطيش بلغة شديدة الالهجة وتنشر أحيانا مطاعن شخصية لا تنشرها الجرائد التى هى أرق منها .

ولا أظن أنه يمكن ذكر حادثة واحدة فى العشرين سنة الحاضرة تدل على أن حرية الجرائد التامة أضرت بالبلاد ضررا عظيما أو أخرت سير الإصلاح الحقيق يوما واحداً وزد على ذلك أن الجرائد الوطنية الساقطة التى تكتب لفئة من الأهالى قليلة العلم كثيرة التصديق وتحاول إضرام نار البغض الجنسى لا تؤثر أقوالها كثيرا . إذ لا تمنح لها فرصة تبني عليها أقوالها وأنه ليسهل القضاء على الجرائد المصرية من باب رسمى أو على قسم منها على الأقل وإذا فرضنا أن ذلك القضاء فى محله ، فإن المسألة وجها آخر وهو أنه فضلا عما لحرية الجرائد من الفائدة القطعية فلا ريب أن الجرائد تمنع بعض الضرر فإن خوف اللشهير على صنعاتها يمنع كثيرا من الشرور وبقلل الميوب التى تصور نظام الحكومة المصرية .

وفى السنين الأخيرة أجمعت آراء الطبقة العليا من الوطنيين إلى أنه يجب أن يكبح جماح الجرائد فى كلامها على الأفراد وقد بحث هذا الموضوع فوجدت أن القانون الحالى المطلق بالقذف واف بالمراد من حيث مراميه ، على أن يظهر عين الانجليزى أن الأحكام التى تصدر هنا فى دعاوى القذف وما يحكم به من المثل والضرر أخف مما يلزم ولكى يستصوب اتصال بعض التنير فى القانون المتعلق بالقصب ، فإن القصب جرم شائع فى هذه البلاد وهو يزداد يوما فيوما فيجب ماملة الفصاين بالشدّة أو القسوة .

(٢) يقول الدون غورست : إزداد قسم من الجرائد العربية في مصر قدها وكلاما تقارنا ازدياداً عظيماً في السنوات الأخيرة وجعل ينشر الأراجيف والأخبار الكاذبة وينشئ المقالات المضللة . وترى الشبان المصريين الذين لا يزالون يتلقون العلوم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية يتهافون على مطالعة تلك المقالات وأمثالها حتى لقد أفسدت ضماز الأحداث المصريين الذين إنما تعلق بهم الآمال في بلوغ مصر الحـكم الذاتي بكثرة ما تلقوه على مسامعهم من أقوال الحماقة والجهال ، يوما فيوما .

وحقيقة الحال أن الجرائد المصرية التي أحياها ومديروها من رعايا الحكومة المحلية قد سن لها بعض المواد في قانون المطبوعات حيث عرفت الجرائم التي تحاكم الصحف عليها ونص على عقوباتها من غرامة وحبس وقانون المطبوعات الذي سن عام ١٨٨١ أما فيما يختص بقانون المطبوعات فقد تبين فعلا أن المواد الحالية فيه لا تمنع الشطط الذي هو موضوع الشكوى فأفضل طريقة للتعلم على هذه السمومات إنقاذ قانون المطبوعات الحالي وهو يقتضى بوجوب الحصول على رخصة إصدار الحريدة أما فيما يختص بمراقبة الجرائد فقد أشارت المادة ١٣ إلى أنه يسوغ محافظة على النظام العمومي أو الدين أو الآداب تعطيل أو قفل أى جرنال أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بمد إنذارين وزد على ذلك بأن معظم الجرائد التي تصدر باللغات الأوروبية لا غيار عليها وإرتقاء قرائها العقلي ضمان كاف لعدم تجاوزها حدود الاعتدال .

الصحافة في فترة الحماية ١٩١٤ - ١٩٢١

أما في فترة الحماية فقد كان في التعليمات الموجهة إلى الصحف أنه لا يجوز نشر أى فصل أو فقرة يراد بهما الإشارة تلميحا أو تصريحيا إلى عدم اعتراف بعض الدول بالحالة السياسية الحاضرة في القطر المصري . وكانت التعليمات سرية ولا يجوز لأصحاب الصحف أن يملئوها أو بذيعوها .

ومن التعليمات السرية التي صدرت لأصحاب الصحف ٣١ أكتوبر ١٩١٧ أنه لا يجوز نشر شيء ما في الصحف ما لم يعرض على الرقيب وتصدر إجازته له ويستثنى الأحوال التي تكون المواد الأصلية للجريدة منها قد سبقت مراقبتها ، ومن الواجب أن تعرض العناوين الكبيرة الآخذة بجانب الصحيفة وغيرها من العناوين على المراقبة قبل نشرها مرفقة بنص التناقضات المتعلقة بها وكذلك الإعلانات المتعلقة بغير ما سلف ذكره من الشؤون ، لا مانع من نشرها بلا مراقبة ، ولكن تلقى على مديري الصحف مسئولية ما يمكن وقوعه بسببها من المخالفة .

وتقدم صورتان من المواد إلى الرقيب للتوقيع عليها ، وتبقى أحد الصورتين عند الرقيب . لا يجوز ترك بياض في صلب الفصول أو الفقرات التي يحذف الرقيب شيئا منها بل ينبغي ضم الأجزاء الباقية بعد الحذف بمضمها إلى بعض بحيث لا يظهر البياض إلا في آخر الفصل (١) أو الفقرة المحذوف منها والفصول التي تعدل الصحف عن نشرها بعد مراقبتها يجب حذف عناوينها وتحت نشر البلاغات الرسمية في الصحف بنصها .

لا يجوز نشر أية مادة بوصف كونها تفرافية ولو كان إطلاق الوصف عليها بطريق الاستنتاج ما لم تكن تفرافية فعلا . من الممنوع نشر الأخبار الوهمية أو الباعثة على الانتزاع ومما ينبغي صرف الالتفات إليه بنوع خاص كل ما له علاقة بالخسائر الناجمة عن حرب

(١) البلاغ ١٢ نوفمبر ١٩٢٣ .

النواصات أو الحالة في روسيا ، أو بغلاء المعيشة في بلاد الخلفاء ولا يجوز قطعا نشر المواد الآتية أو الإشارة إليها : تنقلات الجيوش + حركات السفن الحربية في البحر المتوسط والأحمر والمحيط الهندي وقناة السويس + كل خبر من الأخبار التي تقوى السلطة العسكرية داخل الأراضي المصرية + كل خبر عن الجيوش المعسكرات .

أما الكلمات التي تدعو إلى تسكدير صفاء الأمن والسلامة في القطر يجب حذفها حتما كما يجب تحاشي كل كتابه من شأنها أن تشير الأحقاد الدينية أو الجنسية أو السياسية .
(صدر في ١٢٩ أكتوبر ١٩١٧) .

محاكمات الصحافة

محاكمة عبد العزيز جاويش

كانت سياسة اللورد كرومر فيما يتعلق بالصحافة الوطنية أن يطلق لها العنان ويسمح بظهور صحف أخرى تردد وجهة نظره وتدافع عنها وتبهرى للصحف الوطنية كما كانت تفعل المقطم والوطن ، وكان يطلق على هذا الإجراء كلمة رفع النطاء عن البخار المتجمع ليذهب في الهواء غير أن « فورست » الذى خاف كرومر غير هذه الخطة فقد انضم جانب القصر والاحتلال لمقاومة الحركة الوطنية التى كانت قد فتحت صفحة جديدة من المقاومة العنيفة للاحتلال بزهامة فريد وقلم جاويش ، وقد وقفت صحافة الحزب الوطنى حجر عثرة دون نجاح فورست حيث ركز اللواء على مقاومة الاحتلال فى ذاته لافى سياسته ، ولم تقو الصحافة المعتدلة الداعية إلى التفاهم (المقطم - الأهرام - الجريدة) على مكافحة الصحافة المتطرفة ، ولما رأى الاحتلال أن الخواطر لم تهدأ ورأى صحف الحزب الوطنى بقلم جاويش الفارى تواصل حملتها بدأ فى محاربة الصحافة الوطنية ، فأجبه إلى محاكمة جاويش وكان يستبعد أن تكون المحاكمة مستقلة إستقلالاً بحول دون تأثير الاحتلال عليها .

فما أن نشرت مقالة فظائع الإنجليز فى السودان حتى طلب ممثل الاحتلال رفع الدعوى العمومية على « جاويش » ، ولكن المحكمة برأته ، فكانت البراءة سبباً فى تأكيد مركز الصحافة الوطنية ، وما أن نشر مقال تأييد « دنجرا » الشاب الهندى الذى قتل السير كرزون وبلى الحاكم البريطانى حتى وجه انذاراً إلى اللواء ، وكانت مقالة « ذكرى دنشواى » سبباً فى رفع الدعوى على اللواء وتقديم جاويش إلى المحاكمة بتهمة إهانة بطرس . غالى ناظر النظار وفتحنى زغلول وكيل الحفانية ويرى عبد الرحمن الرافى أن « الجلد »

الذى أظهره جاوبش فى المحاكمة والسجن ، وثبات الصحافة الوطنية واستمرار الحملة على الاحتلال ، وخروج جاوبش من السجن أشد عزيمة وقوة ، كل ذلك دفع الشعب إلى تقايدته « وسام الشعب » وكان موافق اللواء فى كشف مؤامرة مد امتياز قناة السويس بالغ الأهمية ، فقد استمرت الحملة من أكتوبر سنة ١٩٠٩ إلى مارس ١٩١٠ ، حتى أسقطت المشروع وأتى « فورست » تهمة حادث مقتل بطرس غالى على صحف الحزب الوطنى فصدر قرار مجلس الفطار بإيقاف العلم شهرين . . .

وأجبه الرأى فى دوائر الاحتلال إلى إعادة قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ ، وكان القانون يفقد الصحفيين كل ضمان ويجمهم تحت رحمة الإدارة مباشرة بحيث يمكن تعطيل أى جريدة بدون محاكمة . وتنص المادة ١٣ على أنه « يسوغ محافظة على النظام العمومى والآداب والدين تعطيل أو قفل أى جريدة أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بعد إنذارين ويسوغ إضافة غرامة من خمسة جنيهات إلى عشرين جنبا لسكل إنذار يصدر ، وإذا استمر صدور الجريدة أو الرسالة بعد تعطيلها أو قفلها يعاقب كل من محررها وصاحب امتيازها بالغرامة ، وتنفق المطبعة التى طبعتها بأمر من ناظر الداخلية » . وبذلك ألغيت الضمانات التى كانت تتمتع بها الصحافة أمام المحاكم وأصبحت فى يد الحكومة ، وقد أشار غورست فى تقريره عن ١٩٠٩ إلى أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها مراقبة الصحافة ، وأن تطبيقه لا يفتح بابا لتسييس الآمال السياسية كما يكون فى محاكمة الصحف ، ولا يترك سبيلا للمظاهرات ، وأنه فمال فى منع وقوع الجريمة . وقد بدت البوادر لهذا الاتجاه كوسيلة لإيقاف حملة جاوبش فى اللواء والعلم على الاحتلال . وتبين أن القانون أعيد لهدف واحد .

ولم يكتفى بإعادة قانون المطبوعات بل أجبه الرأى إلى وضع نظام لمحاكمة الصحفيين يفقدهم الضمانات التى كان قانون المقوبات يخولها لهم ، وكانت محاكمة الصحفيين على درجتين

أبتدائية واستثنائية ، وقد ظهرت فائدة ذلك النظام في محاكمة جاويز حيث حكمت محكمة أول درجة بتفريعه عن أى إحدى التهمتين ، وفى محكمة ثانى درجة رفعت التهمة وحكم بتبرئته من التهمتين ، وكان من شأن هذا النظام إطالة مدة المحاكمة فيزداد اهتمام الجمهور بالحركة الوطنية ويتطلعون إلى أنبيائها ، وكانت الرافعات التى تلتق فى المحكمة بمثابة خطب وطنية ، فظهر فى ١٦ يونية ١٩١٠ قانون إحالة جناح الصحافة إلى محكمة الجنايات للحكم فيها حكماً انتهايياً .

ولا شك أن بمث قانون الصحافة القديم الذى صدر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ وإعادة العمل به ٢٥ مارس ١٩٠٩ كان عملاً له أهمية ذات خطر ، وقد هاجت الآراء الهدف من التقييد ، واتهمت الحكومة بأنها تخشى ثورة الناس لسوء تصرفها وأن الهدف من إعادة القانون هو أن الحكومة الموالية للاحتلال إنما ترغب فى إحداث مسائل جسام لا تجرؤ عليها والأفلام حرة ، وقد حاولت صحف المؤيد والبريدة أن تصم اللواء بأن خطتها المبنية على العجزة والعنف هى السبب فى بمث القانون القديم . ولم يلبث « جاويز » أن واجه الموقف بكلمته الخالصة « أيها القلم » . .

« أيها القلم : لو كنت سيفاً لأغمدتك فى صدور من يحاربونك ، أو سهماً لأنفذتك إلى أعماق قلوبهم ، ولو كنت جواداً لوجدت لك فى ميادين النزال مجالاً . . للكر والفر ولكنك ذلك العدو الذى أينس ما يقال منه عدوه أن يعالجه بالبراه فيشقه أو بالأصابع فيكسره أو يحطمه ؟

أيها القلم : استلنا أعرابك ، واستهاننا بقوتك ، وأمنوا جانبك ، فدوا إليك بدا مجرمة ، ما كان أولها أن تقطع ، مدوا إليك أيديهم فأغاضوا من معيئك ، وأسكنوا من صريك ، وأوقفوا من حركتك ، وفلوا من حدثك .

كفروا بنممتك التى طالما منحتهم ، وضلوا عن حكمةك التى كثيرا ما أفادتهم ،

كم بلغت الليالى بالأرق ، والأيام بالقلق ، وكم رمتك الدنيا في سبيل هدايتهم بالحن والفتن ،
وأنت جميل الفرض ، نبيل القصد ، تسهر وهم نائمون ، وتجرى وهم قاعدون ، لم يزد هم
نورك إلا ضللا ، ولا علاجك إلا اعتلا ، ولا هدايتك إلا خبالا ، ولا اسما فك
إلا وبالا ، اقتربت منهم فأبمدوك ، وانطلقت ألسنتهم فأخرسوك . وحاولت سلامتهم
فكسروك ، وصفوت لهم فكدروك ، وأحييتهم فأمانوك ، . . وأنشرتهم فقبروك .

أيها القلم : أسكون بمد حركة ، أصمت بعد إرشاد ، ألك كادوا أم لأنفسهم ؟ وعليك
خرجوا أم على وطنهم وأمتهم ؟ وعنك انصرفوا أم عن رشدهم . . ؟

أيها القلم : أهذا آخر عهدك بالقرطيس ، أهذا آخر عهدك بأنامل السكاكين ؟ أهذا
آخر أيامك بالدفاع عن بلاد سقاك نيلها ، وغذاك طيب تربتها . . ؟

أيها القلم : تشيمك اليوم أنفذة أيقظتها ، وهم أعليتها ووطنية أودعتها قلوب
الطاهرين من النابتين . فلتكن أيها القلم كما شاؤا لك ، أما نأما إلى حين ، أوميتا أبد
بالآبدن . فقد تركت بمدك هيونا لا يأخذها النوم ، وقلوبا لا يملكها الياس ، وأيديا
لا تخاف السلاسل والأغلال ، وأرواحا تفدى الحرية والاستقلال .

وأنت يارب القلم : أصبر على ما سينزل بك وأنت رابط الجأش ، قوى الفؤاد ثابت
المزم ، فلا تزعجك نيران الاستبداد ولا ترهبك حكومة الأفراد ، فكم إبتلى قبلك
الصلحون ، وكم أعنت في سبيل بلادهم العاملون ، ولا يصرفك عن تأييد مبادئك ، والدفاع
عن عزيز وطنك ما يرجف به المرجفون ، فيد الله فوق أيديهم ، والله لا يهدى كيد
الغائبين (١) . ١٤٠ هـ

٢ - وقد أشار أحمد شفيق باشا في مذكراته عن هذه الخطوة فقال أن « جراهام »

نائب غورست قابل الخديو، وتحدثنا عن الصحف المصرية وأنها تبادت في الطمن وأشار إلى ما نشرته اللواء من فصول مدحت فيها « دنجرا الهندي » قائل اللورد كرزون في إنجلترا واعتبرت عمله وطنيا خالدا وحضت على التشبه به في وطنيته وأن « جاويشا » نشر مقالا شديد اللهجة طمن فيه في حق بطرس غالى وفتحى زغلول مما أدى إلى أن لوح بطرس باشا بالاستقالة إذ لم ينذر اللواء وأشار شفيق باشا إلى أن جاويش أثار عاصفة من النقد على كلمة « روزفلت » وخطابه في الجامعة .

وقد كان وانحما أن عودة قانون المهنوعات إنما قصد بها محاربة صحف الحزب الوطنى وقد أشار (جاويش) إلى أن الصحف الاحتلالية تخرج طائفة بسبب الصحف العربية والطنن في كرامة أصحابها ومحريها ، والتطرف في نسبة كل ما أصاب ويصيب هذا البلد إلى سياستها وإغرائها في إثارة نفوس الأمة ، ورد على ذلك بأن الجرائد العربية التى يعنونها لم تكن الكاذبة ولا الخاطئة ولا المتطرفة ولكنها تعودت الجهر بالرأى والصراحة بالنصح ، ولم يطمع أصحابها في مال ولا جاه .

ولم يقف الأمر عند هذا بل أثير في عام ١٩١٠ بأن هناك قوانين جديدة لتغيير الصحافة ، فتصدى لهم جاويش بقوله : « إن غاية ما تستطيع الحكومة أن تسلك من الكلام ، وتمنع الأفلام عن الصرير ، والأشخاص عن الاجتماع ولكنها لا تستطيع أن تمنع القلوب عن التفكير ، والنفوس عن الانفعال . ولقد أشار « جاويش » إلى أن بعض الصحف (لا كل الصحف) هى التى يطبق عليها قانون المطبوعات ، وأوماً إلى أن القوانين المقيدة جميعها إنما تستهدف قص أجنحة الأفلام الوطنية وحدها ، وهذه عبارته « بينا إحدى الصحف (يقصد المقطم) لا تحاسب على ما تنشره في العالم مما عسى يكدر السلام ، بينما ترى في السكفة الأخرى صحفا ربما أوخذت حتى على غير السطور ، وعوقبت حتى على وساوس الصدور (١) .

ولم يتردد في أن يكشف المصحف التي اتهمت جاوويشا بأنه السبب الأول بكتاباتنا في هذه القيود فقال « ظهر قانون المطبوعات فوجدنا بعض الصحف تصبح هلما فسكتبنا نطقتهم وأريناهم أنه لا خوف إلا على الذين وقفوا حياتهم على خدمة بلادهم وصحفهم على ارشاد أمتهم ومحاسبة حكوماتهم . أما الذين اتخذوا صحفهم أثرا كما لمنفعة أو شفعا بين يدى سلطان أو أمير فهؤلاء في سياق من مقاصدنا لا يهدمه قانون المطبوعات ، وقد عاش هؤلاء يسرحون ويمرحون بينما تأخذ الحكومة بتلابيب غيرهم فتحاسبهم على ما يعملون وما لا يعملون وتأخذهم بما يقصدون وما لا يقصدون » .

ولم يقف الأمر به عند مهاجمة الصحف العربية غير الوطنية ولكنه كان بالمرصاد دائما لكل الصحف الأوروبية والأجنبية التي تصدر في مصر ولم يدع كلمة لجريدة التيمس أو رايًا منصرفًا إلا عارضها فيه ، ورد لها الصاع صاعين . . وهو يرى أن الصحافة الأوروبية على العموم ناقصة العلم بما يسطر في جرائدنا ، وإذا تعرفت بنقل بضعة أسطر من كتاباتنا فإن مترجمها يسخون في الغالب ما ينقلونه أو تكون الجمل متقطعة متناهية في القصر وغير منتخبة بطريقة عادلة تمكن الفكر من التفهم لآرائنا ومبادئنا (١) .

وقد كان إيمان « جاويش » بذهبه في الكتابة القائم على مقاومة بريطانيا كدولة محتلة أساسا والكشف عن مؤامراتها ، وتوجيه الضربات إلى عمدائها وأعوانها في مصر ، واستحالة قبوله الأمر الواقع في الاعتراف بوجود الإنجليز ، ونقل المعركة إلى تصرفات بريطانيا في مصر ، كل هذا عرض « جاويش » لتعاب لأحد لها ، تمثلت هذه التعاب في ثلاث دوائر : المراقبة الشديدة ، والمحالكات ، والسجن .

فقد وضع تحت رقابة شديدة في بيته ومكتبه وأصفاره وتنقلاته على نحو مشير ، بحيث كانوا يتعرضون له ويهددونه ، ثم وضعت كتاباته تحت مراجعة دقيقة فحوكم ثلاث مرات .

(١) ، أغسطس ١٩١٠ (العلم) .

وسجن مرتين . وما كانت تحدث في مصر حادثة من بعد إلا كان هو في مقدمة من يحقق معهم أو يسجنون ، وفي يوم حدث مقتل بطرس غالى أجرت النيابة معه تحقيقا دقيقا ، ومن أجل مقالة عن دنجرا أنذرت اللواء ، ومن أجل مقالة عن حادث السكاملين في السودان قدم للمحاكمة الأولى ، وقدم مرة ثانية عن مقالة « ذكرى دنشواى » وسجن ثلاث شهور ، وفي المرة الثالثة كانت محاكمته وسجنه من أجل مقدمة ديوان على النابانى « وطنيتى » .

وفي المواقف الثلاثة والمحاكمات الثلاث كان رائما ، نفس الطيبة الغفيرة بالشجاعة والمقدرة إلى حد العنف الذى يكتب به ، والجرأة التى يحملها على سن القلم ، كان يعرف تماما الجو حوله ، وكان مؤمنا بأنهم يريدون أن يتخلصوا منه بالسجن أو النفى أو أى وسيلة أخرى يقاوم الاستعمار بها ، الأحرار « أحرار القلم » ولسكنه كان مؤمنا كبير الايمان بالله ، قادرا على أن يواجه المارك ، وقد روى لى الدكتور محمد فهمى الفولى صهره وقد عاش معه هذه الفترة كيف كان يعرف بأنه مقدم للمحاكمة وأنهم يطلبونه غدا أو يفتشون منزله ، أو يدبرون المؤامرات ويرتبون له خطط الانتقام ليحكموا عقوبته ، فلم يكن يصرفه ذلك عن برنامج الطيبى ، ينام ملء عينيه ، ويؤدى واجباته كما هى ، ولا يغير من عاداته شيئا ، فإذا كان خارج المحكمة وعلم بالحكم ، أسرع من فوره فلم نفسه لأقرب قسم بوليس ، لا يتردد ، ولا ينتظر حتى يخطروه أو يرسلوا له من بهلته الحكم . وكان أمره في سجنه ، كأمره خارجه ، لا يضيق بشيء ، يقرأ فى كتابه أو يصلى أو يتأمل ، دون أن يفارق وجهه إبتسامة وهدوء ، وهو أيضا يحمل تسكون شخصيته موضع المهابة والتكريم . .

٢ - قضية السكاملين

الرومان : عام ١٩٠٨

للاكان : القاهرة

أطلق على محاكمة الشيخ جاويش الأولى « قضية السكاملين » وكان عنوان المقال (دنشواي
أخرى في السودان : ٧٠ مشفوقا و ١٣ سجيننا) كتب في الموضوع مرتين يوم ٢٧ و ٢٨
مايو ١٩٠٨ ولم يكن قد مضى على توليه رئاسة تحرير اللواء خمسة وعشرون يوما . وكان
(عبد القادر إمام) زعيم ناحية السكاملين إحدى مناطق السودان قد أدهى النبوة في هذه المنطقة
وتبمه السكاليرون . فاعترضت حكومة السودان وحاولت القضاء على نفوذه ، وسيرت إليه
قوة يهودها المستر مونسكريف المفتش ، ودارت معركة بين قوات بريطانيا وقوات عبد القادر
إمام انتهت بمقتل مونسكريف ومن ممة من الجند ، فلم تلبث حكومه السودان أن أسرعت
بإرسال قوة كبيرة بقيادة ويكسون مدير النيل الأزرق وانتهت للمعركة بهزيمة عبد القادر
وقتل بعض الضباط من المصريين والانجليز .

ووصلت بعض المعلومات بوسيلة أو بأخرى من السودان إلى جريدة اللواء ، فكتب
جاويش منتقدا تصرف حكومة السودان معلنا أن تصرفها هو الذي أدى إلى استفحال الشر
وإراقة الدماء ، وأن السياسة البريطانية إنما تهدف من أثاره هذه الفتن منع الاستقرار الذي
من شأنه أن يدفع مصر إلى المطالبة بحقوقها في السودان . وذهب جاويش إلى أن الانجليز
هم الذين أوقدوا الفتنة ، ودفنوا عبد القادر إلى هذا السبيل الذي انتهجه ومنوه بمجد يسوقونه
إليه وغايتهم أن يمشوا بحالة الاستقرار التي أوشكت أن تسود السودان ، وليخلقوا لهذه
الفتنة أسبابا يبررون بها استيلاءهم عليه ، والحيلولة بين المصريين وبينه . وأن الخبر الذي وصل
إليه هو الحكم بالشفق على ٧٠ رجلا من الأهالي ، أعدم منهم ٤٠ ، وحكم على ١٣ آخرين
بالسجن . وكانت أخبار السودان تصل إلى مصر عن طريق بريطانيا فتذيمها ببلاغات من
وزارة الحربية أو أخبار تسوقها (جريدة السودان) التي كان يقولها أصحاب المقطم وهي جريد

شبه رسميه ، أما جريدة اللواء فكانت ممنوعة من دخول السودان ولا سبيل لأن يرسلها أحد . وقال جاويش أن هذا الحكم مخالف لقواعد الانسانية ، ولم يكن ما نشره جاويش مبالغا فيه أو بعيدا عن الحقيقة المثبوتة في الصحف الأخرى ، فقد نشرت جريدة المقطم في ٢٩ مايو أن المحكمة العليا انقضت ، وأن الحكم لم يصل ، ويرجح أن يكون بالاعدام على ٧٠ شخصا ، وذكرت جريدة السودان أن عدد المحكوم عليهم أكثر من مائة . وأسرت حكومة السودان فجمعت أعداد الجريدة وحرقتها أثناء محاكمة الشيخ جاويش وحالت دون حصول الدفاع على نسخة منها حتى لا يجد الدليل على صحة ما ذهب إليه . وقد بدأ واضحا من سرعة تقديم جاويش للمحاكمة ، وتحديد جلسة سريعة وعدم وجود أدلة أكيدة ، ومحاولة اخفاء المستندات التي تؤيد رأيه إنما يراد ضربه بضدة منذ الشهر الأول لتولية رئاسة تحرير اللواء بعدما بدأ من عصف مقالاته وجرأته ، حتى أن جريدة « الجريدة » وهي المعتدلة الرأى كشفت عن هذا الموقف حين ذكرت (٣١ يونية سنة ١٩٠٨) اهتمام الحكومة « اهتماما شديدا بتحقيق قضيتها على الشيخ جاويش وأنها أسرعت في تحديد جلسة لها على خلاف المادة المألوفة في قضايا النيابة وقالت : « أن ذلك يشمر بأن الحكومة لا تنظر لهذه القضية بنفس النظر الذي تنظر به جميع الدعاوى العمومية بل بنظر صاحب الحاجة ، ولكن لا خوف فإن في مصر قضاة » . وأضافت « أن النيابة لم تصل في تحقيقها إلى دليل يثبت أن الكاتب كان يعلم كذب الخبر وقت نشره بل كل ما في المقالة من المعاني والعبارات تدل على أن الكاتب كان يجهل جهلا تاما أن هذا الخبر كاذب » . وكذلك دافعت عنه « المؤيد » . وقال الشيخ جاويش الذي كانت سنة إذ ذاك (٣٦ سنة) عبارة واحدة حاسمة أمام القضاة « إن رويت خبرا بغير سوء قصد » .

وكانت النيابة العامة قد وجهت إليه تهمة « تسكير السلم العمومي » بسبب اللمهجة الشديدة التي حرر بها المقال ، وأبرز المدافعون عنه « محمد فهمي حسين - أحمد لطفي »

أهم وجوه الضعف في الاتهام . وهي أن النيابة عمدت إلى عدم استحضار أوراق قضايا السودان والضعف التي نشرت عدد المحاكمين ، وقالت أنها هي الركن الأول في الجريمة . وإنه إذا كانت حكومة السودان صادقة فيما بلغته إلى نظارة الحربية، فلتبادر إلى إرسال محضر هذه القضية . . . وأشاروا إلى أن تكدير السلم العمومي بالنسبة للسودان مستحيل لأن « اللواء » محظور عليه الدخول في بلاد السودان ، فضلا عن أن جريدة المقطم لسان حال الاحتلال قالت بعدما ذكرته اللواء أنه خبر محتمل الوقوع ، بل ربما كان عدد الذين حكم عليهم أكثر من أولئك الأشقياء ، إذ الجريمة ظاهرة ثابتة ، وقانون البلاد واضح جلي . ومعنى هذا أن ما نشره « اللواء » ليس موجها لتكدير السلم العمومي ، بل أن هناك ما يثبت أن ما قاله اللواء صحيح ، وأن عدد من حكم عليهم يفوق المائة كما قال حاكم السودان في مخاطبته الرسمية . وقال أحمد لطفى : « إن القانون اشترط لتطبيق عقوبة الخبر الكاذب أن يترتب على النشر تكدير السلم العمومي بالفعل ، وقد طالب المشرعون إلغاء هذه المادة محتجين بأن نشر الأخبار الكاذبة ، ليس من الأمور الجنائية التي يصح العقاب عليها ، ولكن سياسة الحكومة قضت ببقائها دون التعديل . وأشار أحمد لطفى إلى ما ذكره الاستاذ جاروا المشرع الفرنسي من أنه يكفي وجود هذا النص في القانون لتمكين حكومة لا تراعى الذمة أن تحاكم عند الاقتضاء خصومها في السياسة وتقضى عليهم بالعقوبة وأن تمحو وتهدم حرية الصحافة . وأن « جاويش » دخل ميدان الصحافة تحت سيطرة هذا القانون بجنون ثابت ، وقلب ظاهر يلتهب حبا في « خدمة الأمة وإرشاد الحكومة » . .

وما كاد يضع قدمه في إدارة اللواء حتى حفت خدمته بالمسكاره واعترضته الصعوبات ، ولكن الرجل القوي ملأ قلبه حب أمه لا يقف كفاحه عند حد بل يتلذذ بالمعارك ولا يحفل بالمسكاره ويركب كل صعب وأشار الدقاع إلى أنه لم تمض بضعة أيام حتى وقعت تلك الحادثة الكبرى التي روعت القلوب ورملت النساء ، وبادر « جاويش » إلى ذكر ما وصل إلى علمه مطالبا ببيان أوفى ، وقال أن التفاصيل التي أبلغتنا إياها الحكومة رسميا لم تكن كافية

للقوف على الحقيقة والبصيرى بين السطور أن الحادث على النحو الذى بدأ به لا بد أن يستفعل أمره ، وهى حالة مطلوب منها من أن تجلى الحقيقة بكل إيضاح ، وأن جاويش أورد الخبر مورد الذى لم يتحقق تماما من صحته وعاق عليه تعليقا أغلظ فيه القول للحكومة ونعى عليها التسوية فى نشر أخبار الحادث ، وأسرت الحكومة فبلت الصحف أن القدين قدموا للمحاكمة ٢٣ برىء منهم ٣ وحكم على ١٤ بالإعدام والباقي حكم عليه بالسجن . وأشار إلى أن جاويش إمتنع عن إبراز الخطاب المتضمن للرسالة السودانية ومركز واسم الوجيبين اللذين استشارها فى نشر الرسالة ، وقد عد هذا دليلا على سوء القصد . وقال : إن الاتهام يحاول إغراء التهم بارتكاب فعل مغاير لمبادئ الشرف . . . والواجب الصحفي ، وأبدى دهشته من أن يطالب الصحفي بذكر أسماء الأشخاص الذين ائتمنوه ووثقوا به ، فأرسلوا إليه أخبارا ، وأضاف بأن شراح القانون أباحوا للصحافى والسياسى الحق المطلق فى كتمان اسم الكتاب أو المرسل .

وقد صور القاضى « محمود رشاد » كيف كان حكمه ببراءة « جاويش » مصدرا للتلاعب فى حياته فقد جعلها من بين الأسباب التى حملت الإنجليز على الوقوف عقبه فى سبيل ترقيته ، بعد أن قضى سنوات طويلة رئيسا لمحكمة مصر ، فقد عين كثير من رجال المحاكم السكايمة مستشارين دون أن يكون هو واحدا منهم .

وروى موقفه من قصة جاويش وكيف أنه لما برأه فى محكمة ثانى درجة قامت القيامة عليه وهاج الإنجليز هياجا شديدا ، واستدعاه المستر برايتون نائب المستشار القضائى وقال : سترفع نقضا عن حكمك ، قال رشاد له : افعلوا ما شئتم ، ولم يكسب للمستر برايتون القضية فى محكمة النقض إذ أيدت المحكمة حكمه ببراءة الشيخ .

وقال محمود رشاد : لقد وجه إلى المستشار القضائى سهام اللوم والتقريع ، وقال له برونيوت : أنت تقف لنا دائما فى الطريق ؟ ثم شطب اسمه بعد أن رشح رسميا لوظيفة مستشار فى الاستئناف .^(١)

(١) محمود رشاد : ٧ مايو ١٩٢٤ جريدة المحروسة .

وقد أشارت الصحف إلى أن تبرئة جاويش كانت مثار إعجاب الجماهير التي استقبلته بالهتاف وحسن التكريم ، وبلغت الحماسة مبلغها . وتقدم إلى العربية التي كان يركبها نفر منهم أبوا إلا أن يحملوها على أعناقهم ، وقالت اللواء^(١) أن الموكب سار مخترقا الشوارع فلما وصل شارع المدايح كان الزحام قد تضاعف عن انضمام إلى المظاهرة ، وكاد الطريق ينسد بالتيار الزاخر ، وحين وصلوا إلى قهوة جورج أمام جريدة الأهرام وكان البوليس يزاحم الناس ، ونفج عن ذلك أن تسكرت بعض للناضد . وعلقت الصحف على البراءة فقالت أنه يستنتج منها أن التهم لم ينشر الخبر باعتباره صحيحا وأن الخبر نفسه لم يقب كذبه .

وتوات برقيات التهنئة ونظم الشعراء عشرات القصائد وقال أحمد نسيم :

يا أعمى الانام نفسا وذيلنا وأجل العباد بين العباد
إن يوما خرجت فيه بريثا هو عيد من أشرف الأعياد
إن من يجعل السماكين متنا لكثير الأعداء والحساد

وقال إمام العبد في قصيدة طويلة :

أنت علمتنا الحياة فسرنا يا فتى الدهر نحت ظل اللواء

وبين نشر المقال في ٢٨ مايو ١٩٠٨ وحكم البراءة في ٤ أغسطس ١٩٠٨ وبين استئناف الحكومة للقضية وعرضها أمام محكمة الاستئناف في ٣٠ أغسطس ١٩٠٨ وتبرئته تبرئة تامة من تهمة نشر الخبر الكاذب ، وتهمة إهانة نظارة الحربية كان الشيخ جاويش يكتب ولا يكف عن مهاجمة بريطانيا ، ومن أم كتاباته مقاله « يد الأنجليز في مقدونيا » نشر في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٠٨ .

(١) ٢٩ يوليو ١٩٠٨ (الصحف)

غير أنه لم يلبث أن عاد إلى مهاجمة الإنجليز بنفس القوة والمهف في ٢١ سبتمبر ١٩٠٨ دون أن يكون لما لقيه من متاعب أثر في تخفيف لهجته وهذه عبارته : « يقول الخبيريون بماجريات المواليد الطبيعية بأن الكائن الحي لا ينمو إلا من باطنه ، فالهبات مثلا لا يفمو بإضافة أفرع عليه من الخارج ، ولا يمد مورقا إذا الصق به شيء من الأوراق الطبيعية أو الصناعية ، وكذلك الشآن في باقي الأجزاء لانكون في الهبات إلا إذا تولدت في ذاته تولدا ، وبرزت منه بروز الأجزاء المسكوة ، من لنا أن نكون مع الإنجليز كالهبات بالإضافة إلى مواد الغذائية ، وهم يريدون أن يفتنوا بفقرا ، ويقروا بضمففا ، ويخلدوا بزالنا ، تقتحما عيونهم ، وتمقتفا نفوسهم ، يريدون أن يأمرؤا فتمقتل ، ويكلفوا فتمعمل ، ضيقوارداء أفكارنا ، وسرح أبصارنا ، حتى لا نكاد نجد مجالا للحركة ، ويقيدوا أراءتنا ، وهواجس نفوسنا ، حتى خيل لكثير معا أى منهم رقباء حتى على خواطر النفوس ووساوس الصدور . : »

ولم تلبث القضية أن حوت إلى « الفقض والإبرام » فأيدت حكم البراءة في ٢٨ سبتمبر ١٩٠٨ ، وما زال هو خلال ذلك يكتب دون توقف مهاجما الإنجليز ناقدا كل تصرف غير وطني .

٢ - ذكرى دنشواى

وقم حادث دنشواى ١٩٠٦ فى مصر واهتزله الرأى العام العالمى ، وكان للحركة الوطنية وسعها وكتابات مصطفى كامل بالذات فى صحف أوروبا ، أثر بعيد المدى فى زعزعة مركز بريطانيا ، مما حملها على سحب ممتدها «كرومر» من مصر بعد أن ظل ممثلاً لها ربع قرن . وأصبح يوم ذكرى دنشواى من الأيام الخالدة التى يحتفل بها ويستمد الحديث عنها ، ومناسبة وطنية لا يقاظ الوعى والتعديد بالإنجليز . وقد سادت ذكرى دنشواى عام ١٩٠٨ وجود بطرس غالى رئيساً للقطار ، وكان إبان الحادث ناظراً للحقانية ورئيساً للمحكمة المخصوصة التى علفت المشائق قبل نظر القضية وإصدار الأحكام . وكان فتى زغلول عضو محكمة دنشواى إبان هذه الذكرى قد رقى وكهلاً للقطار الحقانية .

وكان لا بد أن يناول «عبد العزيز جاويش» هذه الذكرى بمقال ، غير أنه على طريقتة فى العنف والشدة لم يتردد فى أن يوجه لبطرس غالى وفتى زغلول ألسى عبارات اللوم والتفريع والانتهاج ، ولا شك كان تولى بطرس غالى لرئاسة القطار بعد اقصاء مصطفى فهمى قدواجه روحاً من السخط من قبل الشعب واستقبل بحملة غاية فى العنف من الحزب الوطنى لارتباطه فى نظر الشعب بحادث دنشواى والمحكمة المخصوصة . كما تجدد التذكير بحقوقه من توقيع معاهدة ١٨٩٩ من أجل تسليم السودان إلى الإنجليز . وفى هذا يقول جاويش :

« حاربت الجهود المصرية السودان وفتحتة بدميونها وما قدمته من أرواحها المزينة ، فلما فتحت فى أوجهم أبوابه ، ادعى الإنجليز أنهم شركاء فيه بالفصف وعرضوا الأمر على الحكومة المصرية فهمت تنس عطوفة رئيس القطار بالبحث فى المسألة ثم رأى أنه ربما

أرغفه هذا المم شيتا من النصب والقعب إلبجا إلى أقل الأمرين ضررا وأخفهما احتمالا ،
وقدك حول على وضع اسمه الشريف في عقد الاتفاق بين مصر والحكومة الإنجليزية ،
أو بين الحكومة الإنجليزية ونفسها ، ثم وضع اسمه الشريف على كل ميزانية سنوية قدر
الإنجليز منها للسودان ما قدروا من أموال الحكومة المصرية المتقنة بالديون .

هذا موقف « جاويش » في مايو ١٩٠٨ قبل أن تحمل ذكرى دنشواى ، فلما حل
موعد الذكرى استقبلها « جاويش » بشيء من الحفاوة ، وجعلها فرصته لتتديد بأعوان
الاحتلال ، ولم يرهبه أن يكون أحدم في مركز رئيس الحكومة أو « ناظر النظر »
كما كانوا يسمونه إذ ذاك ، والآخر وكيل وزارة الحفافية . ولا يمكن فهم هذا الموقف
على حقيقته إلا بإيراد سطور من هذا المقال التاريخى الذى أودع جاويشاً السجن
ثلاثة شهور ، ووضع على رأسه أكابيل النار بعد خروجه السجن ، ودفع الوطنيين
إلى الصمم في ساحة فندق شبرد ، أمام حديقة الأزبكية ليحملوه بمرقته على أكفانهم
بعد أن أهدوه « وسام الشهب » .

« سلام على أولئك الذين كانوا في ديارهم آمدين مطمئنين فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان
فأزعج نفوسهم ، وأحرق حصادهم ، فلما هموا بصيانة أرزاقهم التى عملوا في سبيلها بأجسامهم
وذابتم وأرضهم ، وقاموا عليها نحو حول يعهدونها بالسق والحفاوة وبقربونها في المكرة
والمشى قيل أنهم مجرمون ، فسيقوا في السلاسل والأغلال ، ثم صلبوا على مرأى ومسمع
من زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم وهياهم وأصدقائهم وجيرانهم .

سلام على تلك الأرواح التى اتزعمها بطرس باشا غالى رئيس المحكمة المخصوصة القضائية
من مكائنها في أجسامهم ، كما تنتزع السلوك الحرير من خلال الشوك ، قبضها بيده فقدمها
قربانا إلى ذلك الجهار الظالم للناضب القاهر ، القائم في بلادنا ببقائنا وضمة مقاصدنا ،

الاستعباد بالأمر فيها بسبب تفرقتنا وضمف هزأنا ، المسيطر علينا بنفر ما يخشون الانجليز
أكثر مما يخشون الله ويرغبون في المال والرزق ولو شقيت في سبيل ذلك بلادهم
واستبيحت حرماهم .

سلام على أولئك الذين وقف هلباوى بك فثار فيهم ثوران الجبارين ، ثم إنثنى
على رقابهم فقصمها ، وعلى أجسامهم فزرقها ، وعلى دماهم فأرسلها تجري في الأرض تلتفن
الظالمين وتتعود الأعمى .

نم قام هلباوى بك مقامه المشهود ، وطلب من قضاة تلك المحكمة الظالمة بذلك
القلب المضطرب واللسان المتلجلج أن يحشر أهل دنشواى فيقدموا قرابين إلى هيكل
الاحتلال ، الذى هو مبد الخائنين ، وقرة أعين المارقين ، فابلث رئيس المحكمة المخصوصة
وزميله قاضى دنشواى أحمد نصعى باشا زغول أن استهوتهما الآمال ، واستنوتهما المناصب ،
واسترعنتما عظمة الاحتلال فأنطقتهما بذلك الحكم الجائر ، لأرب في الألقاب والمناصب
وعوز النفس إلى الشهور بالواجب .

أوعز اللورد كرومر ما أوعز ، ففتت الوجوه ، ونسيت القمم ، واعوزت القلوب
الراحمة ، فضيقت الحفوق ، وأزهقت الأرواح ، وابتت النساء ، وتبيعت الأطفال ، فاجنى
أولئك الذين خالفوا الله باطاعته وهزموا الحق بنصرته ، أولئك الذين طمسوا معالم العدل ،
وأقاموا منار الجور ! لقد أصبحوا يشق وجودهم على الأرض ، ورؤيتهم على الابصار ،
وصوتهم على السامع ، وذكركم على الألسن ، وذكركم على الصدور .

أما أولئك الذين بكتهم الأذى ، والسباء ، ورثى لظلمهم العالم ، وأنخلع لمصائبهم
قلب الانسان في كل مكان ، فهم شهداء عند ربهم يرزقون ، وشهود ستنطق أيديهم
وأرجلهم ورقابهم ودماؤهم بما ظلمهم به قضاة المحكمة المخصوصة ، وقصر في الدفاع
عن حياتهم الحامون يوم يؤتى بهؤلاء فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون .

فاتخذ كرامة الأمة هذا اليوم الذي أيقظها من سباتها ، وبصرها بمذاتها ، وملأ قلبها بالعلظة والمبرة ، ونفوسها بالحمية والغيرة ، هذا اليوم الذي كشف أسرار المنافقين ، وفضح كبير الخائنين ، وأظهر حقائق المارقين الذين أشباحهم مع الأمة ، وذمهم مع المحتلين . هذا اليوم الذي أرى المحتلين أنه ليس معهم من الأمة إلا نفر باعوا بلادهم وذمهم ، وخمروا دنياهم وآخرتهم ، وأنه لا يرضى الأمة إلا أن تخلص من احتلالهم ، وتسلم من عدوانهم واعتياهم ، ألا فلنذكر الأمة الثامن والعشرين من شهر يونيو .

ولنذكر أن للاحتلال أهوانا من بينهم يجب محاربتهم بالبغض ، ومعاملتهم بالحقد وسوء الظن . اذكروا هذا اليوم ، واذكروا معه من أخذ بأيدي الأمة إلى الفوضى ، اذكروا اسم « مصطفى كامل باشا » أمام الحركة الوطنية ، واسعاذ الأمة المصرية ، واتقدوا به لملككم ترشدون .

* * *

ولم تمض أيام حتى قدم « جاويش » للنيابة العامة متهمًا بأنه - حسبما جاء في قرار الاتهام « أهان بطرس غالي رئيس مجلس النظار ، وأحمد فتحي زغلول وكيل الحاقانية » وأنه ضمن مقالة قد طمن في « عطوفة الباشا » بأن نسب إليه انتزاع أرواح بريئة بقضائه ليقدمها قربانا للورد كرومر . والظمن في عطوفة الباشا وسماذة فتحي باشا بأن الذي انطقهما بهذا الحكم الجائر هو رغبتهما في المناسبات ، ورهبتهما من عظمة الاحتلال ، وقص شعورها بالواجب ، وغير ذلك من ألفاظ السباب ، والفحش ، كرميهم بخيانة بلادهم وبهمهم ذمهم .

وكانت الحكومة قد أفادت من تجربة المحاكمة الأولى ، فوضعت القيود التي تسكل

أولا الحكم بالادانة ، وسرعة المحاكمة ، واعتبار الحكم نهائيا منذ النطق به ، كل هذه الإجراءات قد وضعت لها أنظمة بحيث أصبحت نافذة المفعول .

وأعلنت جريدة « المقطم » قبل صدور الحكم ، بأن المحكمة لن تتمكن القوم من اثبات الوقائع التي ذكرها ، وجاء قرار المحكمة وفق ما أعلنت « المقطم » وطالب وكيل النيابة « عبد الحميد بدوى » بالمقوبة الشديدة لوقف مثل هذه الأفعال « الجامعة » وحتى تمود إلى النفوس طمأنينتها ، وذكروا أن مقال « جاويش » إهانة ولم يتضمن نقدا ، ودافع أحمد اعاني وإسماعيل شيمى المحاميان ببطان الاتهام ، وأدلى رشدى باشا فى ٢٧ يوليو ١٩٠٩ قبل نظر القضية بيومين باعتباره ناظر الحفالية إلى إحدى الصحف الأجنبية بتصريح قال فيه أنه سيحكم على جاويش بكل تأكيد .

وعندما صدر الحكم استقبل أسوأ استقبال ، وانتهت البرقيات والاحتجاجات حتى فتحت جريدة « اللواء » بابا أطلقت عليه باب استياء الرأى العام ، استمر أياما طويلة وكانت عباراته مثالا طاليا للوفاء والمحافظة للقبادة بين الكاتب وقرائه على هذا النحو :

ملا الحكم قلوبنا حزنا ، وزاد نار الوطنية اشتعالا ، إن المجاهدين لخلاص أوطانهم من ربة القل والاسعباد لا يباليون بما يلاقون ، نزل الحكم علينا نزول الصاعقة ، ربات الجبال يهتفن الشيخ جاويش ، صجنتك مبدأ حياة جديدة ، مكانك فى القلوب وذكرك على الألسنة ، لست فى السجن بل فى سويداء الغلب ، لا يقمذنكم الحكم عن الجهاد ، كما زاهدوا فى اضطرادنا ثبتنا فى جهادنا ، زدت فى قلوبنا مقاما يا حامل لواء الحرية . . . الخ .

وانتد كان لهذه الكلمات أثرها من ناحيتين ، الأولى فى نفس « جاويش » الذى لم يتأثر بالحكم واستقبله راضيا باسماء ، وعاد منه أشد صلابة .

أما بالنسبة للحكومة فقد اهتزت لهذه الحملة العنيفة ، فاضطرت أن تتيح « لجاويش »
بعض الامتيازات ، فسمحت له بتداول الطعام من منزله ، وأن يقيم في غرفة خاصة ،
وأن يتريض في بقاء السجن مرتين في اليوم ، كما أباحت زيارة أهله له .

* * *

كتب جاويش مقالة عن دنشواي يوم ٢٨ يونية ١٩٠٩ ، وسدر الحكم بسجنه
يوم ٢٥ أغسطس ١٩٠٩ ونشرت « اللواء » يوم خروجه من السجن (٢٢ نوفمبر
١٩٠٩) أولى مقالاته « أين كفت ثلاثة الأشهر المنسلخة » كشف فيه عن موقفه
من الحكم .

« كتبت ما كتبت بذكرى دنشواي فرأت الحكومة (والله أعلم بيد من أمرها)
أن ما كتبت أستحق عليه العقوبة ، فكان مما كان مما لا حاجة لذكره ، فلما بلغني الحكم
وقد كفت في منزلي تلقيته بما عهد في نفسي من الجلد والصبر ، ثم خرجت مسرعا إلى ذلك
المنزل « نزل المجاهدين والمخلصين . » وقال : لقد يظن بعض الناس أن قد نال أعدائي
منى فجزعوا ، وانهزم أنصاري من حولي فجزعوا ، أن ذلك الحكم نعمة من الله أرسلها
ليجمع أشقات القلوب ، ويوقظ بها نيام الميؤن وينبه بها النافلين ، ولقد طالما نادينا
بمحاكمة الحكومة إلى الإصلاح فقيل مقهورون ، وكثيرا ما أسأنا الظن بكثير من تصرفاتها
فقيل متهموسون ، نشرنا لهم ، قاومنا تصرفاتهم فخوربنا وطوردنا ، وأخذ باضطامنا
إلى السجن ، فإن زعموا أنهم بذلك يشفون غليل صدورهم ، وينفثون على حفيظتهم ،
فقد وهموا ، فبأذا ليت شعري يشمتون ! أبا أ كسبونا من رفعة الذكر ونباهة الشأن !
وبأذا يفتخرون ، أبحاربتهم من أقاموم في مرا كزهم وعقولهم من أيديهم في مناصبهم
أم بإصاءتهم إلى من قسوا عليهم من رحمة ، وأغلظوا لهم من إخلاص ، حتى لا يجرؤ
هدو على اتخاذهم مضمة في نه .

ثم غلام يسخرون منا وقد جهدنا واستراحوا ، وجاهدنا وتخلفوا ، وتقدمنا وتقهروا ،
وتحمرنا واسترقوا ، أغرام وهمج الذهب فأنخذوه أطرافاً لرقابهم واصفادا لأرجلهم ، وأغلا لا
لأيديهم ، وخبئت أبصارهم زخارف الدسوت ، نخطبونها بمرورتهم وشمهم ، وطلبوها بالمهم
وذمهم ، ثم سمروا - ملابسهم فيها حتى لا يفارقوها مختارين ، ولا يحرموها مقهورين .

ومضى جاويز يشكف عن أثر السجن في نفسه : زعموا أن السجن يفل من قلبى ،
ويضف من هميتى ، ويخمد من نار غيرتى ، لقد وهموا ، فما كان أجدرهم أن يعلموا أن في ضيق
السجون أوسع مجال للأفكار ، وأن في ظلمتها نورا للبصائر لا الأبصار ، لقد اتخذت
السجن في تلك الأشهر مدرسة زادتني بصيرة بتصرفات الحكومة ، وعلمنا واسما بأخلاق
هذه الأمة .

* * *

وكانت الحكومة قد اتخذت الحديقة حتى لا يستقبله أحد عند خروجه من السجن
فأخرج فجأة ، في الساعة الواحدة والنصف بحد منتصف الليل ، وقبل أن يشرق للصباح
حيث الألوف تستعد لاستقباله في موكب ضخم ، ثم حمل في عربة تحت جنح الظلام إلى
بيته ، فما أن طلع الفجر ، وتجمعت الجموع في ساحة المحافظة في انتظار خروجه حتى علت
أنة قد أفرج عنه منذ الليل ، هنالك قصدت إلى داره وقدمت تحيتها إلى صاحب « القلم
المر » الذى لا يثنيه السجن عن كلمة الحق التى يمتقد .

وكان ذلك اليوم الذى نشر في صباحه مقاله ، هو يوم تكريمه (٢٢ نوفمبر ١٩٠٩)
الذى أقيم في المساء في فندق شبرد .

وفى خلال أيام السجن كانت قد اقترحت فكرة إهداء « وسام وطنى » من الشعب
« لجاويز » واشتركت طوائف الشعب المختلفة من أقصى القطر تساهم في ممل الوسام ،
الذى صنع على نحو رائع ، فهو مؤلف من ثلاث قطع من الذهب ، الأولى منقوش عليها

رسم الاهرام وقد كتب تحت الرسم : « تذكّار الشعب إلى عبد العزيز جاويش اعترافاً بوطنيته الصادقة » والثانية رسم على نبات كان يقضه المصريون الاقدمون رمزاً للظفر . وقد كتب عليها الآية السكرية « ولعلبونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ، والثالثة هلال في وسطه نجم . وقد نيطت هذه القطع جميعاً بوشاح من الحرير الابيض والاحمر مرصعة كل منها بالحجارة السكرية ترصيماً بديماً ، وقد صنعه « محمد على افندى » الجوهري الشهير بالصاغة وأبي أن يأخذ صنعه ثمناً ، وقد علمته على صدره « أحمد لطفى » وكيل الحزب الوطنى .

كما أهدى طبقاً من فضة عليه عبار من خالص اللجين ومعها أدواتها وهى قلم مقشط وختامة من الفضة للموهبة بالذهب . وأشارت الصحف إلى أن الطرقات الموصلة إلى الفندق كانت مزدحمة بمشريات الالوف من المتحمسين (جريدة الاجبشيان مورنيغ نيوز) .

وقد وجه إليه زملاؤه كلمات التقدير ، ودارت السكبات حول اعتبار السجن في هذه الظروف مما يغبط عليه الإنسان ، وهو أقل ما يلاقى الحر في طريقة من العقبات ، وأشار بعضهم إلى أن « جاويش » قد عرف جميع أطوار الطبقات للعام والوسطى ، وما كان يعرف أخلاق الاشرار والمجرمين من السجونين « فهو عالم من كبار علماء الاخلاق ، يرشد الامة عن خبيرة ، ويخدمها بأضماف ما خدمها قبل أن يكون في سجنهم سجيناً » .

* *

وكانت فرصة ليصور « جاويش » مشاهره في هذه المرحلة من حياته ، فهذا تأتى في صدر اللواء كاتباً جريئاً يهز دوائر الاحتلال والحكومة . ويدخل السجن ويخرج منه . ويواجه جواً حاداً من المقاومة والصراع ، وقد أعطى في خطابه ملامح نفسية صريحة تمكش هذا الجانب من حياته ، فهو يتمثل بقول الشاعر :

بلادى وأن جارت على عزيزة وأهل وأن ضنوا على كرام

ويقول : « إذا رأيت من هذه الأمة التي أشرف بالانقسام إليها هذه الحفاوة والاقبال والمظاهرة والتأييد ، فاذك لأننى أنيت في عهدى بخدمتها شيئاً من المعجزات . وخوارق العادات ، فإن أقصى ما أنيت في قصير عهدى بالصحافة هو أننى كتبت أكتب غير منسوب تلك المناصب ، ولا حسب حسابها لأصحاب الأبهة والهيبة . ما داموا على الباطل ، يعرض لى الباطل فلا ألبث أن أضربه بسنان قلى ضربة يخر بها صريماً مجدلاً دون أن أبالى بأهله وأنصاره ، ولو أنقلتهم الأوسمة ، وحجبتهم عن الناس المناصب ، وكثرتما قيل أننى ما حوكت إلا لأننى عدت إلى ناز من الكبراء فوخزتهم بأسنة قلى حتى أنأت تقومهم عن الراحة وجنوبهم عن المضاجع . ومن الناس من كان يستهجن تلك الخطة ضناً بذلك النفر من أن يقال منه أو خوفاً من أن يصيبه من ذلك ما نزل لى من عذاب السجون ، وما ظلوا إلا لأن الحق لا وزن لى لا يطلبه . ولا نجاة لى لا يمتصم به . »

وهاجم اتباع الاحتلال بمنف « إذا عز أهل الخاصة نقر من أهل الملق والدهان يخلصهم بالنعجة والاعظام ، ويؤمنون بأحرفهم عن الحق قائماً عبدة الميول والأهواء . وإذا عز أوائلك من يرتلون آيات مدحهم ، ويقطعون الأيام والليالى بتسبيحهم ، يعطوفون بقصورهم طواف الحجاج بالكمبة المكرمة ، فهل ند عن عقولهم المثقفة ، ونفوسهم المهذبة ، ودراسيتهم الواسعة أن كثيراً من الناس عبدوا ضم الحجارة . »

* * *

وأعنى أنه ما كان يتقبل الوسام إلا لأنه يعتبره منهم « كرامة » وأنه لا يأبى الكرامة إلا لثيم ، إعترافاً بجزه وقصوره « فأين أنا ممن جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؟ وبلغوا ما بلغوا من المجد والرفعة ؟ حتى إذ همت أمهم بمكافأتهم رأوا أنه « لا جزاء على فريضة ، ولا شكر على واجب . »

فهو قد تلقى الرسام لأنه « فن بذهبه الوهاج ، وماسه الآخذ بالأبصار ، ولا لأنه
أنى ما لم يأت الأوائل ، ولكن لأمر واحد ، ما هو هذا الأمر ؟ نظرت فأبصرت قيد
قلوب الأمة فيه تنفض عن أنفسها فبار الموت ، وتنزع عنها أكفان الخوف والجنب ،
مستقبلة حياة الحرية التي طالما تمتعت بها الأمم » .

وعاود إنذاره لمن أسماهم أديعاء الوطنية وطييلها ، بأنه لن يتردد في مهاجمتهم ،
« أننى لا يقعدنى عن الصراحة وإعلان الحق وجل ، ولا يصرفنى عنهما شيء من الأمل ،
كما لا يقرب بى من الباطل رغب فى مال أو منصب ، ولا يفسيى حدود الفروض الوطنية
القدسة الزلى من وزير أو أمير » .

وعاهد مواطفيه على أنه لن يألو جهدا فى سبيل الكفاح « ولو أسلم جسمه للبلاء وروحه
للغناء . » ثم قال « فإن رأيتم منى نقضا لهذه البيعة أو انحرافا عن هذه الشرعة فأنتم فى حل
من دى فأريقوه ومن جسدى فزقوه . »

ثم أشار إلى ما قدمه له المواطنون خلال سجنه من مال وهدايا وكيف رفض ذلك ترفا
عن أن يجعل عمله الوطنى موضع الجزاء المادى « لو كنت ممن يتقدمون عند المظنة لما رددت
تلك الأموال التي قدمها إلى أهل الحمية والروية وأنا سجين ، ولعل بعض الحضور يعرفون
مقادير ما قدم إلى ، وأنى كنت أردتها ردا جميلا . فإذا تبجح أولئك السفهاء بأننا لا نكتب
إلا لنشهر ، ولا نخطب إلا لنحلى صدورنا بأمثال هذا الوشاح فليعلموا أنه سواء أهلى
صدرى وضع هذا الوشاح أم على نمش ، وسواء على سميت فى سبيل الحق أم شقيت ، وقتلت
أم حييت ، وسواء على ظمئت أو رويت ، فأزرت أم اغتفيت ، وسواء على أنى إلا كواخ سكنت
أم فى القصور ، وبجهد البمير ارتديت أم بجميل الحرير ، وشهى الصحف تنديت أم بطمام
الشهير ، ذلك عهد الله بينى وبينكم ما حييت ، لا أبتنى عنكم مالا ونشبا ، ولا أقبيل منكم
إلا صفو قلوبكم وصالح دعا نكم : أن الدنيا بما لها وجمالها وكبرائها ووزرائها ، لا تعدل عندى

أن أكون مفاى في بدنى ، مفاى فى وطنيتى ، مفاى فى إخلاصى لأمتى وخدمتى لدولتى .
ودعا الدين كانوا بيكونة أن تكون دموعهم فى قلوبهم لا فى مآقيهم « ما أجدر دموع
الشجمان أن تكون على قلوبهم لا فى مآقيهم » .

وعنده أن هذا السجن البسيط ليس إلا أول مراحل الكفاح وليس أعلاها : « لمت
أول من أودى من أهل هذا الجبل فى سبيل الحق والصراحة إلا أنه ما دام لحق أنصار
يؤيدونه فسبرى الناس أن السجن (البسيط) هو أول المنازل ولا بد لهم بعد تكرار
الحوادث ، أنة يأنفوا كل كارث مهما عظم وفظع » . ودعا ألا تكون الأحداث
والسكوارث مناحات أو ماتم ، ولكن « دروسا يمتن فيها الناظر فكره ، ويجهد فى
إدراكها نظرة » .

واستشهد بقول الشاعر :

ومن ظن أن سيلاق الحروب وإلا يصاب فقد ظن عجزا
ووجد الشعراء مجالا لتحية جاويش مرة أخرى : فقال أحمد نسيم :

إذا أمرؤ مفتح الأوطان مهجته رى بها فى غمار الحتف والمطب

وقال على الناباى :

عادت إلى القلم المشهور سيرته ولاح بدر «الوا» من يمدما احتجبا

وقعت (١) قضية التلغرافات عام ١٨٩٦ حينما كان الجيش المصرى زاحفا مع الجيش البريطانى لاسترجاع الحودان ، كان قائد الجيش فى السودان أرسل إلى السردار البريطانى تلغرافا بالأرقام بواسطة المشفرة ، وقد سلم التلغراف للإنجليز ولم يبلغ لعاظر الحربية ، ولما سألت (هابدين) عنه قيل لها أنه لم يصل ، وظهر المؤيد وفيه نص التلغراف حرفيا ، ومعناه : أن قد هبت عواصف شديدة إقتلعت خيام الجنود وألقها إلى مسافات بعيدة وقتلت البعض منهم ، وكانت إحدى الجرائد المنافسة للمؤيد (يقصد المقطم) . لما رأت ما فعله المؤيد شنت الغارة على السردارية (يقصد مقر السردار) وقالت أن للمؤيد جواسيس فى دور الحكومة يتقلون إليه الأخبار ، وقامت نظارة الحربية بتحقيق دقيق ، وكذلك النيابة ، وبعد التحقيق وجهت التهم إلى مصلحة التلغرافات وآتهم ، را (توفيق كيرلس) بدعوى أنه هو الذى تسلّم الإشارة منه إلى التلغراف والشاب لا يعرف رموز هذا التلغراف . وقد أدانت المحاكمة الشاب وبرئت المؤيد ، وفى الاستئناف برئت أنتلغرافجس ، وظل على يوسف طوال حياته حتى توفى فى أكتوبر ١٩١٣ يدفع من ماله الخاص مرتبا لتوفيق كيرلس الذى فصلته مصلحة التلغرافات على أثر صدور الحكم بإدائته .

وهناك إضافات إلى هذه الصورة التى رسمها هامش الأهرام هو أن المؤيد اصادت نشر التلغراف ٢٦ يوليو ، ٢٨ يوليو ، ٣٠ يوليو وأن توفيق كيرلس قد قبض عليه وهو يبلغ إحدى هذه التلغرافات وسالت النيابة الشيخ على يوسف عن مصدر التلغرافات فأجاب أنه لا يستطيع أن يبوح به لأن هذا سر الصحفى ، وسأل عن معرفة كيرلس فأجاب أنه يعرفه معرفة سطحية . ولم تصل النيابة منه أو من الآخر إلى دليل قضائى على اشتراك المؤيد .

(١) هامش الإهرام : المصالح العجوز (توفيق حبيب) ١٢/٨ / ١٩٣٨ .

وقال إبراهيم الهلباوى أن القضية هزت الرأى العام وكشفت حقائق كان يحجبها ، وكان محمد فريد رئيس نيابة الاستئناف حاضرا الجلسة ، وكان عبد الخالق ثروت ممثل النيابة فلما صدر الحكم ببراء الشيخ على يوسف لم يتمالك محمد فريد نفسه من إظهار سروره بهذا الحكم ، ولم يكف بالتصفيق بين اللصفتين ، ولكن التفت إلى ثروت وقال له :

قل لصاحبك (أى مستر سكوت المستشار القضائى) أن الحكم صدر بالبراءة فلما اتصل الخبر بمستر سكوت سأل عن ثروت باشا فلم يستطع الانكار فغضب المستشار القضائى على محمد فريد ونقله إلى بنى سويف فرفض فريد تنفيذ الحكم واستقل (١) .

٢ - ومما يتصل بالتضاء والصحافة أن مقالا لإبراهيم الهلباوى نشره عام ١٨٨٠ كان سببا بعد ذلك فى تمتينه محرراً فى الوقائع المصرية . قال الهلباوى مصوراً الحادث : « أنه كان رياض باشا ناظر النظار سقون فدانا فى جزيرة على النيل على مقربة من بحريتنا استأجرها منه أحمد فايد قبل قانون التصمية ، فنشرت مقالا فى جريدة التجارة بالإسكندرية لصاحبها سليم نقاش فى أغسطس ١٨٨٠ أتقد فيه هذا التصرف فقبض على وأرسلت إلى القاهرة للتحقيق مئى وجابهنى رياض باشا وسألنى عن الدليل الذى أملكه ، وقال له رياض : هل أنت من تلاميذه جمال الدين . أرسلوه إلى السجن ، وبعد سبعة أيام استدعانى رياض وعينى محرراً فى الوقائع مع عبد الكريم سليمان وسعد زغلول والسيد وفا زغلول بمرتب قدره خمسة جنيهات فأرسلت إلى رياض أشءكى من أن المبلغ قابل .

قال لى رياض : قلت أنا أتقاضى خمسة جنيهات ، وأن سعد وأبو الوفا يأخذان ثمانية جنيهات قال : أليساها علماء الأزهر ، قلت : ليسا من علماء الأزهر أصلا وسعد تلميذى ، فقال : سأحدث فى ذلك إلى الشيخ عبده ورفقوا مرتبى إلى ثمانية جنيهات .

٤ - عاكة اصحاب المقطم

من الهاكات التي كان لها دوى عاكة المقطم عام ١٩٠٧ وهو نصير الانجليز
ولسانهم المتحدث باسمهم وقدم للمعاكة : شاهين مكاريوس وفارس نمر ويعقوب صروف
وشاهين الخازن وجندى ابراهيم وطنيوس عبده في ٧ أغسطس ١٩٠٧ وصدر الحكم في ٢١
سبتمبر ١٩٠٧ ، وكانوا قد اتهموا مأمور كرموز بالرشوة في صحيفة المقطم والشرق والوطن
في وقت واحد ، ولم يستندوا في هذا إلى دليل أو شبه دليل ، فقد ظهرت يوم ١١ مايو
١٩٠٧ ثلاث مقالات إضافية في الصحف الثلاث بمعنى واحد وأسلوب واحد هاجمت مأمور
المطارين وندوت بتصرفاته وتضمنت وعيداً ، وأسفر التحقيق عن كذب الاتهام لحفظ
لدمم الصحة ، وفي ١٧ مايو نشرت جريدة المقطم والشرق والوطن كلاماً تنهم فيه حسن لطاق
مأمور كرموز بأنه يقتضى رشوة من اصحاب القهاوى وعينت مقدار الرشوة ، وأبلغت النيابة
التي توات التحقيق وثبتت برائته ، ذلك أن دائرة قسم كرموز ليس فيها قهاوى ، ونحو
التحقيق مع هذه الصحف بتهمة القذف ، ودعت النيابة التهمين فقرروا أن المعلومات التي
وصلتهم من (يوسف نصر) وأنكر يوسف ما نسب إليه وقرر أن اصحاب المقطم استدعوه
وطلبوا إليه أن يحمل المسؤولية عنهم وأحيلت القضية إلى محكمة الأزبكية التي حكمت على
كل منهم بفرامة خمسين جنيتها ، وحبس شاهين الخازن واسكندر صالح وبراءة طانيوس
عبده ، ولم يكدي صدر الحكم حتى ندد به اصحاب المقطم في صحيفتهم وأعلنوا أنهم
ضحية لجملة مدبرة تريد القضاء عليهم وعاوتهم الصحف الأجنبية (١) .

٥ - قصيدة قدوم

ومن القضايا التي هزت الرأي العام قضية «قصيدة قدوم» التي كتبها مصطفى لطفي المنفلوطي وأنهم السيد توفيق البكري بالاشتراك في نظمها، ذلك أنه في يوم ٤ نوفمبر عام ١٨٩٧ ظهرت «الصاعقة» وهي صدرها قصيدة لاذعة «تهنئة مرفوعة لسمو خديو مصر لمناسبة عودته من ثغر الاسكندرية» جاء فيها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد وملك وإن طال المدى سيبيد
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا مصوب سهم بالبلاء شديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا . إذا أصبح . وهو عميد
فكم سفكت منا دماء بريئة وكم ضمت تلك الدماء لحود
وكم ضم بطن البحر أشلاء حمة تمزق أحشاء لها وكبود
وكم صار شمل للعباد مشتقا وخرب قصر في البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا له تحت أنقال القيود وثيد
فما قام منكم بالعدالة طارف ولا صار منكم بالسداد تليد
كأنى بقصر الملك أصبح بأندا من الظلم والظلم المبين سييد
ويندب في أطلاله اليوم ناعبا له عند ترديد الرثاء نشيد
أعباس ترجو أن تكون خليفة كما ود آباء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا نكون ببطن الأرض حين تسوه

وضجت الأوساط والمخافل السياسية ، وذاعت القصيدة وذكرتها صحف لندن ، وقام القصر وقعد ، فأمر ناظر الحفانية باعتقال صاحب الجريدة أحمد فؤاد ، الذي اعترف (م - ١٢ تطور الصحافة العربية للامامة)

في التحقيق بأنه ناظم القصيدية وأنه كان ينوي طبعمها ثانية وثالثة ورابعة حتى يعم نشرها . وأنه بأسف لتأخره في طبعمها فلم تنشر إلا في اليوم الذي عاد فيه الخديو . وحارت النيابة العامة وكان على رأسها الأستاذ يوسف سليمان الذي صار فيما بعد رئيسا للوزارة ، ثم اعتقل صاحب المطبعة ، فاعترف بأنه أحمد فؤاد هو الذي جاءه بالقصيدية ، وكان برفقته الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي الذي تولى بنفسه تصحيح التجارب ، فقبضت النيابة على الأخير أيضا .

وذاعت القصيدية في كل مكان ، وكان الطلبة ينسخونها ويبيعونها ، ولكن النسخ ما كان ليشفى غلة طلابها ، مما جعل الصحفي سليم سر كيس على إستنباط حيلة صحفية لنشر القصيدية ، فكلف الشيخ عثمان الموصلى بأن يشطرها بمدح الخديو ، فيحقق رغبات طلابها ، ويكون بئامن من الانتقام . وشطر الموصلى القصيدية ونشرها سر كيس في مجلته « إعجابا بذكاء المشطر واعلانا لمدائح الخديو » وقد جاء فيها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد (على فاجر هجو الملوك يريد)

(لاضرا به بيت من اللؤم عامر) وملك وإن طال المدى سيبيد

وأحيل التهمون الثلاثة إلى القضاء ، بتهمة العيب في الذات الخديوية ، وكانت أول قضية « عيب » تشهدها المحاكم المصرية ، فسجل أحمد فؤاد في أثناء المحاكمة أجراً وقمة وقفها صحفى في ذلك العصر ، إذ قال :

— ليس في هذه القصيدية قصد سيء ، ويدل على ذلك أنها خالية من كل سب وطمع تحاول النيابة الصاقه بنا ، ولكنها تتضمن موضوعات طالما رددتها الصحف من قبل . فهل قولى أن الرعية لم تسر بقدم الخديو جنابة عظمى ، كلا . . إن محبة الرعية للملكها أمر اختياري . وما من ملك إلا وله من ينقد أعماله ولا يسر بقدمه . والملك ليس بوسمه أن يرغب الناس على حبسه لأنه ملك ، فهو ملك الأجسام لا ملك القلوب .

واستشهد أحمد فؤاد بأمثلة من الديمقراطية في الغرب ، وتساهلها حبال حرية
السكر ، فقال :

- أن ملك سيام لما زار روما سأل ملك إيطاليا : ألا تعاقب الدين تراهم من رعيته
لا يحترمونك؟ فأجاب : كلا . . لا أستطيع ذلك ، وكل ما أفعله هو أن أستميلهم بأعمال
الطيبة ، وأن ملكة إنجلترا وهي أعظم جدًّا من الخديو سلطانا وملكًا ، لم يرفع أحد الناس
قيعته لها في أثناء سير موكبها ، فأهانته أحد الإشراف ، وأقام عليه دعوى ، وفي المحاكمة
قال المتهم : أنا لا أحب الملكة ، ولا أريد أن أحترمها ، فتركته المحكمة وشأنه .

وبعد فاذا فعلنا نحن ، هل عملنا عشر معشار ما أناه سكان أرنفدا الذين ساروا بالذهاب
والزيارات السود في عيد ميلاد فسكتوريا . ثم أنى لست بأول من قال بظلم العائلة الخديوية ،
فإن أشهر صحف مصر نشرت مرة أن الخديو سعيد أراد يوما أن يجرب مدفعا جديدا ،
فقال له أحد رجال الحاشية : هل يأمر مولانا بأن تقمهل ريثما يمر الناس ؟ فأجابهم : إضرب
النار . . نحن لم نستلم الناس بالعدد .

وحاصر الخديو اسماعيل إحدى قرى الصعيد وضربها بالدافع لفضبه على رجل واحد
وعلى هذا أقول أن القميدة التي أحاكم بسببها خالية من أى مطعن يماق عليه القانون .
واسكن المحكمة حكمت على أحمد فؤاد بالسجن عشرين شهرا ، وعلى النفلوطى بسنة أشهر .

٦ - الهجوم على أسرة محمد علي

ولقد استطاعت الصحف في هذه الفترة أن تحمل على أسرة محمد علي وأبرز ما عرفه في هذه المرحلة مقالاته : مقال الشيخ محمد عبده في الوقائع المصرية بمناسبة مرور مائة سنة على مولد « محمد علي » ومقال أحمد فؤاد في جريدة القطر المصري في ٨ يناير ١٩٠٨ وهذا أهم ما جاء به .

(جريدة القطر المصري - أحمد فؤاد - ٨ يناير ١٩٠٨)

لاشك ولا ريب أن سبب شقاء المصريين وتأخرهم وعدم تقدمهم هم عائلة محمد علي سواء كان ذلك أدبيا أم ماديا . أما من الجهة الأدبية فمشهور بأن مصر من اليوم الذي رمتهم إليها مقدونيا إلى الآن مائة عام كانت كافية لأفئ تبليغ خلالها ما بلغت فرنسا من الإقدام والرق والاستعداد لحكم نفسها بنفسها . لكن سوء قصدهم حال بين المصريين وبين التقدم لأنهم يعلمون أن مصر متى بلغت رشدها لا تقبل ذل حكم الأجنبي ولا ترضى بأن تسلم زمام أمورها ومصالحها للغرباء لأن صلاحها في فسادها وتقدمهم في تأخرها .

وقد اشتهرت عائلة محمد علي على العلم والفضل حربا عوانا . أما المدارس التي زعم المفاخرون أن محمد علي أسسها لخير مصر فقد كان غرضه بها الحصول على عدد من الضباط ليستخدمهم في مقاصده أما كان عازما على الخروج على الدولة صاحبة النعمة عليه وقد يتم أولاد المصريين ورمل نساءهم في حروبه التي لم تنل مصر من وراءها خيرا غير إدهاء حنيدته اليوم أن الإمتيازات التي حصلت عليها بدمائها له لاله . وقد التقي أثر محمد علي في قبح نفعه وسوء سيرته أولاده وأحفاده من بعده فأزهقوا روح العلم وضنوا على المصريين ولم يجودوا عليهم إلا بالقدر اليسير لطائفة مخصوصة من ممالئكم اصطفوهم دون غيرهم ففربوا منهم كل متشرد لا يعرف أحد مسقط رأسه ولا ملقط جسمه وسلموه الوظائف واستعانوا بهم على بقاء المصري في حالة الجهل حتى لا يطمح ببصره إلى الاستقلال وسلبوا الضياع وأنفقوا ما نفعه على شهواتهم لتبقى مصر إلى الأبد وقفا محبوسا على كل ولد تله نساؤهم .

ليس الغريب هذا . إنما الأدهش والأعرب أن طائفة من عباد السلطة المطلقة يكذبون على التاريخ ويدعون من وقاحتهم أن العائلة المحمدية العلوية خدمت مصر . ويستدلون على ذلك بوجود بعض مدارس أنشأوها ليضلوا الناس في أوروبا كي يكون بأيديهم الحجج الدامغة على خدمة العلم . وما أنشأوها إلا خداعا وغشا حتى لا يتحسنى لأحد أن يذكر قببح آثارهم وسوء تاريخهم في مصر . ولأن عائلة محمد على هي التي بتبذيرها وغيره سلمت مصر إلى الإنجليز ولأنهم يبهضون المصري ويكرهونه أشد البهض ومن العار أن يعلم عتقه لعدوه . .

ثم باى حق مشروع تأخذ عائلة محمد على من الخزينة المصرية ثلاثمائة وخمسين ألف ليرة . صتويا وأى شر دفعوه عنها أم أى خبر جلبوه لها حتى يكال لهم المال جزافا .

المجتمع

من خلال الصحافة في هذه الفترة تستطيع جذاذات مختلفة أن تتجمع فترسم صورة
لحياة المجتمع في مجالات كبرى وأول مظاهر الحياة الاجتماعية في هذه الفترة ندوات جماعة
الحفاظ والرواة ، يقول توفيق حبيب :

عرفنا وأدركنا من هذه الجماعة أحمد مفتاح وأحمد سمير والسيد وفا وعبد الكريم سليمان
وعبد الله نديم وحفنى ناصف ومحمد حافظ سعري ، أولئك الذين كانوا يحفظون القرآن
والأحاديث الصحيحة ويروون أشعار الجاهليين والمضمرين ومن تبعهم من شعراء العصر
العباسي وما بعده ، كان لا يفل ما يحفظه الواحد منهم عن عشرة آلاف بيت من الشعر
وحدث ولا حرج مما كانت تعيه صدورهم من الروايات والحكايات والقصص كاذبة وصادقة
عن القدماء والمحدثين يروونها ممسكة الواحدة برقبة الأخرى ، ولا يكاد أحدهم ينتهي حتى
ينطلق الآخر فيروي ما يحفظ مازجا الرواية البارعة والقنشة القارحة .

* * *

ويتحدث محمد هاشم عن المغنين والمنشدين فيقول :

رحم الله عبد الحمولى وعثمان الشنتورى وللفيلوى وتلاميذهم ومدارسهم أولئك
المصاييح الذين كانوا ينشرون على الناس رسالة الفن الجميل ، وقد رزقوا الخطوة في قصور
الملوك ودور الأمراء مالا مطمع وراه لأحد ، وكانوا يهبون فمهم للشعب ويوقنون على
مضارب أمانيه ، ورحم الله شوقى إذ يقول في رثاء عبده الحمولى :

يامغيشا بصورته في الرزايا ومعنيها بحاله في الكارم

ولقد حدثني الثقة أن عبده غنى ليلة لحنه في مذهب (أنا من هجرك أحكى خصرك) فرسم الناس في مجالهم كما تأخذهم على غرة آلة التصوير فكانوا الغالبية بين واقف بهم بالجلوس سمع أول اللحن فتجمد في مكانه لا قائماً ولا قاعداً وواضع يده على جنبه يمسه ، ترك يده مكانها ومتنادر يرسل النكفة بنفسها .

وكانت أحياء القاهرة القديمة دأماً مأجبة بالطبقات المختلفة من عشاق الفن ولكل واحد من رجاله شيع يتمصبون له ويقدمونه ويروون غناؤه وكثير منا من لا يزال يذكر مذاهب الغناء للتقدمية في خفة ظلها ومسهولة تناولها وجمال تلحينها وقوة مطابقتها لتذوق المصري الظريف ويذكر تسميات المننيات كألظ والوردانية وغيرها إلى المرحومة أمينة المراقية وقد كن على جانب من الفطنة وظرف البادرة حتى عد لبعضهم أوابد من قوة ما عرفت أندية الأدب والصحرا للبابلي وحافظ رحمه الله عليهما ولقد حفلات بيوت الأغنياء ومجالس الخواص والتمهوات البلدية بهذه الأدوار والموشحات حتى كادت تعيد إلى الأذهان ذكرى المدرسة القديمة في بغداد أيام إبراهيم الموصلي وأبنة اسحق وهو العصر الذهبي للدولة العربية .

* * *

٢ - أما « المسرح » ، فقد كانت الروايات أجنبية ثم تمرب ، كيف كانت تمرب ، هذه مثلاً رواية هرثاني ليفيكتور هيجو كيف تحموت إلى رواية « حمدان » بقول الصحفي العجوز : قرأها نجيب الحداد وأراد نقلها إلى العربية فأخذ منها هيكلها واهم وقائمتها وأبدل أشخاصها الأسبانيين بأشخاص من رجال تاريخ العرب في الأندلس وأطلق عليها اسم « حمدان » وهو بطل الرواية الذي يمثل دور هرثاني ومثلت حمدان لأول مرة على مسرح اسكندر فرج في شارع عبد العزيز يوم ١٨ مايو ١٨٩٧ مثل الشيخ سلامة حجازي دور حمدان ، السيدة لبيبة مالى في دور شمس وأحمد أبو المدل دور نصر الدولة ابن حمدان ، وحسين حسنى في دور ملك الأندلس عبد الرحمن وورده ميلان دور العجوز .

وكان في الرواية قصائد غنائية ينشدها الشيخ سلامة حجازي ومقطوعات شعرية .

يردها أفراد من الجوقة في إفتتاح بعض الفصول وختام الرواية . وفي رواية هرناتى يقسم الدوق روى غوميه على صورة أبنائه وأجداده بأن يجيز هرناتى ولا يسلمه إلى دون قارلو ولما كانت التصاوير والرسم غير معروفة من العرب ولا يصح القسم عليها ، أبدلها نجيب حداد بالاعلام وأجرى على لسان الأمير قسماً بليغاً تضمن أسانيد تاريخية فأخذ تقول :

هذا سلاح الأمير ناصر أول أجدادى الرجل العظيم الباسل الذى ولى قيادة الحرب ثلاث مرات ، هذا سلاح الأمير كذا . . الخ ومن أهم التفسيرات التى أدخلها نجيب الحداد على رواية هرناتى أنه لم يدع حمدان ينتحر يشرب السم كما فعل فكتور هيجو بهرناتى ، بل أبقى على حياته بانفاق الأميرة شمس والملك عبد الرحمن على اتقائه وتخليصه من قسمة الذى وعد به الأمير نصر الدولة .

* * *

٣ - و « الأعياد » بصورها صاحب الهامش كما كانت في هذه الفترة : ذهبت أيام الساحات والميادين تملأ أنحاء العاصمة ونصبت فيها مراجيح الوزة والوالى ويمتلئ بالصبيان والصبايا ، وتتموج بالمشرات والثبات من أعيان الأقاليم القدين يأتون لحضور التشريفات والتبرك بزيارة أهل البيت ، كانوا يأتوننا وراء كل واحد الخدم والحشم والبنون والبنات ، وكل واحد منهم يكون بجماعة تزعم رسيفا برمته وتملأ الجيوب بما يفتشه من المال باليمن والشمال ، أين الأفران البلدية تتصادم منها الصوانى بما تحمل من طلائع الشريك الذى يخرج من النيران ويوزع في اللقابر على المقرئين والفقراء والمعوزين : (رحمة ونور) .

أين العيال من سفار أبناء البلد يرفلون في الأصفر والبرتقالى والفيروزى من ملابس زاهية وفي أيديهم أطباق وصوانى (على نور) يتصايحون ويقادون وأولاد البلد المتر علاًون الدنيا بهجة وحبوراً بلاساتهم المنانى وقفاطينهم المكوية المكندره ، وقد جلسوا وأمامهم سحب الورد والشموع الموقدة وفي أيديهم جوزة الحمى يتصاعد دخانها .
والفتيات والفتيان يركبون عربات الكاروا راقصين مغيلين وراكبين الحجر .

٤ - أما المحاكم الأهلية فقد كان لها أهميتها . كانت المحاكم الأهلية وسيلة لخدمة اللجنة العربية وترقية الانشاء الديوانى وتحرير المذكرات والخطابة على منبر القضاء بفضل من انضم إلى القضاء والحاماة والتدريس فى مدرسة الحقوق ومن خريجى الأزهر ودار العلوم .

فن كبار الأزهرين محمد عبده وسمد والهلباى ومحمد أبوشادى ومن دار العلوم حسن جلال المصرى ، أبو الفهمان عمران ، عبد الفتاح بيرم ، عماد اسماعيل ، حفى ناصف ، محمود أبوالنصر ، أحمد أبو الفتوح ، محمد فريد ، وكان رجال القضاء الأهل والحاماة الفضل الأول فى كل الحركات والتطورات الفكرية والسياسية : محمد عبده : الإصلاح الدينى . قاسم أمين : تحرير المرأة . سمد زغلول : الحركة الوطنية وكان لعبد العزيز فهمى وعبد الحميد بدوى وعبد الحميد مصطفى ، القدح الملى فى الرد على برونيت وتحرير الباحث القانونية .

وكان للصحافة ورجالها نصيب من خدمة رجال القضاء فن رجال القضاء عشرات كقبوا الفصول الزانة منذ أربعين سنة مستترين وجوبا وأصدروا أحكاما نزيهة عادلة لرفع منار التفكير الحر .

* * *

وروى حافظ ابراهيم كيف ضجن الهلباوى المحامى عام ١٨٨٥ قال :

كانت دار عبد السلام المويلحى فى تلك السنين منتدى الأدب فى مصر يؤمها عندئذ الأدباء والكتاب والشعراء ويتخذونها مقرا لهم يحيون فيها كثيرا من ساعات النهار والليل ، ومن يتردد عليها ابراهيم الهلباوى وفى يومه ما دخل على الحاضرين الحاج حسنين وهو رحل مفاول كان يقوم بأعمال بناء وترميمات خاصة لعبد السلام المويلحى وأخبره أنه متهم فى قضية بسبب أنه تعدى على مهندس كان بلفت نظره إلى عدم شغل الطريق بالأثرية والأحجار ، وكانت أول قضية يترافع فيها شيخ المحامين وجاءت الجلسة وانتظر عبد السلام المويلحى ومن ممة ، الشيخ الهلباوى ليمرفوا ماذا تم فى القضية ، وإذا بالذى حضر هو الحاج حسين المفاول .

قال: إن الهلباوى بدأ مرافقته وكان القاضى محمود سالم فتدرج إلى ضرب الأمثلة فقال :
وأن حضرة القاضى المحترم الجالس الآن فى مجلس القضاء وهو على ما هو عليه من نفوذ
وسلطة لو أنه كلم فى طريقة شخصا ما بأمر أو نهى لاعتبر دخيلا متطفلا ، ولتمدى عليه
الناس بأكبر من السب - لماذا - لأنه غير معروف ، ولأن القاضى لا يلبس طرطورا
حتى يعرف به . واستمر فى ذلك ، غير أن القاضى لم يحتمل أن يكون موضع التمثيل على
هذه الصورة الساخرة ، واعتبر ذلك تمديا على هيئة المحكمة وحكم على ابراهيم الهلباوى
بالسجن ٢٤ ساعة وذهب المويلحى إلى منزل عموه سالم القاضى بحلوان يرجوه أن يفرج
عن الهلباوى فقبل بمد أن أبان لهم طول لسانه واحتياجه إلى اللياقة فى التعيير .

* * *

أما حافظ ابراهيم (١) فقد كان يسكن طوال سنى الحرب إلى سنة ١٩٢٠ فى منزل
فى الجيزة فى الطريق المؤدى إلى محطة السكة الحديد وكان أخوانه أمثال البشرى وفؤاد كمال
كانوا يزورونه فى تلك الدار قائلين : نحن طالعين هذا اليوم حافظ ابراهيم؛ قياسا على
طالعين حلوان ، أو الهرم أو القرافة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى حلوان ثم إلى الجيزة ثم إلى
الممادى والزمالك والزيتون . كانت تساكنته أمينه هانم زوجة خاله التى ربهه والتي توفيت
قبله بعام وكانت شهرتها مستغفيسة فى الطبخ لورق العنب الذى كان يقول أن الحلة الواحدة
فيه تتسكف جنبها مصريا كامل لأنها تعمل على مرقة ديك رومى ، وكذلك عرقت ببراعة
صناعة الأرز بالدمعة ، والبصارة .

يقول المحرر : كفت فى زيارة للمرحوم فى ليلة من ليالى الصيف ١٩٢٩ وكان يشمر
بالمرض ، قال : الليلة آكل لقمة خمينة لأنى تمبان : صحن بصارة ، نخذ أرنب جبل ، ماذا

تعمل مادماً تهمنا، الأكل الخفيف قبل النوم أحسن، وكان خادمه رجلاً أسوانياً اسمه حسن ظل في خدمته أكثر من اثنين وعشرين عاماً وكان له في بعض الأوقات خدمة تسمى فاطمة: خفيفة الروح، وكان حافظ يحب ألفاظها وتعبيراتها ويطلب لأغانيها العامية وكان أمثا بيته بسيطاً غاية البساطة، طقم عادي في غرفة الاستقبال وفي غرفة النوم سرير وكنبه، ولم يكن في منزل حافظ بك كتاب واحد ولا ورقة ولا قلم ولا دواء، وكان ينظم شعره ويحفظه ولا يدونه إلا عند النشر في الصحيفة. وكانت عنايته منصرفاً إلى العلم، كان يقضي وقته أما جالساً في فراندة منزله أو مستلقياً على الكعبة وسنداً رأسه على عدة مخدات والسيجارة الهافانا في فمه، ويحفظ في منزله بالسيجار الهافانا والكرونا وزجاجة كولوينا. وكان يحب العنب والتفاح واللوز، ويتبرع بأفضل الفول المدمس ولطالما تمشي بالفول المدمس في الأوبرا في ليالي كثيرة، وإذا اعتز بضيوف أحضر لهم طير السمان. . أنه يمتز بهم لأنه يطعمهم سمان مش سم واحد، وروى أنه تزوج منذ ثلاثين عاماً فتاة مصرية في حي السيدة زينب كان أبوها من تجار الحى، آية في الجمال طلقها بعد العشرين يوماً من زواجها، وعلل حافظ ذلك أنه قضى عمره قبل الزواج بين خلان وندمان من مجلس أنس إلى مجلس سمر، فلم يستطع أن يتزوج الحياة الزوجية، وبدأ الملل في اليوم الثالث وأخذ يتوأسى بالصبر، في اليوم العشرين بلغ الملل منتهاه، فانطلق إلى أبيها يسلمه مؤخر الصداق ويتنازل عن ماسكية الجهاز. .

اشتغل حافظ بالحاماة الأهلية وتبرز في مكتب سعد زغلول، وكان أبو شادى في نفس المكتب وكلفه أبو شادى بالحضور في قضية أمام محكمة ابتدائية لطلب التأجيل فذهب حافظ وهو معتز بقوته في اللغة وفصاحته، وكان رئيس الجلسة قاضياً تركيا لا يفهم العربية، فلما جاء دور القضية وقف حافظ بصوته الجمهورى:

أنا حاضر مع اللهم؛ محمد حافظ إبراهيم عن محمد أبو شادى من الأستاذ سعد زغلول

وأطلب ..، وهنا قاطمه الرئيس ايه تأجيلات ، ايه تأجيلات ، ايه حافظ إبراهيم عن أبو شادي عن زغلول ، المحاكم مش لمبات ، حكمت المحكمة بتأييد الحكم المستأنف وشطب اسم المحامي من جدول المحامين . كان حافظ وفيما لأصدقائه سعد زغلول محمد عبده ، محمد محمود ، الشيخ المراغى ، محمود عبد الرازق ، قضى مع سعد المهدي الآخر في بساتين بركات . كان صميره ونجى خلوته ، كان سعد يقضى وقته يتسلى بلمب الورق مع أصدقائه في مسجد وصيف وبساتين بركات، وكان اللب يجمع سعد وحافظ . . وكان الدكتور محجوب يهتم باستغلال طبيعته في اللب باستمرار ، شكنا سعد مرة أنه لا ينام في الليل وزادت شكواه من الأرق وقت النوم فقال له حافظ على الفور : مستعجل على النوم ليه ، ياماراح تشبع نوم طول بالاك ، فسرت هذه الإجابة عن سعد ، ومرة في مسجد وصيف وبساتين بركات كان حافظ جالس مع سعد وفتحت مناقشة عن أنواع الأطعمة وجري الحديث طويلا ، وفي أثناءه ذكر سعد أنه أكل مرة منذ أمد طويل في بيت عبد الله أباطة طاجن من نوع خاص وأنه كان شهيا ولا يزال يذكره ، فاقترح حافظ بسرعة على أباطة أن يحضر لهم بضعة طواجن من هذا النوع لكي توضع على المائدة يوم الجمعة ، وقبل أباطة بك وهو متهمل هذا الاقتراح وانصرف الجميع .

٧ - ومما يتصل بصورة المجتمع ، هذا الخبر : كان الدكتور شبلي شميل قد قام بفتح عيادته في طنطا قبل أن يتخذ مدينة القاهرة مركزا له ، لم يكده يستقر فيها بزاول صناعته حتى قام بعضهم في وجهه وحرصوا الزبائن والنساء في مقدمتهم على مقاطعته وعدم إدخاله بيوتهم أو زيارتهم في عيادته ، ولعل ذلك يرجع إلى كتاباته عن الفلاسفة المادية ، فانتقل إلى العاصمة وكان قد حضر مع أصحاب المقتطف من بيروت عام ١٨٨٥ وكان يكتب في المقتطف ، ثم أصدر مجلة الشفاء . وقد أصدرت إدارة المطبوعات إنذاراً لجريدة الشفاء .

كانت للحمير دولة

وكانت للحمير دولة : أشارت الأهرام في ١٨٨٩/٧/٢٩ إلى صدورلائحة الحماره وعلق توفيق حبيب في هامشه عام ١٩٣٩ على هذا الخبر فقال : في هاتيك الأيام كان للحمير دولة وللحماره صوله ، وكانت هناك حمير الأجرة والحمير الملاكي . وقل أن كان يخلو بيت من بيوت أهل الطبقة الوسطى والعليا من حواصل للحمير وخادم أو خادم لتنظيفها وتركيب العدة عليها . وكان عبد الحميد صادق باشا رئيس محكمة الاستئناف الأهلية يأتي إلى عمله وهو راكب حماراً . وكان الأعيان يتباهون بتزيين حميرهم ، فالبرادع من الحرير ، والرثمة والترويسة من الفضة، وأحياناً من الذهب ورحم الله عهد زيارات المحمدى وتسابق الوطنيين إلى حضرته وهم على حميرهم يسابقون بها الترام وينسكتون على ركابه، وحدث ولا حرج عن مواقف الحمير وشيوخ الحماره ومعلميها المشهورين، وأذكر منهم المعلم على يظيخة شيخ شويقة السباعين ، وكان تحت يده نحو خمسين حماراً وله صلة بالأعيان وأرباب الأعمال ، يوصونه على الركائب الخاصة لأنفسهم ولحريمهم . وفي الخطط التوفيقية للمرحوم على باشا مبارك بيان بمدد الحمير والحارين ومن يتبعهم وما تأخذه الحكومة من الفردة (الضريبة) عليهم ، وقد قضى الدهر الخوون على دنيا الحمار أصبحت سير الحمير المشهورة في خبركان، وخلا بروجرام السنة التوجيهية من توارىخ حمام بلعام وحمار القديس بطرس إلى حمارة منيتي وحمارة العديني .

وارتاج جوالمدينة من صباح الحماره: يميناك شمالك، وشك ظهرك ، وكان للحرب العظيمى (١٩١٤) عملها في القضاء على البقية الباقية من حمير القاهرة إذ ساقطتها السلطة العسكرية للمعمل في الدردنيل كما أخذت القروء إلى فلسطين وحل الشوفيرات محل الحماره وأصبحت لهم مثل حمارة زمان لائحة وامتحانات ورخص، وكانت هناك أيضا صحيفة اسمها (الحماره) أصدرها محمد توفيق الذى أخذتهج عبد الله نديم في المحادثات واحتخدم الاقتباسات وتحمى السجع بلا تكلف وكان له أسلوب خاص في قلب الفصائد القديمة والنسج على منوالها . وقد أربى قراء الحماره على عشرة آلاف قارئ ، كما بلغت مجلة الأرقول هذا الرقم أيضا وكان يصدرها الشيخ محمد النجار (١) .

قصة الترام : (فات الأهرام في ١/١/١٨٨٩)

« اللجنة المناط بها مخطوط الترمواى اجتمعت ورأت أن تمد خطا يبتدىء من شارع مصر العتيقة ميدان قصر النيل إلى شارع الترعة الاسماعيليه حتى كوبرى الليمون وهناك يمر فى شارع النجالة وينتهى إلى المباسية ثم يمر خط آخر يبتدىء من كوبرى أبى الملا ماراً بشارع بولاق ويمد فرعان من كوبرى الليمون إحداهما إلى شارع شبرا والآخر إلى السبئية ومنه إلى بولاق ، ثم فرع آخر يبتدىء من قصر النيل ماراً بشارع الجيزة حتى الأهرام وفرع يصل إلى محطة بولاق المذكور » .

وعلق توفيق حبيب على ذلك فقال : وقد جعل ميدان العتبة الخضراء مركزا للمخطوط العامة ، ولما تأت سنة ١٨٩٥ حتى سير الخط الأول من كوبرى أبو الملا إلى القلعة مجتازا شارع بولاق (فؤاد الأول) وكانت الترعة الاسماعيليه تمتد من عند دار الآنار المصرية مجتازة شارع الملحة نازلى عند الاسماف فكوبرى الليمون ممتدة إلى غمرة ، حيث يتلاقى بالخليج المصرى إلى النيل . وكان خط المطرية يبتدىء من ميدان قصر النيل (ميدان الاسماعيليه الآن) مسيرا الترعة الاسماعيليه حتى كوبرى الليمون وكان حى التوفيقية فضاء شرع فى تقسيمه وكان المتر فيه بمشربن قرشا . وكان للمرجية صولة ودولة ، فأفزعهم الترمواى وردد صوتهم محمود خاطر بك ، وكان عام ١٨٩٥ شابا تمزج من الخديوية فنشر فصيدة مهميبة بلسان الخيل لمله لا يبخل باعادتها اليوم ، وأخذ سليم سر كيس ينشر وريقة بعنوان (الكهربائية) مكبرا فيها حوادث الترمواى ومن تدوسه أو تصدمه من حيوانات باطشة وبكباء ، ويقول العامة « الكهربائية سيرها عجيب لما تبرطع على القضب » وطالب أعيان شبرا من الحكومة منع تسيير الترام فى شارع شبرا حتى لا تدوس أولادهم وهم ذاهبون إلى المدارس وأن يسير الترام فى الضواحي فقط » .

طرائف الصحافة

١ — الامضاءات المستعارة

من أبرز الحوالب الجديرة بالكشف عنها موضوع الامضاءات المستعارة ، وقد حصلنا على بمض التوقيعات التي كانت تستعمل في هذه الفترة : اسماعيل أباطه يكتب في الأهرام بتوقيع (علم) . محمود نغرى يكتب في اللواء بامضاء (محمود المقاصد) ، أنطون الجميل يكتب في مجلة الزهور بتوقيع : فؤاد ، سعاد ، ربيمة . ح . ي ، اسماعيل صدق كان يكتب بتوقيع (مستنهم) ، داود بركات كان يكتب في الأهرام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ بتوقيع (هي . بن . بي) وقد ترك حافظ عوض صاحب جريدة كوكب الشرق فصلا طريفا عن الامضاءات المستعارة قال : كفت أعمل محرراً في جريدة محرراً ومترجماً حين أرسلت روسيا بأسطولها الضخم إلى مياه الصين فلم تسكد تصل إلى ميناء بورت آرثر حتى أدركه الأسطول البريطاني (وزنفة زنقة السكب في الطاحون) ثم ظل يضربه حتى سقطه سحقا ، وكثبت في ذلك الحادث مقالا ناريا جملت عنوانه (كس . مات) ولعل الذي أوحى إلى بهذا العنوان أني كنت من المغمرين بلعبة الشطرنج ، بل كنت أبرع اللاعبين المصريين ، وأشفقت أن أوقع المقال باسمي ، فوقمته باسم مستعار هو (شطرنج) وذهب القراء إلى أن كاتب المقال هو ابراهيم المويلحي ، ولم يتعرف الزملاء والأدباء إلى كاتبه إلا بعد أن أفضى إليهم بذلك صديق عمده مسعود ، والمرة الثانية التي كتبت فيها بتوقيع مستعار ، كانت حين أعلن قاسم أمين رأيه في تحرير المرأة وكان رأيا جديداً قامت عليه مناقشة الكتاب ، وأحجم أسدقاء قاسم أمين والمحبون رأيه عن مناصرته ومنازله خصومه الأقوياء ، ولم أستطع يومئذ أن أقف مكتوف اليدين بينما رأيت يتفق مع قاسم واعتقد أن السفرور إذا لم يتغلب بحكم الرغبة فيه فإنه سيغلب

«من غير شك تبعا لسنة التطور ، ولكنى كنت أشفق من معارضة التيار الجارف من سخط العلماء والمامة واستنكارهم للرأى الجديد . ووفقت بعد تفكير فى الأمر إلى الطريقة التى أستطيع أن أدانم بها عن الرأى الذى أراه ، فنشرت فى المؤيد مقالات متتابعة تحت عنوان «وهل كان الحق مع الأغلبية دائما» وذكرت فيه كثيرا من الفتى لقيه الرسل والأنبياء بامضاء (متشكك) وكان لى ما أردت، إذ بهت الذين كانوا يعارضون الشهور ويحاربونه وراحوا يتخبطون فى ردودهم على هذه المقالات، ومما يذكرون أن الأستاذ الهلباوى ناله كثير من الأذى بسبب هذه المقالات، إذ حسب كثير ممن قرأوها أنه هو كاتبها .

وحين بدأت ثورة الرجعيين على حركة التلميم فى الهند وزعمهم أن تلميم المسلمين الهنود اللغة الإنجليزية لا يتفق مع تعاليم الاسلام أنشأت مقالا مطولا فى الرد على هؤلاء الرجعيين وذيلته بامضاء مستعار هو (خان بها دور) ونشر المقال فى صدر المؤيد حيث شغل أربعة أعمدة وتلقا القراء بشيء من الإعجاب والافتناع بالحجج التى تضمنها وذهب أكثرهم إلى أن كاتبه لابد أن يكون أحد أمراء الهنود المسلمين وكنت إذ ذاك أتماون مع محمد فريد فى إصدار مجلة (الموسوعات) فكشفت له سر هذا الامضاء، وحدث إن اختلفنا إلى منزل على بهجت مدير الآثار العربية فتلقينا هناك المرحوم محمود سامى البارودى ، على يوسف ، عبد العزيز النعمانى ، فسأل البارودى صاحب المؤيد من يكون (خان بها دور) صاحب الافتتاحية فلم يشأ الشيخ أن يفشى سر المهنة ، ولكن المرحوم محمد فريد بك سارع إلى أخبار البارودى بما يعرف من حقيقة هذا الأمر فقام هذا - وكان قد كلف بصره - وأخذ يغمرن بقبلاته ويهنئنى على ما صادف فى هذا المقال من توفيق .

توقيع محمد بن يلفت نظر سمد زغلول :

ولم أحب الأسماء المستعمارة التي ذيلت بها مقالاتي هو اسم « محمد بن » الذي بدأت
إستعماله في الكلمات القصيرة ذات الأسلوب الانتقادي اللاذع الذي كنت أكتبها في
جريدة النظام . وما أزال أذكر إلى اليوم أولى هذه الكلمات وقد جمعت عنوانها (سيف
المز وذهبه) أشرت فيها إلى الانعامات والمكافآت التي كانت الوزارة القائمة حينئذ
تكيلها لأنصارها من النعميين والوصوليين ، كانت موضع إعجاب سمد زغلول ، حتى
أطلع عليها في مساء اليوم فأرسل إلى سيد علي صاحب جريدة النظام يسأله عن كاتبها ، فلما
أخبره ، استعداني إلى بيت الأمة وهنأني على التوفيق .

المقدمات والتقاريف

أثارت الصحف موضوع كتابه مقدمات الكتب والتقاريف بمناسبة مصادرة « ديوان وطيبتي » للشيخ على النايان عام ١٩١٠ فقد قدم المؤلف إلى المحاكمة كما قدم محمد فريد وعبد العزيز جاويش بوصفهما قدما للكتاب بمقدمتين فيها تهريض للكتاب ، هنالك ثارت في الصحف معركة حول مسئولية أصحاب المقدمات عن ما يرد في الكتب .

وكافت النيابة قد سالت الشيخ جاويش عن مقدمه ديوان وطيبتي فأجاب بأنه كتب المقدمة قبل أن يطبع الديوان .

س : كيف تضع اسمك على شيء لم تتحقق إذا كانت فيه مسئولية أم لا .

ج : إن هذا أمر هادى بين الصحفيين والكتاب وغيرهم ، وهذا الشيخ على يوسف يضع اسمه فى أسفل جريدة العلم (التى هى جريدة الحزب الوطنى) دون أن يطلع على شيء فيها ، مع أنها معرضة لأن يأتى فيها شيء من المسئوليات أكثر مما يصيب مثل هذا الكتاب ، وإن لوائق من أنه لم يطلع حتى على نفس الأعداد التى نشر فيها إعلان كتاب « وطيبتي » .

س : ألم تطلع على القصيدة التى نظمها النايان فى ناظر الحقانية بخصوص تصريح بالحكم عليه .

ج : اطلمت على تلفراف فريد بك وسافرت وفتتذ إلى الاسكندرية حيث كان أهلى مرضى .

س : ألم تعلم أن قصيدة الورد كان يقصد بلفظ الورد : إبراهيم الوردانى (وكان إبراهيم الوردانى قد إغتال بطرس غالى ناظر النظار) .

ج : يسأل الناظم عن ذلك ، أما أنا فلم أبحث فيها ولم أر فيها غير ما تؤديه عبارتها .
وقال الشيخ جاويز : هل من المعقول أن أعلم بأن شعر الناياني يقع تحت طائفة
التانون واضع اسمي عليه .

س : قلت في كلمتك : أن اشعار الناياني تنهض المهم ، فهل كنت تعتقد عندما كتبت
هذا التقريظ أن هذه الأشعار حقيقة تنهض المهم .

ج : إنما هي كلمة كتبتها من قبيل المجاملة ولا ينبغي على الخبيرين بأساليب اللغة العربية
أن كل ما يكتب في المدح والرثاء والذم ليس حقيقة وأغلبه مبالغ فيه .

س : هل قلت أن شعر الناياني شعر هادى أى يؤثر التأثير المطلوب منه .

ج : إنما هناك فرقا بين الشعر العادى والشعر السهل ، فالشعر العادى الذى ليس
فى طبقة من البلاغة بحيث تدفع الكتاب والرواة والحفاظ إلى العناية به والاهتمام بأمره ،
أما السهولة ولا سيما الممتعة ، فإن هذه طريقة لا يبلننها من الشعراء والكتاب إلا القليل .

س : ألا تعرف أن الناياني يقصد « إنهاض المهم » .

ج : يسأل الناياني نفسه فى هذا الأمر ، أما قولى الذى جاء فى المقدمة فهو من قبيل
المبالغة أو المجاملة أو التوسط ، ومثلى فى هذا مثل إسماعيل صبرى فى تقریظ ديوان نسيم .

لك فى الشعر يانسيم معان باهرات تحار فيها المعول
كل بيت يطل منه على أفهام أهل النهى عيا جميل

فلاظن إسماعيل صبرى إلا معتقدا أنه مبالغ فى هذا القول ، ومثل آخر هو أن الشيخ
على يوسف عندما قرظ جريدة البلاغ المصرى لم يطلع على كل ما فيها مع أنها صحيفة
أو ورقة واحدة ، وبمد أن كتب التقريظ لفته أحد الكتاب إلى جملة كتبها إسماعيل شيمى ،
أخذ منها أنه يقول بصلب المصيح ، فإذا كان الشيخ على يوسف لم يضطر إلى قراءة

صحيفة واحدة لتقريبها ، فهل من المقول الحكم بأنه هل كل من يكتب كلمة عن كتابه أن يقرأه ويستوعبه ، أضف إلى هذا أن حافظ إبراهيم وشوقي وهما من أكبر الشعراء اليوم لم يستطعا إنهاض المهتم بشعرهما خصوصا قصيدة شوقي عن الدستور الثماني ونشرتها المؤيد وفيها :

والشعب إن رام الحياة كبيرة خاص الفهار وما إلى آمالي
فإن كان شوقي ومنزلاته من الأمة العربية معروفة ككحل أحد يدفع بهذا البيت
الدموى وأمثاله إلى خوض غمرات الدماء في سبيل تحقيق آمالهم فكيف لي أعتقد
أن الثماني بشعره الذي قلما عرفه إلا نفر قليل يستطيع فعل ما ترمى إليه النيابة .

* * *

وكتب رئيس تحرير الإيجبت « ريمون كولز » أن الشيخ جاويش يقول أمام
النيابة عن إيضاح ما جاء في قصيدة جديدة من نظم أحمد رفعت المحرر بالعلم (يونيو ١٩١٠)
وهذه القصيدة عنوانها قصيدة الورد ، وفيها يزعم الناظم أنه يودع الربيع وينتظر ظهور
ورد الربيع الجديد ، ولكنه بما أنه يوجد تقارب لفظي بين لفظ الورد والورداني فقد
عنت بهذه القصيدة بعض الجرائد العربية وعلى الأخص الأهرام والأخبار .

وقال : أن النيابة أدخلت هذه القصيدة بحري التحقيق لأنها وجدت ما وافقه تحت
المسئولية بما احتوته من المعنى المزدوج ، لأن الناظم وضعها في صيغة مبهمه بطريقة
تجيز لقارئها إذا أنشدها أن يرونها إعلانا لمجد الورداني ، وأثارت هذه القصيدة المناقشة
بين جريدة العلم وبين الصحف الأخرى ، وقالت جريدة الأجيبيان جازيت : إن الدلائل
تدل على أن النيابة لا تعمل بمفردها في تحقيق قضية الثماني بل تمت يد إنجليزي من وراء
ستار لإدارة التحقيق .

* * *

ولم تتوقف « جريدة » العلم من بعد عن نشر فصول إضافية عن المقدمات والتقاريط .
ومما جاء قول (سبيل) الجاملة في المقدمات والتقاريط مفالاة نوابنا الرسميين وغيرهم في امتداح

حوادث القديين يسولون الشفاء وغش الناس به وعدم اطلاع ساداتنا المقرئين التي يشهدون زوراً بكاملها وعبقرية أصحابها وذلك ثقة برجاحة عقل المؤلف أو رغبة في التخلص من الحاجة أو قصد الإحسان إليه أو لضيق الوقت ، ولا يمر يوم إلا يطعمنا الكتيرون على المؤلفات المشحونة بالتقاريف من كبار العلماء ورجال الدين بالرغم ممن احتوت عليه من الآراء المناقضة للدين وأحكامه ، هذا (خواطر في الإسلام) لمؤلفه عطا حسنى ، قرظه الشيخ سليم البشري والشيخ حسونة النواوى وفيه أخطاء لم ينظر إليها الشيخ سليم والشيخ حسونه .

* * *

وكتب آخر يقول : بخيل إلى من لا يعرف شيئاً من أمر التقريظ عندنا أن الغابنة للعلم منا لا يكاد يطلب منه طالب أن يضع تقریظ الكتاب ، أو المقدمة حتى يتناوله من يد المؤلف قبل أن يقدم للطبع ثم يقطع لمراجعتهم بابا بابا يتدارك ما يلم به من المآخذ ويرجع بما اشقته عليه منها على مراجع العلم ، ولا يزال حتى يفتقه بحثاً وتحريراً ، ثم يقول فيه كلمة مراعيها مطابقتها للواقع ، ويأذن للمؤلف بعدئذ أن يخرجها للناس كتاباً سويًا على ألا يفارقه ساعة قبل أن يطبع ، وما هذا من الواقع في شيء فإن أغلب المقرئين عندنا لا يتمكنون من الاطلاع على التأليف التي يطلب منهم أن يقرظوها .

ومما يتصل بهذا أن الشيخ محمد عبده كتب مقدمة لرواية «البؤساء» التي ترجمها حافظ إبراهيم وقد نقده العلامة مصطفى الغلانين وقال أن الشيخ محمد عبده يقرأ الترجمة .

المواقف الحرجة

بصور « حسن الشريف » أبحر موقف مر به في صلته بالصحافة : يقول في أوائل ١٩٣١
شرح البنك الأهلي في إصدار طبعة من أوراق البنسكنوت ذات شكل جديد بدلا
من الطبعة القديمة التي كانت تحمل صورة الفلاح المصري ذى اللحية البيضاء . ومن عادة
البنك أن يرسل عند إصدار طبعات جديدة كميات منها إلى وزارة المالية لتوزعها على
الوزارات حيث تعرض على صرافى الخزائن فيطلعون عليها ويمرفون شكلها وخصائصها
وأمرار علاماتها حتى يسكنونوا على علم بها فلا تختلط عليهم الأوراق الصحيحة
والأوراق الزائفة وكنت إذ ذاك مدير إدارة مكتب وزير الحرب والبحرية ، وفيما أنا منهمك
في فض المسكبات السرية إذ بى أجد كتابا من وزارة المالية ارفقت به ثلاث ورقات
بنسكنوت من فئة المئة لم أر مثلها من قبل ، وقد كتبت على جوانبها ووسطها بحروف
منحرفة : كلمة « لافى » بالعربية والإنجليزية والفرنسية وليس عليها إمضاء البنك .

وقابلت في عصر اليوم صديقى إميل زيدان أحد أصحاب دار الهلال فلما أربته الورقة
أعجب بها وطلب فى أن أصبح له بنشر صورتها الفوتوغرافية فى مجلة المصور فأعطيته
الورقة فنصورها وأعادها لى شاكرا ، وقد ظننت أنى بذلك قد أسديت خدمة إلى صديقى
تمره كثيرا ولا تكلفنى شيئا ولم يمض يومان حتى ظهرت صورة الجنيه الجديد
فى المصور . وفى نفس اليوم استدعانى الوزير : محمد توفيق رفعت وزير الحرب وقال :
لقد وقع حادث خطير ؛ كان محافظ البنك يتحدث معى فى شأنه الآن ، ذلك أن بعض
المجلات قد حصلت بطريقة لا أعرفها على ورقة البنسكنوت المزعم إصدارها قريبا .
ونشرت صورتها وقد أزعج البنك الأهلى من هذا النشر ، أيعا إزعاج لأنه يمتد أنه

فيه معاونة للمزيقين على زيف أوراق شبيهة بها بحيث تصدر الأوراق الزائفة والأوراق الصحيحة في وقت واحد ، فلا يستطيع الجمهور أن يفرق بينها ، ولقد عزم البنك على إعدام هذه الطبعة التي بلغت نفقات رسمها وتلوينها وحفرها وطبها وورقها مبلغاً كبيراً من المال .

كان الوزير يتسكّم وكانت إمارات الرعب قد بدأت تدب إلى مناصلي ، وقد غطى وجهي عرق بارد واصفرار خفيف فقلت : وماذا علينا من ذلك ، قال : إن محافظ البنك قابل صدق باشا رئيس الوزراء ، واتضح أن الورقة المنشورة في المجلات تحمل رقم إحدى الورقات الثلاث التي أرسلت إلى وزارتنا : وزارة الحربية ، ومطلوب إجراء تحقيق سري سريع ، لتقديم الموظف إلى النيابة العمومية ، وعند هذه النقطة من كلام الوزير خيل إلى أن صوابي قد تمطل أو أن عقلي قد أصيب بشلل مفاجيء . فقلت في نفسي : لقد وقعت ، وقال الوزير : عليك أن تقوم بالتحقيق بطريقة سرية وتصل إلى نتيجة . وكان في استطاعتي أن أكتّم الحقيقة وألتي المسؤولية على موظفي الخزائن وكان في استطاعتي أن أقوم بتحقيق شكلي لا يسفر عن نتيجة . ومن الهال أن نحوم الشبهات حولي وأنا أعلم أن صاحب الهلال لا يستطيع إذا سئل أن يفتش سر المهنة . ولكن ضميري لم يسول لي اتهام غيري ولا التنصل بالكذب ، ورأيت أن الروعة والصدق يقتضي أن أجهر بالحقيقة .

قلت للوزير : لا ضرورة للتحقيق فأنا أعرف الفاعل ، وانقرجت أساور الرجل وقال : حسن جداً ؛ من هو ، قلت أنا ، ولو أن قبلة انفجرت بين قدمي رفعت باشا لما أزعجه انفجارها أكثر من وقوع هذه الكلمة على أذنيه وقد نظر إلى كالمشدهو محملاً وصاح : أنت .

قلت نعم أنا ، وشرحت له ما حدث ، فاهتمد رأسه برهة بين يديه وهو يقول أنت ، أنت مجنون . وأحسست أن ألما نفسياً عميقاً قد استولى على الرجل ، فأنا مدير مكتبه وزوج ابنته ، وقال إلى أكتب لي تقريراً . . . وخرجت من مكتب الوزير وأنا أترنخ في مشيتي وجلست في مكنتي أفكر وأبحث عن مخرج وركبت السيارة إلى البنك

الأهلى ودفنت بطاقتى إلى حاجب محافظ البنك . فلما دخلت عليه قلت : أنا الموظف الذى أعطى صورة الجنيه الجديد للمصحف . وهاجت عن نفسى وقلت : أنه ليس بينى وبين الزيفين صلة واشتملنى الرجل بفطرة فاحصة ، وأخذ يدق بلور مكتبه بقلمه دقات خفيفة وقال لى أن الزيفين سيقلدونها ولا بد من إعدام هذه الطبعة . قلت : أن الزيف لا يكتفى برسم الورقة وخطوطها بل لا بد له من رؤية الألوان المختلفة التى تقطعها والصورة الفوتوغرافية سوداء ، فضلا عن أن الورقة لا تحمل إمضاء محافظ البنك ، وإمضاء المحافظ الجديد لا تزال مبهولة فى مصر فكيف يثبتها الزيفون . قال : هذا كلام معقول . قلت : إذا كان كلامى هذا معقولا فلا عمل إذن لتلك الأهمية للمسألة التافهة . قال : نستطيع أن تريح بالك من هذه المسألة وأنا مسرور من ذكائك .

الصحافة بين ١٨٩٨ - ١٩١٤

(١٠) من مذكرات أحمد حاطط عوض .

كنت قد وضعت رواية باسم « اللبثيم » فلما أطلع عليها الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد أمر بطبعها فطبعتها فعلا والتحقت بتحرير المؤيد ١٨٩٨ واشتملت بوظيفة مترجم بمرتب قدره أربعة جنيهاً في الشهر ، وهذه كانت بداية عهدي بالاشتغال بالصحافة . وكان اشتغالي بالصحافة على أثر ماجرى بيني وبين الإنجليز في وزارة المعارف واضطهادهم لي بسبب بسبب علاقتي بمصطفى كامل ، عرض علي صاحب المؤيد أن اشتغل عنده مترجماً عن اللغة الإنجليزية ، ومحرراً مقابل أجر ضئيل . كان المؤيد يطبع في أربع صفحات ولا يتجاوز الأخبار في عمودين ، وبه مقالة أو اثنتان في الصحيفة الأولى وشيء من الصحافة الخارجية والباقي إعلانات .

كان صاحب المؤيد نحيل الجسم ضئيلاً ، دائب الحركة ، وكنت وأنا ومحمد مسمود تشغل في ترجمة أخبار الصحف الأجنبية وتحرير بعض المقالات ، وكان محمد بك فريد صديق للمرحوم مصطفى كامل عام ١٨٩٨ بعد أن اشتهر بانتصاره لصاحب المؤيد في قضية التفرقات المشهورة وكان قد استقال من وظيفته في النيابة وانخرط في سلك الحمامة وأخذ له مكتباً في شارع عابدين بملك راتب باشا أمام المهارة التي كانت تشغلها الدائرة السنية ، واشترك معي في العمل على ما أذكر المرحوم حسن عبد الرازق الذي قتل في حادث النزاع الحزبي أمام دار حزب الأحرار الدستوريين واشترك معنا بعد ذلك محمود أبو النصر ، وفريد بك ابن أحمد باشا مدير الدائرة السنية .

فلما أظهر ما أظهره من المواطف الوطنية في قصة التفرقات وعرف أمره وكان يعمل كثيراً عن الاشتغال بالسياسة كما كان يحب الكتابة في المسائل الأدبية والعلمية

والتاريخ لنوع خاص - إذ أن له في التاريخ مؤلفات قيمة مشهورة منها تاريخ الدولة العثمانية وتاريخ العائلة الخديوية - فذلك فسكر محمد فريد في أن يصدر مجلة عربية أدبية علمية يشترك في تحريرها كثيرون من كتاب اللغة العربية .

وكان إنسى قد ظهر في المؤيد على مقالات وبحوث كبيرة مما أوجد فكرة حسنة عن شخص الصحفي عند الكثيرين من ذوى الفضل والسكانة في ذلك الميدان من أمثال المرحوم الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكرى ومحمد فريد .

فلما فسكر محمد فريد في إصدار المجلة خيل إليه أننى أصلح لأن أتولى إدارتها على أن تسكون ملكاً له ويكون الاتفاق عليها من ماله الخاص ، فاستدعاني إليه في مكتبه وتحدث معي في هذا الشأن فقبلت مع أننى كنت إلى ذلك الوقت أحرر في جريدة المؤيد .

وكان ظهور العدد الأول (١٥ نوفمبر ١٨٩٨) وقد فسكر فريد وأرد أن تجارى المتعطف والهلل اللتين كان يصدرانها اخواننا من الأدباء السوريين . وحرر فيها كثير من رجالات مصر البارزين : الشيخ محمد عبده ، ومحمود أبو النصر (وكان في ذلك الحين مقياً في باريس يدرس اللغة العربية في مدرسة تعليم اللغات الشرقية) واشترك مع محمد فريد في مكتبه في الحمام وتولى تحرير الموسوعات وإصدارها بعد أن تخلت عنها كما كتب بها على بهجت (مدير دار الآثار العربية) صهر أحمد فهمى العمروسى المفتش بالمعارف :

وقد كان لهذا الرجل فضل على ، ولأنه من أهل العلم والفضل وله في الموسوعات بحوث كثيرة ، وقد وضع فيما بعد كتباً عديدة أهمها (كتاب الفسطاط) الذى يمد حجة في التاريخ الإسلامى .

وقد نشر في العدد الأول موضوعاً تاريخياً طريفاً عن « زواج الجنرال منو » أحد قواد نابليون في الحملة الفرنسية بالقناة المصرية زينت الرشيدية في رشيد وإعقباته الاسلام وتسمية نفسه « عبد الله منو » .

وقد نشر صورة المقدم الذي عثر عليه على بهجت في محكمة رشيد الشرعية . وكان يعقوب أرئين وكيل وزارة المعارف الأرمنى (من بيت أرئين ومنها تسكران باشا) هو الذي مهد السبيل لى بهجت للعمل مديرا لدار الأناضول العربية التي شيدت بجوار دار الكتب .

* * *

لما جاءت الحرب واعتقلت في الاسكندرية ، حدث أن أقيمت قنبلة على السلطان حسين في أثناء زيارته إلى رأس العين فداخله اضطراب كبير وتوجهت التهمة إلى كثير من الناس وكان من لحقهم رشاش من هذه التهمة كاتب هذه السطور لأنه كان من رجال الخديو السابق فصدرت الأوامر بتفتيش المنزل الذي كنت أسكن فيه بالاسكندرية .

* * *

كانت أول مرة وقع فيها نظرى على المرحوم الشيخ محمد عبده وكنت قد تركت مدرسة المعلمين العليا واندمجت في تلك تحرير المؤيد عام ١٨٩٨ وحدث حادث إطلاق الأمير سيف الدين الرصاص على أحمد فؤاد الذي أصبح بعد ذلك سلطانا فلسكا، وبدى في عاكة سيف الدين وكان الشيخ عبده إذ ذاك قاضيا في محكمة الجنائيات مع أحد قضاة زقفلو شقيق سعد . وكافى الشيخ على يوسف أن أحضر القضية وأخلص المرافعات وانعدت المحكمة في سراى صارت بعد إدارة لجريدة الأخبار وكان محمد عبده هو وحده القاضى الذى يلبس عمامة وذلك قبل أن يتولى الإفتاء .

بعد ذلك بنحو عام نقل الإمام إلى وظيفة الإفتاء وكان يلقى دروس التفسير فى الرواق العباسى وأنا لا أزال محرراً فى المؤيد أكتب المقالات يامضائى ، وصادف أن كنت أقوم فى منزل صغير فى جهة هابدين .

كان من آداب الشيخ عبده ومكارم أخلاقه أن يمطف على صديقه الشيخ محمد عبدالمهناج زيد

(وابن عم والدتي) وكان زميله في الأزهر ، قال زيد للشيخ أن ابن أخى حافظ عوض القدى تحرر في المؤيد قال له الإمام : أحضره لأراه .

عدت إلى المنزل فوجدت الشيخ عبد الهادى يفتظرنى لنذهب إلى الشيخ الإمام كضربة لازب فذهبت معه إلى عين شمس وكان بدء معرفتنا وبدء عطف الشيخ الإمام على طيلة حياته حتى كنت معدودا عند الناس من أتباعه . وكان ذلك سببا فى إِبصال عيش كثيرين من ذوى قرباى ومن أهل بلدتى ، ومن هنا تبدأ ذكرياتى الحقيقية عن علاقة الشيخ عبده والمستر بلنت المعروف القدى كان يقيم فى حديقة كبيرة بعزبة النخل على مقربة من منزل الشيخ محمد عبده (وقد اختصه مستر بلنت بجزء كبير من كتابه التاريخ السرى للاحتلال الإنجليزى) رسم فيه صور قديمة للشيخ الإمام أثناء شبابه .

وكانت تلك العلامات من الوسائل التى يمكن بها الشيخ الإمام خدمة بلاده . وكان الإمام يتعلم الفرنسية التى كان يتكلم بها مع بلنت وبالعربية أيضا لما كان يزوره كثير من الإنجليز والارلنديين ، وكان هذا داعيا للشيخ عبده حين عرف أنى أجيد الإنجليزية وإنى أحسن الترجمة بها حديثا وكتابة ، إحتضنى بأن أكون رسوله ووسيطه بين الإنجليز والارلنديين .

وقد عثرت فى الأوراق التى بقيت عندى على خطاب المرحوم الإمام يطلب فيه إلى مقاتلة المستر ديبلون من زعماء الحزب الارلندى المشهورين .

ولذا العزيز

كتب إلى المستر بنيت يقدم إلى صديقه المستر ديبلون من رؤساء الحزب الإيراندى ورفض إلى أن أمره ووعده أن أراه يوم الثلاثاء الآتئ الساعة أربعة بعد الظهر فأرجو أن تذهب إليه فى الـوكاندة التى يقيم بها وتتوجه إلى الأزهر وأكون شاكراً .

محمد عبده

الأحد ٢٢ مارس ١٩٠٣

« الملائمة بين الإمام والخديوي » ، ١١ أغسطس ١٩٢٧

وقد بان عندى أن أصل الشيخ محمد عبده من أصول تركمانية أو كردية ، وكان ذلك ظاهراً في ملامح وجهه وفي تصوراته ونفسيته لأنه كان على أنه من الفلاحين وكان طالباً في الأزهر وناشئاً في بيت لأترى خلق الشجاعة والإقدام ، كان على عكس ذلك من الشدة والصلابة والنفاد فيما يقدّمه تصويره وبمقده ، قال لى مرة ونحن نتحدث عن الصحافة وعن جريدة المؤيد « أنا أحب أقول لك كلمة بصفة خاصة لأنك من الشبان الذين أحببتهم ولأنك ترتبط معنا بملازمة قرابة ولا أحب أن تنقل هذا الكلام عنى ؛ أنى لا أستطيع أن أحمل من الذين أصولهم من أواسط آسيا كالأنراك والحكام والماليك ومن تناسل منهم ما يماملون به المسلمين أو المصريين بصفة خاصة من الاحتقار ، وأنا أحب الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ولكنى لا أحب منه ما أراه من التذلل والخضوع لما يصدر عن السراى أو عن عباس (بهذا اللفظ كان يتكلم دائماً عن الخديوي فى ذلك الوقت) .

ولم يكن حين قال لى هذه الكلمة قد وصل إلى دور الخلاف الذى وصل إلى حد العناد والكرهية والمقاومة الشديدة بينه وبين الخديوي لأن ذلك كان أول توليه وظيفة الإفتاء .

وكان الخديوي ياجأ إليه ويستعين به فى حل بعض المشاكل ولكن الدسائس اشتدت بين الطرفين ، حتى وصل الحال بينهما إلى الكراهية الشديدة والحقد ، والرغبة من جانب الخديوي بنوع خاص إلى القضاء على الشيخ الإمام وإخراجه من الإفتاء والأزهر ، فلم يكن فى وسع الشيخ الإمام احتفاظاً بما يعمل له لخدمة الأزهر والإصلاح ووطنه إلا أنه يعتمد على من يكون فى إمكانه صد اعطاء الخديوي عليه ، ومن كان فى مصر يستطيع ذلك غير اللورد كرومر . لهذا توطدت بين اللورد كرومر وبين الشيخ الإمام دعائم مودة وتقدير متبادل بين الطرفين ، وكان الشيخ فى كثير من الأحيان لا يسلم للورد كرومر

بما كان يرمى إليه في أمر من الأمور إلا بعد أن يقتنع الإمام بأن المصلحة في ذلك ،
أو أن هناك عوائق سياسية لا تستطیع دفعها .

وأنا أعتقد شخصياً أنه قد كان للشيخ محمد عبده سلطة على كرومر آتية من طريق
الثقة بما كان يمتقده كرومر في الشيخ الإمام من الاخلاص والسكفاء والرجولة .
وبنوع خاص بترفمة عن الغايات والأمر الصغيرة . قلت أن الخديو كان في أول أمره
ميالاً إلى الشيخ الإمام ، وهو الذي ساعد على إصدار العفو عنه بعد الثورة المرابية
حتى يستطيع أن يحضر إلى مصر ، وكذلك فمل عباس في أمر عودة عبدالله نديم . وكانت
المرحوم الإمام لياقة ظريفة وابتساماً أظرف ، ووجه صبوح وروحانية مؤثرة على كل
من اختلط أو اتصل به ، ولولا الخلاف الذي وجد بين الخديو والإمام ، ما وجد ذلك
العريق الذي تألف من حزب الأمة ، ولا كانت الجريدة التي يحررها (أحمد لطفى السيد)
ولا كان عزل الخديو . .

والذي يدلنا على أن الخديو عباس كان شديد الميل أولاً إلى الشيخ محمد عبده وأنه
كان يركن إليه ، أنه طلب إليه أن يكتب كتاباً عن تاريخ الثورة المرابية التي اشترك فيها
المرحوم الإمام اشترى كما فعلنا حتى لا تضيع حقائقها التاريخية .

ويقول السيد رشيد رضا أنه من سوء حظ مصر والمصريين بل الشرق أن الإمام
لم يتم تأليف هذا الكتاب ، فقد صار تأليف الكتاب للأمر مشكلاً لأن الأستاذ الأمام
كان يلقى تبعة الثورة على الخديو توفيق مباشرة وجعل لما كان من إسراف الخديو
إسماعيل وسوء إدارته لبلاد أسباباً ممهدة لها .

ولم يكن الإمام ممن يقبلون الرضوخ لسيطرة الرأي أبداً وكان همه ومجهوداته متوجهة
إلى بث روح الاستقلال النفسى عند المصريين فكان يحتمر طلاب الوظائف وطلاب
الرتب والنياشين .

وقد اشتهر محمد عبده مع علمه ، بأنه كان يحب الفكاهة ويقرب إليه رجال الفكاهة حتى كان يرسل كثيرا إلى المرحوم الشيخ البابلي ويجمع بينه وبين المرحوم حافظ إبراهيم الشاعر حيث يتألف من جماعتهم مجلس فكاهة يأنس إليه الشيخ ويستروح .

وكانت (إحدى الصحف) وقد نشر فيها مقال عن السياسة ، وأظن أنه كان هو الشيخ الشربتلي الذي كان يكتب في عدة صحف ومنها الظاهر التي اشتهرت بحمله هنيئة ضد الشيخ محمد عبده أيام فتوى اللقوذة . وقرأ الإمام المقال وما فيه من خلط ، وكان الشيخ بضرب به المثل بين الصحفين بخلطه فإذا عابوا مقالة ما ، قالوا هذه مقالة شربتلية ، وقرأ الإمام المقال وقال ، ومعه عبد الكريم سليمان وحفني ناصف وقاسم أمين ؛ أنا أرفع جنتها لمن يقول لي مما في هذا المقال من أغراض ومقاصد .

وكان الشيخ علي يوسف يفتح لي كتبه بأن احتياط ولا أكثر من الاتصال بالشيخ محمد عبده وكنت أفضل أن أقطع علاقاتي مع جريدة المؤيد ، حتى لا تتأثر علاقاتي بالشيخ الإمام ، ولكن الشيخ رحمه الله كان يحب أن تزداد صلتى بالصحافة ، وتجاربي فيها ، ولم يكن هناك وسيلة الاشتغال بجريدة أخرى .

على يوسف في مذكرات المدعو عباس

كتب أريد أن يكون لي صحيفة قادرة على أن تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا إلى إدراك أكثر وضوحا للفرض والواجبات الوطنية فدعوت كتابا من كتاب اللغة العربية، كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه هو الشيخ علي يوسف، وكان قد تردد على مدرسة المعلمين وخارجا من الجامعة الأزهرية ، وكان قد لفت إليه الأنظار إن لم يكن بانساع أفقه العسكري ، فبحماسة في المناقشة وبموهبة بمجادل حقيقة ، ومقدرته المشهورة على هضمه للمائل ، وخاصة إذا ذكرنا أنه لم يكن يتكلم لغة غير العربية ولم يدرس إلا في المساجد . وكان الشيخ علي يوسف وهو من أهل الصعيد يعرف عقلية مواطنيه ومطامعهم ،

وكان رغم أنه تربى في بيئة دينية يعرف كيف يفرق بين واجبات الفرد نحو بلاده والاحترام الواجب للدين وكانت سياسته تستند أحيانا على نفوذ الخليفة ولكنها لم تكن على الخصوص تركية أو إسلامية .

هذه ألوان قد زادت من تأثير الشيخ على يوسف على الشعب وكان الشيخ على يقفد أحيانا مظهر مدافع عن الإسلام أكثر من محركا للشعور الوطنى ، وكان القرض من هذا التكتيك هو أن يجمع كل القوى المشتتة حول فكرة واحدة عامة وقوية .

كان الشيخ على فى بداية نشاطه يقفد على الأخص ستاراً للكثير من الشخصيات البارزة التى كانت تحمل إلى الجريدة ثمرة ملاحظاتها وخلاصة تجاربها فى حياة كرسى للادارة أو لسير العدالة ، كان أكبر رجال البلاد اقتداراً وأعلام نجبراً يساهمون فى عمله ، وكان معروفاً أن القصر يؤيد ذلك ، فكان قارىء لسان حال التحرير يقطف من أعمدته زهرة الفكر المصرى وسرعان ما غدا المؤيد بفضل هذه الوسائل إحدى الصحف العربية الرئيسية يقرأه الناس من طنجه إلى الهند ومن تركيا إلى زنجبار .

وقد كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات المظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة ، وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تقدر ، قد غدا أستاذاً بفضل إيصاله اليوم بالشخصيات البارزة فى كل علم وفن .

كان على يوسف بارعا فى استخدام الرباط الطابعى القوي الذى يربط المصريين منذ عهد بيميد ، وفى تأسيس وطنيته على أساس من تلك الماطفة القوية الجذور . ولم يكن تعليمه الدينى يؤثر إلا قليلا فى نزعاته التحررية .

الحق أن على يوسف لم يكن يوما ما رجل تركيا ، وإذا كان فى بعض الأحيان قد أبد الخليفة ، فإنه ما كان يبنى سلطان القسطنطينية وإنما زعيم الإسلام ، كان مصرىا قبل كل شىء ، ولقد نجح أياما كان شخصه أو كانت أراؤه فى أن يستميل الراى العام ويجمعه ويمله التفكير ، وكانت مقالات المؤيد تقرأ وتشرح فى أبعاد القرى النائية ، وكان المتمولون أنصار الجريدة وكانوا يمولون على رواجها وكان انتشار المؤيد ونفوذه يعزاید بفضل عطافى الذى لا ينقطع عن الشيخ .

النقد الاجتماعي

إبراهيم المويلحي ومصباح الفرق ١٨٩٨

كان إبراهيم المويلحي يمثل أرق نماذج الأسلوب المصري في أواخر القرن التاسع عشر وهذه باقة من كتاباته تمثل إرائه في الصحافة ونقد المجتمع .

(١) يسافر أصحاب السعادة مصطفى فهمي باشا إلى إيشي وأحد مظلوم باشا إلى فيشي وإبراهيم فؤاد باشا إلى كارلسباد وبطرس غالي باشا إلى مريمبات ، ولا يسافر سعادة محمد عبان باشا إلى كبريا بل يكتفى بالاعتكاف في حمامات سان اسيفانو للتجرد والراحة وانخلوه من عناء الاشغال في الحكومة ، ولنظارنا المظالم الذر البين في مهاجرة الديار المصرية في هذا الأوان ، أوان الحر وشدة القبط وخالو الحكومة مما يشغل الخاطر وبهم الفاخر ، فإن الحملة السودانية وما يتبهما من فتح الخرطوم واسترداد السودان كلها أصبحت في عهده سعادة كمشتر باشا ، وعمل الخزان والنظر في تدارك أخطاره في كفاية المستر ولسون ، وبيع الدائرة السنية وسكة الحديد السودانية وما وراء ذلك من العواقب المجهولة في وصاية المستر ألون بالمر . (١٦ يونية ١٨٩٨)

(٢) ما الجرائد شهد الله — إلا وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذريعة إلى إقامة الحق ، وعق الباطل ، فهي عصا طمر ذى الحلم ، ودرية عمر الفاروق (وهي الصائح الحكيم للتنمية والامتاز) باللوم والعتاب ، وما شرفت أمة ولا سلحت جمعية ولا انتظمت حكومة إلا بهذا الانتقاد .

ولعلنا أن الانتقاد المطلق المام لا يؤثر في النفوس ولا ينبه الأذهان عمدنا إلى التمييز والخصيصة . والتشخيص ، فإن الانتقاد وتوضيح الحقيقة في هيئة معينة وصوره معينة وذات مقصودة أبلغ في النفس وأدهى إلى اجتناب ما يفقد في ذلك التوضيح ، من أجل (م ١٤ — تطور الصحافة العربية للماصرة)

النقد فتحنا حديث (عيسى بن هشام) وجربنا عليه متخصصين في موضع التعميم وممهمين
في موضع التخصص .

(٣) أما استئصال المال ففاجله كثيرة وبكفي له (الأزبكية) بقصها وقارها وخزرها
وخارها وغنائها ومنائها وبنائها ومبانيها ، قال لى أحد الأدباء أن في مصر خمسة ملايين
من الأفدنة بأكها فدان واحد ، هو محلات الحجر والميسر وغيرها في الأزبكية .

(٤) أيها القارئ : احقن ماء وجوهنا من تلك السحابة ، سماجة إعادة الجريدة
مراراً لمن يرفضها ويردها وطهر صناعة التحرير من إدارتها فقد انحط قدرها
في أمين العقلاء ؛ القراء سماعون للكذب وأصحاب الصحف أكلون للسهة ، وقد دخل
في رفرة المريرين أميون لا يعرفون الكتابة ، وأصبحت الصحف المنتشرة في مصر -
إلا ذات الشأن منها - كالجراد المنتشر .

وفي هذا الزمان - زمان الفضائل - يأتي صاحب الجريدة إلى أمير في بيته ،
وهو لم يره طول حياته فيقول له قد جائتني رسالة كها مطاعن فيكم وجعل لى مبلغ
وافر من إدراجها في جريدتي ؛ ثم يتشم ويقول : من رجل لا أسمية وفاء يشرف القول ،
ولكن عن يتظاهر لكم بإصداقة ، فيأخذ الأمير حينئذ في التفتيش من هذا الصديق
في ذكراته حتى يكاد يحتقن فيه ، ويشرع في مجاملة صاحبنا ليكشف له ذلك الاسم ،
ولا يقوم حتى يأخذ منه جائزة ثم يترك الرجل يشك في جميع أصدقائه .

(٥) الظفراء السلطانية (٧١ يوليو ١٨٩٨)

سيكون ورق النقود القدى يضمه البنك المصرى في المعاملات ، مكتوب باللغة
الانجليزية واللغة المربية ، ولا يعلم أحد أن كانوا عولوا على وضع (الظفراء السلطانية)
في أهلاء أم لا ، فإن تلك الأوراق سكة لتعامل بها بين الناس مثل النقود ، والفرامانات
للسلطانية تشترط أن السكة (أى العملة) تضرب في مصر باسم السلطان مزينة بالظفراء

«السلطانية فإن لم يفعل البنك الوطنى مقتضى نص الفرائدات فى المعاملة بتلك الأوراق إشكال .

(٦) عيد جلوس السلطان أول سبتمبر ١٨٩٨

يوم البشرى بحلول العام الثالث والمشرين لجلوس سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم أمير المؤمنين وحامى شريعة سيد المرسلين على عرش الخلافة الإسلامية وتحت السلطنة العثمانية ، فأخذت كل بلد زيتنها وأعلنت الأمة الإسلامية سرورها وبهجتها وتجلت ليلة الاحتفال بهذا العيد السعيد فى أبهى مطارف الجمال وأزهى مظاهر الأبهة والجلال ، وكانت مصر من أعظم الممالك الشاهانية قياما بهذا الواجب فالتأمت لجنة من سراتها ووجوهها وأعيانها ، وأقامت زينة باهرة فى حديقة الأزبكية جمعت من معدات المسرة والابتهاج ما تشرح له الصدور وتبهج به النفوس .

(٧) البنك الوطنى عام (١٨٩٩) .

لا تتكلم فى هذا البنك بأكثر من قولنا أنه مشروع قديم فإن جماعة سمعوا فى إنشائه أيام الثورة المرابية ونعلم أنهم تكلموا مع أحد المشهورين من أعضاء مجلس النواب فى ذلك الوقت أن يحصلوا مبلغ خمسة عشر ألف جنيه من أمهم الشركة حتى لا يمرض فى إنشاء البنك المذكور فتوقف فى هذا ولم ينجح المشروع .

الاصطلاحات الصحفية

لمعرفة كتابات هذه الفترة لابد من مراجعه للاصطلاحات الصحفية والمبارات الشائمة الذائمة ، مقال ذلك (السرى الأمثل) يوصف بها الرجل الثرى . وكلمة « الأصولى » فلان يوصف بها رجل العانون وكلمة (عطوفتلو أفندى حضرتلرى) يلقب بها الوزير و (سيدنافهرست الكمال) يوصف بها جمال الدين الأفغانى .

ومن العناوين الذائمة (نفته مصدر) وهى عبارة عن كلمة عتاب أو نقد ، ومن الكلمات الكثيرة الاستعمال (برج الخفاء) أى انكشف الستور أما (المكوف) فهى تعنى بلاد الروس ودار الخلافة العلية : هى عاصمة الدولة العثمانية وكلمة (لاحق لسابق) التى تعنى بها الآن (بقية مانشر) . وفى النهاية يكتب (سابق للاحق) إذا كانت هناك بقية .

وكانت أغلب العناوين مسجوعة فإذا كانت القصة عن فتاة خرجت عن طاعة والديها وتزوجت دون رغبها كان العنوان (الفار خير من هذا العار) وإذا كان الخبر عن تفوق مدرسة ما قيل (التبريز بين التلاميذ) .

وقد كانت بعض أسماء الكتاب تختلف مما عرفت به من بدمثلا: خليل المطران ، (خليل مطران) ، باحثة فى البادية (باحثة البادية) أعنى : ملك حفى ناصف ، وكان الأستاذ مصطفي صادق الرافعى بوقع مصطفي الرافعى (الطرابلسى) وكذلك كان: أمين الرافعى (الفاروقى) وأنطون جميل هو (أنطون الجميل) أما جورج زيدان فقد حرفت (جرجى زيدان) .

وكانت نماذج (عقد القرآن) على هذا النحو « عقد قران الشاب النجيب فلان على صليبة الشرف وربة المصاف فلانة كريمة فلان من أعيان بلدة كذا وقد وزعت المرطبات وحفف الأسماع أبو خليل الحيايى وخرج الجميع يلهجون بالثناء » .

أما في باب الوفيات فهناك نماذج مختلفة :

X قصفت يد المنون غصنا رطيبا هو الشيخ فلان عن ٧٨ سنة قضاها في البر
والإحسان ، بعد داء أعيا نطس الأطباء فلم يممه ، وكان الشهيد زهيبا مشى فيه ملاحظ
القبوليس وشيخ البلد .

X رجل مات والرجال قليل .

اليوم تبنى مصر وعلماء مصر وأطباء مصر الخ . . .

X انطفأت اليوم في القاهرة شمعة ذكاء ، وغاب من عالم الأدب والنبيل نجم تلامذ
فيه ٦٥ عاما فأكند وجهه تغبر السياحة وتمازيفها للنادرة : محمود سامي البارودي
الشاعر المطبوع القدي يستمد من بحره الطافي كل ناز وشاعر (الأهرام - ١٩٠٤) .

X رجل مات والرجال قليل ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

أ أكبر مصاب مصر في هذا الزمان وهي فقيرة من الرجال العظيم ، أن تفقد
من أبنائها مثل من فقدت اليوم ، وقلما تلد مثله في كل عصر ، عصاميا نشأ بصفاته العالية
ودل على نفسه بفضله الباهر كما تدل الشمس على وجودها بضوئها العميم .

مات المرحوم « حسن عاصم » مات هذا الرجل القدي كان نبراس الأفكار في حوالمك
الحوادث ، وهدى المقول في معضلات الأمور ، مثال العقل مجسما ، والحزم مصمما ،
والرأى محكما ، إذا فقد الناس صوابهم في ملم كبير .

مات هذا الرجل الكبير فبكته العيون والقلوب ، بل فرقت عليه الأفتدة الحبوب ،
فهرع الناس زمراً وأفواجا من الطبقات المختلفة إلى منزله بمابدين ، وكلهم كاسف
جزين .
(المؤيد - ١٩٠٧/١١/١٠)

X تالله لو أعطيت بلافة سبحان وائل ، فإنا بكاتب أكثر مما كتب ، ولو سبقت
ابن هانئ في الشعر فإنا قاتل أحسن مما قبل ، ولو أمارتنى الخنساء حزنها على صخر
من جديد ، فإنا ببالغ حزن الأمة على الفقيده ، فملكك يامصطفى كامل ألف رحمة ،
وعلی روحك الشريفه ألف ألف سلام ، لقد كنت فينا ذلك الصائح المحسني وغيرك الصدى ،
فأصبحنا لا نسمع غير البكاء والنحيب ، لقد كنت ذلك الدرع الذي ندره به عن أنفسنا
مهام المدو ، فامسينا بمدك عزلاً لا نملك غير الوجيب (مجلة الأستاذ - ١٩٠٨)

X ما غربت شمس حتى غربت على أثرها شمس علم وفضل ، وما خيم الظلام على عالم
الطبيعة حتى خيمة ظلمة الوحشة على عالم الرواة والنبل .

X وكتب أحمد تيمور في مجموعة قصاصاته نيا للشيخ البجيرى . قال :
في يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٣٢٩ في العصر توفى إلى رحمة الله العالم الكبير الشيخ محمد
موسى البجيرى ، شيخ الشافعية بالأزهر ، وكان يستمد لصلاة الجمعة فأحسن بضعف قوته ،
فلم تمض ساعات قليلة حتى أسلم الروح ، وكان في نحو الستين من العمر ، وشيعت جنازته
يوم السبت من داره بالمطوف ، ومشى خلق كبير من العلماء منهم شيخ الأزهر سليم
البشرى وشيخه السابق الشيخ حسونة النواوى ، والفتى الشيخ بكرى الصدفى ووكيل
الأزهر السيد محمد شاكر وغيرهم . وكان رحمه الله متواضعا ضحوكا حسن المعاشرة تغمده
الله برحمته .

طرائف الصحافة

من خلال مراجعات واسمة لتطور الصحافة في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى نجد لمحات مريضة طريقة تشكل صورة الصحافة والمجتمع .

المؤيد : دام المؤيد من سنة ١٨٨٩ إلى نهاية سنة ١٩١٥ وقد تركه الشيخ علي يوسف ١٩١٢ وتوفي سنة ١٩١٣ ورأس تحريره : الدكتور سيد كامل وحافظ عوض ومحمد أبو شادي وحامد ابراهيم ، وقد أصبح المؤيد لسان الخديو منذ ١٨٩٩ .

وقد وصف الشيخ علي يوسف من بعض الذين عرفوه بهذه العبارات : « لقد لبس الشيخ لسكل زمن لبوسه واتخذ حيال كل ذى سلطة من الوسائل والحالات ما يؤدي لنجاح خطفه بحكمة وحصافة » وعند ما توفي علي يوسف كتب عباس المقاد في مجلة هكاظ ينعي الشيخ فقال : ليس الشيخ علي يوسف صحفيا كبيرا ، كلا ولا هو بالرجل الكبير ، وإن كنا لانسى أنه ولد خاملات شهيدا ، ونشأشأنه الأولى متغربا ثم قضى نحبه مسموم الكلمة وجيها ، والشيخ علي قد أفاد بعض الناس ، ولكن قائدة لاصقة لها بحب الخير ، فلم ينجح الموت فيه صديقا مخلصا ، ولا ينكر على الشيخ ذكاهه ولكننا لا نستطيع أن ندعوه نبوا في اللب أو سمه في القهن ، وانما هو عندي أشبه بالخذق في حرفة من حرف الكسب ، ولو كان الرجل سامى اللب واسع القهن لكان تقديره له عظمة اسمي وأكبر من تلك النفاية التي نصبها غرضا له في حياته . كان الشيخ يقرض الشعر لبديح به السراة والأغنياء كما كانت وظيفة الشعر في تلك الأيام ، فلما حصل من الكتابة على ما يفنيه عن طرق هذه الأبواب ، رأى أنه لم تمد به حاجة إلى الشعر فتركه ومضى في الكتابة .

وقد عنف بمضهم عليه لا انقلابه على رياض باشا ، ونحن لاهمنا نذكرانه جميل هذا الانسان إذذاك بل قد نرى له بعض المذر ، فلقد ساعدوه وهو فقير خامل فلما أصبح من اهل الرتب والوجاهة ابوا أن يعرفوا فيه إلا ذلك المجاور القديم .
وأنى ليشق على أن لا أجد لى عذراً عن تقيصه غير هذه وأن لا يكون فى نفسى ميل إلى احترامه ، ولست أعلم لماذا يمحو الموت السيئات ويكبر الحسنات ، ولماذا نبقى الحكم للتاريخ البعيد ونحن أقدر على أن نرى الحقيقة عن كذب ولو تفاضياً عن اللقائس وللصائب لبطلت حكمه الذكر .

وقد عرض المقاد لهذا الأمر من بعد فى مذكراته فقال :

قلت فى تأييد على يوسف (فى مجلة عكاظ) أن الرجل كان تقاضراً ألكنه كان ينفع ويعصر لتمكين تفرذة واستصلاح الأعوان فى مشكلاته وقضاياه ، فن وصلت إليه يد من أيديه لم يكافئه عليها بالمحبة وخلص النية ولكنه يحس أنه مدين مطالب بدين يوفيه فى يوم من الأيام فلا جرم يشيمونه غير محزونين ويمضون فى جنازته متحدثين متشاغلين ، لأنهم فى حالة نفسية أشبه بحالة المدين الذى أعفاه موت الدائن من الوفاء له بما عليه .

× لمار الملك جورج الخامس بالقطر المصرى فى يناير ١٩١٢ قدم له (محمد محمود)

طاقة من الزهر وناب لطفى السيد عن الصحافة المصرية فى استقباله .

× ترجم أمين الريحانى قصيدة حافظ ابراهيم عن دنشواى التى استهلها بقوله : « أياها

القائمون بالأمر فىنا » إلى الانجليزية على هذا النحو :

You who are holdeng now the reins of power.

× نشرت جريدة الظاهر فى (٨ أكتوبر ١٩٠٦) رأيا لقاسم أمين عارض فيه رأيه

فى تحرير المرأة قال :

لقد دهشت كثيرا مما كتبه مسيو تيرلوتى فى شأن حرية النساء الأتراك لأنهن على

ما أرى هنا وفي الاستانة العلية متمتات بحرية تامة ولا يجبهن ما يجب نساءنا من ظلم المقاسير واستحكام الأبواب والنوافذ وتجميع الأستار والخوف .

هذا ولقد كنت أود المصريين قبل الآن إلى افتقاء أثر الترك بل الأفرنج في تحرير نساءهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب وإلى إشتراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائهم ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس . فلقد تثبتت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والاسكندرية فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حدثت الله على أن خذل من دعوتي واستغفر الناس إلى معارضتي .
أنه قد تصح الدعوة في الاستانة ولكن لا تجوز الدعوة من هذا القبيل في مصر (١) .

× نشرت الصحف هذا الخبر : في عهد وزارة مصطفى فهمي أطول وزارة احتلال في تاريخ مصر (١٨٩٥ - ١٩٠٨) ظهر كتاب « رجوع الشيخ » مطبوعا في المطبعة الأميرية فذهل الناس ، وتساءلوا كيف تبيح حكومة الاحتلال طبع كتاب أباحي كهذا ويبيع علنا بالكتاب . استدعى مصطفى فهمي مدير المطبعة الأميرية وكان ايطاليا فقر إحالة موظفي المطبعة المسئولين لمحاكمتهم .

قال رئيس المطبعة : إنه رجل أجنبي لا يفهم من العربية حرفا واحداً ، وأن جميع المطبوعات العربية مفوظ بوكيل المطبعة حسن بك أمر الاشراف عليها ، وقرر أن الشيخ عبد المطلب رئيس قلم التصحيح في المطبعة هو المسئول ، فقد جاءه أحد الكتبة ، فسأله عما إذا كان يرضى بطبع هذا المخطوط فأفتى له بجواز طبعه بحجة أن الاسلام يبيح لكل من تزوجين أن يحيط ببعض هذه الأمور علما ، وإن كان رئيس المصححين من رجال الأزهر فقد صدق على مقاله وأمر بأجازه طبع الكتاب .

× لما أصدر مصطفى كامل جريدته الأفرنكيتين بمد إصدار اللواء ، قال أحدهم : لقد كفل اللورد كرومر طعامه في الصباح ، يفطر بالاجسين استندر ، وفي الظهر يتغدى باللواء ، وفي المساء يتمشى بالاستندار .

(١) تردد أن هذا الرأي كان مدخولا عليه .

X كتب سلامه موسى في مجلته «المستقبل» ١٩١٤ عن طه حسين بمناسبة حصوله على الدكتوراه «نصارحه بأن شهادته منظور فيها ضعفه ونكيبته في نظره أكثر مما نظرت فيها كفاءته» .

كما كتب عن المقاد سنة ١٩١٤ يقول «المقاد لا يتقحم كفاصات الأدب الأوربي وترجمها لنا بوساطاتها كما يفعل السباعي أو لطفى جمعة ولا رساف ألفاظ كارافمي والمنفلوطي، أبي النفس صلب المريكة في كل ما يمس شرفه الشخصي» .

X في سنة ١٩١٥ طرأ تغيير على الصفحة الأولى من مجلة المقتطف حيث كتب ما يأتي:

«المقتطف: مجلة عربية علمية يحررها الدكتور يعقوب صروف» وعلقت الصحف: كان يجب أحداث هذا التغيير منذ عشرين عاماً، لأن الدكتور فارس نمر قد انصرف إلى خدمة المقطم منذ ذلك الحين .

X كتب احمد فؤاد صاحب الصاعقة عام ١٩١٢ .

أنا الآن أحاكم على انتقادي سمع باشا زغلول، وأتوقع الحسرة على وكفي فارغ وكيسي أفرغ منه، وليس عندي مدخر لثل هذا الموقف، فذهبت إلى إدارة المؤيد لأقترض من سمادة الشيخ جنبها (يقصد الشيخ علي يوسف) والشيخ له سوابق في ذلك فهو يقرضني ما أطلبه منه وينسى وأنسى معه، فلما قابلته لم أجد معه إلا ٤٠ قرشا فأخذتها وخرجت منه!

X اشترى مستر ويلسكوكس المهندس الإنجليزي مجلة «الأزهر» في فبراير ١٨٩٣ وشاركه فيها الشيخ أحمد الأزهر، وبدأ يكتب فيها مدافعا عن اللغة العامية .

X قال توفيق دياب: كان المقطم هو الجريدة التي يشترك فيها أو يشتريها الممد والأعيان وكل راقب في التمسح بجاه الأنجليز منذ أوائل الاحتلال إلى ثورة ١٩١٩، وكان الممد الذي يقرأ ويكتب يجلس كل مساء في حلقة من أسرته واخوانه في الدوار بعد المشاء ثم يتلو مقالات المقطم .

وفيات الأعيان

كيف كانت الصحف تتناول رثاء الشخصيات البارزة في هذه المرحلة .

X تقول جريدة المؤيد في وفاة رياض باشا ناظر النظار وكان الرجل من أخلص أصدقاء صاحب المؤيد . (١٨ يونية ١٩١١) .

مات الرجل الذى كان أعظم الرجال همة ، وأعلام نفسا ، وأصدقهم وطنية . مات رياض باشا الرجل الذى خدم الأمة المصرية في سرائها وضرائها فكان مثال الحزم ، مثال الاستقامة ، مثال الشجاعة الأدبية في كل أدوار حياته .

ولما توفى مصطفى فهمى - رئيس الوزراء الذى تولى أطول وزارة في عهد الاحتلال قامت جريدة المقطم (لسان الإنجليز) برثائه فقالت : (١٥ سبتمبر ١٩١٤) . الوزير الطاهر للرحوم مصطفى فهمى ، على أرما اهترى عطوفته من الضعف التوالى بمد الشلل الأخير ، وقد وصفه اللورد كرومر في خطبته الوداعية فقال وهو أدري رحال السياسة (٤) باقدار الرجال : ماذا أقول عن صديق اليزى على السامى المقام فى ميني عطوفة مصطفى باشا فهمى ، فقد قضينا السنين الطوال بالهمة والصدق والإخلاص ، فى أيام تفاقمت فيها الخطوب وكثرت المشاكل ، قضى من خدم وطنه بالمقل الراجح والإخلاص التام ولكن زمانه كان زمان إطلاق العنان للألسنة والأفلام فأساء تصيرو النظر الظن فيه وانتقد أعماله الذين يطلبون ما لا يستطيعون وعظمووا فضله وحسبوا حسناته سيئات . . . » .

والمقطم يقصد الاشارة إلى رجال الحزب الوطنى الذين كتبوا فى نقد مصطفى فهمى .

أطنائاً من الورق . .

× وعندما غرق لورد كيتشنر فاتح السودان ومنذوب بريطانيا في مصر أفردت له جريدة الأهرام صفحة كاملة يوم ٨ يونيو ١٩١٦ وقالت : الطود العظيم يختلف وصف مناظره باختلاف وجهة الناظر إليه ، والرجل العظيم كالطود العظيم له من السجايا والزايا والأفعال المظيمة والأخلاق السكرية والآثار النافمة ما يحيط قلبه البليغ المقالات العديدة في وصفه ولا يستوفى مع ذلك غير القليل في شرحه وقد نمى إليها البرق أمس رجلا عظيما ولا كالرجال وبطلا مقداما تفوهيئته الأبطال وطوداً منيفاً تخرلسطونه الجبال .. الخ .

× ولما توفى السلطان عبد الحميد في ١١ فبراير ١٩١٨ وكان قد عزل في عام ١٩٠٩ قالت الأهرام : توفى وهو سجين في (بورصة) بعد أن جاوز السبعين ، وبمد سجن جاوز العشر ، إنه لم يكن رجلا سلطانا فقط ، بل كان كل السلطة التركية ، كما كان مالها ماله وأرضها أرضه وشعبها عبيده ، فلا تقال في أطراف اليمن كلمة بغير إذنه ، ولا تجول بصدر البدوي بصحراء ليبيا خاطرة ، ولا ترسم على خاطره ، ولا يسير السائر في جبال الأناضول تحت حنق الليل الدامس إلا ومرى عيونه في مناقل خطوه ، مطلق الإرادة ، مطلق اليد ، نافذ الأمر ، لا إرادة إلا ما أمر ، وتنفذ أوامره فلا يسأل عما يفعل ، لا قانون ولا نظام ولا قيد ولا شرط ، لما بنى ، وإن كان بنيا وظالما حتى إذا ما ظلم قالوا في ذلك الظلم إنه عدل ، وإذا ما عدل قالوا في العدل إنه فوق العدل ، ضاقت عبارات اللغات عن تقديسه وتعجيبه فأخذوا الوصف من صفات خالقه ، فهو سلطان البرين وخاقان البحرين وظل الله في الأرض : بادشاه وشاهنشاه ، مجتمع الفضائل والكمالات . جعل صحف السلطة كلها ترائيل وأناشيد تسبج بحمده ، جعل نصف الناس عيوننا على النصف الآخر ، أزل الملك من نفسه منزلة المزرعة من صاحبها .

أما المقطم وكانت أكثر عدا للسلطان عبد الحميد فقد قالت (١٣ فبراير ١٩١٨) .

استهل حكم عبد الحميد بالآمال وختم بالآمال ، فكان نصيب السلطة خيبة الرجاء
في الحالين ، ففي سنة ١٨٧٩ كان العثمانيون يعتقدون أن عبد الحميد يتم عمل أخيه مراد ،
وكان مدحت وأنصاره يملكون النفس باكمال صرح الدستور فهدم عبد الحميد ما بنوا وشتت
شملهم ، فقتل منهم من قتل ومات بعضهم مفديا في الطائف ، ومهما قيل من سوء سياسة
عبد الحميد الداخلية التي أورثت السلطنة العثمانية الضعف والقاقة ، وحطت قدرها ومنزلتها
بين الدول فلا خلاف في أن سياسته الخارجية وقت السلطنة شر المطامع الأجنبية ، وحذق
السلطان سياسة التفريق بين الحكومات الأجنبية كما برع بالتفريق بين طوائف رعيته
وشعوبها :

نقد الصحافة والمجتمع

عقدت مجلة المحيط سنة ١٩٠٦ فصلاً تحت عنوان «الكثير المتبدل في الصحافة المصرية»
جمعت فيه العبارات التي طال ترديدها على السنة المكتتاب حتى أصبحت مبعثرة
ونخلصتها فيما يلي :

عادت المياه إلى مجاريها - استأثرت رحمه الله بالبسكي عليه - براءة القذوب من دم
ابن يعقوب - على أثر داء لم تنجح فيه حيل الأطباء - لحاجة في نفس يعقوب - مات
مبكياً عليه من الجميع - ناهيك عن - أنسنا باقواء الوجيه الأمثل - فأكل المدعرون هنيئاً
وشربوا مريثاً - وكانت السهام النارية تشق كبدا القضاة - سبقنا فذكرنا - كنا
أول من أذاع هذا الخبر - لم يخطيء ظننا فيما قلناه .

ثم قالت المحيط :

إن كثرة ما يكره في الصحف المصرية أن تضرب على نعمة واحدة في وصف الأفرح
والحفلات وذكر الوفيات ، أن تنشر من أخبار التوديع والاستقبال ما لا يهم غير المودعين
والمستقبلين ، أن تعقب الوصف في بعض الأفرح بذكر أصناف الطعام وآكلها وأنواع
الهدايا وأسماء مهديها ، أن لا تدقق في تقريب الكتب المهداة إليها وتطيل في مدح
كل منها على السواء ، وأن تذكر من أخبار التقلبات والترقيات بين الموظفين ما لا يهم
واحداً من القراء ، أن تسرف في ذكر الألقاب ، أن تسكيل المدح والقلم جزافاً ، أن تنشر
كل إعلان وغير إعلان يبيئها ما دام ماجوراً بغض النظر عن صحته ونتائجه ، وأن تضلل
بالقراء في ذكر شركات معينة إسعاجرتها لترويج أسهمها الكاعدة ، أن تكرر التهنئة
لهذين أنعم عليهم بالرتب والنياشين عدة مرات ، أن تخلط الخصوصيات بالعموميات ،
أن تذكر الأخبار المتعلقة بتمزيق ثوب العفاف بكيفية لا تصلح للمائلات ، وأن تنشر

من أخبار الاتجار ووصف كيفية الإقدام عليه ما يمكن أن يكون قدوة لتدوى الاستعداد له ، وأن يتعزب كل منها المنصر معلوم فقداً عيوبه وتساعد على التماهي فيه ، إن تم نظم أصحابها مع أنها عمومية للشعب ، وأن تفسر كل ما يجيء به (وكالات أنباء) روت وهافاس وأن يكن فيه ما لا يهم واحداً من الناس ، وأن تسرع إحداها إلى تكذيب الأخرى في خبر من الأخبار لا شيء إلا لأنها سبقها إلى نشره ، أن لا تسرع إلى تغيير حروف الطبع في مطبعتها متى تلفت . وتمذر على القراء قراءتها ، أن تعلم القراء ما لا يعلمون من ألفاظ الشتائم والسباب وشوارد التنكيت ، أن تبتذل إدارتها في إرسال نسخها إلى من لا يطلبها .

وإن تجارى مشتركا وجيها في نشر كل ما يرغب لا شيء إلا لأنه مشترك وجيه ، أن لا تسرع إدارتها إلى حججها عن يرفضها أن تمرض عن الخوض في مسألة عامة مفيدة لأن إحداها سبقها إليها ، أن يتخذها بعض أصحابها ومكاتبها سلاحاً لقضاء أغراضهم الخصوصية الدينية . أن يحسبها ذوها آلة كافية لتخويلهم الحق في تهمي حدود الآداب العمومية .

نقد المجتمع

أحصت مجلة المحيط عام ١٩٠٥ وجوه النقد للمجتمع في مائة مسألة : (بلغة ذلك المصير) .

الماضات . ضرائب النخيل . الامتيازات الأجنبية . نقص السلك الزراعية . قلة الفضة في فصل الشتاء (النقد) النداء بالمال في القرعة العسكرية ، عدم وجود ملجأ منظم للقطاع ، عدم وجود محاكم شرعية للمسيحيين ، ضرب العملة المصرية في غير مصر ، بقاء تسجيل العقود في الحاكم اختيارياً ، عدم تميم السكباري بدلا من المديت ، عدم ردم البرك والمستنقعات ، حصر الوسائل الصحية في المدن دون الأرياف ، عدم وجود أماكن المجزومين ، قلة ما يتفق على التعليم ، الاهتمام برصف الإحياء الأوروبية في العاصمة وإنارتها دون الإحياء الوطنية ، المضاربات .

تزايد الجرائم والجنايات ، تكثر عدد الشحاذين ، قلة ملاجى الفقراء والمدمين ،
عدم وجود رقابة للصحيين ، ضعف مرتبات الموظفين الأصاغر (أى صغار الموظفين)
فى الحكومة ، عدم مراقبة الفنادق والمطاعم والحمامات ، تسهيل إخراج الحاجات الضرورية
إلى خارج القطر ، قلة رواتب حفظة الأمن ، عدم استفلال قاضى التحقيق بإزاء النيابة
المعمومية ، عدم بيع الأراضى الأميرية بجزأة للأهالى وببعضها جملة للشركات الأجنبية ، حلول
للموظفين الأجانب محل الوطنيين فى الوظائف التى يستطعمونها ، جعل كل الضرائب على
الفلاحين دون أهل المدن ، أماته المصناعات الوطنية ، عدم وجود نظارة للزراعة فى مصر ،
عدم ضرب رسوم على الخمر مع ضررها ، احتكار الملح ورفع ثمة مع ضرورته ، تنازع
الإدارة والقضاء ، تقاعد أرباب المعاشات ، حرية المقامرين ، الحشيش ، القلاء ، نظام
المنابوات ، المزاحمة فى الزيادات ، قلة مساعدة الكتاتيب ، عدم وجود كليات أهلية ،
قلة للمدارس الصناعية فى البلاد ، استعمال الحرية الشخصية فى غير موضعها ، ضيق سكة
حديد قنا وأسوان ، عدم تمميم المجالس البلدية المختلطة فى البلاد ، عدم وجود مصاح
خاصية للمصابين بالصل ، المعادى ، ضريبه النخل ، تباغض العناصر الوطنية ، إتفة الإنجليز
مع المصريين ، احتقار الأجانب للوطنيين ، اختيار المعمد بدون شهادات مدرسية ، عدم
وجود مدارس وملاجى للمعيان ، عدم تأييد الملاك الصغار من الوطنيين ، عدم وجود محل
خصوصى لتقيد المواليد والوفيات ، عجز مصر عن إنقاص الضرائب إلى أقل من ٤ ملايين
جنيه بدون مصادقة الدول .

صحافة ما بين الحربين

تطور الصحافة في الأسلوب والمضمون بين ١٩١٩ إلى ١٩٣٩

مدخل تاريخي لفترة

ترتبط صحافة ما بين الحربين بشرة ١٩١٩ ونتائجها السياسية والاجتماعية ، كانت أبرز مظاهر الصحفية السابقة مقاومة النفوذ الاستعماري البريطاني في جهات مختلفة ، بعضها تؤيد القصر ، وبعضها تمالئ الاستعمار ، وبعضها تخاصم القصر والاستعمار ، وتبورت هذه الحركة الصحفية التي قادها الأهرام والمقطم من ناحية والهواء والمؤيد والجريدة من ناحية أخرى إلى ظهور ثلاث مراكز لقوى :

(١) الأولى : تدعو إلى محاسبة الاستعمار مادام لا سبيل إلى اخراجه وكسب كل ما يمكن كسبه منه ، وهذه كانت تحمل طابع « مصر للمصريين » وطابع « التمثيل » .

(٢) الثانية : تدعو إلى مقاومة الاستعمار مقاومة لا هوادة فيها وكشفه في كل خطواته ومواقفه ، والحلمة المنيفة عليه في طابع حماسي عاطفي نأز .

(٣) الموالون للقصر : في ظل امتداد حكم عباس الثاني ، وفي تقلباته من تأييد الحركة الوطنية إلى التنسك لها ، ومن موالاته الدولة العثمانية إلى الخلاف معها ، وقد امتد حكم عباس الثاني من ١٨٩٢ إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ .

أما بالنظر إلى الصورة العامة للعالم العربي وهولة الخلافة ، فإن هذه المرحلة التي بدأت ١٨٨٢ بالاحتلال البريطاني لمصر ، كانت مجال صراع ضخم بين بريطانيا وفرنسا إنتهى عام ١٩٠٤ باتفاق ودي بينهما تطلق فيه بريطانيا لفرنسا يدها في الغرب مقابل إطلاق فرنسا يد بريطانيا في مصر ، وكان هذا ضربة للحركة الوطنية التي كانت تحاول أن تعتمد على فرنسا في مقاومة بريطانيا ، ودلالة أكيدة على أن الاستعمار مهما اختلف في تقسيم مناطق النفوذ فهو متفق

في السيطرة على الأمة العربية والشرق الإسلامي، وقد امتد هذا الاتفاق الودي إلى نهاية الحرب العالمية الأولى حيث إقتسمت بريطانيا وفرنسا : العراق والشام بعد هزيمة الدول العثمانية في الحرب، وكانت الجزائر قد سقطت في قبضة فرنسا ١٨٣٠ و عدن في يد بريطانيا ١٨٣٢ وتونس في يد فرنسا ١٨٨١ ثم سقطت ليبيا في يد إيطاليا ١٩١١ والمغرب في يد فرنسا ١٩١٢ .
وكانت هذه الأجزاء من العالم العربي داخلة في نطاق الدول العثمانية ، وقد عاشت الصحف العربية في هذه الفترة ثلاث قضايا كبرى :

(أولاها) دستور ١٩٠٨ الذي أصدرته الدول للعثمانية وعلى أساسه فسكت قيود الصحافة العربية في الشام (بأجزائه) والعراق، وقد استقبل هذا الدستور في مختلف أجزاء العالم الإسلامي والأمة العربية باهتمام كبير ، وفي مصر أولته الصحف الوطنية اهتماما كبيرا ودعت إلى دستور مصري . وأصدر فريد وجدي صحيفة يومية باسم «الدستور» لتسكون نبراسا على هذه الدعوة، والمعروف أن الأحداث في الدولة العثمانية لم تلبث أن اضطربت وانتهت بإسقاط حكم السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وقيام حكم الاتحاديين ، وقد أحس السوريون والعراقيون الذي كان بهض كتابهم يرون في السلطان عبد الحميد حائلا دون الحرية — أحسو بالتبطة وهلوا للثقل ، وظنوا أن جرا جديدا قد أشرق . غير أن حكم الاتحاديين لم يلبثوا أن واجهوا الأمة العربية بأقسى ألوان الاضطهاد ثم وقعت سوريا في خلال الحرب العالمية الأولى تحت نفوذ أحد قاداتهم أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح فقاوم الحركة العربية أعنف مقاومة .

وفي معركة إيطاليا مع طرابلس قام للعالم الإسلامي والأمة العربية بمواجهة صريحة للنفوذ الغربي واستطاعت صحافة مصر أن تحمل لواء المعركة سياسيا وماليا ، فقد فتحت أبواب الاكتتاب حرضت عليه وأيدت المجاهدين ، ولم يقف شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب عن التنظيم والكتابة في مؤازرة القاتلين ، وفي الكشف عن ظلم الاستعمار وحق المهيبين في أرضهم .

وقد وجدت مؤازرة هذه المركبة من دعاة مصر المصريين إعتراضا وخصومة ، باسم «الانليمية الضيقة» ، وكان لطفى السيد هو قائد هذه الحملة إعتراضا على التضامن العربى الإسلامى مع جارة مصر .

(ثالثا) من أبرز أحداث هذه المرحلة قيام حركة الوحدة العربية والدعوة إلى الامركزية ، بعد أن إنتهى حكم السلطان عبد الحميد الذى كان يحمل طابع الجامعة الإسلامية ، والواقع أن الحركة العربية فى مقاومة السيطرة العثمانية كانت قد بدأت قبل ذلك ، ولما كتبت لم تلبث أن ظهرت بعد عام ١٩٠٩ ، فقد بدأ الاتحاديون يدعون إلى الجامعة الطورانية وإلى تبريك العناصر الداخلة فى نطاق الدولة العثمانية ومن بينهم العرب ، وجرت محاولات للقضاء على اللغة العربية فى المدارس والمحاكم والدواوين . وأحس العرب بضرورة اتخاذ موقف حاسم ، وكانت « الشام » بأجزائها (سوريا ولبنان وفلسطين) صوئلت الحركة لارتباطها مع العراق بالدولة العثمانية . وقد أخذ العرب خطوة حاسمة لعقد المؤتمر العربى الأول فى باريس سنة ١٩١٣ وفى هذا المؤتمر حدد العرب موقفهم من الدول العثمانية وأعلنوا عن وجود أمة عربية داخلة فى نطاق الدول العثمانية وطالبوا بنظام لامركزى يحقق لهم استقلالاً داخلياً مع حماية اللغة العربية ومقومات الأمة العربية من أن تعطوى فى حركة التبريك التى كان الاتحاديون يحمولون لواء الدعوة إليها باسم الحركة الطورانية أو القومية التركية . ثم وقع الصدع بين العرب والترك ، خلال الحرب العالمية الأولى ، وأوقع أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح زعماء العرب بعد أن اتصل بهم ، وفى مقدمتهم من تصدروا المؤتمر العربى الأول وعلقهم على أعواد المشاقق ، وكانت الدول العثمانية قد دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وجرت بين بريطانيا والعرب بقيادة الشريف حسين والى مكة قدمت فيها تأكيداً كيدها لإقامة دولة عربية بعد انتهاء الحرب فى مقابل تأييد العرب لها ومؤازرتها ، وقد أوفى العرب للمهد خلال الحرب وحاربوا تركيا فى الجزيرة العربية

وفلسطين وسوريا ولبنان ، غير أن بريطانيا وفرنسا كانتا قد تعاقدا على إقتسام هذه الأجزاء العربية باتفاق وقع باسم « سايكس باكو » .

وكان كتاب العرب وزعمائهم قد انقسموا ، فأزر بعضهم هذا الاتجاه وحذر بعضهم الآخر من تأمر بريطانيا على العرب في سبيل تمزيق الوحدة العثمانية العربية ، وأسفرت الحرب العالمية عن سيطرة بريطانيا وفرنسا على الشام والعراق ، وأعلن في نهاية الحرب « وعد بلفور » بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وبذلك سقطت آخر وحدات العالم العربي تحت طائلة الاستعمار مع نهاية الحرب العالمية الأولى . أما مصر فقد أعلنت عليها بريطانيا الحماية بمجرد إعلان الحرب العالمية ، في نفس الوقت الذي أعلنت خلع الخديو عباس الثاني وتولية السلطان حسين ثم تولية السلطان فؤاد من بعده . ووقعت مصر في نفس لحظات إعلان الحرب العالمية سنة ١٩١٦ تحت الحماية فجدت كل مقدراتها في سبيل خدمة « الحلفاء » .

وقد كان الاحتلال الإيطالي ١٩١١ لليبيا والاحتلال الفرنسي للمغرب ١٩١٢ وصلابة المقاومة الليبية العربية إزاء الاحتلال الإيطالي العنيف لطرابلس ، كان ذلك من مقدمات الحرب العالمية ونذرها ، هذه النذر التي ظهرت في آفاق السياسة المصرية حيث بدأت بريطانيا تطارد رجال الحزب الوطني وتدبر المؤامرات لهم مما دعا كثير منهم إلى الهجرة ، وفي مقدمتهم عبدالعزيز جويش ومحمد فريد، حتى لقد خلت البلاد قبيل الحرب العالمية الأولى من أصحاب الأتلام الوطنية الصادقة ، فيما عدا مجموعة أخذت تعمل مع أمين الرافعي في جريدة الشعب ، غير أنه لم تسكد نظمر « نذر الحماية » حتى أغاق أمين الرافعي جريدته كي لا يضطر إلى نشر مراسيم الحماية بالقوة ، وتمرض من أجل ذلك وطائفة من الذين معه إلى الاعتقال خلال الحرب الأولى .

وبذا خلا الجو خلال الحرب ومن بعده لجماعة المتدلين الذين كلن يقودهم لطفي السيد

وجريدة الجريدة ويضمهم حزب الأمة ، ومن هنا بدأت الحركة الوطنية بعد الحرب في هذا الجو في جو الاعتدال والتفاهم والالتقاء مع بريطانيا في منتصف الطريق ، وتكشف من خلال مقابلة المتمد البريطاني للباشوات الثلاثة (عبد العزيز فهمي وعلى شعراوي وسعد زغلول) طابع الحركة التي قادها سعد زغلول من بعد ، حين قامت منظمة باسم الوفد المسافر إلى أوروبا للدفاع عن القضية المصرية في المجال الدولي وأمام مؤتمر الصلح ثم أخذت تجمع التوكيلات لذلك ، فقد كان أغلب البارزين في هذه المنظمة من رجال حزب الأمة ، غير أن تمتع بريطانيا حتى بالنسبة لمؤلاء الموالين لها ، واعتقال سعد زغلول ، قد أوقد شرارة الثورة المصرية ، التي كانت تعيش في حضنة أنكار الحزب الوطني ودعوته الحارة قبل الحرب إلى الجلاء والحرية . وقد كشفت ثورة ١٩١٩ عن أسالة هذه الأمة ، وأدهشت أوروبا والعالم الغربي ، مما دعا بريطانيا إلى ادخال مصر في بحر زاخر من التويه باسم المفاوضات ، فأطلق سراح سعد زغلول وأرسل وصحبه إلى باريس ، حيث لم يكن باب مؤتمر الصلح مفتوحا أمامهم ولا أمام وقود العرب من الشام وتونس الذين اتخذوا نفس الطريق وعملوا منفصلين ، واضطر سعد زغلول إلى قبول المفاوضات مع بريطانيا ، وبدأت في معمر حياة جديدة بعد الحرب المالية قوامها تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي أعطى مصر الاستقلال مع تحفظات ، وبذلك بدأت مصر في إنشاء الحياة الدستورية وإقرار الدستور ومن بعده الانتخابات التي جاءت بالأغلبية الساحقة للوند الذي كان قد انقسم إلى وفد وأحرار دستوريين ، وبدأت حياة برلمانية سياسية وفق النظام الغربي . ومنذ اليوم الأول للحركة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ أخذت الصحافة طابعا جديدا ، فقد ظهرت صحافة تؤيد الوفد المصري ، وتواز زغلول باشا ، ثم نشأ حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ بعد أن انفصل عن الوفد فأنشأ صحيفة «السياسة» ، هنالك بدأت صحف البلاغ وكوكب الشرق وهما والين للوند . والأخبار يحورها أمين الرافعي ، والسياسة لسان الأحرار مع صحيفتي الأهرام والمقطم وعدد من الصحف الأخرى من الدرجة الثانية تواجه

حياة صحفية سياسية جديدة إتصلت فيها بين الحربين وامتدت في ظل تشكيلات سياسية تكونت خلالها أحزاب الأنحاء والشمب والسمدين ، ثم ظهرت في الثلاثينات جماعات سياسية واجتاهية مختلفة باسم الأحزاب أو الهيئات كان في مقدمتها مصر الفتاة والإخوان المسلمين وحزب الفلاح وغيرها .

ومع هذا فقد ظلت الأهرام والمقطم والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق أبرز الصحف وأضيف إليها من بعد الجهاد والأساس، هذا بالنسبة للصحافة اليومية أما الصحافة الأسبوعية فقد ظهرت صحف متعددة كان أبرزها : الكشكول وروز اليوسف وآخر ساعة والسياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي والمرخة ومصر الفتاة . وكان أبرز كتاب هذه الفترة : داود بركات ، خليل ثابت ، محمد حسين هيكل ، عبد القادر حمزة ، حافظ عرض ، عباس محمود العقاد ، أمين الرافعي ، إبراهيم عبد القادر المازني ، طه حسين ، توفيق دياب محمد المتابى ، فسكى أباطة ، محمود عزمى ، وأحمد حسين ، انطون الجميل، وعبد الله حسين وأحمد نجيب . ولقد تطورت الصحافة في هذه المرحلة ، تطوراً بعمد المدى ، وبلغت ذروة الفن ، والأناقة في الطباعة، بما استحدثت من آلات وبما تقدمت تقدماً بالغ المدى من حيث الإخراج والتصوير، ومع السبق في مجال الخبر والترجمة، كما تطور أسلوبها الكتابي إلى نحو دقيق أنيق ، سهل ميسور ، مع مرونة في الأداء ، وقد بلغ ذلك غايته في المجلات الأسبوعية من حيث المناورة والعبارة الملقوفة والرمز والإيماء ، كما تقدمت الكاريكاتير وصحافة القند السياسي الساخر الذي أصبح «فناً» له صحافته الواسعة الانتشار العديدة الاتجاهات .

وكان قوام الصحافة الأساسية هو «الحزب» الذي تقبمه ، أو الحكومة القائمة في مجال الحكم ، وظلت الصحافة بحاجة إلى مونة الحزب والحكومة خلال هذه الفترة ، ومن هنا كانت تبعيتها الفكرية والسياسية لنفوذ أصحاب البيوت التجارية والأحزاب وكبار الاقتصاديين والسياسيين .

الصحافة خلال الحرب الأولى

ما كادت تندلع الحرب العالمية الأولى حتى أعلنت بريطانيا أن حمايتها لمصر ضرورة حربية . قالت إنها ستحتفظ بالبلاد في يدها وديمة تردها إلى أهلها وفرضت على مصر موقف الحياد ، وقد باهر لطفى السيد بمقادرة القاهرة وأقل الجريدة وسافر إلى قريته وانسحب من المعركة . وصدرت الأوامر العسكرية إلى مختلف المديرات بجمع شباب مصر العامل وصوته إلى « السلطة » العسكرية بأنامه ومواشيه ، وزج بهم في خط الغار ومنعت الحكومة المصرية أنجلترا ثلاثة ملايين جنيهات ذهباً وكوت فرقا من الجيش المصرى تحت الراية البريطانية ، وصدت الجنود المصريين غارة الأتراك على قناة السويس وزحفت بهم خلف أعدائها في صحراء سيناء . وقد أخفيت كل هذه العمليات والتحركات عن الصحف فلم يكن مسموحاً خلال سنوات الحرب إلا بأخبار إنتصارات بريطانيا وحلفائها ، وكانت الرقابة المفروضة غاية في العنف .

كيف كانت صورة هذه الرقابة : عندما^(١) شبت الحرب العالمية في أغسطس ١٩١٤ كان عدد الصحف المصرية اليومية لا يكاد يتجاوز أسابيع اليد الواحدة وكان حجمها أقل من حجمها الآن من جميع الوجوه ، وكانت أكثر مادتها مقالات طويلة مما قد يمل قراء المصر قراءته ، غير أن الحرب لم تسكد تقع حتى دب النشاط في الصحف المصرية لذلك القيد ، وأوفدت بعض مندوبيها إلى ميادين القتال المختلفة ، كما نشطت شركات الأنباء البرقية في إذاعة كل صغيرة وكبيرة عن تلك الحرب ولم يكن الرأى العام في مصر قبيل الحرب الكبرى يميل إلى تأييد قضية الحلفاء (الإنجليز ومن معهم) وكان الإنجليز يعرفون ذلك بلا ريب ، أضف إلى ذلك أن الروابط السياسية التي تربط مصر بتركيا لم تسكن قد فصمت بعد . لذلك رأى الإنجليز أن يهدوا

(١) من فصل مطول عن الرقابة نشرته للصور سنة ١٩٢٥ .

لرعاية العملية على الصحف المصرية تفادياً من الصدمة التي تحدث من جراء فرض تلك الرقابة دفعة واحدة . وقد رأوا أن يكون ذلك التمهيد في شكل كلمات أو مقالات تنشر في الصحف يشار فيها إلى الأخبار الكاذبة والأضرار التي تفجع عن إذاعتها وانتشارها بين الجماهير .

وكانت أول كلمة موعز بها لتحقيق ذلك الفرض مقالة صغيرة نشرت في إحدى الصحف في ٢٣ أكتوبر ١٩١٤ بعنوان « الأخبار الملققة : أين مصادرها » ضرب كاتبها على نعمة التنفير من تلك الأخبار حتى انتهى إلى الغاية المنشودة وهي « كل المراد هو منع الأبناء الكاذبة والأخبار الملققة التي يصنى إليها الجمهور أكثر من إصنائه إلى الأخبار الصحيحة ، والناس مولعون دائماً أبدأ في كل زمان ومكان بمعرفة المكتموم واكتشاف المجهول . وفي ٣١ أكتوبر ١٩١٤ نشرت جريدة الإيجشين جازيت الإنجليزية مقالا عنوانه (حول مراقبة المطبوعات) نوهت فيه بانتشار الأخبار الكاذبة وطالبت بفرض الرقابة على الصحف لمنع نشر الأخبار الملققة التي يخشى منها على اضطراب الأمن والفظام .

وفي أول نوفمبر ١٩١٤ صدر الأمر بفرض الرقابة على الصحف وعرض (بروفاتها) قبل الطبع على المراقبين . والظاهر أن الضغط على بعض الصحف المصرية كان شديدا فراحت تجبذه هذه الرقابة الشاذة التي لم تستطع الحكومة البريطانية فرضها على صحافتها في بلادها ، وساعدها على فرضها في بلادنا ضمنا . فقد نشرت جريدة الأهرام (١٩١٤/١١/٢) خبراً يقول : صدر أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف المصرية وما يكتب عن الحرب قبل طبعه ، ولم تكن هذه المراقبة موجودة حتى الآن ، لكن نوقن أن إيجادها لا يراد منه غير منع ما يضر ويضلل الرأي العام مع احترام الحقائق والحرية المعتدلة . والأهرام التي ورثت منهج الاعتدال عن مؤسسها وورث صاحبها خطة الدفاع عن مصلحة مصر الحقيقية من أبيه وعه لا تدخر ولا يدخر صاحبها وسماً في مواصلة السير في تلك الطريق القديمة التي

انتهجت لها من يوم نشأتها فسكانت أقوم السبل الموصلة إلى الخير والمبعدة عن الصبر .
هذا ولم يعلن الحكم العرفي إلا في ٢ نوفمبر في اليوم التالي لتقرير الرقابة على الصحف .
وبدئاً فملا في تنفيذ الرقابة على الصحف قبل طبعمها ، وكان على كل جريدة أن ترسل
بروفتين من كل ما تزعم نشره إلى المراقب المختص فيراجعه ويقر منه ما يشاء ويحذف
ما يشاء ثم يوقع على إحدى البروفتين ويحتفظ بالأخرى للمراجعة بعد صدور الجريدة .

وبدأت الصحف تظهر في صورة لم يكن الجمهور يألفها من قبل فسكانت المقالات
تتخللها مساحات بيضاء من أثر قلم الرقيب ، وأول بياض ظهر في جريدة الأهرام كان
في العدد ١٩١٤/١١/٣ وكان من الأشياء التي تسكتها السلطة العسكرية إنشاء إعتقال
طائفة من المصريين والأترك الذين اشتهروا بالمداء لأبجترات وإعلان ذلك والدعوة إليه
فسكانت الصحف تحيال فنشر تلك الأخبار بحيل لطيفة .

ولعل أغرف حوادث الرقابة أن جريدة (الجريدة) صدرت في ١٩١٤/١١/٨ ومقالها
الافتتاحي محذوف برمته ، وكان الرقيب قد ضرب بقله الأحمر على جسم المقال دون
عنوانه وإمضاء كاتبه ، وكان ذلك المقال في عمودين كاملين فظهرت الجريدة في ذلك
اليوم وليس فيها من المقال الافتتاحي إلا عنوانه « موقفنا الجديد » ونحته رقم واحد دلالة
على أن المقال مسلسل ، وأن هذا أول فصل فيه ، ثم ظهر في ذيل العمودين الأبيضين توقيع
كاتبه وهو الأستاذ عبد الحميد حمدي . ولم يكذب يظهر هذا العدد حتى بادرت السلطة
بإرسال إنذار إلى مدير الجريدة وقد أمرت بقمطيل الجريدة يوماً وهذا نص الإنذار :

« بأمر جناب المفتنت جنرال ج . غ . مكسويل قائد جيوش جلالة ملك بريطانيا
المظلمى بالقطر المصرى أبلغكم أنه طلب منكم حذف الفصل الافتتاحي من عدد جريدتكم
يتاريخ ٨ نوفمبر الجارى ، استبقيتم هذا العنوان وإمضاء الكاتب له ، فقد تقرر توقيع الجزاء

على جريدتكم بمعطيلها عن الصدور يوماً واحداً إنذاراً لكم لعدم العودة إلى ذلك في المستقبل . وينشر هذا في صدر العدد الآتي وبناء عليه لا يصدر عدد يوم السبت المقبل من جريدتكم » .

وتصور جريدة « الإجميان ميل » جريدة الأهرام أيام الحرب الأولى وبمدها . فتقول : منذ ظهور الأهرام وهي فرنسية تركية . ويشاع أنها تكافأ على خدماتها مكافئات راجعة لاتبها كرمانها وتفضلا ، وبملم الجمهور أن سياسة فرنسا أن تسخر الصحف وحينما إشتمل وطيس الحرب أخذت الأهرام سياسة معتدلة ، انفجرت الصحيفة في هذه الظروف عبر سياسة أخرى فأثبتت بخط عريض كلمة « جريدة مصرية للمصريين » وربما جعلت افتتاحياتها بأقلام قرائها ، حتى يظن بالطبع أن الحزب الوطني اشتراها أو أجرها ، وفي هذا الوقت ارتفعت سوقها فصارت توزع ٢٢ ألف عدد . وهي لا تفتأ تثبت في أعمدها الاحتجاجات المطولة ضد الاحتلال .

الصحافة في ثورة ١٩١٩

ما كادت الحرب أن تنتهي ، وما كادت ثورة ١٩١٩ أن تبدأ ، حتى صورتها الصحف بأنها حركة اضراب بعض تلامذة المدارس ، ونصحت للطلبة بالمودة إلى مدارسهم . ولم تفسر أخبار ثورة ١٩١٩ إلا بعد سنوات طويلة من وقوعها ، وقد كان مقر الثورة الأول هو الأزهر الشريف ، وقد قام على رأسه رجال مجاهدون حملوا لواء تنظيم تحركات الثورة في مقدمتهم : مصطفى القاياتي و ابراهيم أبو العميون و محمد عبد الله دراز . وأعلنت بعض أجزاء القطر المصري الاستقلال ، ففي المنيا أعلن الشيخ أحمد حتاتة قيام الجمهورية ، وفي زفتي أعلنها يوسف الجفدي . وشارك الفن في المعركة وبرز اسم شيد درويش و بديع خيرى و يونس القاضى ، وكان محمود الميهي ينظم القطع الصغيرة التي يرددها المتظاهرون ومنها في مقاطعة لجنة منتر قوله :

لجنة التاميز أنا قد أنبأ الوفد عنا
فأسألوا سعداً يجبكم لا جواب اليوم منا

وكان زكى مبارك في مقدمة خطباء الثورة ، وكان يخاطب بالفرنسية للوفود الأجنبية التي تقدم إلى الأزهر ومن شعره في المعركة :

لعمري البالي أدم وهي شواهد
لأن لم يبد طوعا عن النيل غاصب
بيأس القى أودى بما جئن من عز
نرى لبته فينا أحر من الكفر
لاستمطرن الشعب سخطا و تقمة
على ما جئت يمناه في مصر من نسكر

ومما يذكر في هذا الصدد أن رجلا من دمنهور اسمه « حسين ثابت » أرسل برقية لجريدة الأهرام على أثر مجيء لجنة منتر إلى مصر وطالب بمقاطعتها ، وكانت هذه البرقية

بمخاطبة الشرارة التي اشتعلت ، وتحديد موقف مصر منذ تلك اللحظة من هذه الاجتهمة .
وقد إستطاع بعض الذين طأخوا ثورة ١٩١٩ أن يقدموا عن طريق الصحف صوراً
من مذكراتهم ، وهذه إحدى تلك الصور : يقلم واحد من أبرز المشاركين فيها ، المرحوم
الشيخ محمود أبو العيون :

كانت سنة ١٩١٩ نقطة تحول خطيرة في تاريخ مصر الحديث . في ٩ مارس ١٩١٩
قامت مظاهرة طلبة المدارس العالمية التي مهدت لانفجار الثورة . . . حتى إذا وصلت إلى
باب الخلق أطلقت القوات الإنجليزية الرصاص على المتظاهرين النار من كل شارع ، وقد أئثر
في نفسى هذا الاعتداء الوحشى الفاهر على أبناء وطنى فقصدت في صباح اليوم التالى إلى الجامع
الأزهر واعلمت المنبر وخطبت في الطلبة أحضهم على الثورة .

وما أن انتهيت من إلقاء خطبتي حتى خرجت الجماهير من الأزهر في مظاهرة كبرى
تهتف للاستقلال ، وما كادت تصل إلى المشهد الحسينى حتى أمطرها الجنود برصاص بنادقهم
فكان أول شهيد طالب صغير اسمه مصطفى ماهر وأتبعه كثيرون واذكر أن امرأة كانت
تطل من نافذة مسكنها تشهد تلك المصارع الدموية فموب نحوها أحد الجنود الإنجليز
رصاصه أصابها في صدرها . واذكر أن الجنود الإنجليز حاصروا مسجد الحسين أثناء
صلاة الجمعة في ذلك اليوم ، وكما خرج واحد من المصلين أطلقوا الرصاص عليه فكان
يوماً مشهوداً . لهذا جئت بمطواه وحفرت تاريخه : الجمعة (١٤ مارس ١٩١٩) على الباب
الأخضر المشهد الحسينى تخليداً لذكراه .

وفي اليوم التالى ١٥ مارس ١٩١٩ عمت الثورة جميع أنحاء البلاد وفتح الأزهر أبوابه
للوفدين من رجال الثورة يخضبون في الجموع الحاشدة . واذكر أن أول مظاهرات ليلية
فى الدنيا هي التي خرجت من الأزهر في ذلك الحين . ومن التدابير التي لجأت إليها أنى
أنشأت جمعيات سياحية ثورية في كل أنحاء القاهرة وكنت في كل مساء أجمع رؤساء

هذه الجمعيات وأذيع عليهم التعليمات والأبناء وأغذيتهم بالمسائل التي يجب أن ينفذواها في خطبهم، وفي أوائل مايو سنة ١٩١٩ اعتقل زميلي مصطفى القاياتي وعندئذ توقفت القبض على وأخذت أفكر فيمن يخلفني في تنظيم حركة الخطابة في الأزهر . ووقع اختياري على زميلي الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وأعلنت وقتها « جنون الثورة » وقلت أن الثورة مجنونة وخطابواؤها يجب أن يكون مجانين . فلما قبض على في ١٢ مايو ١٩١٩ خلفني في الحركة الشيخ دراز وقال في أول خطبة ألقاها بعد اعتقاله : الحمد الذي جعلني أجن خلف لأجن سلف، واسنمر يدير حركة الخطابة حتى اعتقل بمدى بقليل خلفه فيره وغيره من إخواننا .

وإذا ضافت السلطات الإنجليزية ذرعا بالأزهر وأحاطته بقوات عديدة مسلحة ، لتمتع الناس من دخوله ، ولكننا لم يمجزنا ذلك بل احتلنا عليهم ورحنا نرشد الأهالي والطلبة إلى طريق آخر يسلكونه عن طريق زاوية العميان وبذلك يجتمعون في الأزهر ليقبلوا من خطبائه الوحي والإلهام واحتلنا حتى لقنا الجنود الإنجليز عبارة « زاوية العميان » فكانوا إذا شاهدوا أحدا من الأهالي طردوه وأبمدوه عن الباب الرئيسي للأزهر . وبقولهم : « جون زاوية العميان » فيتحرف إلى طريق زاوية العميان ويدخل الأزهر في هدوء وسكون . وفي ١٧ مارس قامت أول مظاهرة جامعة لسائر طوائف الشعب ، وقد خرجت كما هي المادة من الأزهر ، وسارت متجهة نحو المنورية ، الغربلين ، عابدين ، ولما اعترض الجنود المسلحون طريقها صمنا على إختراق نطاقهم مهما حدث .

وفي ١٧ أبريل خرجت من الأزهر مظاهرات اشتركت فيها جميع طوائف البلد من موظفين وعمال وطفلة وقسس ورهبان وتجار وحمامين وأطباء ، حتى النساء البلديات سرن في المظاهرة وهن يركبن العربات السكرو ، ويتعرضن لرصاص واعتداءات الإنجليز ، وكفت في هذه المظاهرة أهل وزميلي مصطفى القاياتي « الملم المصري » وأيديها في أيدي إخواننا القسس الذين كانوا يتقدمون المظاهرة ممنا كدليل على اتحاد الملل مع الصليب .

ورسم « حسن الشتاوى » صورة ثورة ١٩١٩ كما شاهدها (١) .

فقال : الذين يريدون أن يرسموا صورة شهر مارس انطلق من ١٩١٩ يجب أن يمتدوا باحساسهم إلى شهر الثورة وهناك يدخلون معاهد العلم قبيل اشتغالها فيسمعون أساندها يتكلمون هنية في فنونه وهنية يتلون فيها على مسامح تلاميذهم مبادئ ولسون ويتواعدون جميعا على يوم العصر والخللاص ، فدرسى في حجرة الدرس موجه محققة من حشجة القلوب . وللقلوب بأس إذا انقشم ذاب أمامه الجديد .

واقبل يوم ٩ مارس والناس حلقات على جنبات الطريق ، إعتقلوا سمدأ واتصف النهار فاذا الناس لا ينصرفون إلى بيوتهم وإنما تنوع الأخبار فتحدث يحكى عن ثورة في الصعيد وآخر يتكلم عن الطلبة وإستعدادهم ، ثم أقبلت الساعة الرابعة بعد الظهر واتسمت الحلقات ، وإذا كل حركة أحداث ، وكانت الثورة قد بدأت تصبح حقيقة ملموسة في خيال الناس وفي لحظة انتقاهما القدر ، أقبل طالب من مدرسة الاعدادية وجذب (سفجة) ترام غمرة في وسط ميدان باب الخلق ، حادث بسيط ، ولكنه كان كافيا لأن يخرج الناس جميعا من الترام ويقفوا حول هذا الرسول المجهول ، وزاد عدد الطلبة واختلطت الصيحات : أين سمدء ، الثورة أيها المصريون ، وفي دقائق ممدودات كان جمع محمشد في باب الخلق ورجال البوليس يبتسمون وبيتمدون ، ثم سار الحشد في طريق « تحت الربيع » وهناك أصبح مجرى متدفقا من الأنفس ، وتوات الصيحات « الاجتماع في مسجد المؤيد » في المؤيد ، ونهض على المنبر خطباء يقذفون النار وكانت الساعة حوالى الخامسة ، وأقبل الأنجليز بنجيلهم ورجالهم ، ولكن الثورة كانت قد بدأت ، والنار لا تخيفها ولكن تدمشها ، وسارت الموجة حتى الأزهر ، وفوق هذا المنبر الخشبي القدى يراه الداخل من الباب وباليته يحفظ إن كان لا يزال موجوداً ، أعلنت الثورة ، وبعد برهة سمعنا طلقات نارية ، ولكن سمعنا في الوقت نفسه نداء كالرعد « فلتحى الحرية » . . فليحى الاستقلال .

وفي منتصف الساعة السابعة أشعلت مصابيح الطرقات ، وبعد دقائق كسرت ثم هشمت ، وهنا أقبل الفرسان! الإنجليز ، والبلد كله ظلام ، وكنت تسمع طلق النار يأتي من هنا وهناك ، على أبواب الأزقة والحارات ، وفي منتصف الساعة الثامنة كانت الثورة في كل مكان وبات الناس أما سائرا في الطرقات ، وأما مستيقظا ينصت أخبار الثورة .

ثم أقبل الفجر وقال قائل في الأزهر عقب الصلاة : « إلى قشلاق الإنجليز » إحدروا من المرور على كوبري قصر النيل لثلاث محاصروا في الجزيرة ، موعدنا عند باب سميراميس وأضعن الناس لصوت لا يعرفون مصدره ، إيمان الثورة ووحيا ، وفي الساعة الثامنة كان حوالي عشرة آلاف عن باب سميراميس وما بدأوا يسرون بهذه المظاهرة الكبرى حتى كان عددهم قد أربى على الخمسة عشر ألفا ، وقبل أن يلحقوا بميدان الاسماعيليه لحق بهم من شارع « الشيخ العبيط » بجوار سراي كمال الدين ضابط من كبار ضباط الجيش البريطاني ، قيل حينئذ أنه أحد قواده ، واخفط بالمظاهرين الذين تواصوا بمسالته ، وعدم التعرض له : فقال : ماذا تريدون . ولأى شيء هذه المظاهرة فليقبل منكم فريق أن تتفاهم مما قالوا : كلا . كلا : تفاهموا مع زعمائنا . سنسير في مظاهرتنا حيث نشاء وحاد الرجل سالما أمينا ، ولكن على وجهه علامات الجد وسارت الثورة إلى ميدان الاسماعيليه ثم شارع سليمان باشا والأجانب يلوحون ويهتفون وبعضهم يشير الزهور . وبعد ذلك تماقت الأيام والأهوام .

وقد أشار : (م . ت . خ) عام ١٩٣٢ كيف حالت الرقابة عام ١٩١٩ دون تسجيل أحداث الثورة فقال : ما كدت اتصفح جرائد الأهرام والأنسكار والمقطم في شهر مارس ١٩١٩ حتى عاودتني ذكرى مؤلة قاسية هي (البلاغ ٢٤ مارس ١٩٣٢) ذكرى الرقابة على الصحافة في ذلك الوقت وكيف حاربت هذه الرقابة تسجيل الحقائق وتبين الوقائع وإعطاء كل ذي حق حقه ، والواقع أن الحركة للمصرية عام ١٩١٩ كانت أكبر ظاهرة ملحوصة لحقيقة القوة القومية التي تسكن في روح الشعب . فلا عجب أن يلجأ السععمرون إلى (م - ١٦ تطور الصحافة العربية للامامرة)

قطع الصلة الصحفية بين الشعب وحقائق الحوادث ليحفظوا هذه الحوادث في ظلام داس .
أنك لتر حين تتصفح الصحف في مارس ١٩١٩ بذكرى ثانية تهتز لها النفس روعة
وربهة لم تصفها الصحف حينذاك إلا بأن تقول عنها (أنها حوادث يؤسف لها وما هي
إلا ذكرى الشهداء الذين نثرنا عليهم بالأسس الورود والزهور) . والواقع أن ثلاثة من
أبرز كتابها استطاعوا أن يحتفظوا بيوميات كاملة لثورة ١٩١٩ وقد نشرها هذه اليوميات
في صحيفة البلاغ وغيرها من الصحف ، م : أمين الرافعي وعبد الوهاب النجار ومحمد
الخطري .

ومما يذكر أن جريدة سلطات الاحتملال لم تسمح باصدار صحف وطنية جديدة إلا
في أواخر عام ١٩١٩ . حين صدرت الأنكار (أبو العيين بدر) في ٩ أغسطس ١٩١٩ .
كما صدرت جريدة النظام (سيد علي) في ٢٩ نوفمبر ١٩١٩ .

رئيس التحرير

كانت شخصية رئيس التحرير أبرز شخصية في الصحيفة ، حتى كان يمكن أن تذكر كل صحيفة برئيس تحريرها : الأهرام : داود بركات ، السياسة : هيكل ، المصور : فكري أباطة ، آخر ساعة : التابى وهكذا . وفي هذه الفترة أصبح لرئيس التحرير من السلطان ما يفوق سلطان الوزراء وقد بلغ ذلك النفوذ حداً ، جعل مثل الدكتور هيكل وهو رئيس تحرير «السياسة قد منع « محمد محمود » رئيس حزب الأحرار الذي يصدر السياسة من نشر بيان له في السياسة واضطره إلى نشره في جريدة الأهرام ، وفكري أباطة هو أقدر من يحددنا عن منصب رئيس التحرير يقول : رؤساء التحرير في نظرنا مساكين ، أغليبتهم الساحقة ضئيلة ، عليقة ، سقيمة ، ولعل لطول السهر وكثرة العمل دخل في الموضوع جورئاسة التحرير في مصر وظيفة من أدق الوظائف ، ومركز رئيس التحرير مركز من أخرج المراكز ، ذلك من الوجهة السياسية والمسئولية الجنائية فشرحها بطول ، وإنما تمال بنا نقتحم بابغرفة رئيس التحرير وهو يكتب على ورقة يحرر مقالته الافتتاحية ، ها قد مده مصاخفاً وهو يتنسم بعد أن ألقى قلبه على القرباس ، أو أكد لك أنها ابقامة متسكفة متصممة ، وأؤكد لك أنه في حاجة إلى العزلة والافتراد لأن رئيس المطبعة يطلب الافتتاحية بإلحاح ، ها قد دق الجرس لطلب القهوة عملاً بواجب الضيافة ونحن لا نحس جولا نشمر أو أنفالا نود أن نحس ونشمر ، ها قد أخذنا نتحدث وهو طائر الذهن يجيب إجابات مضطربة غير مستقيمة ، ها قد انتهز فرصة سكوت قصيرة فتناول القلم خلسة وحرر سطرأ أو سطرين ، ولكن إرتفع من أحدنا صوت طال أجش يوجه إليه سؤالاً ، فألقى القلم مرة أخرى والتفت للسائل ، وجبن الخجل والوداعة بمقل لسانه ويمطل واجبه ، ونحن على هذا كله لا نحس ولا نشمر : والفريب أن رؤساء التحرير جميعهم يقعون في هذا الخطأ ويفتأبهم هذا الضمف ، فلامم لديهم الشجاعة الواجبة لاسقئذان الزارين ، لإتمام

علمهم ، ولا يخصصون وقتاً مناسباً - وفي جهة منفردة - يتممون فيه ما يجب عليهم أن يتموه في ميماده ، فإذا ظهر المقال مضطرباً مفككاً مرتبكاً ، فالسؤولية عليهم أولاً ، وعلى ضيوفهم الظرفاء ثانياً ، والجمهور هو الذى يمانى على كل حال . وقد شاهدت الوفود الثلاثة المتتابعة التى تقدم على رئيس التحرير ، هائتة دخل وقد ضخم من طلبه العالمية ويبدم هرائض وتقارير فطلبوا إلى رئيس التحرير بلهجة الأمر الفاهى أن ينشر عرائضهم ، ها قد تناول رئيس التحرير منهم الأوراق بيد مرتجفة فهاله إسهابها وتطوليلها فالتمس الاختصار ، ولقد ارتفعت عبارات السخط والاحتجاج مقترنة بالإشارات الحارة ، والحركات المصيبة ، فاضطر أن يضع الورقة أمامه بمنأى وأن يقول لهم بكل تواضع ومسكنة : حاضر . وها قد دخل شاب يتراشق ، ولسكته ليس بالرشيق ، ويتظارف ولسكته ليس بالظريف ، فسأل بلباقة وزلافة عن السبب فى عدم نشر مقاله الذى أرسله أمس ، فيجيب رئيس التحرير إجابة مؤدبة متواضعة ، أنه سيراجعه ، ولسكته لا يقتنع بهذا الجواب فيطلب بإلحاح أن يراجع أمامه وفى مواجهته ، لأنه تأخر بلا مبرر وبلا موجب ، والمصلحة العامة ، وحرية الرأى ، وأهمية الموضوع ، تستلزم سرعة النشر ، فيحتال عليه رئيس التحرير بكل الأساليب ليصرفه فئابى إلا إذا وعد وعداً أكيداً ، فإذا وعد وعداً غير أكيد ودع مصاغها وعلى فه ابتسامه صفراء مصحوبة بهذه الكلمات - حسناً سأمر على حضرتك بعد الظهر . وها وقد انفتح باب الغرفة من تلقاء نفسه لرجل من ذوى الحثيئات والمقامات ولسكته يحمل مقالا سخيفاً ، فيقوم له رئيس التحرير ومن بجوار رئيس التحرير يؤدون واجب التبجيل والتعظيم ، فيجلس منتقفاً ، ثم يلقى بالرسالة إلى رئيس التحرير طالباً تلاوتها فإذا تلاها فى سره أمره بالتلاوة العلنية ، فإذا أخذ يتلوها علانية أخذ هو فى نفسه يظهر الاستحسان ، ويطلب الإعادة فإذا أتم رئيس التحرير التلاوة على مضض سأله : مارأيك ، فأجاب : حال ، فقال : إذن دق الجرس ا فيدق الجرس ، فإذا حضر الخادم أخذ الرسالة من رئيس التحرير ، وقال له خذها ، فإذا سأل الخادم إلى أين قال : إلى المطبعة . إذا لاحظ انقارء فى الجريدة التى يقرأها ضعفاً أو اضطراباً أو سقماً فيعلم أن ذلك راجع إلى سببين : ضعف رئيس التحرير + (تلامه) المراسلين والمكاتبين والواشرين .

حياة رئيس التحرير

ويصور انطون الجميل رئيس تحرير الأهرام كيف يمضى رئيس التحرير يومه : يقول :

« نهض رئيس التحرير من نومه بعد سهر طويل يتناول النسخة من صحيفته فيقع نظره في الحال - وعينه مدربة على ذلك - على عنوان ناقص في الصفحة وعلى غلطة مطبعية في الصفحة الثانية ، وعلى إهمال في ترتيب الصفحة الثالثة ، وعلى رقم مقدم أو مؤخر في الصفحة الرابعة مما لا يخفى على نظر ابن المهنة وإن غاب على القارئ العادي فيجد رئيس التحرير في كل ذلك أو في بعض ذلك أولى مضايقات يومه . ولا يكاد يزول عن نفسه أثر هذه المضايقة الأولى ، حتى يقرم القليظون مرة ومرتين وثلاثا ، هذا كاتب لم تنفخر عقالته فيسأل عنها عاتبا ، وهذا بيت مالى يحاول أن يتحرقى عن مصدر خبر له أثره في دوائر المال والاقتصاد . ويخرج رئيس التحرير من منزله ويترك مركبته ليسير بضع دقائق على الأقدام من قبل الرياضة ، فيقابله أول عابر سبيل ويقبل عليها مسلما ، ويأبى إلا أن يرافقه في سيره متحدثا إليه عن منزلته في قلوب قرائه وأثر مقالاته في دوائر السياسة والأدب فيشكره رئيس التحرير ، ولا يمضى عابر السبيل في سبيله بل يتطرق إلى السياحة والتعليق على الأزمة الوزارية إلى آخر أنباء الحرب . ولا يكاد يتخلص رئيس التحرير من هذا الفضول حتى يقبل عليه آخر فيحدثه عن مقال طريف يشكره في تديبجه ويريد أن يختص به جريدة الأستاذ . وينتهى المطاف إلى مكتبة في دار صحيفته فيرى أمامه أكداسا من الرسائل البريدية والبرقية ، وقبل أن تعدده إلى واحدة منها يكون الحاجب قد ألقى إليه ببضع بطاقات زيارة ينتظر أصحابها قدومه ، هذا يريد تجديد اشراكه ، وهذا يطلب تغيير عنوانه وثالث يشكو من عدم وصول الجريدة في ميعادها ، ورابع يرغب في نشر إعلان وخامس يطلب نشر خبر .

وعبثا تحاول أن يقنع الزائر أن في دار الجريدة عشرات من الموظفين أقدر على خدمته

وقضاء حاجته من رئيس التحرير ، ولكن الزائر لا يرضى إلا أن يقابل رئيس التحرير لأمر خاص - والإعلان مع أنه أبعد الأشياء عن عمل رئيس التحرير لأنه عمل تجارى بحث ، ومع ذلك فلا بد من حشر رئيس التحرير فى شؤون الإعلانات ، هذا يريد تخفيض الأجرة مع أن للإعلان رسوما مقررة ، وهذا يريد نشر اعلانه فى مكان بارز ، مع أن لكل صفحة فى الجريدة رسما خاصا ، والإعلانات فى الصحف حقل واسع للدروس السيكولوجية ، فهى تارة مظهر بخل ممقوت وتارة مظهر سخاء مستنكر ، يحتفل الرجل بزواج كريمة أو بتمام والديه ، فينفق فى هذا السبيل مئات الألوف من الجنيهات من غير حساب ، ويأبى إلا أن يعرف عشرات الألوف من القراء عقد قران سليله المجد والشرف وربة الصون والمفاف أو وفاة السيدة الجليلة التى قضت حياتها فى أعمال البر والتقوى ، فإذا طلب منه قسم الاعلانات مائة أو مائتين من القروش إستنكر البلىغ وهول إلى رئيس التحرير بواسطة بما له من مكانة فى الجريدة ليخفف ريبالا أو ريالين ، ورئيس التحرير يؤثر غالبا أن يدفع الفرق من جيبه . وفى أثناء هذه المضايقات وهذه المخالفات يستمر التليفون يمثل الدور الذى بدأه فى الصباح ، استيضاح عن حادث ، التحقق من إشاعة ، الاستفهام مما يجرى فى مجلس النواب أو مجلس الوزراء . ولعل من أشد مضايقات رئيس التحرير ما يجيئه عن طريق الكتائب التطوعيين ، وهم لاشك مشكورون على غيرتهم على الأديب بحمل ثمرات قرأهم إلى دور الصحف ، ولكن للصحف اليومية أحكاما ليست للمجلات التى هى المجال الطبيعى لثل هذه المقالات . فالنبا التلغرافى والخبر المحلى مقدمان فى الصحف اليومية على ما سواهما ، ولكن بعض هؤلاء الكتائب يرودونا على مثل ذلك ، يلقي الواحد محاضرة ثم يرسلها إلى الصحف طالبا نشرها ، وهى أحيانا من النوع الذى يكفى أن يسكب به العشرات من السامعين فلا يصح أن يسكب به الألوف من القراء . وهى ذكر ذلك أذكر أننا فى سنة ١٩٣٢ وكانت قضية القابل فى أشد أدوارها . حتى أن المحكمة كانت تعقد فى النائب جليستين فى اليوم فتستغرق تفاصيلها أنهارا من محفلة

وحوالى الساعة العاشرة فى إحدى الليالى ، حمل إلى الحاجب بطاقة ثقلت باسم صاحبها وما تلاه من الألقاب المالية الضخمة ، فاضطرت إلى مقابلته على مضض ، ودخل وبمه عتاب ومجاملات ، قدم إلى مقالا كثير الصفحات فألقيت نظرة على العنوان لأتبين الموضوع فألقيته مما لا تذهب جدته ولا تضعيع بهجته بل هو من قبل سد الفراغ بمشكلة فوصفته جانبا : قال صاحبنا : أرجو أن تقرأ مقالى هذه . قلت : أنا مشغول الآن جداً ، سأطالما غدا ، قال : ولكن يهمنى أن تنشر صباح غد . قلت : لا صييل إلى ذلك : الساعة الآن العاشرة ولا نستطيع جمع مقالات والجريدة مزدحمة ، وقضية القنابل مستغرقة جانبا كبيرا ، فلما رأى تصميمى على الرفض وقف كاسف البال وهم بالانصراف ثم عاد فقال : ألا يمكنك يا أستاذ أن تؤخر قضية القنابل وتنشر مقالى هذه . وكدت أصعق لأن موضوع مقالته التى لا تحتمل التأجيل هو « صيد الحوت فى الأقيانوس » والكتاب المتطوعون مصدر مضايقة أخرى ، ذلك أنهم يتلفنون إلى موضوع تطرفه الجريدة فيتهافتون على الكتابة فيه ، كأن هناك مباراة طامة .

سورة وصفية لرؤساء التحرير (بقلم فكري أباطة)

داود بركات : قيل عنه أنه شيخ الصحافة ، لم « اتق » عن سنة ولم أهم بالبحث عن تاريخه . وإنما لأدرى أين تسكن تلك القوة السارية في أسلوبه ، له ثورة أو ثورتان في العام يبلغ فيهما القمة ، مقالاته حديث الناس وفي الأزمات يندلع قلمه كالنار فتجد في « المحليات » نصف نهر يملوها (عدوان) يندد بالخطر . لا أظنه يتمشى مع عواطفه ووجدانه في آرائه ، لعله يحكم (العقل) ويراهي (الظروف) أكثر من تحكيم القلب . ولعله معذور فبين يديه عمل كبير ، وفوق عاتقه مسئولية عظيمة ميزته على زملائه أن محصوه التاريخي هائل ، فهو يمتاز في المناسبات وكثير مملوماته لا يفنى .

خليل ثابت : بطل الشرق والشرقيات ، مغرم بدراسة تطورات الشرق ومسائل الشرق وهي فصيلة بلا جدال ، أحسن من يجيد الوقوف على الحياض ، مع الأزمات ، تحرير وترتيب عملياته ترتيب وتحرير شمسي سهل مقبول ، ولذلك يقرأ الناس جريدته بسهولة . ولئن أخذت عليه كثرة الأخبار التافهة كحوادث النشل وحوادث الترام وتنقلات ملاحظي البوليس — وكلاء البوستة ، ونظار المحطات ، ودرجه تلك الأخبار العادية في صدر المحليات بعض الأحيان — لئن أخذت عليه هذا فلمل جريدته في حاجة إلى معاونة هؤلاء ، ولعله أدرك سر ميل الشعب إلى الحوادث والمفاجآت . مملوماته المحلية غزيرة ، ولكنه يجمل به ألا يتكلم في الافتتاحيات عن حلوان — والتراب في العاصمة ، وآلة الرش الجديدة فالافتتاحيات روعة وجلال .

أمين الرافعي : هو بلا منازع قد إحتسركر خاصيتين : (الأولى) جنون العقيدة . (الثانية) استحضار النصوص . أما جنون العقيدة فقد أحاطه بسياج متين من الإجلال خاله ، أما استحضار النصوص فلا أظن أنه يوجد في مصر كاتب يجاربه في هذا ، وويل لسلك سياسي يلتقي الكلام على عواهنه ، فعند أمين الرافعي أقواله السابقة وتصریحاته السابقة ، كأنه كان يدرك في الماضي أن المقالكم سيناقض نفسه وينسخ نظرياته ، أخذ

عليه التكرار في نفس الموضوع ، ودفاعه عن هذا أن فيه ترسيخاً لفكرة ، وقد يكون
وجيهاً أو لا يكون .

عبد القادر حمزة : يمتاز بملسكة التحليل ، يحمل الموقف أو موضوع اليوم بمهارة
عظيمة ، وإن وجبت المبالغة — وعند الصحفيين هي كثيرة الوجوب — فقد لا تسطيع
اكتشافها . إيجازه يتفق وميل القارئ ، والمودة في الكتابة اليوم هي الإيجاز المفيد .

ولعل تفوقه في التحليل وتسلسل الدلائل يرجع إلى دراسته القانونية ومرانه الجدلي .

حسين هيكل : لا يعرفه العامة إلا منذ تولى تحرير السياسة ، أما الخاصة فقد قرأت له
كثيراً في الجريدة وغيرها ، ميزته أنه (Brillant) مشرق في تفكيره ودقيق جداً في تحديد
موضوعه ، وأظهر ما يروعك في أسلوبه أنه يحيطه بسور من الجلال ، ولعله وهو يكتب
يتذكر من يكتب بلسانهم من الوزراء وجباة العقول . فياض من ناحية الأدب ،
ويدهشني أنه يكتب في الأدب كل هذه المجلدات .

حافظ عوض : journaliste (صحفى ممتاز) بمعنى الكلمة في محاولات واضحة في تحسين
جريدته ، لعله أقدر من يدرك سرفته ، مطلع على الأدب الإنجليزي وقوى في مادته ،
ورجال المهنة السابق لا يحتاجون إلى تعريف .

× وهذه صورة أخرى لرؤساء التحرير : بقلم كاتب مجهول .

أنطون الجميل : يجلس إلى مكتبه في الأهرام إلى ما بين الثانية صباحاً ، يكتب أحياناً
ويراجع أحياناً ثم إذا به ينتقل بين مكاتب التحرير وبدروم الطبعة ليشرّف في توضيب
الصحائف بين عمال الطبعة وصفا في الحروب ، فإذا أحس بالجموع عند منتصف الليل إنسل
إلى بار اللواء وهو على قيد خطوات من مكتبه فتناول عشاءه وعاد إلى ما كان عليه من
عمل معواصل فلا يبرح مكانه إلا إذا عرف أن ما كينة الطباعة قد بدأت تدور .

خليل ثابت : يذهب إلى فراشه في الساعة التاسعة تماماً فإذا جاءت الساعة السادسة صباحاً
وأبته قد زل إلى مكتبه بالبيجاما أو الروب دي شامبر ففتحه وجلس وحيداً فريداً يطالع
جرائد الصباح فإذا جاءت الساعة الثامنة سلم لعمال الطبعة « افتتاحية المقطم » التي يضمها
عادة أربعة مواضيع مختلفة . يكتب بسرعة غريبة وخطه رديء لا يقرأه إلا الاختصاصيون من

جمال الصف الذي مضى على اشتغالهم بالمقطم عشرات السنين ، ويصمد إلى مسكنه بعد ذلك ليتناول طعام الإفطار ويرتدى ملابسه ، حتى إذا جاءت الساعة التاسعة ألفيته رابضاً على مكتبه ليشرف على كل صغيرة وكبيرة مما ينشر في المقطم حتى الإعلانات ومن عادة أن يراجع بروفة مقاله بعد تصحيحها .

الدكتور هيكل : سريع في الكتابة إلى حد بعيد حتى يشمل السجارة أحياناً قبل أن يمسك بالقلم فلا ينتهي من تدخينها إلا وقد انتهى من كتابة المقال . خطه لهذا السبب لا يقرأ إلا إذا اجتمع لك رموزه عدد من زملاءه . لا يعنى بالأسلوب بل يسرف في استعمال حروف الجر بلا حساب لكنه يعنى بالفكرة ويناقش في منطق سليم ونخروج حكيم .

عبد القادر حمزة : إذا أراد أن يكتب شرب فنجانا من القهوة وسجارة ثم يشرع القلم كأنما أرهف سيفاً . يكره أن يدخل عليه أحد أثناء الكتابة حتى لا ينقطع تيار أفكاره المزدحمة ، وهو يحب أن يراجع ما يكتب وينشر قبل أن يتسلمه حامل المطبعة . ينال من خصمه بهدوئه ورزاقته أكثر مما ينال منه فيره بمعدنه واندفاعه .

التابعي : نشيط جداً ولكنه بمزاج ، يسقط أن يحرق مجلته الكبيرة من أنها إلى يائها في جلسة واحدة إذا أراد بحث الهدوء لتضايقه أحياناً دقائق ساعته الأنيقة .

توفيق دياب : خطيب بطبعه حتى في مقالاته يؤثر أن يملى ، وقد يكتب بيده شيئاً ، يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ويشير بيديه أحياناً ويدق على المنضدة يمينه أحياناً ، يتحدث ثم يهدأ ، يرفع صوته ثم يخفضه ، فكأنما لا يملى على كاتب ، بل يتحدث إلى جماعة ويخطب في جمهور ، يعنى باللفظ المخفار ، ويمد إلى الكلام المتبقي للتأثير على قراءه . فلما يبدأ كتابة مقالة قبل منتصف الليل وكثراً ما يملى وحوه نفر من خاصة أصدقائه كان يقصدهم فيما مضى أمير الشمراء شوقي أو وحيد الأيوبي .

عباس المقاد : يؤثر الهدوء إذا بدأ يكتب ويكتب في الصباح الباكر ويعنى بالأسلوب يقدر ما يعنى بالفكرة ، لم يتولى رئاسة التحرير يوماً من الأيام ، ولكنه عمل في كثير من صحف : المنبر . البلاغ . الجهاد . روز اليوسف . الضياء .

من تجارب الصحفيين

لم يكن رؤساء التحرير وخدمهم الشخصيات البارزة في الصحافة اليومية والأسبوعية خلال فترة ما بين الحربين بل كانت هناك شخصيات مؤثرة ، لها صوتٌ مدويٌ ، وتجربة ضخمة وقد سجل كثير من هؤلاء الكتاب الصحفيين تجاربهم الصحفية والظروف التي عاشوها ، وهي في مجملها تعطي صورة الصحافة من الداخل :

(١) تجربة عباس العقاد

ليس في وسع الكتاب السياسي مهما يكن شأنه ، ومهما يكن الشعب الذي يكتب له والموضوع الذي يكتب فيه ، ليس في وسعه أن يؤدي اليقين القانونية التي يؤديها الشهود في المحاكم قبل الانضاء إلى القضاة بما يعملون .

فهو قد يقول الحق ولكنه لا يقوله كله في وقت واحد ، لأنه مرهون بأوقاته التي ينكشف فيها على حسب المناسبات والأحوال . فهو إذن قد يقول الحق ولكنه لا يقوله كله كما يفرض عليه يمين المحرمة . وتفسير ذلك أنه لا يقف في كتابه موقف الشاهد أمام القضاة ، بل يقف أحيانا موقف المعلم أمام التلميذ أو موقف الطبيب أمام المريض أو موقف الواعظ المصلح أمام أتباعه للريدين .

وإذا وجب على الشاهد أن يقول كل شيء أمام القاضي الذي يحكم في القضية حكمه الفصل فليس من الواجب على الواعظ ولا على الطبيب ولا على المعلم أن يقول كل ما في نفسه للتلاميذ والمرضى والموعوظين وقد يكون في الأمر سر يتعلق بأناس آخرين ولا يملك الكاتب أن يجر به علانية في جميع الأوقات لأن كتاب ذلك السر أمانة يحاسبه عليها ضميره ويحاسبه عليها أولئك الناس الذين أئتمنوه عليها .

وإذا كان الكاتب يكتب للثانين والجهلاء فليس أصعب عليه من الصدق وليس أيسر

التمويه من الكذب والتمويه ، والكذب في بعض الأحيان عجز وليس بقدره ، فإذا لم يملك الكاتب قدرة الصدق ككذب وهو عاجز مضطراً إلى مخالفة الحقيقة ، ولكنه إذا قدر على الصدق لم يكذب ولم يخالف ما في ضميره ، فربما كان الصدق أرفع من فن الكذب في أكثر الأحوال (وعندنا) أن الكتياب يخالفون غيرهم في أمرين ظاهرين : وهى أنهم من جهة خاضعون لرقابة الجماهير ، ومن جهة أخرى خاضعون للمفريات والمؤثرات التى تساطها الجماهير عليهم وهم يشمرون أو لا يشمرون . نخضوعهم لرقابة الجماهير يجعلهم أكثر من سائر الناس حذراً من الكذب والتمويه . وخضوعهم للمفريات من قبل الجماهير يجعلهم على نقوض ذلك أكثر من سائر الناس رغبة فى مساواة الجماهير أو رغبة فى إخفاء الحقيقة واصطناع الأباطيل ، وأن الكاتب ينبغي أن يخلص فى كل سطر وفى كل كلمة وفى كل حرف بخطه بيمينه ، سواء قال الحق كله أو صرح ببعض الحق أو ترك بمضه مكتوماً إلى حين ، وخلاصة هذا كله أن الكاتب كالطبيب والواعظ والمحامى فى موقفه من الصدق والصراحة فلا الأطباء ولا الوعاظ ولا المحامون يقولون كل ما يملون ، ولا الكتياب يطالبون بذلك فى شرعه الأخلاق أو فى واجب الصناعة ، ولكنهم جميعاً يطالبون بواجب الإخلاص الذى لا يستقله عنهم عذر من الأعذار .

(٢) تجربة التابى

هذه صورة للتابى ولهجة آخر ساعة كتبها أحد الصحفيين فى مذكراته .

الذين اشتركوا فى تحرير العدد الأول من آخر ساعة (١٩٣٤) هم : أحمد الصاوى محمد ، أمينة السعيد ، سعيد عبده ، زينب صدق ، السندباہ البحرى ، صاروخان ، قاسم فرحات ، كريم ثابت ، محمد التابى ، محمد حسنى عبد الحميد ، محمد عبد الوهاب .

وتدخل غرفة الأستاذ التابى فنجده جالسا إلى مكتبه وقد وضع على ذراعيه أكامه

السوداء وراح يدخن سبجارة أو يشرب فنجانا من القهوة، والتابى رجل ديمقراطى لا يحب التحكم أو أملاء الرأى، ومن هنا إذا أراد وضع فكرة صورة نادى «ساروخان» ونادى جيم المحررين يطلب منهم أن يسكروا فى صورة كارىكانور . وعلى يمين الأستاذ يوجد غرفة ساروخان . . تدخل حجرتة فتجده قد خلع جا كتيقة وأسند يده إلى رأسه الأصلع وقد أمسك بريشته القاسية بسود بها وجوده الناس وبمبت بالانافة والجمال، وبجيد زميلنا كامل الشناوى المحرر بالأهرام تقليد صوتى الأستاذين العقاد وتوفيق دياب إجادة تفوق الوصف . وحدث مرة عند ما كان الأستاذ العقاد يميل فى إحدى الصحف اليومية أن تظاهر الشناوى بأنه الأستاذ العقاد ودق التليفون لسكرتير تحرير تلك الجريدة وصب عليه دشا بارداً من الشكيمة والسباب، وتضايق سكرتير التحرير وكاد يستقيل لولا أن الشناوى دخل عليه وأخبره أنه هو الذى كان يتحدث باسم العقاد وبصوته، فسمع سكرتير التحرير صديقنا الشناوى إلى الباب بما يستحق من التحية والاحترام والشلايب .

وبعد دقائق دق جرس التليفون فى حجرة سكرتير التحرير وقال المتكلم إنه الأستاذ العقاد وثار سكرتير التحرير وقال على اعتقاد أنه الشناوى يعيد السكره مرة ثانية : « بلاش أمور عيال » أقلل السمكة واتركنى أشغل وما كاد ينتهى من هذه الجملة حتى رأى الشناوى واقفا أمامه وسمع الأستاذ العقاد الأصلى يقول فى التليفون .

ومن المقالب والفصول الباردة فى (آخر ساعة) أن حدث منذ أيام أنزار الدكتور غلوش رئيس أركان جمعية منع المسكرات زميلا من الزملاء أشتهر بيننا بأنه أشد الناس إيمانا بمزايا المسكرات وأكثرهم تطبيقا لهذا الاعتقاد . وظننت أن الدكتور غلوش زار الزميل لهديه إلى الماء القراح والصراط المستقيم . ولكن ما كان أشد دهشتنا عند ما رأينا الزميل يتظاهر باللقى والورع أمام رئيس جمعية منع المسكرات ويهاجم للشروبات من

الوسكى إلى النازوة ، ويسأل بدشة عن مصير السكرى يوم القيامة إذا ساروا على الصراط المستقيم الذى هو أحد من السيف وأرفع من الشجرة وليس له درابزين .

ولم نحتمل نحن الأصدقاء نفاق الزميل فانفقنا فيما بيننا على مقبب نظيف زده الزميل إلى الصراط المستقيم ، اتفقنا على أن يدخل أحد سماة المجلة وفى يده زجاجة ويسكى ويقول للزميل أمام الأستاذ غلوس : حضرتك ح تأخذ زجاجة الوبسكى ممالك ، وإلا أبه .

وقام الساعى بالمهمة خير قيام وأغنى على الزميل ، وحمل الأستاذ غلوس مبادئه المعروفة وغادر الزميل بمد أن نظر إليه بكل هزؤ وازراية واستخفاف .

قال صحفى كبير : إن النهويش والصحافة كلمتان مترادفتان بمعنى واحد ، ومن النهويش الذى يلجأ إليه الصحافي : المصادر العلمية ، ودوائر الحل والربط ، ومن ييديم مقاليد الأمور وولاية الأمور . يسمع الواحد منهم خبرا من ساعى أحد الوزراء أو من موظف درجة ثامنة حرف جيم فى مكتب مساعد وكيل إحدى الإدارات فتأبى عليه كرامة المهنة أن يقر ويمترف بالواقع ويقول : بلغنا من أحد صغار موظفي قسم الروزنامة بوزارة المالية بدلا من أن يقول هذا بالخط العريض أنه سمع الخبر من ولاية الأمور ، وتقرأ فى الصحف اليومية بقرىات تقول أنها لمراسلها الخاص فإذا وقعت حادثة فى حارة غير مطروقة بزقاق غير معروف بقرية مجهولة فى جريدة مدغشقر نشرت الصحف فى اليوم التالى بقرىات مطولة لمراسل الحريدة فى هذا الزقاق . . ويسأل القراء : هل لهذه الصحف — وخصرنا غير المقروء منها — هل لها مراسلون فى كل مكان .

(٣) من تجربة فكرى أباطه

فى سنة ١٩١١ كان فى المدرسة السعيدية تلميذان صغيران يتناوبان ويتبادلان الرسائل التى تمس السياسة العامة ، أثناء إلقاء الدروس فى الفصول ، هذان التلميذان (النجيبان) كانا : محمد العابى وفكرى أباطه وإن كان أولهما سيثور ثورة حامية ضد هذه الذكرى الأليمة التى تسجل سنه بوجه التقريب . عرف التلميذان بتلقبهما السليق المزى للصحافة منذ ذلك الحين ، أولها يعالج الصحافة فى بعض المجلات ، والثانى يعالجها فى المؤيد تحت اسمين مستمرين . . فرقت بينهما السنون والهجون إلى أن التليا مرة أخرى بمد جيل كامل صحيفتين ناضجتين . فسلك كل منهما طريقه حتى اليوم .

كانت أمينتى بمد ثورة ١٩١٩ أن ينشر توقيمى تحت مقال لى بالأهرام . كان أقطاب السياسة فى مصر يعلون على أفكارهم ونحن نممل معا فى الحركة الوطنية . تجرأت فى ٥ ديسمبر ١٩١٩ بنشر مقالى الأول الذى هز الخواطر فى جريدة الأهرام « خيال وصياد » .

ردأ على جريدة الشمس التى أشارت إلى شكوى المصريين من استئثار الإنجليز بالوظائف الكبرى ، فلجأت إلى دوصيات بعض رجال كبار موظفى مصلحة الزى وإلى إحصاء عن عدد كبار الموظفين الإنجليز فوجدت النسبة فادحة فى المرتبات والوظائف .

وفى مقال تال : ٢٣ يناير ١٩٢٠ (نطاط ورقاص) .

بشرت الشهادة الوحيدة التى وجدتها فى ملف أحد كبار الرؤساء فى وزارة الأشغال . . وأنه يجيد ركوب الخيل والنط والرقص ، وكان مساعد مدير أعمال وزارة الأشغال ورئيسا على مصريين حازوا الشهادة المليانى الهندسة وقد أحدثت المقالة دويا فملت عليها جريدة التيمس . وأبرق إلى تفللا باشا (صاحب الأهرام) طالبا الحضور لمقابله فحضرت من الزقازيق

و عرض على أن أحترف الصحافة فاعتذرت بشدة في ذلك الحين مؤثرا الهواية على الاحتراف .
وسبت نار الثورة ١٩١٩ فخررت كثيرا من المنشورات للطلبة الأناشيد التي طبعت منها الآلاف
ووزعت . وخطب ضد مشروع ملنر في المنشورات السرية والمظاهرات « كفت فكبرى أباطه
ضد مشروع ملنر في الأهرام ٢٠ سبتمبر ١٩٢٠ .

ثم حيل بيني وبين الكتابة في السياسة ، ولما كتبت هاويا للصحافة قلت لأشعلن نفسي
بمناوشة الجنس اللطيف مؤقتا بدل الإنجليز ، وقد بدأت ثورة تسوية تحمل لواءها انتقانا :-
واحدة توقع مقالاتها باسم الخنساء وكانت قوية الأسلوب واقعية التمبير ، فلطمنتني أكثر
من لطفة ، وهكذا اكتشفت أن الخنساء هي «محمد لطفى جمعه» .

أما الثانية فكانت قناة مثقفة غاية التشويق ، هي «مديرة ثابت» وكانت تطالب إذ ذاك -
بأن يكون للنساء حق التصويت بمناسبة وضع الدستور .

لم تفرني العروض المشهية لكي أحترف ، فظلت هاويا ، فلما عرض على أن أجمع
مقالاتي في مجموعة واحدة لم أجد في جيبى رأس مال الطبع والنشر ، فاعتمدت على الناشر
مصطفى محمد بشارع محمد علي ، ثم عرض على جبرائيل تقلا أن أحتل زاوية في جريدته الكبرى
شرط على نفسه ألا يتدخل في موضوعها ولا أهدافها ولا مبادئها ، ولكنني كفت في مسهل
شبابي المندفع فظننت أن الاحتراف قيد وذل وغل .

خيل وصباه

أول مقال كتبه فكرى فى أهرام ٥ ديسمبر ١٩١٩ (١).

نشرت التيمس مقالا رقيقا عطفت فيه على المصريين ونددت بإسراف الحكومة فى توظيف الشبان الإنجليز وطلبت فى النهاية المدول عن هذه السياسة الأشعبية المؤدية إلى السخط والاستثناء . خيل لى أن التيمس تفرض ضمنا أن عدد الانجليز فى الوظائف الكبيرة ضئيل أو على الأقل لا يذكر بجانب المصريين فبحثت وبحثت حتى وصلت إلى نتيجة وفتت أمامها مذهولا متحيرا - فى مكاتبات الوزارة كتيب صغير - غير السكتيب الأصغر، حصرت فى أسماء الموظفين المصريين والأجانب . حدثت فى كتيب منها وأخذت أجمع وأطرح وأضرب وأقسم وكانت النتيجة ٧٤٥ انجيز ٩٩ أجنب ، ١٥٠ مصريون أى أن عدد الانجليز ثلاث أضعاف المصريين . وقد وفد علينا فى هذين اليومين جيش جرار من شبان انجليز زاحمنا حتى فى أصغر وظائف مصرنا العزيزة ، وسارت حكومتنا مع الوافدين على النصف الثانى من المبدأ المشهور (أحرار فى بلادنا - كرماء لضيوفنا) فألحقهم بالوظائف الفنية وغير الفنية، وترتب على ذلك خروج عدد من الموظفين المصريين فالتجأوا للمحاكم طالبين المدل وكان دفاع الحكومة ولا يزال ملخضا فى كتيبتين : رقتناه للاستعناء ، ولو انصفت لقات : رقتناه للاستبدال ، وقال فكرى أباطة فى ذكرياته : كتبت عن رجل كبير قلت : إنه يزحف نحو المجد ونحو القمة بسرعة ، فطلبنى بالهاتفون وكلمنى نائرا غاضبا من كلمة « يزحف » قائلا : أترانى طفلا صغيرا وهل هذا يليق ، قلت له بكل هدوء : سل أحد اللغويين عن معنى « يزحف » فى هذه

(١) احترف الصحافة حين تولى رئاسة تحرير لاصور سنة ١٩٢٦ .

المبارة وكنتى من فضلك بعد خمس دقائق، وبعد خمس دقائق كلنى قائلا : شكراً
يا فكرى بيتقولوا أن زحف (دى كويسة) .

(٤) من تجارب إبراهيم عبد القادر للآزنى :

كنت أعمل فى جريدة الأخبار مع أمين الرافى : وكان عبد القادر حمزة كلما رأى
سياسة جريدته « الأهالى » متفقة مع سياستنا المستقلة فى الأخبار يدعونى إلى الكتابة
فى جريدته فأقبل ولكن بتوقيع مستعار باسم استقر عليه الرأى « مطلع » ، وكان رأى أن
الحال لا يدعو لظهور الأحزاب وتمدها فقاومت حركة تأليف حزب جديد فى ست
مقالات نشرتها جريدة البلاغ بتوقيع « مطلع » ، وكان الأستاذ المقاد يكتب فى البلاغ
ويحمل من ناحيته على الحزب الذى دار تأليفه ولكن باسمه الصريح ، ولم يكن يلح فى
هذه الحملة، وإنما كان كل منا يكتب فى هذا كما دعت مناسبة . ومضت الأيام وقام الحزب
وإذا بيمض الحقى بنتالون المرحومين حسن باشا عبد الرازق وإسماعيل بك زهدى على باب
حزب الأحرار المستورين . وقد تبين من بعد أنهم مجانبين لا علاقة لهم بصحافة
ولا أحزاب ولكن ثروت باشا أراد أن يمد « البلاغ » وصاحبه ومن يكتبون فيه مسئولين
أديبا عن الحرية ، وكان هذا خطأ مبيناً ، فأما صاحب البلاغ فعروف، وإما المقاد فيكتب
باسمه الصريح وإما « مطلع » فلم يمدم ثروت باشا من يده على أنه المازنى ، ودعانى أمين
الرافى وقال :

اسم ، أخبر صاحبك أنكما ستنفيان من مصر وبعنى بصاحبى الأستاذ المقاد ولا أحتاج
أن أقول أنى لم أنصر فى ابلاغه ولا فى الاستعداد للنفى وتهدير الأمر مع أمين الرافى على
ما يكون وأنا مؤمن ، ولا سيما بعد أن رأيت القيادة تستدعى عبد القادر حمزة للتحقيق معه
ولكننا لم ننف ، لأن وزارة ثروت إستقالت وجاء وزارة نسيم فصرفت النظر عن هذا .

× فر الشيخ جاويش من تركيا ودخل مصر في فئلة من الحكومة ودعاني أمين
الرافعي ذات صباح ، ودفع إلي كتابا وقال : إقرأ ، فإذا هو من الشيخ جاويش يعلن فيه أنه
دخل مصر ويسوغ اضطرابه إلى التنكر والدخول خلسة ، فأشرت عليه بنشره ففعل ،
فقامت الدنيا وقعدت واضطربت الحكومة وانطلق البوليس السرى في كل مكان يتجسس
ويتمحري ، وصار الناس يهدون علينا : يسألوننا أين هو ؟ وكان الدستور قد صدر وهو يحرم
نق المصري ، فأشرت عليه بمقابلة يحيى إبراهيم رئيس الوزراء ، وقلت أنه قاض قبل
أن يكون رجل سياسة ، فصدق ظني ولم يحب في هذا الرجل . قال : هل للشيخ جاويش
أن يظهر وهو آمن . قال : « نعم بلا مرأه » فصدرت الأخبار فيها دعوة له أن يظهر .

× × كانت الصحافة قبل ربع قرن - يقصد قبل ثورة ١٩١٩ - وإلى عهد
غير بعيد « صحافة رأى » لهذا كانت المقالة من أهم ما في الجريدة . وهي التي كان عليها
الممول . كانت الصحف لا تنشر من برقيات روتر وهافاس إلا بضمة سطور كانت الصحف
تشتري اقراءة مقال واحد : اللواء ، مصطفى كامل ، المؤيد ، على يوسف ، أو المنفلوطي .
الجريدة : لطفى السيد . إن المقالة كانت هي الجريدة . ثم فتحت الصحف صدورها
للكتاب والأدباء ينشرون فيها شعرهم ونثرهم وأسبق الصحف إلى ذلك جريدة الدستور لفريد
وجدى . أما هم تطور صحفى فلم يحدث إلا في عنفوان الثورة المصرية ١٩١٩ لأن الصحف احتاجت
إلى الاطلاع على ما يكتب عن مصر في الخارج والوقوف على ما يجري في مؤتمر فرساي
فبدأت الصحف تتخذ المراسلين المصريين في باريس ولندن . ومن أهم آثار الحركة
الوطنية أن احتاجت الصحف إلى معرفة حملات الصحف الأجنبية عنها فدفعها هذا إلى العناية
بالمشئون الخارجية .

× × في ١٩٠٩ نشر عبد الرحمن شكري الجزء الأول من ديوانه فحمل عليه

محمد المرصفي حملة عقيمة في مقال نشرته جريدة مصر الفتاة (أبو بكر لطفى المنفلوطى) وكان المازنى في ذلك الوقت طالبا بـ مدرسة المعلمين العليا ومن المجتهدين بشعر شكرى، فكذب مقالا في الرد على المرصفي نشر في جريدة مصر الفتاة ، كان أول مقال للمازنى ثم نشر ١٤ مقالا متتاليا في جريدة الدستور عن ديوان شكرى في مصر الفتاة (٤ مايو ١٩٠٩) وهذا نموذج منه :

أيها الكتاب ولا أقول الأدباء فليس كل كاتب بأديب ولا كل ناقد بناقذ ، خليق بكم أن تتأدبوا في مخاطبة الشعراء فإن أوجع ما يعانيه الشاعر أن يقوم من لم يستجد من الشعر غير ما نظمه ابن الفارض ولم يمن إلا بما قال البهاء زهير من الكلام الموزون المتقى الذى ملؤه الوهن والغميضة ، فيقول له تعال أعلمك كيف تقول الشعر . أيها الشيخ أنا نرف اليد التى حركت قلبك فكعبت ما كتبت ، أما ذلك السباب الذى رميت به الشاعر فليس منك وإنما هو منسوب إليك ، ولو كان هذا الكلام من قتلى الفناء لارتباك من دهاء أستاذك ما يزيدك حيرة في أمره .

• — من تجربة أحمد حسين

فتحت عيني في نجر الثورة المصرية ، كنت طفلا وقعدا لم أجاوز الثامنة من عمرى ، ولم أكن إلا طالبا بالمدارس الابتدائية في السنة الأولى منها ، ولكنى أذكر أننى اشتريت كسكل طفل في ذلك الوقت في الجهاد القومى فاندرجت في سلك المظاهرات وارتفع صوتى بالهتافات الداوية « مصر والسودان لنا » ، إن الصورة التى أيقظت روحى بقوة كانت تغطى جدران معبد الكرنك ووادي الملوك ، علمتى كيف كانت لمصر حضارة منذ أربعة آلاف من السنين ، الله أكبر لقد رأيت مصر تعلم العالم وتضىء عليه بجامعة الأزهر المصرية ، وتحارب الجيوش الأوربية الجيوش فتقهرها وتأسر ملوكها وقارت بين هذا المجدوما نعيش منه من ذل فعرفت السر ؛ السر هو : « أن الله لا يغير ما يقوم حتى

خضروا ما بأنفسهم ، لا بد من العمل ، لا بد من رفع الفشاوة التي تسمى أعين المصريين ،
أصدرنا جريدة الصرخة منذ أربعة سنين ، كنا محوطين بالطلبة ، رأيت كل شيء مملوكا
للأجانب ، فدعوت الأمة إلى جمع قرش من كل مصرى لتأسيس مؤسسة قوية وقد
كان وجمعت القروش وشيد مصنع الطرايش ، فكان هذا إيذانا بنصر الشباب
ويشيرنا بمودة الروح

× قد تكون الاعلانات عن المحور حقا ، مورد كسب عظيم للجريدة ولصاحب الجريدة
ولكن الجرائد لها مهمة أخرى غير مهمة الكسب الشريف والغير شريف ، للمصحف مهمة
أخرى أكثر قدسية من الكسب واكتناز الأموال ، أعني بها قيادة الرأي العام وتوجيهه
نحو الأصلاح والأمثل ، فالمصحف ليست إلا مفبر الرأي العام ، مصابيح الاصلاح ، كفاح في سبيل
الحق ، ولكنها لا يمكن مطلقا أن يكون سبيلا للكسب ولا شيء غير الكسب ، وهي
لو تسكبت الطريق لأخرى بها أن تكون بما تفعله أداة هدم لا أداة بناء ، ليس يؤلنا أكثر مما
يؤلنا من رؤية الصحافة الرشيدة عد يدها إلى هذه المسكرات فتعاونها وتلبسها ثوب البراءة
وتهيل عليها عبارات من التحميذ والاطراء .

× إلى طلعت حرب : لقد أصبحت فريدا في تاريخ مصر ، كوكبا دريا لا مما يضيء
سمائنا الملبدة بالغيوم والآلام ، أي شيء لم تفعله من أجل مصر ومجدها ، أنت رجل التعليم ، رأيتك
في العام الماضي على رأس مدرسة في حلوان وسوف نراك على رأس مدارس أخرى كثيرة ،
وأنت بمد ذلك الرجل الذي أوجد لمصر بنكها الأهم البنوك في سفوات قلائل ، أنت الرجل
الذي رد على مصر كرامتها الاقتصادية وبمث الثقة في أرجائها وأخذ كل ثروتها ، وما هو
بنك مصر بمد أربعة عشر عاما في مصر لا يسير إلا من مجد إلى مجد ، أي شيء لم يفعله هذا
«البنك» بل لم يفعله أنت من أجل مصر وعظمتها ، أو لم توجد مصانع القطن ، أو لم يصبح

مصنع المحلّة بعد الزيادة الجديدة من أعظم مصانع العالم ، أو لم تشتت المصانع الإنجليزية للفلقة لتديرها على ضفاف النيل ، أو لم تنشئ لنا الأساطيل تجوب الهواء والماء ، فرفت العلم المصرى فى السماء ، وفى أنحاء العالمين ، يجب أن يكون ورق القند موقما عليه من طلعت حرب لا من « كوك » .

X مصر هى مركز العالم : ومعلمه الانسانية وأم الحضارات وهى منبع الحكمة وموئل الأديان جميعا فمنها خرجت الديانة الموسوية وبها احتمت المسيحية ، وهى التى رفعت لواء الاسلام عاليا ، وأنشأت جامعة الأزهر ، وهى التى حاربت أوروبا الصليبية فهزمتها وأسرت ملوكها ، وهى التى انقذت المدينة والعالم من شر التتار المخربين ، وهى التى أفتت كل أعدائها وغزاتها ، وبقيت حية خالدة وهى التى رمت بالجيوش الإنجليزية إلى البحر وهى التى قرعت جيوشها أبواب أوروبا وأخاف أسطولها الأساطيل ، وهى التى تقدم الاسلام اليوم وستقول إليها زمامه .

X لا تتكلم إلا بالمرية ولا ترد على من لا يخاطبك بها ، تطهر - فقاطع الخمر ودور اللهو الحرام والشبهات الأخرى - لا تشتري إلا من مصرى ، ولا تشتري إلا ما صنع فى مصر - الاحتلال الملقى فى المدارس الأجنبية التى تفزونا ، فهل آن لنا أن نهجر هذه الدور ، المحاكم المختلطة : صفحة سوداء . حاجة مصر إلى بنك مركزى . جهاد الأمة فى سبيل الاستقلال الاقتصادى . والقضاء على الأمية . إعترفوا بمظالمكم وخذلوا ذكراهم . قاطعوا أغاني التخنىث . شركة قناة السويس تؤلف دوة فى الدولة . لا بد من إلغاء الامتيازات الأجنبية (١٩٣٣) .

٧ - من تجربة « محمود كامل »

للكفور هيكل طريقة في معاملة صغار الكتاب المبتدئين قد يمتدونها في بادئ الأمر عنيفة قاسية . كان كاتب هذه الكلمة يقوم بكتابة سلسلة مقالات في السياسة عام ١٩٢٢ (في عالم السينما) وحدث أن تأخر نشر بعض المقالات ، وكان للكفور هيكل إذ ذاك والسياسة في عظمتها وعزها سكرتير خاص هو الزميل طاهر حقي يستفسر من الزائرين في مقابلة رئيس التحرير واعتقدت أني لو مررت بالأستاذ حقي لما فزت بمقابلة الدكتور ، فانهزت فرصة سانحة وافتحمت النرفة وأبدت احتجاجي على تأخر نشر المقالة وكم كانت دهشتي عندما صاح في وجهي - بمعنى هي مقالات برناردشو ، انتظر حتى نجد لها مكانا . وحدثت على الدكتور هيكل مدة كنت اعتقد أثناءها أنه مثال الشراسة إلى أن نشرت في السياسة بحثا عن الأدب الأجنبي ووجدني يوما جالسا في غرفة سكرتير التحرير الدكتور محمود عطا وكنت لا أزال طالبا في مستهل دراستي العملية ، فاقرب مني وأخبرني في صوت هامس أنه قرأ البحث وأعجب به ، وأنه يريد أن يفضي إلى بسر خطير من أسرار المهنة ، وهو أنني إذا أردت الترجمة فلا يجب أن أترجم وأقدم الأصول إلى المطبعة ، بل يجب أن ألقى ما أترجمه في الدرج أياما عديدة عشرة أيام أو خمسة عشر يوما ، ثم أعود فأتقحه وأستله في أسلوبه الخاص حتى لا استعبد لأسلوب من أترجم عنه ، وأخبرني أنه فعل ذلك .

٨ - من تجربة توفيق حبيب

أن الصحافة المصرية نهضت بعد الحركة الوطنية بزعامة صمدباشا فزالت المقالات الطويلة ، حلت المقالات المختصرة المملوءة بالمعلومات ، ظهرت العناوين المتسكرة والصور ، ظهر التقنين في تدوين الجنايات ووقائع البوليس والرسوم الكاريكاتورية في المحاكم وغيرها . وإمتازت الجرائد الهزلية بالتصوير الكاريكاتوري ، ولم يكن في القديم شيء من الصحافة الأسبوعية الموجودة الآن ، بل كانت قديما مخصصة لنهش الأعراض ، مما يدل على انحطاط

الصحافة، أن ابراهيم المزني أصدر جريدة أسماها الهلال المأني للطنن في منافساته من النسوة الساقطات، وكانت أعظم جريدة أدبية أو هي الجريدة الأدبية الوحيدة هي «مصباح الشرق» .

أما أشهر الجرائد الأسبوعية فكانت : الأستاذ (نديم) حارة منيتي (محمد توفيق) الخلاعة ، الشجاعة ، السبق (أحمد عباس ، حسين شفيق ، محمود جاد) وكان النفش عماد الصحافة الفكاهية كقولهم . « غاب توفيق حبيب عن مطبعة الأخبار فاستبدل بما كيفة قص » . هذه الجرائد كان عمادها الطمن في الأشخاص والجرأة في النقد ، حتى استهدف أصحابها لسجن سنوات طويلة ، وأكبر شاهد على ذلك المرحوم أحمد عباس ، فإنه نظر أكثر الأحكام التي صدرت ضده انتحار بجوار جامع أبي الملا بيولاقي ، وكان رحمه الله متأقفا في ملابسه - وبين ١٩٠٠ - ١٩١٣ كان محلات اللهو والتسلية من ميدان الأوبرا إلى شارع كامل ، الرومي ، باب الشمرية ، وكان شارع وجه البركة مركز هذه الحركة ، وكنت تظن أن به كل يوم مهرجانا ، ولم تكن الحياة ندب في هذا الشارع قبل الساعة التاسعة مساء ، ثم تستمر إلى الصباح ، وكان أعظم البارات وأهمها (دراكانوس) من جهة ميدان كامل وباب اللوح عند ميدان الخازندار ، وأبنامرت لا تجد إلا الأعيان وكبار التجار وأعظم المزارعين وكبار الموظفين والأدباء . وكانت هناك قهوات للرقص البلدي المشهور ، وكان هناك جماعة من تجار الجواهر يؤجرون لأولئك النسوة حليا نفيسة من الذهب والاماس ، وتجمع الراقصات « النحلة » في طبق ويتقاسمنها مع أفراد جوقة التخت . أما المحاليس الأدبية فكانت أشهرها في الفجالة قهوة (السكاييتال بار) وعميدها الشيخ ابراهيم اليازجي ، وكان يحيط به أتباعه وتلاميذه من محبي اللغة العربية ، ثم تليها قهوة الشانزويه بالفجالة أيضا وكانت لزبائنها الممتازين شرفه لا يسمح لغيرهم بالجلوس فيها ، وقهوة بريكلي أمام التياترو المصري (تياترو اسكندر فرح) وكان يجلس فيها كتاب الروايات التمثيلية وفي مقدمتهم إلياس فياض

وفرج أنطون وجورج طنوس ، وقهوة الليموناده بباب الخلق وعميده الشيخ مهدي أبو ياقه ،
والشيخ مفتاح الزجال والشيخ أحمد القوصي ، ويحيط بهم فريق من أبناء دار العلوم ، أما أهم
للقهوات ، فكان الاسبلندر بار وقهوات عمارة ماتانيا وكان عمدها أمام العبد وأحمد فؤاد
وحسين وصفي رضا وحافظ ابراهيم وأحمد زكي باشا .

٩ — من تجربة توفيق دياب

أتحدث إليك عن الماضي — عن ذلك المهد الذي منى فيه دستور مصر بالتعطيل
مرة ، ثم بالتبديل مرة أخرى ، فهجرت مكاني من إدارة الجامعة وأخذت مكاني بين
أصحاب الصحف ، وكلما أصدرت جريدة حجبتها بعد فترة تطول أو تقصر بين أسبوع
وعام ، حتى انتهى الطراد إلى جريدة « الجهاد » ، فعاشرت وزخرت حياتها بألوان الكفاح
سفوات ثمان ، ثم احتسبتها شهيدة كريمة ، قبل نشوب الحرب الأخيرة بزمن يسير .

ولو كان ما أكتب الآن قصيدة لقلت هنا بيت التصيد ، أعنى هنا لباب الموضوع .
ولباب الموضوع أن يدي ، لا يد عمرو ، التي وأدت ابنتي « جريدة الجهاد » . وأدتها
بيدي ، كما كانت حرب للجاهلية تشد البنات غافة العار . والفرق : هو أني أتيت عملا
لا يجرمه خلق ولا دين ، بل يوجبانه الوجوب كله .

تسألني كيف كان ذلك ؟ وإليك الجواب بعد تمهيد :

توجهت في صدرى شملة من الحاسة للدستور سنة ١٩٢٨ ، فطار بي وهجما
من نعمة الوظيفة إلى خشونة الفضال ، ولقد أكره الجمهور هذه التضحية الهينة ، لأنه
قامها بياستها ولم يقسمها بقيمتها ، كانت الحمية يومئذ ملتزمة في صدور الناس ، فلم يكن
عجبا أن تتصل حرارة القلم المؤمن بحرارة الرأي العام ، وأن يترقب الشعب صفه المعبرة
عن لواعجه ، فيتخطفها في شوق ولهف . وكلما ألقت السلطة صحيفة شفعتها بأخرى
أرفع منها صوتا وأبلغ أثرأ ، ذلك وإقبال الجمهور يتضاعف على كل وليدة جديدة ، بعد

احتجاج أختها الشهيدة ، حتى بلغ ما أكلته تلك الحرب ثلاث عشرة جريدة ، في أقل من ثلاث سنوات ، يد عمرو وأدت كل تلك الصحف ، إلا صحيفة الجهاد ، وكانت كبرى جرائدى ، وأطولها عمراً ، وأوسمها انتشاراً في مصر وسائر بلدان العرب وأدتها بيدي - نعم وأدتها بيدي فداء لضميرى ! حجت جهادى بيدي ، وأنا أعلم علم اليقين أنى بذلك أحطم سيفاً طالما تهيبه أقباء ، وطالما انقصر به حق وانهمزم به باطل ، سيفاً يتيح لحامله كثيراً من المنافع ، لو استباح الإيفال في سوق المنافع ، سيفاً يجذب بريقه من يعبدون الضعف إذا تساح ، ويحصدون القوة إذا تجردت من السلاح ، سيفاً كم طلب نجدته زعماء ، وكم تمنى هدنته خصوم ، فلم يسعجب رنينه قط ، ولا اهتز نصله إلا لصوت الضمير . ولكن لماذا جردت نفسى من هذا السلاح ؟ لماذا حطمت سيفى ييدى ؟ لا لشيء سوى أنى حنبل متمت في مواطن الشبهات والريب . . علوت المبار سنوات في صدر الشباب وأواخره ، وفي أوائل الكهولة وإلى يومنا هذا ، ألقى المحاضرات في الأخلاق ، وفي روائع المثل الأعلى والحياة السامية ، فكان عمالاً على مثلى وتلك مفارقتى وقبائلى طيلة أيام العمر ، أن أكرر رسالة الأخلاق لأستيق جريدة الجهاد . لم يكن إلى بقائها من سبيل سوى التلوى والموج ، سوى قبول المال ، والمال الكثير ، إن لم أقل الثراء المريض ، من جهات شتى تشتري التأييد بالمال الكثير ، فهدى شركة غمية قوية ذات نفوذ بينها وبين الحكومة خصومة ناشبة ، « والجهاد » تفصر الدولة ، لأنها نذود عن مصالح الجمهور في هذا المراك و يرسل الفرقة مندوبها يعقد يتعلب لقيمتها الضخمة لباب الطامعين ، عقد إعلانات لدى تام أسطره قليلة وقراته متباعدة وأجرته باهظة ولن يكاف الجريدة إلا السكوت عن الحق ، رفض في غضب واحتقار ، وهذا بلد يحارب بلد يحارب بلدا فيجمع الجهاد إلى الناجية المظلومة ويزورنى مندوب الظالمين يمرض الوفا من الجنهيات لا لشيء سوى أن أنشر برقيات المستطفين فيأبى ابن حنبل

وبصر على الإباء وباتى إحدى عاضراته على الندوب فى فضيلة الأخذ بيد الضعيف الوداع حين يعتدى عليه القوى القاهر ، فلا الندوب يقبل الفضيلة ، ولا ابن حنبل يقبل المال . وهكذا يرفض الجهاد بينه وبين ضميره مبالغاً ظاناً قد تقبل مثله كبرى جرائد الغرب . على أنه عمل صحفى مشروع ، وأنها برقيات تنشرها صحف الدنيا على الإطلاق . ذلك دون أن أعرف من رجال البلد الفقير للظلم أحداً ، أو أعلن تضحية الجهاد لأحد . وتلك جهة أجنبية أخرى تريد إبداء عطفها على الجهاد ، فتحاول أن تبعث إليه بهدية مالية شهرية ، فى غير غرض ظاهر ولا عوض مفهوم . . أليست مجرد تعبير عن العطف والتقدير ؟ ويرفض ابن حنبل فى إباء وشحم ، لأن العطف المصحوب بالمال شراء للذمم من غير عقد . وصاحب الجهاد خلال ذلك مرهق بأقساط شهرية تجاوزت قدرته ، وكان يدفعها ثمناً لإحداث ماعرف الشرق من مطابع الجرائد اليومية وآلاتها . وإنما أقدم على شرائها خدمة للصحافة المصرية ، وحرصاً منه على أن يبلغ بها مبالغ السكال . لقد خانته التقدير ، ولكن لم يخنه الضمير . لقد نزل عن تلك الطابع والآلات للدائنين . ونزل لبنك مصر الذى أمانه على ثرائها ، عن أرض واسعة للبناء فى أحسن أحياء الجزيرة — ولكنه لم ينزل قط ، وإن ينزل أبداً ، عن جوهر الأخلاق التى آمن بها وحاضر فيها طيلة أيام العمر . ولو شاء أن يضخى بدمته فى شئيل جريدته ، لسكان اليوم فى عداد الأغنياء ، وانظر الجهاد فى عداد الأحياء وسكان غنى أشرف منه السكفاف وحياة أكرم منها الموت . عند الله ، وعند الناس ، قسى — وبحسبى اليوم أن تسكون التكريات مصدر سعادتى ومدد مابقى لى من أيام : « وأدت جريدتى »

١٠ — من تجارب لطفى جمة

الصحافة المصرية مدينة فى تقدمها للسياسة الوطنية لأن اللغة لا تزدهر إلا إذا كان للكتاب هدف يرى إليه غاية يقصد إليها لأن ، الكتاب عندما اتجهوا إلى السياسة أخذوا

يعنون بالمعاني ويعملون فيما يكتبون على الأفسكار بمد عهد التمويل على الألفاظ ، كان مصطفي كامل صحفيا موهوبا ولما دعا بأسرار هذا الفن حتى لا يكاد يجاربه أحد في عصره من مواطنيه وحتى تغلب في الصحافة على شيخ المؤيد ودحره ورد مكابده في نجره ، فأسس اللواء جريدتين أخريين إحداهما بالفرنسية والثانية بالإنجليزية وكانت الثلاث تظهر كلها في يوم واحد .

وقد كتب موريس كولزا محرر الجرنال ونجيب في سنة ١٩٠٧ أن مصطفي كامل يرغم كرومر على الإفطار بجريدة أجيشيان استاندار ويمذبه باللواء العربي وبمشيه بالاستندار اجبشيان . وكانت الدوافع الشخصية ذات أثر قوي في حياة الصحافة في المقدم الأول من هذا القرن ، فشغل شيخ المؤيد على حضائنه وسمة حينته بقضية الزوجية فآلمته عن حرفته وسياسته . كما آلمه المرحوم محمد أبو شادي بك بجريدة الظاهر نحو مشاركة الأستاذ الإمام محمد عبده حتى تناول على شخصية بتهم كاذبه كافتعال الفتاوى المزعومة كالوقوذة وإباحة استعمال القبة للمسلمين في جنوب أفريقيا ، وقيل إذ ذاك أن أبو شادي مدفوع من الجالس على الأريكة الخديوية وطامع في الانقلاب كما انقطعت بعض الصحف للدفاع عن الاحتمال ومقاومة تيار الوطنية الجارف .

دخائل الصحافة

في مرحلة ما بين الحربين

ما كادت الحرب العالمية الأولى أن تتوقف حتى بدأت مرحلة جديدة في تاريخ مصر ، كان أبرز معالمها « ثورة ١٩١٩ » وطلب الاستقلال ، وكانت الصحافة مرآة هذه الحركة : وهذه هي الصورة : صورة الاستقلال ١٩٢٣ والصحافة :

« كانت ثورة ١٩١٩ ذات أثر في الصحافة ، وكانت الأغاني كان التمثيل من وقود الثورة ، كان الشعب يقابل هذه الأغاني بحماسة وإعجاب « مصر العزيزة للمصريين ، وحبها للوطنيين » . و « ياعم حمزة ، إحنا التلامذة واخدين على الميش الحاف والنوم من غير لحاف » وكان يحترق الفناء والإنشاء بمحورون أغانيهم القديمة ويبدلوها مسابرة لظروف الحركة الوطنية . وظهرت عشرات المقطوعات التي تدور حول الحرية والاستقلال وكذلك التمثيل . والروايات كلها كانت تدور حول حب الوطن والاستشهاد في سبيله . ولما اشتدت الرقابة على المسارح ولم يبق في استطاعتنا ارضاء الجماهير ، كانوا يجمعون الروايات الأخرى اقحاماً وكان كثير من المثائين يشيخ بسمه عن الملقن في أثناء قيامه بدوره ثم يرتجل كلاماً آخر ليس من صلب الرواية .

وكانت كتابات الصحف حارة : سنيوت حفا بواصل الكتابة الحماسية في جريدة مصر ، سيد علي في جريدة النظام : حملات على الاستعمار ، محمود عزمي (المحروسة) : عبد الباقي سرور نعيم ، مصطفى لطفي المنفلوطي في جريدة الأفكار وفي شتى الصحف رسائل من باريس — عبد الرحمن البيلى ، محمد الدين ناصف وكانا يمهراؤها (البيلى وناصف) جريدة مصر توزع بحالاتها الوطنية في القاهرة وحدها ما يربو على عشرة آلاف نسخة من العدد الواحد ،

زعماء الشباب : عبد الرحمن الجديلي الطالب بمدرسة القضاء الشرعي ، زكي مبارك بنظم كثيرا من القصائد الحماسية ، منيرة المهدي تخطت أغانيها الهزلية بالأناشيد الوطنية .

ويقول فكري أباطه أن لغة الصحافة كانت مهشمة مهذمة قلقة ، أما اليوم (١٩٢٤) فاللغة سليمة صحيحة راسخة ، وكان أسلوب الصحافة أمس أسلوبا ضيما ركيكا يحتاج لعمليات ترميم وتعمير ، أما اليوم فالأسلوب منسجم واضح كله ذوق سليم لا يفتر منه الطبع ، وكانت موضوعات الصحافة أمس موضوعات سخيفة جوفاء ، أما اليوم فالموضوعات قيمة منعمة بالآراء والابتكارات والاحتياجات . اقرأ جرائد الأحزاب السياسية المشادة واعمل احصائية اذكر فيها عدد الشتام المتيقة والمعربة وعدد الأكاذيب العمومية وعدد المغالطات الثقيلة والاستفحاحية ، أنك إن فعلت وأقمت على هذه الإحصائية الصحفية الأخلاقية إحتجت لمصلحة إحصاء تم العمل في عام مهما حشدت لها من جيوش المال والدفاتر والأفلام والمخابر .

تقدمت الصحافة حقاً في فرع الروح ، وابتكرت في عالم الهجاء فنونا لها قواعد وأصول ، وأية أخلاق مهما بلغت المتانة والرسوخ تستطيع أن تستمر في متانتها ورسوخها وهي تلقى في كل صباح ومساء دروسا متجددة مستمرة ، متدفقة في السب والظمن والتجريح والشهير . سئمنا ، سئمنا وبدأنا نشعر بجيل يميل إلى الوقاحة تحت ضغط التعليم والمادة وتحت تأثير الدروس النهارية والليلية من كتابنا الأفاضل ومحررينا المعلمين ، تلك هي النواحي السوداء المهزنة القاعمة من نواحي التقدم الصحفي اليوم .

٢ - ولكن هل كانت الصحافة بعد ثورة ١٩١٩ صحافة وطنية مائة في المائة ، الواقع أن الدكتور هيكل لا يرى ذلك ويقول أنه كما جرف تيار الرأي العام الرجعية وجعل الحرب المعلقة لا يفيد منها غير الاعتبار القوي ، كذلك جرف الصحافة ودفع

بها جميعا لممارسة النهضة الإجتماعية ، وأنه ليأخذك العجب ، إذا حاولت أن تقارن بين صحافة ١٩١٩ إلى ١٩٢١ وبين هذه الصحافة نفسها فيما تلا ذلك من السنين . خضعت الصحافة إلى تيار الرأى العام يومئذ وجملت تنفيذية وتقوية وعمد له أسباب سلطانه وسيادته ، ولو أنهم - أى الزعماء - أولو النهضات الاجتماعية ماهى جديرة به لاستمرت مظاهر النشاط الإجتماعى ، ولكن هؤلاء الزعماء ألفوا أنفسهم بإزاء قوى سياسية اضطرتهم أن يمحسروا نشاطهم فى الميدان السياسى وأن يتركوا الميدان الإجتماعى ينفذ نفسه ، بل لقد حاولت القوى السياسية المختلفة أن تستغل النشاط الإجتماعى لفائدتها .

وكثيرا ما فكرت أنا كصحفى فى هذا وفى اناواجب الذى يجب على أن أقوم به ، ولكننا معشر الصحفيين زى الجمهور منصرفا إلى الفاحية السياسية إنصرافا يجعله يمر على ما سواها من غير أن يأبه له ، ثم أن السياسة دخلت فى مصر فى كل شىء واخضعت لسلطانها كل شىء ، وكل طائفة من الطوائف حتى من لاصلة لعملهم قط بالحياة السياسية .

٣ - ويفسر زكى عبد القادر إجماع الصحافة فى فترة ما بين الحربين حين يقول : كانت الصحافة حينئذ نيا عدا الأهرام والمقطم صحافة حزبية تقوم على الصراع الحزبى وتتغذى منه بتلقى إعانات من الأحزاب ولا تستطيع أن تعيش بنيرها وتلقى إعانات من الحكومة إذا كانت من الحزب القدى ينتمى إليه وتلقى صفعات منها إذا كانت معادية لها ، فهى من حيث الفن الصحفى لم تكن تعنى به ولا تلقى بالها إليه . كانت النزعة الحزبية هى الغالبة ، كان من واجبها من حيث القيمة الصحفية أن تمنى بالأخبار والتحقيقات الصحفية وتحدد وجودها وتحقق تطورها .

ولكنها فى الواقع لم تكن تمنى بالأخبار العناية الواجبة ، كانت المقالات السياسية من أهم مادة تشمل عليها ، وكان الكتاب السياسيون هم أهم الشخصيات فى الجريدة .

ومن عداهم مساعدون تافهون ، يمكن الاستغناء عنهم ، كانت الجريدة تباع حينما تباع بسبب كاتب سياسي معين أو كتاب سياسيين معينين ، في البلاغ عبد القادر حمزة وعباس العقاد رفي كوكب الشرق أحمد حافظ عوض وفي الكشكول سليمان فوزي وفي السياسة هيكل وعزى . . جريدتان فقط لم تكونا تتمندان في البيع على الأسماء أو على الحزبية هما الإهرام والمقطم . وكانت الصحافة الحزبية كل واحدة منها تنشر مقالين سياسيين أحدهما في صدر الجريدة والأخرى في وسطها ، عدا أعمدة صغيرة أو لمحات هنا وهناك لا تخلو من الطابع السياسي ، وفيما عدا ذلك كانت الأخبار تأتي في الصف الثاني أو الثالث ، كانت الجريدة لا يمنبها أن يفوتها خبر مادامت تحمل المقالات السياسية الحاسمة النارية اللعنة بالألفاظ الضخمة والعبارات الحاسية والشتائم المقتناه . كتب العقاد يمارض هيكل ذات مرة فلم يعرض لمقاله ولكن عرض لشخصيته ولمح تلميحا بل صرح تصريحاً بأن هيكل كتب ما كتب وهو غير واع ، كان في غيبوبة اشتهرت عنه حينئذ .

٤ - من هنا ترى أن صحفياً لا ما كإبراهيم المازني يتمنى فيما لو بدأ حياته من جديد أن يكون بائع طعمية :

« نعم : أننى أختار أن أكون بائع طعمية . حقا لو بدأت حياتى من جديد لما احترفت حرفة الصحافة فى مصر ولفضلت عليها بيع الطعمية وفتحت دكانا كدكان (أبو ظريفة) أبيع فيه الطعمية والفول والمدمس ، وثق بأننى سأكون أحسن حالا مما أنا فيه الآن ، وربما فقت أبأ ظريفة وأمثال أبى ظريفة من بائعى الطعمية والفول المدمس الذين تروج بضاعتهم فى مصر أكثر من رواج الأدب ولا يمانون عشر معشار ما يمانيه الأديب ، وأنا على اعتقاد بأنى سأنجح فى هذه المهنة التى أرى أصحابها أحسن نجاحا وأوفر خطأ من الأدب وسأستطيع أن أقدم لربائى طعمية جديدة وفولا نظيفا ، وسيصبح اسم المازنى علما على بائع طعمية وفول مدمس مشهور ، بدل أن يكون علما لا هيب لأبجنى من وراء أدبه

إلا الشفاء الدائم ولا يجد من الجزاء ما يتناسب مع الجهد ، مادام بائع الطمعية أروج حالا من الأديب في مصر ، فلماذا لا أطلق الأدب ولا أتخذ حرفة للميش ، ولماذا لا أفتح « أبو ظريفة » . أجمل زبائني من أصحاب الممدات بدلا من أن يكونوا من أرباب الأذهان وقد وجدت بالتجربة منذ عشرين سنة أن تغذيتي للأذهان لم تغد .

٥ - ومن أجل هذا زى « مصطفى صادق الرافى » بفضل الوظيفة على العمل فى الصحافة .

لماذا آرت الوظيفة : إنما آرت الوظيفة على الصحافة لأن الصحافة عندنا هى عمل اليوم والساعة ، والجمهور هو الذى يصرفها بحسب أهوائه وزواته ، فالصحافة مقيدة بأوهام أكثر مما هى مقيدة بحقيقة نفسها ، وذلك كله بعيد عن حقيقة الأدب بمعناه الصحيح ، فإنه ينظر إلى الوقت الدائم لا الوقت الفابر ، ويراد به معنى الخلود لامعنى النسيان ، ولا يقتل النبوغ شىء كالمعمل فى الصحافة العربية فإن أساس النبوغ العميق والتغلغل فى أسرار الإسناد أما الصحافة فلها أساس غير هذا . وعلى من يدخلها أن يكون تاجا من تيجانها لا خريزة من خريزاتها . ويكون أشبه بالفارة القائمة تلقى أشمتها فى أعلى الجو على مدى بعيد من الآفاق .

٦ - وىروى حسن شفيق المصرى كيف كان السكاتب يستطيع أن يكتب أى شىء

ليسد به فراغا حين يقول :

من ذلك حادثة حريق الآستانة وينسبونها إلى المرحوم الشيخ الشربتلى ، تفصيل الحادث أن الصحفي الذى أقدم على تلك الكذبة وجد نفسه فى حاجة قصوى إلى عمود يملؤه من جريدته ، ولم يكن عنده أخبار ينشرها أو حادث يملق عليه ففكر جليا ، ثم جعل يكتب يصف حريقا وهما قال أنه شب فى الآستانة ، وانطلق بذكر التفاصيل وكيف اندلعت ألسنة الديران قالمته المنازل ، وجاء رئيس المال وقال : الحريقة لم تستعرق أكثر (م - ١٨ تطور الصحافة العربية للاماصرة)

من ثلاثة أرباع العمود فكيف السبيل إلى ملئة إلى النهاية ، وكتب الصحفي بقية العمود
للكذيب الخبر الذي إستغرق ثلاثة أرباع العامود .

في أثناء حرب البلقان كان « أبو العيين بدر » يصدر في مصر جريدة الأفكار التي كانت
تزاحم المؤيد وكان يحرر في الأفكار حسين شفيق المصري . فجات جريدة «الأفكار» تنشر
كل يوم طائفة من التلفزيونات الخصوصية والرسائل البريدية تصف فيها تقدم الجيوش
العثمانية إلى الأمام واكتساحها الأقطار وعدد القتلى والجرحى من البلقانيين بوقوع
مراسل الأفكار الخاص «اسلانكي زاده بك» وأقبل الجمهور على الجريدة إقبالا عظيما وصار
الناس يتخاطفونها في الشوارع إلى حد أن الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد تضابق وراح
يدعى أن برقيات الأفكار مزودة لا أصل لها . ولكن هذا لم يمنع الجريدة من المضي
في نشر برقياتها . وبلغ في النهاية عدد الذين قتلهم برقيات الأفكار من البلقانيين ضعف
سكان أوروبا على الإطلاق .

٧ - ويتصل بهذا جانب الحياة الصحفية الخاصة ما يجد بعض الصحفيين من قسوة
في الحياة: يقول توفيق حبيب: أنه حكيم صارم قاسي، لا أدري متى يتغير أو يتبدل ، هو الحكم
على المشتغلين في تحرير الصحف أن يعيشوا فقراء ويعتوتوا فقراء ، فقد يعيش بعضهم
منها فترة من الزمن ، ولكن إذا أقمده المرض يوما فلا بد أن يمد يده سائلا الدواء والقرش
للعيش . . . وهكذا كان الحال قديماً وهكذا الحال حديثا مع ما دخل عالم الأدب والصحف
من تطورات ، فقد خمسين سنة نرى بشاره تقلا كاتباً معاصراً هو « محمد أنسي » فقال : بمزيد
الأسف أفيدكم أن المنية قد اغتالت في الليل الفاتت المرحوم أنسي مدير المكاتب الأهلية ،
توفي على أثر داء الفالج فلم ينجح به دواء ، وقد خلف الأسي كل من عرفه وعلم سمو
مكانته من التهذيب والعلم ، فقد رضم أفابوق العلم من المرحوم والده « عبد الله أبو السعود »

حفد الصغر فتمكن من العلوم واللغات ونشأ على مبادئ والده ، فخدم الأدب خدمة شريفة
ألف وطبع كتباً عديدة في مطبعته وأنشأ أكثر من جريدة وسافر مراراً إلى أوروبا . . .

أما دفنه فجرى صباح اليوم كما يليق بمقامه إذا مشى وراء نمشه (١) عدد عديد من ذوات
الحكومة والموظفين والأعيان وأمامه فريق من البوليس وكلهم يردد جمل الأسف على
حفده ، وأنا في هذا المقام نقلت أنظار الحكومة إلى رعاية مائلته وأطفاله فهي تعلم حق العلم
أنه وأباه من قبله خدماتها باخلاص واستقامة « وعلق الصحفي على المجوز على الخبر بعد
تخمسين عام فقال : ومضى خمسون سنة ونحن نرى الفيصل يتكرر ، مات الشيخ رشيد رضا صاحب
النار ، الرجل الذي ملأ الدنيا كتاباً وأصدر نحو أربعين مجلداً من النار ومجلدات في شرح القرآن
وطبع عشرات المجلدات من كتب قديمة وحده ، كان يطبع ويخزن فترك مخازن مشحونة
بأبواب كداس من هذه الكتب ، ولقد كنت أعتقد كما يعتقد غيري أن الشيخ رشيد مات
عن بضعة ألوف من الجنيهات مما جفاه خلال رحلاته إلى الهند والسند واليمن والبحرين ،
والتدخل بين الإقباط والمهاجرة والسلاطين والأمراء والامب على مسارح السياسة
الشرقية ، والدعاية للحركة العربية واللامركزية والدسوق المماني وغيرها ، فلما مات
انكشف الغطاء ، إذ هب الزملاء والرصفاء المارقون حقيقة الرجل فأعلنوا خبيثته وبؤس
عمله . قالوا : أن الرجل شيد بيتاً لا يسكنه ويدم فيه بل ليأوى إليه ما كينات الطباعة
وصناديق الحروف والدشت وغير الدشت من رمم تسمى كتباً ، هذا البيت على ما قاله
طارفوا الشيخ مرهون على ألف جنيه يحمل في الشهر القادم قسط منها قدره
ثمانائة جنيه . . الخ . .

٨ - ويصور سلامه موسى في تشاؤم ما وصلت إليه الصحافة بين الحربين فيقول :
أما الصحفيون فهم كالجنود المرتزقة لا تحارب إلا مع القائد الذي يدفع لها الأجر الأكبر
ثم هم لا يفيدهم شيء أن يملوا بمد ذلك في صفوف أعدائه يصوبون إليه سهام التي دافقوا
بها . فالقطع مثلا لا تستحي أن تعلن في مكان بارز منها أنها صحيفة حكومية وأنها دائما
مع الحكومة القائمة مهما كان لونها السياسي وهي حين تفعل ذلك تتغفل ذلك الشعب
الذي يد المونه للقطع ليصبح كل يوم أقوى على مبادئه والكيد له . .

والأهرام هي الأخرى قلب للوفد ظهر الجن كلما سقطت وزارته ثم يقصد إليها
جمهور متحمس الهيئة وبلق للأستاذ العقاد خطبة فيكشف عن عورته لرجال الصحيفة الرقطاء
استخفاقا لهم وتحقيرا ، وحين تهب جريدة السياسة للدفاع عن زميلتها تروح الأهرام
تتمسح بالقراء وتترضاهم .

وللأهرام آية أخرى نستحق من أجلها الإعراب لأنها ترتكب ضد وطنها ومبعتها
أرومتها الخيانة العظمى ، وذلك إنما ما فتئت توجه إلى استقلال سوريا سهامها السمومة
بل للأهرام آية أخرى فهي تنافق المسلمين في رمضان حتى تخصص مكانا في أظفر أعمدتها
لنشر حديث متتابع عن الصوم والصلاة والزكاة ، حتى ليظن القارئ أن داود ركات
وآل تقلا جميعا قد ارتضوا الإسلام دينا أو أنهم من خريجي قسم التخصص
في الأزهر الشريف .

أثر الاحتلال، في الأدب والصحافة

استعرض الدكتور زكي مبارك أثر الاحتلال في الأدب والصحافة فقال : كان احتلال
الإنجليز لمصر سدمة قوية أيقظت ما عفا من العقول والقلوب والأرواح ، وكان عسف
المحتلين وتلونهم وعيبتهم وإستهانتهم بكرامة الرجال ، كل أولئك مما أحفظ رجال القلم وآثار
الضئيفة والحقد في أنفس الشعراء والكتّاب والخطباء والفكرين ، والأدب لأقود له إلا النوازع
القوية من حب وبعض ورجاء ويأس ، وعطف وحقد ، وقد ذاق المصريون في عهد
الاحتلال جميع الألوان النفسية ، أفطن أن ذلك يقع دون أن يترك أثراً قويا في أنفس
الكتّاب والشعراء ، العنصر الأول من حياة الأدب هو الحرارة والصدق ، كان أقوى ما بنى
عليه الأدب المصري في عهد الاحتلال .

ونحن قد صحت لنا بفضل الاحتلال أيام فورة وغليان تركت لشمراننا وكتابنا
صفحات من الأدب سيكتب لها الخلود ، وفي هذا دليل أننا لم نحتقبل ظلم إنجلترا مستسلمين
وإنما قارعناها بنراثمتنا وعقائدنا ، وفرضا عليها أن تنظر بعد خمسين عاما ، فلا تجد لها في مصر
إلا ما دخلت به من أسنة وحراب ، وهذا كله بفضل ما فعلت أسنة الأفلام ، لأن الأيام لم تمسكنا
بعد من المعركة الفاصلة من أن نشرع في وجهها رحما ، وإنما وقفنا نحاربها بأفلامنا وأفكارنا
ثم أن هذه النهضة قد إيمت في وجهها ألوف الأسداد والحصون ، ووضعنا في طريقها ألوف
العقبات والعراقيل ، ثم استطاعت مع ذلك أن تكفح كل ما اعترض سبيلها أو وقف في وجهها .
من أشدات المظالم يصوبها المحتلون وأشياءهم إلى حملة الأفلام وأرباب العسكر والبيان .

وجهدت إنجلترا في صيغ تعليمها بالصيغة الرسمية لتقف آمال المعلمين منا عند كتابة
الدواوين ، فهل أفلحت . كيف ونحن الذين أنشأنا الجامعة المصرية بأموالنا وغذيناها
بإلناهم من طلابنا وأسائدتنا . ونحن الذين رفعا الصحافة العربية إلى مقام لا يفضلها

منه من الصحف الأوربية إلا القليل ، ونحن الذين أعزنا القلم وسمونا بالبيان ولو شئنا
لكاثرنا الإنجليزية أنفسهم بكتابتنا وشمراؤنا ومفكرينا .

كان المهتلون يتشاءمون دائماً من الروح الأدبية وكانت الحكومة تجملمهم ، فلا تتوجه إلى
كاتب أو شاعر بمطف أو تشجيع ، فهل قضى ذلك الاهمال على الأدب ، وهل منع مصر من
أن يقوم بالدفاع عنها أدباء أوفياء يلقون الأذى في سبيلها باسمين ، عجز المثلون عن قتل حرية
الرأى والقول ، ولكنهم نجحوا نجاحاً مبيئاً في أن يشغلونا بأنفسنا ، وأن يوجهوا جهود أدبائنا
إلى أشغال الفتن الأهلية ، فإن نصف ما أنتجه شمراؤنا وكتابتنا وخطباؤنا قد وقع في هاوية
النزاع والشقاق ونو ذهبنا نستقرى الجيد المتمتع من أعمال الكتاب والشمراء والخطباء
لأينا أظهر جوانبه ما أنشأ منشئوه في إيقاد الأحقاد الحزبية والدعوة إلى تمزيق الوحدة
وتفويق الصنوف ، وأنه لمن الحزن أن تقرر أن هناك آثار أدبية كثيرة كانت كلها تجرحنا
في أعمال مصطفى كامل وسعد زغلول ، وتلك الآثار ستظل حية باقية لما فيها من الحرارة
والقوة ، وهما أساس حياة الأدب ولكنها ستظل كذلك شاهداً على أن المصريين أو فرطاً
منهم وقعوا فريسة للأعيب المحتالين ، ولا يمكن أن نفي أن الإنجليزية كانت لهم يد خفية ،
فأثار في مصر من المناوشات الأدبية والدينية والاجتماعية ، وهذا كلام يبدو غربياً لأول
وهلة ، ولكن الذى يدقق النظر يراه عين الصواب ، فمن مصلحة الانجليزية أن تحمي المصيبات
في مصر وأن تتمدد فيها المذاهب الاجتماعية والدينية ، ألم يعلموا حرصهم فى كل مرة على
حياة الأقليات .

أنهم ليودون أن تصبح الديار المصرية كالأقطار الشامية مسرحاً لعشرات المذاهب
والديانات ليم لهم ما يبعثون من إضرار الفتن بين رجال الدين ورؤساء الأحزاب ، وأن
للقراء ليدكرون الفتن التى قامت مرة قبل الحرب ، وكان فيها مؤتمر للمسلمين فى مصر الجديدة
ومؤتمر للأقباط فى أسيوط ، وكانت تلك المؤتمرات بالفعل مظهرأ من مظاهر الحياة الأدبية

أنشئت فيها خطب ورسائل وقصائد ستطيل ذكرها باقية في تاريخ الآداب ، ولسكنها ستظلي كذلك شاهدا على أن الإنجليز شغلوا المصريين بأنفسهم حينما من الزمان . أن إنجلترا لا تلعب ولسكن المصريين يلمبون في بعض الأحيان ، والآداب مع الأسف بطبيعته كفن من الفنون قد يكون من أدوات اللهب عند الرجال . وهم حين يفعلون ذلك أطفال كيار ، لقد شغلنا الإنجليز بأنفسنا ما في ذلك ريب واستطاعوا أن يوجهوا جانبنا من أدبنا إلى أحياء الفنون الأهمية فلننظر إلى جانب هذا ما استطاعوا بقوتهم أن يصرفونا عنه من فنون الآداب .

لقد صرفنا الممثلون عن درس ما وقع لنا في عهدهم من البلايا وحرموا الآداب المصرية من إستغلال تلك الموارد التي تبعث حرارتها روح الصدق في الأدب (القتل الكبير - دنشواي - حادث العزيبية) وهضت رقابهم تعمق كل ما يكتب في بث الروح الوطنية وأصبح من المتعذر على الأدباء من الموظفين وهم جمهور كبير أن يكتبوا أو يفظموا في الشؤون القومية .

ولو عن طريق درس الأخلاق وصار من الممكن في عرف بعض الموظفين في وزارة المعارف أن يؤاف كتابا في التربية الوطنية ، حتى إذا جاء إلى العصر الحديث وأنظمته أشار بجميع الأسماء البارزة وترك سعد زقلول ، وبنهانا القوق عن تعيين من فعلوا ذلك ، وحسب القارىء أن تقسم له أن هذا وقع من موظفين أدباء كان ينتظر أن يترفموا عن مثل هذا الاسفاف ، والموظفون من الأدباء يقدمون لنا أظهر الشواهد على أعمال المهتلين ، لأن الموظفين عندنا هم العنوان الظاهر على طبقات المتعلمين وهم كذلك نموذج لمن استقرت حياتهم المعيشية وأصبحوا قادرين على خدمة وطنهم في نزاهة وإخلاص ، افتراهم استطاعوا أن يحرروا أفلامهم لخدمة الوطن عن طريق الدراسات التاريخية والأدبية التي تفرس العزة القومية في النفوس ، أم تراهم انصرفوا إلى شؤونهم الخاصة واكتفوا بالقبيل والقال في إبهاء القهوات لأن الممثلين راضوا الإدارة الحكومية على القتل والمسكنة وحببوا إليها القفاعة

والجمل . لقد درج الناس في مصر على هذه القاعدة المشثومة ، وهي أن لا صراحة ولا قدرة لموظف على كلمة الحق ، وقد عرف الأنجليز كيف يروضون فريقا من الكتاب على الرضا بهذا الحظ المفحوس ، وفي مقدورنا أن نسمى عشرات من الأدباء اشترت ألسنتهم الحكومات المختلفة وقبرت مواهبهم في مكاتبها واقنعتهم بأن الرتب الثابت أجدى عليهم من شرف العمل لتحرير البلاد .

وليت الأدباء من الموظفين توجهوا إلى الدراسات الانسانية حين عزت عليهم الدراسات القومية ، أنهم لو فعلوا لأصبحوا أساتذة لكبار من أمم الشرق ، ولكن الدولاب الأنجليزى أراد أن يديرهم إدارة سوفية ، حيث يمسون ويصبحون ، ولا هم لهم إلا الملاوات والترقيات فضلا عما ابتلوا به من الشلل العقلى الذى سيرهم أداة صماء فى أيدي الرؤساء والوكلاء .

كان عهد الاحتلال خيرا للأدب من حيث الصورة ، لقد انطلقت السنة كثيرة وشهدت مواهب عديدة . ولكنه كان شرا من حيث المعانى والأفراض فقد شغلنا الأنجليز بأنفسنا وحوّلوا أدبنا إلى مناقشات حزبية وصرفونا عن الدراسات القومية والانسانية .

صناعة الأخبار

برزت في صحافة ما بين الحربين أهمية « الخبر » ، فقد أخذت الصحافة تعنى به وتوليه إهتماما كبيرا، وأصبح في الدرجة الأولى من مواد الصحيفة، وقد صور أحد الصحفيين العاملين في ميدان الأخبار أهمية هذا العمل فقال : تزداد مهمة الخبر الصحفي مشقة وتمقيدا في ظروف تعتبر الوزارات أو ما كانوا يطلقون عليه « الانقلابات السياسية » وعندما تصبح الجريدة أو المجلة التي تعمل فيها ممارضة لسياحة الوزارة القائمة في الحكم ، عند ذلك تتضاعف الصعوبات . ومن الرىاء السياسي الأليم في مصر أنه في الوقت الذي يعاني فيه مغربو الصحافة المعارضة للحكومة أشق المصاعب في تسقط الأخبار والأنباء ، تفتح مكاتب كبار الموظفين على مصراعها لخبري الصحف الموالية . ومن التجارب الأليمة التي وقعت لكاتب هذه السطور أنه كان يعمل في جريدة يومية تنطق بلسان هيئة سياسية كانت هي القابضة على زمام الحكم حينذاك فكان لا يجد أي صعوبة في جمع الأخبار لجريدته كانت الأبواب المغلقة تفتح له ويتلقاه كبار موظفي الدولة بالترحيب والجمالة .

وتغيرت الأحوال السياسية فجأة وأقضيت الهيئة السياسية التي تنطق هذه الجريدة بلسانها عن الحكم وأعقبتها هيئة أخرى تضرر لها الحقد والعداء ، ففي ليلة وضحاها تنسکر له أو تظاهر بالتنسکر كبار الموظفين وصغارهم ممن كان يعقده عليهم في جمع الأخبار والأنباء ، واضحى الواحد منهم لا يتحدث إليه إلا وهو يتلفت يمنة ويسره ، خشية أن يراه أحد فيشئ به إلى الوزير أو المدير، وتلقيت يوما رجاء من صديق حميم لي من الموظفين الذين كانوا من المصادر الهامة لأنبأى وأخبارى إلا أزوره في مكتبه رحمه به لأنه صاحب عيلة (وعايز يربى أولاده) ورأيت أن الموظفون على دين وزرائهم ، وهم يقحاشون أن أتصل بهم خوفا من وزيرهم ، فلا أتصل بالوزير ولا أجرى معه حديثا أو حديثين ، ومتى رأى الموظفون أن وزيرهم يستقبلني ويفضى إلى بما أسأله ، عنه فانهم ولا شك سيحذون حذوه ، وبمئت ببطاقتي إلى

معالي الوزير مع سكرتيره الخاص ، فلم يلبث أن دعاني إلى مكتبه ورحب بي وأكرم وفادتي وأدرت دفعة الحديث بلباقة وكياسه حتى اطمأن الوزير إلى أن زيارتي إنما هي زيادة صحفية بريئة ، وأجابني عن كل ماسأت ، واستأذنت في نشر ما أفضى به إلى في صيغة حديث فأذن لي في ذلك ، ونشرت الحديث في اليوم التالي كما هو بدون تغيير أو تبديل وبعد أيام أعدت الكرة مرة ثانية ، نجحت الكرة وفتحت لي الأبواب المنلقة ولم يعد الموظفون يخشون إستقبالي في مكانهم والإفضاء إلى بما عندهم من أبناء .

(٢) المخرون في الصحف اليومية

ويتصل بهذا عمل الصحفيين وهذه صورة دقيقة عن هذا الموقف :

كان وضع المخبر الصحفي أقل شأنًا من أي كاتب بالجريدة حتى ظهرت جريدة السياسة في ٣١ أكتوبر ١٩٢٢ وكان القائم بأمرها الدكتور حافظ عفيفي فرتب لهذه الجريدة فلما خُصَّصًا بالأخبار جعل رئاسته للمرحوم سامي قصيري أقدم من اشتغل في هذه المهنة ، وكان حتى تلك السنة مرتب المخبر الأول في المقام (١٥ جنيه) فأعطاه السياسة (٣٥ جنيه) وكان قسم أخبار السياسة مؤلف عام ١٩٣٧ من عزيز طلحة وزكي عبد القادر وعلى بليغ ومحمد فهمي يوسف ومحمد خالد حتى عام ١٩٣١ التحق على بليغ وزكي عبد القادر بالشعب .
وعزيز طلحة ومحمد فهمي بالجهد ومحمد خالد بالأهرام .

أما الأهرام فكانت مرتبات محرريها قبل ظهور السياسة قليلة : رئيس القسم نجيب هاشم .
وله حوادث صحفية مع كبار رجال الدولة خلال ثلاثين ٣٠ عاما وكان مساعده صالح البهنساوي .

(٣) في مايو ١٩١٩ أعلنت نقابة الصحافة وشكلت من :

جبرائيل تقلا (صاحب الأهرام) نقبنا : أمين الرافعي (الأخبار) الوكيل ، سيد على (الأفسار) سليمان فوزي : أمين الصندوق ، جندي إبراهيم (الوطن) سكرتيرا وعضوية

داود بركات (الأهرام) تادرس شنوده (مصر) حامد إبراهيم ، رشيد رضا (المآز)
خليل ثابت (المقطم) أميل زيدان (الهلال) .

(٣) بطاقات للصحفيين .

وفي ١٩٢٩ أعدت وزارة الداخلية بطاقات للصحفيين لتسهيل أعمالهم .

٤ - أخبار الأقاليم

أولت الصحف في هذه الرحلة إهتماماً لأخبار الأقاليم ، وهذا تقرير عن هذا القطاع:
كيف ننذى صحفنا اليومية بأنباء الأقاليم والريف المعمرى وهى خاصة كل يوم بهذه
الأبناء ، وهل هى أمين مراسلين خصوصيين مأجورين لموافاتها بأخبار تلك القرى الصغيرة .
أن لكل جريدة من الجرائد اليومية الكبرى وكيلاً أو مراسلاً فى الإسكندرية وهو
يتقاضى أجراً على القيام بهذه المهمة ، أما مراسلو الأقاليم فالتقاعدة المعمول بها أنهم
لا يتقاضون من الصحف التى يرسلونها أجراً مميّظاً ولكنهم يتقاضون الأجر عملياً
من البلاد التى يعملون بها . وتعينهم الصحف فى الحصول على هذا الأجر بنشر أنباء
قد لا تهم الصحيفة ولا قرائها ولكنهم الراسل النشيط وتعود عليه ببعض الخير ،
ولمؤلاء المراسلين أسلوب خاص فى كتابة الأخبار وهو الأسلوب المفيد الذى يوضحهم
عن الأجر . فقد تسرق جاموسة أحد المزارعين وبيادر المراسل إلى إرسال الخبر إلى الصحيفة
فى ديباجة راتمة عن إستتباب الأمن فى البلدة بفضل حضرة صاحب السعادة مديرنا المهام
الذى لا يفتأ ينصح الممدد والمشايج والمأمورين بوجوب الحرص على مصالح العباد وبمغاينة
سعادة وكيل المديرية الذى اقتبس هذه السكارم من مديرنا الحازم .

وحضرة المحسكدار الذى اهتم بالحادث إهتماماً خاصاً وأصدر تعليماته الناقبة إلى حضرة
للمأمور الذى لا تنقل عينه عن مراقبة إطراد تقدم الأمن والذى جمع الضباط ورسم لهم خطة
العمل وطريقة انقبض على الجاني الأثيم ، فاستطاعوا بفضل هذه الخطة الرشيدة إلقاء القبض

على السارق إذ ضبطه أحد الجهود مخفياً في إحدى المزارع ، كما ضبط خفيّر الناحية الجاموسة المسروقة ضالّة في إحدى الطرقات ، سلسلة طويلة يجب أن ينمق بها صدر كلّ واحد منهما كان تافها ، وعدالة في توزيع الثناء على رجال الإدارة في كلّ مناسبة .

(٥) ما لا يفسر في حينه .

هل كل ما يعرفه الصحفي ينشر أم « لا » .

هذا سؤال محير كان موضع البحث في خلال هذه الفترة : أجب عليه فـكـرى أباطه فقال : أدلى إلى أحد الوزراء بمحدث خطر من بعض الشؤون التي كانت تشغل الأذهان في تلك الأيام وأرسلت الحديث المطبوعة وأعدلانشر . ولكن حدث قبل الشروع في طبع الجريدة بنحو ربع ساعة أن إتصل بي ذلك الوزير ، وقال : أرجوك لا تنشر الحديث . وكان الحديث قد أدرج في صحيفة الاخبار والصحيفة ممددة للطبع . وشمرت فملا أنه متضايق فانتصت بالجريدة وقلت عنديكم حديث لوزير (كذا) إحدنوا عبارة أنه حديث مع فلان وقولوا أنه حديث مع بعض المشتغلين بهذه الشؤون .

(٦) أثر السورين في الصحافة

كان دور الصحافة السورية في الحركة الوطنية هاماً وخطيراً خلال هذه المرحلة فإلى أي حد كانت الصحف السورية الراسخة تخدم الحركة الوطنية وفي هذا كتب سلامة موسى فيقول :

× ما زالت الصحف التجارية السورية التي تنزع نحو السياسة التجارية تتفوق على الصحف المصرية وتطردها أحياناً من الميدان ، ولكن ليس هذا لكفاية أصحابها وإنما نظروف سياسية تقضى بهذا القضاء على بلادنا .

× مجلة اللطائف المصورة نشأت حوالي سنة ١٩١٥ وهي المجلة الوحيدة المنشورة في مصر ، وكانت تستند إلى السلطة الإنجليزية والدليل على ذلك أن السلطة الإنجليزية

كانت تأخذ من إدارة تلك المجلة ألوفاً من النسخ المملوءة بصور إنتصارات الإنجليز في الحرب ، وترميها بواسطة الطائرات على خطوط الأعداء الأتراك في سينا وفلسطين .

× الرأى العام خاضع لآراء الكتّاب السوريين في مصر سواء أكان ذلك في السياسة أم في الثقافة ، وعندما كانت تعطل في الصحف المصرية التي تدافع عن الحريات كانت تروج الصحف السورية التي رسخت وإنقشح أمامها الميدان .

× قال نيومان في كتابه عن مصر في عهد الإحتلال :

إن الرأى المصرى تنبث به منذ نصف قرن جماعة من السوريين الذين يبيعون أعمدة جرائدهم لمن يدفع أعلى ثمن ، (وقد نشرت الأهرام فصول هذا الكتاب) وحذفت هذه العبارة . « أما السوريون فإنهم مشهورون بسيطرتهم على الصحافة المصرية التي أتخذوها وسيلة لتكديس مقادير هائلة من النقود ، فهم دائماً يعملون على استغلال الخلافات بين الأحزاب ، وبيدهم أعمدة جرائدهم لمن يدفع أعلى ثمن وليس هذا النوع الراق من الصحافة ولكنها مع ذلك صحافة رابحة .

محاكمات الصحف

لم تتوقف محاكمات الصحفيين خلال فترة ما بين الحربين . وهذه قصاصات من هذه
المحاكمات قالت :

١ - الطائفة (١٠ / ١٠ / ١٩٢١) تحت عنوان :

الصحافة المصرية تتألم : « لقد عرف الخاص والعام الضربتين للمؤلفين اللذين أصابتا
الصحافة العربية ونعني بها تعطيل جريدة اللواء المصري وإبعاد علي بك كامل (شقيق
مصطفى كامل) ثم سجن صاحب جريدة وادي النيل (محمد الكلزيه) والكاتب
حسن الشريف ، وإنما وإن كنا لا نريد تحميل هاتين الضربتين للمؤلفين نشير
إلى ضعف جرائدنا العربية الأدبية الذي سببه عدم اتحاد أصحابها وعدم اهتمامهم بالدفاع
عن مهنتهم .

(٢) الصحافة أمام القضاء ٣١ / ١٠ / ١٩٢٤ .

سليمان فوزي (صاحب الكشكول) ومحمد الهياوي .

(٣) الصحف في ٧ أغسطس ١٩٢٥ .

أمام القضاء : عبد القادر حمزه (البلاغ) عباس المتاد (البلاغ) سيد علي (جريدة
النظام) محمود رمزي (النظام) .

(٤) قضية جريدة السياسة عام ١٩٢٤ :

قال توفيق دوس أن هذه القضية كانت تتعلق بمقالات عنيفة جدا كتبها طه حسين
طعنا في سياسة الوفد المصري ، ولما لم يكن موقفا عليها باسمه فقد رفعت النيابة العامة
الدعوى ضد حافظ عفيفي وهيكل ، وظلت أترافع فيها عشرة أيام كاملة وانتهت بقرامة

هيكل وتبرئة حافظ . ورفنا رفضا ففضى ببراءة هيكل ، كانت أهمية القضية من الوجهة السياسية . كان محظورا على الأحرار عقد اجتماعات عامة لبناء سياستهم ، فلما رفعت الدعوى الجنائية كانت المرافعة عبارة عن بسط تلك السياسة بأوسع المعاني وكانت قاعة محكمة الجنائيات هي (الصبوان) الذي تجتمع فيه خلاصة المثقفين من المصريين لسماع تلك السياسة .

وكانت جريدة السياسة تنشر تلك المرافعة حتى وصل عدد ما يطبع منها إلى خمسين ألف نسخة في الرقت الذي لم تصل إليه مقطوعة أكبر الجرائد إلى ٣٠ ألف .

(٥) عما كمة جريدة الصرخة .

قالت الأهرام في ٤/١٢/١٩٣٣ نظرت أمس المعارضة المرفوعة من الأستاذة : أحمد حسين وسيد فتحي رضوان وحافظ محمود محمدي الصرخة ، وقد تخلف الأستاذ أحمد حسين لمرضه في السجن وحضر للدفاع عنهم : الأستاذة محمد علي علوبة وعبد الرحمن الرافي ، وفكري أباطه ونميمه الأيوبي .

وجه القاضي التهمة إلى المتهمين أنهم حسنوا أمراً من الأمور التي تمد جنحة بحسب القانون بما نشره يوم ١٣ نوفمبر الماضي ، قرر المتهمان بأنهما لا يريان فيما كتباه جريمة يماقب عليها القانون ، ثم وقفت الأستاذة نميمه الأيوبي وترافقت وهي مرتدية روب الحمام طالبة قبول المعارضة والإفراج عن المقبوض عليهم . وحكمت المحكمة بالإفراج عن المتهمين بكفالة قدرها عشرة جنيهات .

وكان أحمد حسين (٢١ سنة) محام ومقيم بشارع عمر بن عبد العزيز نمرة ٧ بالمفيرة قسم السيدة ، وسيد فتحي رضوان (٢٢ سنة) محام ومقيم بشارع مصر القديمة نمرة ٨٢٠ وحافظ محمود (٢٦ سنة) سكة عبد الرحمن بك نمرة ١٧ بالحلمية الجديدة قد نشروا

في جريدة الصرخة مقالا عنوانه (يا شباب سنة ١٩٣٣ كن كشباب سنة ١٩١٩ ورسخوا صورة تحت عنوان الشهيد المجهول ، وحض المقال شباب ١٩٣٣ على أن يتمثل بشباب سنة ١٩١٩ القدى قدم نفسه وقوداً للجهاد والوطن وأشمل ثورة جامعة ضد الإنجليز والأجانب لا تعرف هراوة ولا لينا ولا تعقلا .

(٩) سجناء الصحافة :

أحمد فؤاد صاحب الصاعقة : : الهجاء ، وتناول سعد زعلول بالقذف .

المقاد : حملات شديدة في جريدة المؤيد الحديد .

توفيق دياب : (الجهاه) إنتقده موقف وزارة صدقي والبرلمان من خزان جبل الأولياء .

محمد العبابي : (آخر ساعة) حمل على وزير الحقانية وآتهام البوليس بتعذيب الأهالي .

حسين شفيق المصري : إنقده خروج حمد الباسل وزملائه على النحاس .

رياض شمس : مقالات عدت عيبا في الملك .

محمد الشافعي البنا : (المصري) ، أهانة الفقرائى .

أحمد حسين ، فتحي رضوان ، أحمد عند اللطيف الشيمي : جريدة الصرخة .

صليمان فورى : مجلة الكشكول .

عبد المنعم رخا ، عبد الحلیم محمود : مجلة الصريح .

أحمد شفيق : مجلة المطرقة .

عبد السلام شهاب ، محمود رمزي نظيم : مجلة الحوادث .

محمد مصطفى حمام : الخ . . . الخ .

(١٠) الهجوم على الصحف وتخطيها

سنت بمض الحكومات الحزبية وهى فى الحكم ، مهاجمة الصحف المعارضة لها ، بدأ ذلك عام ١٩٢٤ على جريدة الأخبار التى يصدرها أمين الرافى وتكرر ثلاث مرات ، وانضم المتظاهرون دارها عنوه ، وقد صوره أمين الرافى على هذا النحو :

٢٢ مارس ١٩٢٤ : جاءت بالأس مظاهرات إلى إدارة الأخبار وكان بابها مقفلاً فهجم عليه المتظاهرون وحاولوا كسره وانضموا ليجددوا الأساءة التى وقعت منذ ثلاث سنوات عن قطع أسلاك القليقون . هبوا أن المتظاهرين تمسكوا من كسر الباب والاعتداء علينا وقتلنا ، هبوا أنهم غمسوا أيديهم فى دماننا ، وذهبوا بقليل أو كثير من هذه الدماء إلى حضرة صاحب الدولة سعد باشا بدلاً من ذهابهم إليه بهتافهم وحده . فهل كانت الدماء تقنع الأمة بأن الدستور أصبح قائماً على المبادئ المصرية .

٢٤ مارس ١٩٢٤ : ذهب مدير الأخبار إلى النيابة الأهلية فى الساعة الخامسة بعد ظهر أمس وقد كان يظن أنه سيسأل عن حادث الاعتداء الذى وقع على الأخبار فإذا به يحقق معه كتهم ويسأل عن المقال الذى نشره يوم السبت ٢٦ مارس ١٩٢٤ « هجوم جديد على الأخبار : قذف الطوب والأحجار وأعمال التكسير والتعطيل » : وقع الاعتداء على الأخبار يوم الجمعة الماضى فطلبنا من الحكومة أن تحقق هذا الحادث وتقوم بواجبها ولكن أصواتنا ذهبت إدراج الرياح ، وكان رد الحكومة علينا أنها أحالتنا إلى النيابة لتحقيق معنا باعتبارنا متهمين لا شاكين ، ولم يمض على حادث الاعتداء الأول خمسة أيام حتى تجدد الهجوم على الأخبار بصورة شنيعة ، فقد جاءت مظاهرة يحمل أفرادها الطوب والحجارة وأرادت اقتحام الباب . فأخذوا يقذفون حجارتهم وطوبهم على الأبواب والنوافذ فأصابت حجارتهم كثيراً من النوافذ ودخلت إلى النرف ، ما يريدون ، يريدون (م - ١٩ تطور الصحافة العربية للعاصرة)

أن نطلق عقولنا ولا نقول ما نعتقد ؛ أيريدون أن نسكت من إنتقاد الأعمال التي
توجب النقد .

(١١) كلمة مابرة أحدثت أزمة :

كتب حسن الشريف بصور أسمى تجربة صحفية مرت به فقال: كنت في فبراير ١٩٢٠
رئيسا لتحرير جريدة مصر ، وكانت جريدة مصر إذ ذاك أجراً الصحف وأشدها تطرفاً .
وكنت قد كتبت مقالا عنيفا عن الخطر الذي يهدق بمصر من تنفيذ مشروعات السودان
شدت فيه التكبير على وزارة يوسف وهبه (باشا) وعلى : محمد شفيق وزير الأشغال .

وقلت بالحرف : «أما أنت أيها الوزير فها هو اليوم واحد تقضيه في منصبك بعد اليوم وتكون
قد فقدت كل شيء » فصدت فقدان كل شيء من الكرامة أو الاعتبار لا كل شيء من
المافية ولا من الحياة . وحدث في اليوم الثاني لظهور المقال أن قبلة أقيمت على وزير الأشغال
قال الوزير: «ما هو إلا يوم واحد» ثم لا ينقضى اليوم الواحد إلا وتلقى على قنينة ، وأنهمى شفيق
باشا بأننى السبب في إلقاء القبيلة عليه وقال أنه يؤكد أن حياة الوزراء ستكون في خطر
وكتبت الصحف : القنابل ، حسن الشريف ، التقابل ، نذرتنا على صفحات الجرائد وتحدد
وقت ارتكاب الجريمة .

وقد أوقفت جريدة مصر وفرضت الرقابة على الصحف من جديد .

(١٤) سالون الأهرام :

في خلال فترة ما بين الحربين ظهر سالون الأهرام ، عبارة عن غرفة رئيس التحرير الأستاذ أنطون الجميل . تضيق الغرفة أحيانا عن أن تسمع كل أعضاء الشلة . يترك كل فرد داخل الصالون حزبيته على الباب ، ويجوارها لقبه ومركزه حيث تختلف شلة الأهرام عن الشلة الأخرى ، أنطون الجميل . مستقل جبرائيل تقلامعارض - عبد الهادي (سعدى) زهير صبرى وفدى اشتراكي ، عبد الستار الباسل وفدى عافظ ، وعبد الجليل أبو سمرة (دستوري) حنفي محمود ، توفيق دياب ، وتجد في شلة الأهرام كل صنف . فهي أحيانا تنعقد بشكل مؤتمر حربى أبحث الخطط العسكرية على الخرائط ؛ هنا يعبر الخبير الحربى عبد الرحمن عزام وعبد الستار الباسل الخبير في طرق الصحراء . وقد انقطعت محاضرات الباسل بعد انتهاء حملة شمال أفريقيا . أو على هيئة مؤتمر اقتصادى يبحث المال والأسهم والسفندات . فيتولى الحديث أحمد نجيب مندوب الحكومة في بورصة الأوراق ، وسيد جلال بوصفة خبيراً في شؤون التموين ، أو تنعقد على هيئة مجلس أدباء فيصدرها توفيق دياب ، وتوفيق الحكيم ، أحمد الصاوى وعمدو كامل الشفاوى ، وعندما تنعقد شلة الأهرام بهيئة سوق عكاظ يقصدها الشعراء ، خليل مطران وكامل الشناوى ومحمد الأسمر ، وقد كانت الحكومات تهتم كثيراً بما يجرى في هذه الغرفة ، حدث أن ذهب حسين سرى منذ أسابيع إلى الأهرام ودخل غرفة أنطون الجميل فقال : هل هذه هي الغرفة التي تحسب الوزارات حسابها . هؤلاء عبد الحميد عبد الحق . عبد الحميد ابراهيم صالح . سليمان نجيب . فسكرى أباطه . الألقى عطية ، لويس فانوس ، حسن الأعور ، محمد عبد الوهاب ، وإدجار جلاد ، وتوفيق صليب ، محمود عزمى ، محجوب ثابت ، على راتب ، مأمون عبد السلام في غرفة الأهرام حيث تسمع كل الآراء وكل الملاحظات وحيث تتصاعد الضحكات العالية من الأصدقاء والخصوم على السواء .

الأخطاء المطبعية

من أهم القضايا الصحفية التي توقفت في فترة ما بين الحربين «الأغلاظ الفنية والطبعية في الصحافة» وقد عرض لذلك الأستاذ محمد مسمود فقال :

١ - أخطاء الكتابة

أخطاء الصحف صنفان أحدهما مصدره المررون والترجمون من الكتاب ومرده غالباً إلى الجهل والسهو ، والثاني مصدره الطابعون أى منضدو الحروف ورؤساؤهم ومرده أولاً إلى طبيعة الحروف العربية وكثرة عددها وتشابهها ، ثم إلى جهل الطابعين أصول صناعتهم وهجز منضدى الحروف منهم عن إدراك معنى ما ينضدون حروفهم ، لأن سودايم تملو الرسم الحروف في الطابع لا في المدارس فهم يحملون بسائط العلوم العربية من نحو وصرف .

٢ - الأخطاء في الصحافة المصرية ليست ترائنا ورثته عن صحافة الربع الأول من هذا القرن فيما قطعته من أشواط بخطواتها القائزة ، وإنما مصدره طفيان الجانب المادى منها على الجانب الأدبى وقصر العناية فيها على الرضع دون الموضوع ، كما أنها ليست تقيصة لاصقة بها دون غيرها من صفوف المطبوعات كالسكتب التى يتسع الوقت عادة لإبرازها فى ثوب قشيب . ومع ذلك لا يكاد يظهر كتاب فى عالم المطبوعات حتى تكون لآلى الأخطاء منتورة على صفحاته . كتب الأستاذ الشرفاوى « من علماء الأزهر » يرمى على الدكتور زكى مبارك وقوع أخطاء مطبعية فى كتابة التراثى فقال : كنا نحسب أنه لا يوجد خطأ فى كتاب يشرف على تصحيحه رجل عالم كالدكتور زكى مبارك ويتولى طبعه دارالسكتب المصرية ، فرد الدكتور يقول : أن الغلط المطبعى فى المطبوعات العربية قد عجز عنه الإسائة ولا سيما إذا كان المؤلف

هو الصحيح، فانه يقرأ في صحائف ذاكرته ، وهو يظن أنه يقرأ في صحائف الكتاب « وهذا التعليل يدل على أن سواد أخطاء الموظفين ناشىء من تصحيحهم التجارب المطبوعة لمؤلفاتهم بأنفسهم ، لأنهم وهم بسبيل تصحيحها تسبق خواطرم أنظارهم فتعثر الاخطاء أمامهم مرأ دون أن يفتنوا لها .

٣ - وجاء في كتاب أعجام الأعلام الذى ألّفه الاستاذ محمود مصطفى هذه العبارة « فات حرصنا أفلاطونية » ولعل ما أوردناه هو كل ما وقع في الكتاب من أغلاط ثم أورد (خمس أخطاء مطبعية فقط) وها أنفا قد بلغت من مطالعة الكتاب إلى صفحة ١٣٨ (الكتاب ٢٥٠ صفحة) فأحصيت سوى الأخطاء الخمسة المقدمة ستة عشر خطأ مطبعا فلهذا .

وهذا الدليل المنع على أن المؤلف لم ينعمه حرصه في إخراج مؤلفه بريئا من عيوب الأخطاء وأن مساعدة الطابعين له على ذلك كانت مجرد حسن ظن لم يحققه الواقع ، لأنه إذا كان مجموع الأخطاء في الصفحات (١٣٨) بلغ ٢١ خطأ ، فالمنظور مع مراعاة قاعدة النسبة والتناسب أن يرتفع في كتاب يبلغ ٢٥٠ صفحة إلى ٣٨ غلطة وكسرا من غلطة واحدة .

٤ - كما فتحت صحيفة من صحفنا التبارية في مضمار الإجاهه والاتقان ، يكون الأخطاء بمختلف أنواعها أول ما يلمس نظرى منها ، ولقد استغزنى ذلك منذ فترة من الزمن إلى اللقطات دررها وأسدانها من بطون الصحف فاجتمع لى منها بضمة آلاف قيدت أو ابدها فى كراسات كثيرة رجاء أن تناح الفرصة لى لإبرازها فى كتاب يكون عدة الكتّابين فى توقيهم معائر الأخطاء التى تملأ طريقهم كما تتسامح صحف كثيرة فى نشر عبارات للكتّابين بلهون: فيها ضعف التأليف وركاكة العبارة :

× الحفان الاموى : نسبة إلى الأم بيننا هو بالنسبة إلى أميه .

× أموميتها الحنوننة: يريد بالأوموية الأومومة .

× حكمت المحكمة على التهم لعام واحد سجنا مع الاسعاف بقانون التأجيل (يريد وقف التنفيذ) .

× ستلقى محاضرات عن الاسرائيليين في عهد الفاطميين أى منذ قرين ونصف .

× « والسحت سواء كان حلالا أو حراما » السحت في اللغة هو كل مال لا يحل كسبه أو أكله فن أين يكون منه حلال أو حرام .

× « أولا فأول » - أو أولا بأول (الصواب أول بأول) وجلس على يمينه أو يساره (الصواب جلس إلى) من أول وهلة ، لأول وهلة ، في أول وهلة (الصواب أول وهلة) .

× افتتح دولته معرض السكرترنيم : الصواب الأتحوان .

× صورة بروفييل : الصواب : صورة من طارض (جانب الوجه) .

× المدالية : الشارة هذا بالاضافة إلى الأعلام الجغرافية ، الاصلاحات العلمية ، الأماكن ، الاصلاحات الطيبة ، الفكلية .

٥ - نشرت الجريدة هذا الخبر : دعا جلالة ملك إيطاليا إليه المسيو تيير وعهد إليه تأليف الوزارة فألقى بين يديه كلمة شكر قال فيها : أن أسف فلا آسف إلا على شيء واحد ، هو عجزى الآن عن كسر رقبتك بيدي كما يكسرون رقبة الديك الرومى ، فلما قرأ الناس هذا الكلام البذى ، أيقنوا أن المسيو تيير قد أصابه مس من الجنون وتوقموا له ، سوء الماقبة ولكنهم لم يلبثوا أن تحقق لهم فساد حسابهم وخطأ ظنهم ، لأنهم للمضوا فى قراءة الصحيفة قرأوا فى الشهر القالى من الصحيفة ما بلى : أسفر التحقيق الدقيق الذى أجراه البوليس عن جنابة شارع . . . عن نتيجة باهرة فلما قبض على الجانى الأثيم اقدى لم يتالك بعد أن جرد من سلاحه وشدت يده إلى عنقه أن ساح وكيل النيابة خائفا .

« أن الله وأبناء وطنى يشهدون بأنه لم يكن لى ثم من غاية غير الاخلاص فى خدمة مليسكى ووطنى » إذ فهموا أن الطابمين الكرام قد أزعجوا الجملة الأخيرة الواردة على لسان

الوزير المؤرخ من حيزها في العمود الأول حيث حل محلها قول المجرم القاتل الذي عز عليه أن يرى نفسه عاجزاً عن الفتك بوكيل النيابة فأعرب عن أسفه لأنه لم يكن يستطيع كسر عنقه كما يكسر عنق الديك الرومي .

٢ - أخطاء التصحيح

عرض المصحح زكي للمساح لأخطاء التصحيح في الصحافة المصرية فقال : أن المصحح الصحفي بعد أن كان عمله مقصوراً على الخطأ للطبعي أصبح في نظر المجتمع رجلاً معروفاً أنه مختص في علوم اللغة العربية متمق في آدابها . ومن الأخطاء التي عرضت لي أقدم هذه المماذج .

١ - خطأ التمييز : قول خيرى سعيد (التوأمت نفوس الأطفال) وقد التوى عن النرض الذي يرى إليه والتوى فيه أيضاً نظرى وقلنى أو شمورى ، وعلى ما أظن والله أعلم بنبية واحكم أنه يريد أن يهول « أهواج نفوس الأطفال » .

٢ - الخطأ اللغوى والخطأ المعنوى : يقول حبيب جامان : عهد إلى هذا القائد الباسل بقيادة الجيش ، ويقول آخر: عهد إلى جلوريا سوانسون بتمثيل دور البطولة ، فكان هناك مساهدة بين الأستاذين على الخطأ والصواب ، كما لا تخص « عهد إليه في » ويقول بعض الأساتذة : هذا الشيء يوازي ثمنه ألف جنيه . والصواب : (يساوى ثمنه) ويقولون أيضاً (لا يكلمه قط) وفأهم أن « قط ظرف » زمان لاستفراق الماضى ، وتختص بالنفى .

(٣) الخطأ المطبعي : من ذلك أن زهبا عاد من الاسكندرية وأخذ المحرر يصف الرحلة إلى أن قال (وما بلغ دولته بيت الأمة حتى علا التهليل) ولكن شاء الخطأ المطبعي أن تكون الجملة هكذا : ما بلغ بيت الأمة حتى علا الصهيل ، وكان أحد المثالين قد صنع تماثلاً نصفياً لسميد باشا وأراد أن يقدمه لدولته أمام الجماهير التي كانت تند على بيت الأمة ، فوصف أحد المحررين هذا النرض فقال: (ولما عرضته أمام الجمهور) ، فأبى الخطأ المطبعي إلا أن تكون الجملة (لما عرضه أمام الجمهور) ، ودعا أحد أعيان الريف إلى مادية وكان أكرولا وأراد أحد المحررين أن يتهمكم به أثناء وصف المادية فقال : « ثم هيأ اللقمة وابتلعها » فجاءت

جملة هكذا « ثم هيا العمة وابتلعها » . والظريف في الموضوع أن هذا اليمين كان ممما ، وكان أحد النقاد يصف إحدى روايات رعاة البقر في أمريكا فأراد أن يقول « فخطف اليمين المجلة وطار » فظهرت جملة « هكذا فخطف المجلة وطار » . وأراد محرر أن يصف تحمزا أحد مصارعينا للوثوب بقوله : « ثم تحفز للوثوب » فكان رصفه هكذا « ثم تقمزمز للوثوب » أ . ه .

X من الأخطاء المطبعية : الآن هلموا إلى العمل واصفوا إلى صوت « الضمير » : فجاءت « الحير » وقولهم : الفرنسيون يضيقون الخناق على « البطل » الراكشي فجاءت : « البصل » وكان اسم جريدة البلاغ يرد أحيانا البلاغ أو البلاء .

أخطاء مطبعية « عندما يخلل توضع السطور » .

يحدث أحيانا أن يخطيء الموضع لوجه العمل في جمع سطور الأخبار . فيختلط بعضها في بعض . . وينشأ عن هذا الاختلاط خلط عجيب ، يثير الضحك أو يستثير الاستغراب وهذه طائفة من هذه الأخبار المختلطة نشرتها مجلة « مسامرات الجيب » .

نساء : كتبت جريدة يومية ذات مرة ثنى على « همة » أحد المشايخ الذين قاموا ببعض الأعمال التي تستحق الثناء فكتبت الخبر وعلقت عليه قائلة : « وأنها ثنى على همة فضيلته » ولكن حرف الماء لأمر ما رفض أن يستقر مكانه ، ورأى حرف اليمين المسكان شاعرا فلاءً وخرجت الجريدة ثنى على « همة » فضيلته . . وغضب الشيخ واعتذرت للجريدة في اليوم الثاني .

جثة : ومن التعليقات المعروفة في الجرائد اليومية عبارة : « وسنوافي القراء غدا بالتفاصيل » ، وحدث أن نشرت جريدة خبر جريمة قتل غامضة ، وبعد أن روت كل ما لديها من معلومات كتبت العبارة التقليدية . . ولكن الحروف تضادبت . . فخرجت العبارة غيظه مروعة ، فقد قالت الجريدة : « وسنوافي القراء غدا بجثة القتيل » ! . .

خبر زواج : ونشرت إحدى الجرائد خبرا عن حصان جمع في شوارع القاهرة ونشرت بجانبه خبر زواج أحد اليونانيين ، وهما حلالا للسطور أن ترقص فاختلط الخبران ، وظهر خبر

الزواج كآلآى : « ثم زواج الخواجه كارلو كانا كسى فى الكنييسة اليونانية ثم خرج جامعا واندفع إلى مقهى بلدى فخطمه وأصاب بضمة أشخاص باصابات قاتلة ، وعاد إلى المنزل بين نهانى المحبين والأسدقاء . . أما الحصان سميد الحظ فسكتب خبر هياجه بالطف صينة عرفتها الصحافة : « بينا كان أحد الحوذبة يقوم جواده فى شوارع القاهرة إذ انطلق فاستقل مع عروسه « عربية » طافت بهما شوارع القاهرة . . وقد استطاق البوليس تهدئته والقبض عليه .

شطبه الرقيب : وفى عامود وفيات جريدة نشر أطرف نعى متواضع إذ جاء فيه : « توفى إلى رحمة الله وكان مثالا للرجولة الكاملة والأخلاق الفاضلة تنمده الله برحمته الواسعة » ويظهر أن الفقيد أبى اسمه الكريم أن يحمل هذه الصفات ظلما وعدوانا فاخفى من السطور وأوحى إلى جامع الحروف بأن ينسأه ، وعندما سئل سكرتير التحرير عن هذا الغلط اعتذر بأن الرقيب شطب اسم الفقيد .

رؤية رمضان : إعتادت الجرائد اليومية أن تنشر خبر رؤية رمضان بصينة تقليدية وأرادت الحروف والسطور أن تترخ قليلا . فخرج خبر الرؤية فى جريدة يومية كبيرة ، وقد خلطاً عجيبا . . قالت الجريدة : تحت عنوان رؤية رمضان : « احتفل فى المهكمة الشرعية أمس برؤية الشيخ « . . . » ذلك فى الساعة السابعة والدقيقة الحادية عشرة بحضور الشيخ رمضان المبارك ومحافظ القاهرة وبعض هيئة كبار العلماء » .

عودة : ومن الأخبار التى رقصت فيها السطور رقصا صريحا خبر ترى حرب عاد من أوربا ودفع مبلغا طيبا للجريدة ، لتنشر له خبر عودته فى الاجتماعيات ، ولكن عمود الحوادث كان له بالمرصاد ، . وثارت الحروف وغضبت السطور من النعوت الكاذبة ، التى ألصقتها المررد بترى الحرب وتمحركت من أما كنها واختلط الخبر بمحادثة عامل سقط من عمارة يميل فيها فسكتب فى الاجتماعيات هكذا :

« عاد إلى القاهرة الوجيه (٠٠٠) بمدرحله طويلة في أوروبا ، حاملاً الأسمت ومواد البناء ، إذ سقط من أعلى المارة . وتوافد على مكتبه الكثيرون مهئين حضرة بعودته من أوروبا » . وكتبت الحادثة كالآتي :

« بينما كان العامل أحمد البرموني يصعد المارة التي يعمل فيها وكان في استقباله لفيف كبير من المعطاء والوجهاء ، وقد أصيب برضوض وحملته الاسعاف بين الموت والحياة » .
ومن هذه النماذج :

كتب داود بركات - كذلك يجب ترقية القضاء . فنشرتها الأهرام - فكتب يجب تمرية القضاء . وكتب أحدم فيثني على (هم) الملامه المفضل فجاءت (عمه) وكتب أحدم اسم ديوان شكري فجاءت شكري . ونشرت مصلحة السجون : مصلحة الصحنون .

وعبارة « أقطاب » الوزارة : نشرت « أو شاب » الوزارة .

وصاحب المزه : نشرت صاحب العره .

ولجنة البطالة : نشرت لجنة البقالة .

واختلط عمود بآخر فظهر في عمود واحد وفي موضع بارز هذا الكلام (يجب أن نبعت عن هذا العامل والأمراض الاجتماعية ونصف لها العلاج ، ونساعد . . . الرافصات اللاتي يحضرن إلى هذه البلاد ثم يفسدن الوسط الاجتماعي .

ونشر أحدم نعيًا وخفي المصحح أن يتجاوز السطور المقررة له ، فكتب أمام السطر الأخير في الهامش عبارة « إن كان له مكان » ، فجاء النعي هكذا : توفي إلى حمة الله (فلان) أسكنه الله فسيح جناته إن كان له مكان .

تطور الصحافة الأسبوعية

(١) صحافة النقد السياسي الساخر.

(٢) صحافة الأدب والثقافة.

صحافة النقد السياسي الساخر

صمدت الصحافة الهزلية للظلم والظالمين ، ولم تذر عطفا ولا كبرا إلا سخرت منه وتألفت صحافة النقد السياسي الساخر بدء نورة ١٩١٩ وكان أول من عنى بها حافظ هوش (خيال الظل) وسليمان نوزي (للكشكول) وكان (خيال الظل) مواليا لحزب الوفد و (الكشكول) مبارضا له ونجح الكشكول نجاحاً باهراً واكتسح . هنالك تحولت مجلة (زوز اليوسف) التي كان يحررها محمد التابسي : صحيفة للفن التمثيل أساساً ، تحولت إلى مجال النقد السياسي الساخر وبلغت ذروة البراعة والذوبوع ، ثم استقل التابسي بمجلة خاصة هي « آخر ساعة » وظلت الكشكول وروز اليوسف وآخر ساعة أبرز صحف الكاريكاتير في هذه الفترة . وإن كانت قد ظهرت عذرات الصحف التي حاكت هذا اللون وأهمها الرغائب .

من أبرز فنون الصحافة الأسبوعية : صحافة النقد السياسي الساخر ، وكانوا يسمونها (الصحافة الهزلية) أو (صحافة الكاريكاتير) وكانت أبعاداً أترا وأكثر رواجاً من الصحافة الأدبية ، ظهرت هذه الصحافة قبيل الثورة العراقية : قوامها الصورة والكلمة الفكاهية القائمة على نقد الأوضاع الإجتماعية . وكان من أبرز العاملين في ميدانها : يعقوب صنوع ، عبد الله نديم ، وظهرت صحف : حمارة منيتي ومصباح الشرق ، وخيال الظل والسامير والشجاعة (١٩٠٧ - ١٩١٠) وكان الأسلوب للصحفي الهزلي ضمن وسائل الفكاح خلال ثورة ١٩١٩ ضد الحماية وفي سبيل المطالبة بالاستقلال والدمستور والثورة ١٩١٩ أثر في ظهور عدد من الصحف الهزلية ونفر من الكتاب السياسيين الظرفاء .

وفي العدد الأول من حمارة منيتي (الدريبي) جاءت الافتتاحية هكذا :

« الحمد لله الذي زين الدنيا بمصاييح والقلوب بالسرور والتفاريح ، وجعل الضحك عنواناً للانشراح ، وتمثالا للمسرة والنجاح » .

وفي فترة ما قبل الحرب ظهر الماسير (السيد طارف) أحمد عباس (جريدة السيف) حسين شفيق المصرى (جريدة الناس) يقول : أخذت على نفسى أن أكتب لقومى ، وأنا من قومى ، ولقومى ، بقلم فرس فى الجحيم أو الفعيم ، فإن أصبت المحز فى ذلك الموقف فإهو الإلهام من الوطن .

وكان طابع هذه الصحافة ما يطلقون عليه « النفس » ومثال ذلك : قال أحدم لفلان باشا ، نظن أنك الوطنى الوحيد قال : أنا وطنى حسب الظروف ، ومن ذلك : بلقنا أن المرحوم عشاوى عندما جاء عزرائيل يقطف روحه قال له : خلى عنك !

كما أصدر محمود بيرم التونسى مجلة الشباب وتناول حياة الطبقات الفقيرة وقد أبرزت الصحافة الساخرة بعد الحرب كتابا ظرفاء لمت أسمائهم فى مقدمتهم : محمد إبراهيم هلال ، عبد العزيز البشرى ، نوفيق حبيب ، حسن شفيق المصرى .

* * *

وقد عرض سلامه موسى لهذا اللون من الصحافة فى بحث ضاف (٤١) : مؤسس الصحافة الأسبوعية السياسية فى مصر هو الأستاذ محمد التامى . ولكنه عندما شرع فيها لم يكن يقصد إليها بالقدات فإنه بدأ تحرير (مجلة روز اليوسف) بالكتابة عن الأدب والفنون والمسرح ، فلم يجد إقبالا يذكر فجعل يتحول رويدا رويدا حتى زال الأدب والفنون وحتى المسرح . ثم تفرع من المسرح فروع كثيرة هى القيل والقال عن الأشخاص البارزين حتى دخل فى هؤلاء رجال السياسة ، ولذلك أقبل القراء على مجلة روز اليوسف فراجت وكثر المقلدون لها ، ولكن بلا نجاح .

ثم استعمل الأستاذ العباسى بمجلة آخر ساعة فسار بها على الخطة التى رسمها وهى القيل والقال عن الأشخاص البارزين ، مع الإكثار من الصور الكاريكاتورية . ولكن هذه الصور هى من مخترعات الأستاذ سليمان فوزى فى السكشكول .

إن كل ما تمتد عليه المجلات الأسبوعية هو القيل والقال ، بصرف النظر عن صدق ما يقال وكذبه ، لأن كل ما يطلب هو البراعة في إيراد الخبر . العناية بالأخبار المستغربة النادرة من الجنسين . وقد تكون هذه الأخبار مؤلفة من تروى عنهم ولكن ليس هذا من شأن المجلة . وليس شك في قدرة الأستاذ التابى و فراسته الصحفية ، ولكن الإنسان عندما ينظر إلى وفرة المجلات الأسبوعية التي نشأت على غرار روز اليوسف وإلى الإسفاف في تناول الأشخاص يتساءل : هل كان أثره مفيداً أم مضرًا في الصحافة ، والذي لا شك في أنه لو كانت الأمة أرق قليلاً من ناحية الثقافة لما استطاعت أن تقرأ المجلات الأسبوعية الحاضرة ، بل هذا هو الذي اعترف به الأستاذ التابى في آخر السنة الأولى من مجلة روز اليوسف . وفي عام ١٩٣٠ نقد إبراهيم جلال (وهو نجل المرحوم محمد عثمان جلال) - أ كبر دعاة العامية والمدرسة الساخرة - نقد الصحافة الساخرة . قال :

إن الصحف التي لها اتصال بالمسارح تنشر صوراً وأخباراً يندى لها وجه الفضيلة ، وتأباها أذواق العامة فضلاً عن الطبقة المتملة ، فالمفروض في الصحافة أنها مدرسة تهذب أخلاق الشعب ، وترفع مستوى آدابه ، والمفروض في المحرر أنه معلم يرشد القراء إلى ما فيه نفعهم من علم وأدب ، لذلك يجب أن يكون كل عمل يأتيه المحرر يرمى إلى تهذيب المجموع حتى في الكتابة الهزلية كالسكت والملح . وعندى أن الخلاف بين الصحف الحزبية يجب أن تكون خالياً من الهجوم والإقذاع فيه ، وأن يكون كل من الطرفين يرمى إلى الإقذاع وإظهار الحق دون التمرض للأشخاص ، فالغماز التي أقل ما فيها أنها تزيد شقة الخلاف بين المتخاصمين وتولد في النفوس أحقاداً وحزازات ليست من مصلحة المجموع في شيء . »

وكان أبرز صراع في مجال الصحافة السياسية الساخرة بين مجلتي الكشكول وروز اليوسف . ونقل هنا نموذجين من كتابات الصحيفتين :

مقال روز اليوسف

إننا باسم كرامة الصحافة التي أذلها صاحب الكشكول وأسف بها إلى حيث يجعلها فوطه المطبخ القذرة يسمح فيها ما شاء وباسم ضحايا صاحب الكشكول القين عاشوا وعاشت أعراضهم عشرة أعوام مادة لريشة الكشكول وقلبه ، يتبادل فيها بالظمن والتشمير ما كان يجب أن يكون منبهة أبطال ومفخرة بلاد وباسم ماضيه اللين المتقيح ، الذي اكتفى فيه بأن يكون خطة من مكارم الدنيا جلسة عليها مكتب إدارة مجلة (نوفمبر ١٩٢٩) .

مقال (الكشكول) : روزا وتابها العريف .

كان ولیم یقلب صفحات الدليل المصري في قسم الصحافة ومضى يتمتر في قراءة أسماء الصحف والمجلات ، حتى وقف من بينها على اسم مجلة (روزه اليوسف) فأخذته نوبة من الإعجاب : اسم كويس خالص ، يجب أن يكون لسان حال الوفد ، حتى نضيف إلى خشونة رجاله الصناديد ، لطاقة الجنس الناعم ، لتسكن صاحبة المجلة امرأة ولتسكن مجلتها تافهة ، ولتسكن هي امرأة وزعت من عمرها ستين عاما هبه للتمثيل ، حيث هرعت آلهة الفن وراء الستر السميك وتركزت لأبطال الغرام والحب مجالاً لأعداد العرض والأنجاز، من عساه لا يرضى بتحرير مجلة تحمل هذا الاسم ويكون له جرأة على أن يسب ويشتم . ويسطو بالافتداع على الأعراض والكرامات دون أن يستطيع واحد النبل من عرضه وكرامته ، لم يطل في اختياره واحداً من الشباب المتراحم ، ثم أدناه منه « خذ عندك . امرأة وزير سابق اسمه ولا بلاش اسمه ، تهرب مع خادمها ، موظف كبير يقبل هدية من مرءسيته بألف جنيهه ، أخت وزير تضبط في عوامه مع آخرين .

ماتنسانشى .علامات التمجب ، أكثر من علامات الاستفهام ، أدى خمسين جنيهه على الحساب .

× هبت النياحة من مرقدها ، تأخذ بنخبى ولد ممرور ، لا تزال آثار الطين والوحل عالقة بركبتيه من جبوه على الأرض (٢٢ / ١١ / ١٩٢٦) .

اللطائف = (تأديب صاحب الكشكول) :

ومما يتصل بهذه المركة ما نشرته مجلة اللطائف تحت هذا العنوان (٢٨ أغسطس ١٩٢٢) قالت : لم نستغرب مطلقاً حادث (الملقة) التي ذاقها صاحب الكشكول في عمل الخلواني صولت في القاهرة منذ أصابع وكانت حديث الآداب والسيدات في اجتماعاتهم وسامراتهم في المحافل والبيوت ولقي الكاريكاتور القدي نشرناه في المدد الخاص عن الكشكول وعلقية إرتياحا من جميع القراء بدليل كثرة ما سمعناه من الثناء .

فقد أرب الكشكول على نشر الصور والنبد بقصد الطمن في أقدار الناس ولا سيما العطاء والمشاهير والحط من كرامتهم لغاية معروفة لا تخفى على أحد، فكان يعمل أسبوعا بعد أسبوع على اضحاك الناس من مشاهير الأمة بمجملهم موضوعا للهزء والسخرية وهذا للتشنيع والتتبيح، فأخذ الناس يشمرون أن الصحافة المصرية مبتلية بآفة تعمل على هدم كرامة وشهرة رجالنا المروفين وأفرادنا الذين يشار إليهم بالبنان ، ومما زاد الطين بلة خروج الكشكول بطعنة وقده على السيدات وهزئه على السيدات المصريات كتابه وتصويرا حتى طفع الكأس وصار من المنتظر أن يحل بصاحبيه ما حل به، والرء لا يعلم إلا على حسابه ، والغريب أن صاحب الكشكول جمع بين سفه الكتابة والقول وجرأة الاعتداء على الناس ، بالضرب فقد اتصل نبأ من تفاصيل حادث الملقة أنه كان البادى بالإعتداء على محمد بكرى المهندس في مصلحة الساحة على أثر مناقشة حاده دارت على سفالة مقصد من الحط من قدر سيدات الوفد بنشره صورهن بأسلوب تنفر منه العقول السليمة فإ كان من فوزى إلا أن صفع بكرى على حين غرة على سدغه الأيمن ثم على سدغه الأيسر ، فأمسك بكرى بتلابيب صاحب الكشكول وقبض عليه بيد من حديد ، ودفعه أمامه إلى أن ألصقه بمحائط المكان وهناك أخذ يكيل له اللسكات بنبر هداو حساب وكانت ضرباته مؤلة أقعدت صاحبنا شجاعته الأولى فأخذ يصيح ويستغيث . ولكن بكرى لم يترك فوزى إلا بعد أن أشبعه وزوده بما ظنه كافيا في المستقبل .

وهكذا ظلت معركة الصراع بين صحافة الوفد وصحافة خصومه قائمة ومستمرة ؛
ووصلت إلى مجال القضايا ، والاتهام بين كتاب المجلتين : الكشكشكول وروز اليوسف
وهو إتهام في مجال (الشرف) كما تقول الصحف (١٩٣٩ / ١١ / ٢٢) .

ولا يمنع هذا من أن يصف أحد تلاميذ الأستاذ التابى بمد ذلك بأكثر من عشرين
عاما فيقول : مدرسة التابى الصحفية لها أثرها في تاريخ الصحافة ، لقد حرر أسلوب الصحافة
الساخرة من الأسجاع والمترادفات ، فهو الذي أدخل اللفظ الكاريكاتورية في الصحافة ،
بضمة خطوط سريعة تعبر كأنها لوحة فنية رائعة ، كلمة واحدة تلتصق بشخصية السياسي
وتحوّله من رجل وقور إلى مسخرة ، لقد كانت لجنة الصحافة قبل ذلك أشبه بفساتين
السيدات في الماضي مليئة بالقبول فجمل لغة الصحافة بسيطة .

(الصاوى في مجلة روز اليوسف)

وهذا نموذج من كتابات مجلة روز اليوسف عن « الرصفاء » كما كانوا يسمونهم في هذه
الفترة : دأب الصاوى في التظاهر بمناصرة النهضة النسوية ومشايعتها وذلك بدفع بعض
دينه للسيدة هدى شعراوى التى ساعدته على الظهور ، وعاونته في الحياة التعليمية وجعلت
منه شيئا ، وهذا لون من البر تشهد للصاوى فيه بالوفاء ، ولكن الأهم في الأمر أن الصاوى
قد ظن - طوال هذه السنين أن مناصرة المرأة ونهضتها لا يخرج عن معنى الكتابة
في النرام والتلاعب بألفاظ الحب والصباية ونجوى القلوب وخفق الأئدة وما إلى هذا
الكلام المجيب ، وهذا ما يدعونا إلى أن نلاحظ أن الصاوى ككاتب لا يمكن
أن يؤثر أو يبق لسكتابته أثر ، ذلك لأنه يتملق نزوات الجماهير في كتابته ،
ثم هو رجل يجيد الإعلان عن نفسه كثيرا ، وبشتى الطرق . وعلى العموم نحن
نهى الأستاذ الصاوى بزواجه وتسامل هل سيظل يملأ مجلته القرامية
بالحب الرخيص والعشق التافه . . أو بما يكون فيه فائدة للقراء وتقم لمن يطالونها

في وزارة المعارف التي جومل فيها إلى حد أن اشتركت في أكثر من خمسمائة نسخة من مجلد هذه، لقد شكالي أحد الأدباء من أن وزارة المعارف تقرر مثل هذه المجلة في مدارس البنات بينما هي عبارة عن مجموعة أقوال وكلمات في الحب والفنم مما يفتح عيون الفتيات وبلقي في روعهن أن التبذل معناه رقة المواطنف .

الصاوى في مجلة الجامعة

وكتب صاحب الجامعة :

نشأ الصاوى يقيا من الوالد وكفلته السيدة والدته حتى نال البكالوريا فاستخدم في الحكومة في مصلحة . . المناجم ! وهناك تفتحت كنوز أدبه وبدأ يظهر رسائل صغيرة للأهرام أخذها إسبانيا هو « مائل ودل » ثم أخذ يخلق فرص الحياة حتى اتصل بسيدة عظيمة من زعمات النهضة النسوية بمصر فأوفدته إلى باريس ليتم دراسة فسافر ورجع . واصلت أدرى ماذا حمل من باريس، بلد الشهادات ، ثم اختير محررا في الأهرام وأوفده الأهرام إلى باريس ورجع ولا أدرى ماذا حمل هذه المرة أيضا من باريس من الشهادات . وأن كنت أدرى يقيا أنه اكتسب من باريس أسلوبا ظريفا شائقا وعقلية لا بأس بها .

وتمكن وهو موظف بسيط يحمل من اللغة الفرنسية بضعة ألفاظ بمونة زميل له موظف في المصلحة من خرمجي الفرير أن يترجم روايتي تاييس والزنيقة الحمراء . وتمكن من أن يحصل بالأهرام الذي أفسح له صدره وأن يسافر على نفقة جهة غير حكومية لاتمام الدراسة ، وبمدفان كثيرين من قراء الصاوى ليمتقدون فيه الغرور، ويظنون أيضا أن الرسائل التي ينشرها على اعتبار أنها مرسلة إليها جلها منتحل ومقتل . والصاوى أن كان فشل في أن يكون قاسم أمين في الكتابة عن المرأة المصرية كما فشل طه حسين في كشفه عن كنوز الأدب الفرنسي كما فشل في أن يكون قائداً من قواد القصة المصرية فهو على أى حال كتاب من أقوى كتاب الشباب .

الأدب للكشوف

ولم تتوقف هذه المجلات عند هذا الحد من الهزائم في مجال الأسلوب والمضمون بل ذهبت مجلة الراديو التي كان يصدرها محمود عزت المنفى إلى محاولة هدم القيم الأخلاقية والاجتماعية ، حتى جاءت مرافمة النيابة في محاكمته على هذا النحو : قال حسن صالح الجداوى :

الصحافة مهنة نبيلة لها جلالها ، ولها خطرهما ، والصحافي رجل نبيل خطير ، يكده نهاره أو ليله أو إن شقتم الحق نهاره وليله في تلقط الأخبار وتنسيق البيانات وجمع المعلومات ليصبح العاص ويمسحهم بأخبار كل ما هو جار في جميع أنحاء المعمورة . فالصحيفة إذن مدرسة يستكمل فيها المتعلمون علومهم ، ويتلقى عنها أنصاف المتعلمين كل معارفهم ، على أن الصحافة والصحافي لا شأن لهما بقضية (الراديو) إلا بقدر ما يهتم طيب بقضية أحد الدجالين الذين يدعون الطب ، والطب منهم براء ، فامجلة الراديو ولا صاحبها ومعارفه إلا أذعياء صحافة يظهرن في ثوبها ويلتصقون بها . انظروا إلى القارورات التي لطخ التهمان بها صفحات المجلة باسم (الأدب المكشوف) و (الأدب الوضيع) اتحكوا أن التهمين لم يقصدا أدبا ولا رميا إلى تأدب ، وإنما قصدا إلى انجبار شنيع بضاعته أخط الشهوات وأخسها .

والأدب هو فكرة تسمو بصاحبها عن ماديات الحياة وأردانها ، فيرتفع بنفسه ويمكن أن يخلق بهم إلى أسماء التفكير ويفير أمامهم طرقه ويفذى روحهم ، ولست أنكر أن في بعض كتب الأدب القديمة حكايات وملح تشير من قريب أو بعيد إلى بعض ما يتصل بالملاقات الجنسية ، كما لا أنكر أن بعض كتاب الغرب في العهد الحديث قد أخذوا يتجهون نحو دراسة الملاقات والميول ، ولكني أتمحدي للتمم أن يأتي بصحيفة أو كتاب تدنى إلى مثل ما تدنى هو إليه ، وأوقف صفحاته على مثل ما كتب ويمثل أسلوبه وألفاظه : أما المشرع المصري فلم يشأ أن يجارى المشرع الفرنسي في إلغاء عقوبة كل اعتداء على حرمة الآداب فأبقاها ورفع عقوبة الفحشاء ووضع لها حداً ذنى هو عشرون جنينها مما يدل

على رغبته في العقاب لا على انتهاك حسن الأخلاق فقط بل على حرمة الآداب أيضاً، فإما الآداب فهي المبادئ المعتمدة من المجموع ، هي تلك المبادئ الأساسية التي لا تقوم الحياة الإجتماعية والأخلاقية إلا بها ، والتي تواضعت العادات وتواضع الناس على الأخذ بها، فن سوت له نفسه أن يبرر الإباحية أو تزوج المرأة بأكثر من رجل ، أو حرية المرأة في جسمها ، ينتهك حرمة الآداب، ويجب أن يأخذه القانون يعقابه وقد فعل المتهم ذلك ، أما حسن الأخلاق فأظن أن من امتهان المقول أن يقال أنها في حاجة لتعريف، خصوصاً بعد ما تمرض المتهم لموضوعات لا جدال في أنها مما لا يصح نشره على الناس ، لو أن المتهم نشر بحثاً علمياً تعرض فيه لمثل ما تمرض له للوصول إلى فائدة علمية ، لجاز أن يناقش فيما قصد ، وفي الفائدة مما قصد ، ولو أنه نشر فنا أو أذاع ربما لجاز أن يقول قائل : إن هذا هو الفن ، وإن لفن حقوقاً. أما والمتهم يمرض علينا أنواعاً من الشهوات والفجور ، لغير ما قصد إلا إهانة الشهوات الدنيئة ، ورغبة في الكسب ، فليس من المقول أن ينسب مثل هذا لعلم أو الفن . إن لنا عادات وأخلاقاً تثير أمامنا سبل التقدير ونعرف بها ما هو حسن وما هو سيء ، فلا تضمنوا القائل يقول ، في فرنسا أو في أمريكا يفعلون

معركة سياسية^(١)

وقد أثارَت الصحافة الهازلة معركة سياسية بين جريدتي السياسة وكوكب الشرق (مايو سنة ١٩٢٣) يقول الدكتور هيكل :

× اتخذ هذه الصحف أسلحة للفضال السياسي وإفساد أذواق الجماهير ، امتدت هذه الصحف إلى حياة الناس الخاصة ، وروجت لكثير من الفساد ، أن تشجيع هذا النوع من الصحافة جنابة على الأخلاق ، أكبر ما جنى على قضية هذه البلاد خلال عشر السنوات الأخيرة الاستهانة بالأخلاق ، واتخاذ الأسلحة للظفر بالخصوم السياسيين .

(١) راجع تفاصيل للمعركة في كتابنا « الصحافة السياسية في مصر » .

× أى جناية على الأخلاق أكبر من أن تقوم سائر الصحف تتناول حياة الناس الخاصة في منازلهم ، وبين أهلهم ، ثم تردف ذلك بأخبار كلها الخلاعة والمجون .

× انتشرت هذه الصحافة التي تنال من كرامات الناس وأعراضهم انتشاراً مزعجاً فبعد أن كانت مقصورة على مجلتيين أو ثلاث أصبح يظهر منها في كل يوم مجلة ، وأصبحت تلقى من إقبال الجمهور السافج الذي ألف هذا النوع من الكتابة ما أصبح خطراً داهماً على الأخلاق وعلى العقول .

× هذه الصحف ليست أقل خطراً ولا أقل فتكاً بأخلاق الأمة من المحدثات .

من تجربة أكبر كتاب الصحافة الكاربيكاتيرية : حسين هنيق المصري

تذكرت أيام الصبا والشباب ، في ذلك الزمن الذي كان يمرمر النسيم ، كانت مصر في ذلك العهد تبدأ سيرها في طريق المطالبة بالاستقلال ، كنا نلهو ونلعب ولكن كان لنا أدب وكانت لنا أخلاق ، ولم نكن ننسى أن بلادنا رازحة تحت أعباء تقال فلم يكن مرحنا ولهونا بصرفنا عن التعاون على إلقاء تلك الأعباء عن عاتق الأمة .

ولست أنسى أن عدد المتعلمين منا كان أقل من عدد الجنهيات وأسألوا عن المهرجان الذي كان يقام تعظيماً للتلميذ الذي ينال الشهادة الابتدائية ، فإذا علمتم هذا عرفتم قلة عدد الذين كانوا يقرأون ولا تذكروا الذين كانوا يكتبون ، فإنهم كانوا كالجن نسمع بهم ولا نراهم ، في تلك القلة من القراء كانت تعيش الصحافة وليس العجيب أنها كانت تعيش ، ولكن العجيب أنها كانت قوة قاهرة تهاجم الأعداء ويتق حربها الأصدقاء .

نشر قلم المطبوعات عدد قراء الصحف اليومية والأسبوعية في ديسمبر ١٨٩٢ (٢٧٧٥)

الاهرام - ١٤٥٥ للقطم - ١٢٠٠ المؤيد - ١١٣٤٥ الأستاد - ١٣٠٠ المقتطف - ٧٤٠

الهلل - ٦٠٠ الزراعة - ٥٤٥ الفلاح - ٤٤٣ المحروسة) وأوسع الصحف انتشاراً

لم يبلغ عدد قراءها ثلاثة آلاف ، وأكبرها حجماً وأطولها وأعرضها ، أربع صفحات .

فإذا علمت أن الأهرام والمقطم كان كثير من نسخها يرسل إلى لبنان والشام والعراق والأناضول وبلاد المغرب الأقصى ، رأينا أن « الأستاذ » كان أوسع الصحف انتشاراً في مصر وصاحبه عبد الله نديم ، الكاتب الشاعر الرجال الجاد الهازل المنقطع النظر ، خطيب الثورة المرابية الذي كان الإنجليز يحسبون له ألف حساب ، وكان المصريون يرفعونه إلى صف المظالم (ومن هنا يكون عمر الصحافة الأسبوعية من عمر الأستاذ) ١٨٩٢ ، وأنها نشأت بين يدي هذا الأديب الكبير ، وهو أول من أجاد الجمع بين الجد والهزل ، في الصحافة ، ولقد المقلدون ، ومنهم من قعد به الهجز عن إدراك شأوه ومنهم من لحقه ولكن بعد زمن ، ثم سبقه السابقون من التأخرين - أما الأدب المحض ، الخالص من العامية الذي يكاد يكون سالماً من اللحن ، فبدأ عهداً بجريدة مصباح الشرق الأسبوعية التي نشأها « إبراهيم المويلحي » كان مصباح الشرق بأسلوبه وحسن ديباجته في نظر القوم تحفة يقتنونها ، أما الصحافة الهزلية بعد « الأستاذ » فسارت في الطريق الذي رسمه لها عبد الله نديم وارتقت من حيث الصناعة ولكنها انعمت في أقدار الهجاء الشنيع وبذاء الألفاظ ، ولم يسلم من ذلك القبح إلا « الأرفول » فقد نزهه صاحبه الشيخ محمد النجار عما يشيبه من تلك السفاهة ، اللهم إلا ألقاظاً أصابته بالمدوى .

أخذت الصحافة الأسبوعية بالإرتقاء بمهارة منيتي والخلاعة ، ثم الشجاعة ، ثم السيف والمسامير ، ولكنها إرتقت في كتابتها وتدهورت في أخلاقها إلى أسفل مكان ، ولكل صحيفة من هؤلاء الصنف تاريخ يجعل منه إبليس لأنها كانت تمشي بالطنن على الكبرياء والخوض في الأعراض ولم يكن في أصحابها كاتب إلا محمد توفيق صاحب (حمارة منيتي) فقد كان أديباً يكتب وينظم الشعر والزجل بأسلوب بضحك الفكلي والآخرون أميون ، كان يكتب لهم كتاب مستترون وراءهم فلا يعرفون الجمهور ، اذكر منهم الأدباء أمام المبد ، خليل نظير ، وواحد صاحبنا ندم بعد كده وربنا تاب عليه

(يقصد نفسه) . ظهرت حمارة منيتي ١٨٩٨ فجأة ، فكانت ترفس هذا وتمض هذا وتنهق في وجه هذا ، ولم يسلم الأستاذ محمد عبده من شرها وراجت رواجالم تبلغ إليه صحيفة غيرها ، حتى لقد وصل ما يباع منها في الأسواق إلى أكثر من أربعين ألف نسخة مع قلة عدد التملدين ، وكان إغماش الحماره في السب والقذف بالبذاء المنكرة ، نكبة على الأدب القوي ، فقد قلدها كتاب الصحف الأسبوعية في تيج للذهب ، وخالفها بعضهم في طريقة الكتابة فجاءوا بأساليب جديدة منها النكت التي كانت تنشر في مجلتي للشجاعة والسيف من بعدها وهما لأحمد عباس وقد كان لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه كان شمله ذكاء له بديهه ظاهرة وروح من أخف الأرواح وله نوادر ظريفة .

وكانت الصحف في تلك الأيام تحاول أن تكون كالشجاعة والسيف فتسخر سخفاً تشمئز منه النفوس فلا يقام لها وزن فتختفي بعد صدورها بأسابيع ، ولم تكن الصحف الأسبوعية كلها للهزل في تلك الأيام فقد ظهرت على الشجاعة والسيف صحف آخر منذ ثلاثين سنة (١٩٠٦) وأصحابها في حكم الأميين ، وكان يكتبها لهم رجل عجيب يدعى الشيخ الشربلي ، رأيت رأي العين يجلس في بعض مشارب القهوة بالعتبة الخضراء ويكتب الجريدة كلها في ساعتين ، وهي أربع صفحات من القطف الكبير ، وقد حاولت أن أعرف سبب وجود تلك الصحف فلم أستطع لأنني لم أقدر على فهم ما كان الشربلي يكتبه ولا أظفه كان يفهم ما يكتب .

(٢) انتدأت بالأستاذ فصباح الشرق ، فخارة منيتي فالشجاعة فالسيف وجاء بعد ذلك التطهر من ارجاس المطاعن الشخصية والاقذاع فتوليت كتابة جريدة السياف عام ١٩١٤ فجملتها صحيفة سياسية وأدب وحول دفة الهجوم عن الأشخاص إلى ناحية الحكومة والمحتلين وأنصارهم من الجماعات والرجال السياسيين ، فراج السياف حتى طبع منه أربعون ألف نسخة في الأسبوع ، ومعاذ الله أن أدعى أنني أول من طهر الصحافة الأسبوعية

من الأردن ، فقد سبقني عبد الله نديم وإبراهيم المويلحي ، والشيخ محمد النجار أصحاب الأستاذ ومصباح الشرق والأرغول وأستاذي محمد مسعود وحافظ عوض، فقد أنشأ مجلة خيال الظل ١٩٠٦ وهي وجريدة السياسة المصورة لم يميشا طويلا لأسباب غير الكساد فقد كانتا رائجتين كل الزواج ، لأنهما أقدم الصحف التي ابتدعت التصوير ، وعنها أخذ الكشكول ومجلات دار الهلال وروز اليوسف وآخر ساعة .

(٢) عدت بنفسى إلى عهد الشباب حين كنا ندخل قهوة الرقص والنفاء فنرى أعاجيب : الألهرادو وحياة النفوس وألف ليلة ونسمع بهية الحلاوية وليلة وقر وتوحيدة والهوانديه وملسكه سرور وأضراجهن من الفيد الحمان ولا سيما الفناانة الباهرة شفيقة القبطية التي طالما جن بها العقلاء ، وتذكرت الوارثين من أبناء العطاء والعمد والأعيان والأغنياء والواحد منهم يدخل الملهى ووراءه المدد المديد من المحاسيب والأنباع الذين إذا غضب غضبوا وهم لا يملون سبب غضبة ، وضربوا من يرفون ومن لا يرفون بالهراوات والكراسى وبونيات الحديد ، وخططوا الحابل بالنابل وتركوا السكان قائما حصيفا .

وكان الوارث أو الممدة أو الوجبة يدخل الرقص كما يدخل غيره من أنداده فيقبارون في البذل والسخاء ، فبطريون وبيوتهم تخرب بالإسراف وهم لا يشعرون .

ولا يزالون في هذا الجنون حتى يأتى على كل منهم وقت يحتاج فيه إلى الخبز . واست أنسى ما حيت ذلك المهرج إلا شيب (الشيخ بحر) وكانوا يلقبونه بالخطيب ، ومهمته أن يتقاذف هو وبعض الناس شتائم مضحكة بين فترات الرقص والنفاء على النحو المروف بقولهم اشمنى . أما شارع وجه البركة فكان قطعة من جنة النعيم ، بما فيه من الملاهى الشائمة والحانات الفسيحة الجنبات التي تعج عن فيها عجيجا ، والمصاييح تتلأأ فيها وعلى أبوابها ولها مثل نور الشمس فى النهار . وفى شارع عبد العزيز ، نجد فرحة المحزون وبهجة المكروب والسعادة التي يسيغها الشيخ سلامة حجازى على قصاد تياترو اسكندر فرج ،

والشيخ سلامه وتلاميذه يمثلون الروايات العربية السامية المأني الفضيحة الكلام من وضع
تجيب الحداد وسماعيل حاصم ، روايات صلاح الدين والسيد وقلب الأسد ، وتلياك ،
وعائده ، واليتيمية وغيرها من قصص التاريخ والأخلاق . والشيخ سلامة يضاى أعظم
ممثل أوروبا ، ويعلو على البلابل بالصوت البديع ، وليس له ند في إيقاع الألحان لافي
الشرق ولا في الغرب . ولم يكن الشيخ سلامة حجازى عظيما في التمثيل والفناء إلا بقدر
عظمته في الأخلاق فلا وقاحة بين المفرجين ولا تبذل للمتفرجات .

(٣) الكاتب يكتب كلمة عن حفلة طرب وأنس وإبتهاج ، وقانون المقوبات يرفرف
بأوراقه على رأسه وفيه مواد أشد خطرا من المواد المفرقة والقلم عن يمينه والقص عن يساره
يقص به من الصحف والكتب والنشورات ما يستشهد به على صدق ما يقول . فلا يدري
من يراه بمقص ، أحرر هو أم حلاق . ولا بد لهذه القتطنات القصوصة من الصحف
ليلصق بالورق الذى يكتب عليه فلا يفرغ من مقاله حتى يكون كالطفل الذى أكل عسلا
وطحيننة أو الإسكاف الذى رقع حذاء فلوث يديه بالمراس .

وهذا قليل إذا رأى الصحافى حادثا وكتب عليه كما راه ثم فوجى ببلاغ رسمى يكذبه ،
وهو غير بين أن يبتلع هذا التكذيب فى برشامة خوفا من الهاكمة ، وإما أن يجىء
بالبراهين على صدقه بمد أن فانت الحادثة وتفرق الدين رأوها معه وضاعت أدلتها .

الكاريكاتور والصحف الهزلية

يقول سليمان فوزى أبرز رجال الصحافة الهزلية في مصر (الكشكول) ١٩٢١ - ١٩٤٠ تقريبا - أن أول من أدخل التصوير الهزلي في الصحف العربية هو (بمقرب أبو نظارة) وكان مدرسا في المدارس الأميرية واشتغل بالتمثيل وأنشأ جريدته «أبونظارة» في أواخر عصر اسماعيل الذي غضب عليه فقصده إلى باريس وأصدر جريدة أبو نظارة وجرائد أخرى، ثم (عبد الحميد زكي) (١) الذي أصدر جريدة مصورة بالألوان باسم السياسة المصورة كانت وطبعا أولا في فينا ثم في روما ثم في مصر وكان (خليل زيني) المحرر بالأهرام قد إتفق مع جريدة (البتى باريزيان) على أن ترسل إليه أعدادها مصورة بدون متن (مكان الكتابة تحت الصور يترك أبيض) وكانت متى وردت يعلوها بما أعده لها من مادة باللغة العربية ، ثم أصدر : الراوى والمرأة والصور ، ثم أصدر (عبد الحميد كامل) جريدة هزلية باسم (البا با غلو للصرى) طبع صورها الكاريكاتورية على الحجر ، وأصدر (محمد المولحي) جريدة أبو نواس فكانت أرق صحيفة هزلية كاريكاتورية ، وأصدر (إبراهيم رمزي) مجلة أسبوعية باسم النجوم ، ثم حولها إلى جريدة وكان يصدرها دائما بصورة هزلية محفورة على الخشب ، ثم أصدر (يوسف حنانه) جريدة لها صحيفة هزلية ونشر صورة الملكة فكتوريا (ملكة بريطانيا إذ ذاك) برأس إنسان وجثة حيوان معلق في مشنقه ، واهتمت للنيابة بالموضوع وأحس بالعقاب ففر إلى الاستانة .

(١) امد (السياسة للصورة) في نظره ورعى الصحافة الهزلية أول مجلة سياسية مصرية مصوالة ، وكان عبد الحميد زكي عام ١٩٠٧ ضابطا بالجيش للصرى ثم أصدر مجلة عام ١٩٠٤ - وقد إرأينا في العدد ٣٩ (يناير ١٩٠٩) وكانت تطبع ١٢ ألف نسخة ، وقد توافقت ثم عادت إلى الصدور عام ١٩١٢ وكانت إدارتها في شارع للمزى وقد اشترك في تحريرها : حافظ إبراهيم ، أحمد نسيم ، جرجى زهدان ، حنى ناصف ، عبد العزيز البشري وقد حوت تعليقات سياسة لازمة وشمس سياسي ورسوم كاريكاتورية ملونة .

ثم أصدر (محمد مسمود وأحمد حافظ عوض) جريدة (هاهاها) ثم أصدر (حافظ عوض) وحده (خيال الظل) وأصدر (طاهر حق) الجريدة الأسبوعية كاريكاتورية وبمد الحرب العالمية (١٩٢١) أدخل (الكشكول) في تحريره الصحف الكاريكاتورية ، وبدأها بلون واحد ، وكان ينشر كل أسبوع أربع صور ، لكل فنان صورة ، وكان أربعة من المصورين يملون منه ، وقد اشترك فيه محمود مختار و محمد حسن ، و عياد ، وأحمد صبرى ، و محمد مندور ، ومصطفى مختار ، واستمر التصوير الهزلى يتقدم بتتابع الحواش .

ويرى « سليمان فوزى » أن مهمة الجرائد الكاريكاتورية تختلف عن الجرائد الأخرى ، وأبرز معالم هذا الاختلاف ، هو الهجت عن مواطن النقد فى الأعمال العامة ، وإبرازها فى وجوه أصحابها وتكبيرها ليكون منها صغيرا ، وإظهارها واضحة جليا ، ليراه الناظر إليه كأنما يراه فى أصله ، فليس شأن المصور الكاريكاتورى أن يرى الحسنات ، كما أن الصور التى تتضمن المدح والثناء ليست إلا عيبا فنيا ، فاضحا فى التصوير الهزلى ، ولا يهضمها الفن ولا يتذوقها . وعنده أن مهارة المصور الكاريكاتورى أو مهارة مديرى سياسة الجرائد الكاريكاتورية تنصب على تصوير العيوب ، تصويرا يجعلها بارزة بقدر علاقتها بالجمهور والمصلحة العامة ، ومن الناس من يكون مطبوعا على الهزل فتجىء ألفاظه صوراً كاريكاتورية وهو لا يتعمد ، وكلما كان المفكر (ابن بلد) كانت الصورة الهزلية ناضجة لأذعة ، ووضع الصورة الهزلية متمب غاية التيمب ، وواضعها بسهر الليلى وبكد ذهنه طوال الأيام لتجىء موقفه ، ويمكن القول أن الصحف الكاريكاتورية لا تفوق إلا فى الحوادث السياسية الهامة أو الانقلابات أو فى البرلمان الذى تسدون جلساته حامية ، ولسكى يضع المصور صورة مضبوطة اللامح بارزة الأوضاع المقصودة منها يحتاج إلى جهود وتفوذ ، وإذا كانت قد نجحت فى مصر فذلك لأننا كنا نحمل الزعماء والسياسيين والوزراء على الجلوس أمام المصور فى الوضع الذى يريده

هذا المصور لا الذى يتطلبه مركز المصور يرسم شذقيه على حدة ، وانته على حدة ، وأذنه على حدة ، وفه على حده ، ولفته إلى اليمين أو اليسار ، وهكذا حتى لا تتغير ملامح الوجه والشكل فى أى وضع أراد المصور أن يضم صورته .

ويقول سليمان فوزى : أن الكشكول والمتاعب التى لاقاها أصدقاؤه والمشتغلون فيه لم تسقط الاستمرار فى خدمة فن التصوير الهزلى إلا بفضل القضاء العادل وأحكامه وفضل الذين تولوا الدفاع عنه من المهامين ، فبقوة هذه الأحكام وتمت رايها أمكن أن يتشجع أصحاب الصحف الهزلية وأن ينهض فن التصوير الهزلى ، وأن تكثر صحفه وتعمده « ا . هـ

فن الكاريكاتير

٢ - ويتحدث إبراهيم هدايه عن فن الكاريكاتير فيقول : يتكون الكاريكاتير من العناصر الثلاثة : الشكل ، الحركة . الأخلاق واللفظ . المفروض أن الرسام يعرف الخطوط المميزة فى وجه الشخص ، ويعرف مقاييس الجمال ومن هذه يسقط على الأجزاء البارزة عن التنظيم فيبرزها أكثر ويبالغ فيها إلى المقدار الذى يراه كافيا . وكل ذلك مع المحافظة على الشبه . ثم ينتقل إلى الجسم فان كان نحيلزاده نحولا ، ويمثل ذلك إن كان طويلا أو قصيرا . وبعد ذلك يمود إلى ملابسه فيهدلها كاللازم ثم إلى عصاه إن كان من يمسون العصا أو إلى مظلة إن كان من أصحاب المظلات وغير ذلك من حاجاته التى اشتهر بملازمتها له ، وأخيرا إلى طربوشه ، هذا الطربوش المسكين قد برع الكاريكاتير المصرى بحق ، أكثر من كاريكاتير القبة ، لأن فورمة الطربوش قابلة للعبث الكاريكاتيرى أكثر من جميع قبمات العالم وخصوصا مسألة الزر إذا كان الشخص خطيب فستجد أن شذقيه مفتوحان بمبالغة مضحكة ونجد الحماس قد طبر طربوشه قسرا إلى الوراء أو لمب بزره كيفها بشاء . وهكذا حركات يده التى يحاول بها أن يقنع . لكل شخص أخلافة ، ولكن الرسام سيمنى بإبرازها وخصوصا المعنية بالذات فى موضوع الصورة .

جشمه ، نجله ، حرصه ، دهاؤه ، ما يضر من شريرة . أما اللفظ فينبر عنه بأسفل الصورة بما يناسب الموقف .

سيكولوجية الكاريكاتير

٣ - وفي حديث مع الرسام «ساروخان» يكشف الرسام عن فنه وفهمه لأخلاق الناس وطبائهم . س : ماهي المظاهر الخارجة التي تدل على مواطن الشخص الذي رسمه .
ج : عندما أنظر إلى شخص أبحث في وجهه أولاً . وفي هندامه وحركاته ثانياً عن الظاهرة الخارجية التي لا بد أن تدل على ناحية من نواحي خلقه وطبيعته وتربيته ، ولا بد أن يكون في وجه كل شخص من الأشخاص ظاهرة من هذا النوع . خذ مثلاً الطربوش فإن طريقه وضعه على الرأس تجعله أحياناً جزءاً مهماً لطبقين صاحبة فيصبح قطعة غير منفصلة من شخصيته ، بل يصبح ذلك الطربوش وحده شخصية قائمة بذاتها مادام في موضعه وفي وضعه على الرأس . وهناك أيضاً العيون ، الميون التي هي مرآة النفس ، والتي لا يمكن للباحث المتعمق في بحثه إلا أن يستدل منها على مكنونات الشخص الذي يراه أمامه ، وهناك أيضاً الأنف والابتسامة والأذنان والشعر والعنق والذقن وكل ما يقع عليه النظر . أن كثرين من الناس يشبه بعضهم بعضاً في الشكل الخارجي ، وهؤلاء لا بد أن يشبه بعضهم بعضاً من الناحية النفسية والعقلية أيضاً فالشخص الذي يكون هيئته الخارجية عادية أو إذا شئت فقل سخيفة ، لا بد أن يكون شخصيته الداخلية التي لا ترى عادية أو سخيفة ، ففي كل إنسان طائفة من المميزات الحسنة والسيئة وفي كل إنسان عيوب وفضائل وليس في استبطاهاة أحد من الناس أن يفلت من مراقبة الباحث المدقق وإذا أراد أن يدرس شخصيته ويعرف نفسيته من مجرد النظر إليه ، غير أني ألقت النظر إلى شيء آخر ، هو أنني لا أكتفى بالنظر إلى شخص حرة واحدة أو مرتين لكي استخلص الرسم الذي أضمه له والذي يصبح في نظري صورة

حية لصاحبه، كلا، بل أنى أراقب الأشخاص مراقبة طويلة فى حياتهم الخاصة والعامة
وأقارن بين أعمالهم وبين ماتبينه من أسارير وجوهمهم وساتهم وهكذا أتق فى سعة ملاحظانى
واستخلص من ذلك الدرس الطويل الرسم الذى أضمه .

تطور الكاريكاتير

٤ - وتحدث أحمد راسم عن تطور فن الكاريكاتير فقال :

إن « الإنتقاد مع التهكم » هو أول مفهوم للحرية وأولى خصائصها وقد أخذ منه
الكاريكاتور يتطور حتى صار الأسلوب المفضل للإنتقاد والتهكم والتعبير . واستمد
حيوته من الصحافة وأندغم فيها فسمت فى سبيل القديوع والإنتشار، ظل يماشى الصحافة
حتى أصبح فنا قائما بذاته ولاشك أن الكاريكاتور سلاح فى يد المعارض سياسة كانت أو جماعة
ويتناول بالنقد مخلف النواحي الإجتماعية وبحيث يمكن التعرف إلى المجتمع فى مختلف
مهادينه وفى كل فترة من الزمن .. وبالرغم من الرقابة عليه فإنه استطاع أن ينفذ إلى غايته فى مخاطبة
الشمب بالإيمان المنف والنمز اللطيف، وقوام الكاريكاتير اليمير بخطوط قليلة وبسيطة وبإيجاز
واقضاب لا عن هيئة المرء فحسب بل عن كامل شخصيته وعمما يوحيه على أن يبرز
ما فى هذه الشخصية من ناحية الطرافة وأن يضنط على ناحية الضمف فى خلقه ويحسم
أغرب ما فى الملامح .

× لا يشترط فيه الأمانة للمؤرخ ولكن إعطاء خطوط تفضح عن المراد بإيجاز

وقوة، وقد سار الكاريكاتير فى طريق طويل مدى مثنى سنة ومر بتطورات كثيرة
حتى بلغ هذه المستعبدة المنتجة وهذا الإيجاز الرائع، وكان كاريكاتور المصر الماضى مثقلا
بخطوط تتشابك وتعارض ولأول مرة فى جملة « الاستراسبون » (الفرنسية)
وكاريكاتيرها، بدأ الكاريكاتير ففامستقلابته على الزمن، فى فرنسا رز أمثال: صيدب وايفل
وضورد وويد ومونيه وجاك، لكل واحد مدرسته فى الفن الكاريكاتيرى ومدرسته

في الفن والإيحاء وخلق الجو واستثارة العاطفة . ولا شيء يسو طى تقدم أو ينجو من
تهكمهم . تهكم قوامه « الغمز اللبق - الإشارة البعيدة ، الوحي - السذاجة التي تخفى
وخزا هداما » لكل واحد أنموذجه المفضل يعود إليه ويبرزه في شتى المناسبات أو الأوضاع
ولكل شعب أسلوبه في هذا الباب . فالسكاريكاتير الإنجليزي (لو) وقد أرخ المجمع
الإنكليزي بفرائب أطواره السياسية والإنجليزية بعمياتها المحيرة في براعة وذوق فائض .

أما السكاريكاتور الأمريكي فلا يمدو مجرد الرسم الهزلي . وقد دخل الفن السكاريكاتوري
الأمريكي الرسوم المتحركة Dessin Animé التي ابتدعها الفنان دسنى (دنى) (الارسو ما هزلية
تداول المجتمع والسياسة والأحداث بنقد لطيف وهي ترى إلى إثارة المرح والسرور .

وبعد الحرب العالمية الماضية انتشر السكاريكاتير في الشرق وكانت قبل الحرب
جريدة (أبو نضارة) وجريدة الدبور في لبنان نشرت الفن السكاريكاتوري والنهار
في لبنان صحيفة يومية وارتقى الفن السكاريكاتوري متطوراً مع الصحافة .

ويرى العقاد أن الرسم السكاريكاتيري من ناحيته العامة فن جميل يستحق المسكينة
الخلاتمة التي وصل إليها من أوروبا وأمريكا وغيرها من بلاد الحضارة . أما الرسم
السكاريكاتيري في مصر خاصة فإنه فن حديث العهد إلى حد ما ولكنه بلغ درجة محمود
من التقدم والإرتقاء وقال أن أحسن الصور السكاريكاتيرية التي نشرت لي ، هي صورة تمير
فيها أطف تفيير عن ناحية بيمينها من نواحي شخصيتي أبدعتها ريشة الأستاذ سانتس
ونشرت في الإثنين منذ سنوات .

٥ - ويرى نقاد فن السكاريكاتير : أن أبرز معالم الفن هو :

× إبراز ناحية معينة من الشخصية .

× المبالغة في إبراز بعض الصفات المرسومة إلى المبالغة في تشويهها .

ولما كان صاروخان (روز اليوسف وآخر ساعة) وسانتس (الكشكول)
هما من أوائل رسامى النقد الهزلى فى الثلاثينات فقد جرت أبحاث حول كل منهما :
أما (صاروخان) فهو يعمد إلى دراسة الشخصية التى يزمع رسمها ويلم بصفات صاحبها
وعادائه ، أما (سانتس) فهو يبحث عن النواحي المضحكة فى الشخصية التى يتناولها
بريشته ، وعماخق من نقط الضعف فى روحها وعمله بوصف بالتخطيط الباسم ، وكشف
النواحي الهزلية للروح والمادة ، وامتزاج موهبة الفن فى الرسم مع بلاغته فى النقد والتعبير
مع فلسفته الساخرة .

وريشة صاروخان كما يقول تلميذه «رخاء» رغم شدة اللذع فيها ، خالية من الحقد وهو لم
يحاول قط أن يجامل شخصياته أو يلين فى رسم فلاح خشن المظهر مثلا فيحيطه بشيء
التنعم ، وهو يرحم عن عواطف الضعف فى الشخصيات السياسية ، ووجوهه مليئة بالحياة ،
حافظة لأشبابها ، وهو يسجل جميع احساسات الروح بالظل والنور ، ويرسم ملامح
القبادة والضعف والدهاء والمكر مما يميز عنه الكتاب بقله .

* * *

وقد ابتكر السكراريكاتير شخصية (المصرى أفندى) : آخر ساعة ، (مجنون المصور)
المصور ، (مصر) قناة تمثل مصر ، (جحا) مجلة الفكاهة ، (مارس) إله الحرب عند
الإفريق ، (جون بول) بريطانيا ، العم سام (الولايات المتحدة) .
وقد حاول عبد القادر حمزة أن يثبت أن فن السكراريكاتير كان من إختراع الفنانين
المصريين القدماء على عهد الفراعنة ، وأنهم لم يقصروه على الفكاهة بل أرادوا به
معانى سياسية واجتماعية .

ويرى (توفيق حبيب) فى صحافة السكراريكاتير رأيا مخالفا لرأى أنصارها يقول :
أن صحف السكراريكاتير قد عملت منذ اليوم الأول على نهش الأعراس ، وأن صحف خبارة

ميتي ، والخلاعة والشجاعة والسيف كان عمادها الطمن في الأشخاص وأن (إبراهيم
العزبي) أصدر جريدة وأسماها (الهلال العثماني) للطمن في منافساته من النسوة الساقطات .

سانس وصاروخان

توفي « سانس » في ديسمبر ١٩٤٥ وقالت جريدة المصور عنه : أنه فنان من أعظم فناني
السكراريكاتير لا تزال رسومه الهزلية تزين صحائف أعداد المصور القديمة بضع سنوات ،
كان خلالها عميد رسامي دار الهلال ، ورغم أنه من أصل أسباني فهو من أقدار الرسامين
على فهم الروح المصرية ومجاراتها ، وكأنه مصري صميم ، وله لوحات فنية غير هزلية ،
كما أنه له تماثيل عدة تألفت منها مجموعة ثمينة . وكان سانس قد أقام في مصر أكثر من
ثلاثين عاما وعمل مدرسا في الفنون الجميلة وعمل في الكشكشدرول .

أما صاروخان فقد عمل في مجلة آخر ساعة ١٥ عاما ، وفنه مشبع بروح النسلنة
اللاذعة ، ومن أعمال صاروخان إهتمامه بمنق عبد الفتاح يحيى (أحد رؤساء الوزراء السابقين)
فقد سافر إلى الإسكندرية وكانت له مقابلة في مصر فأبرق إلى السفير معتذرا ، ولكن
ريشة صاروخان رأت أن عبد الفتاح يحيى كان في إحستطاعته الحضور لمقابلة السفير
مستعينا بمنقه الطويل ، فبيعت برأسه من الإسكندرية إلى القاهرة متخطيا كباري النيل
ومزلقانات السكة الحديد وحواجز المرور حتى تدخل غرفة السفير .

جريدة (هاهاها) (٨ مارس ١٩٠٧)

قدمها صاحبها في العدد الأول : « صحيفة هزلية تصويرية أسبوعية » لصاحبها محمد مسمود
وحافظ عوض (وكم ذا بمصر من المضحكات ولسكنه ضحك كالبكا) .
الغرض من الجريدة : أن تصور الحوادث والأشخاص في المسائل السياسية بصور يبق
لها تأثيرها في النفوس ، وأن الصور تؤثر في المجموع ، وتثبت في العقل أو على شبكة اليمين
بخلاف المقالات فإنها تسمح الواحدة الأخرى ، ونفسى بمد قراءتها وبالاختصار نريد أن
نوجد شيئا جديداً في الصحافة العربية هو « الرسم الهزلي السياسي » :

قال: والنرض، من السكارى كاتير - على ما أعرف - التمكن من تصوير الناس على حقائقهم
وراء ستار الضحك والاستخفاف والهزل، وقد صار في أوروبا فنا مهما، بل هو اليوم من
الفنون الجميلة التي لا يجيد فيها إلا النوابغ، ونوابغ النوابغ الذين لا يوجد لهم في مصر مثيل،
وإذا كان في القراء من يحتاج إلى تفسير لهذه الصور فليس لمثله تصدر هذه الجريدة، لأن النرض
عن هذه الجرائد التلبيس والتعمية والادغام والابهام وكل ما تشاء مما يدخل تحت كلمة
(الحدق يفهم).

وقد أصدرت مجلة (هاهاها) عددا واحداً، ثم أصدر حافظ دوض بمفرده (مجلة خيال
الظل) في الأسبوع الثاني ١٥/٣/١٩٠٧. ثم أعادها بمد الحرب العالمية الأولى في مواجهة
جريدة الكشكشكول حيث كانت تمثل وجهة نظر الوفد بينما كانت الكشكشكول تمثل وجهة
نظر خصومه.

صحافة الأدب والثقافة

يمكن أن يوصف بالصحافة الأدبية في هذه الفترة كل صحافة غير سياسية . فقد كانت الصحف اليومية متخصصة في شؤون السياسة ، بينما مزجت المجلات الشهرية ونصف الشهرية والأشهرية بين شؤون السياسة ودراسات العمران والاقتصاد والتجارة وغيرهم . ثم بدأ تيار جديد في هذه الصحافة يدخل الأدب ضمن هذه الموضوعات ، وفي عام واحد ظهرت مجلتي « الجنان » في بيروت و « روضة المدارس » المصرية هذه العبارة تعريفا بهدفها :

تعلم العلم واقرا
نحز نحر النبوّة
قال ليهي خذ الكتاب بقوة

ومنذ ذلك التاريخ بدأ عهد يمكن أن يطلق عليه « فجر الصحافة الأدبية » يتمثل في كل صحافة غير سياسية . والواقع أن السكتاب في الثلاث الأخير من القرن التاسع عشر كانوا يفهمون الصحافة الأدبية على أنها الصحافة التي تأخذ من كل شيء بطرف . وأشار أغلبها في افتتاحيات أعدادها الأولى إلى تجنب البحث في السياسة والدين .

أما ما عدا ذلك من مباحثات الاجتماع أو الاقتصاد أو العلوم أو القانون أو الجغرافيا فهي داخلة في الصحافة الأدبية غير منفصلة عنها . وقد ظل هذا المفهوم ساريا خلال أربعين سنة تقريبا . ظهرت خلالها مجلات متخصصة في العلوم وحدها « كالتقطف » ومجلات متخصصة في الطب « كاليمسوب » و « الطبيب » ومجلات متخصصة في الهندسة . ثم تطورت بعض هذه المجلات وأدخلت الأدب ضمن دراستها كما فعل « التقطف » بمد أكثر من عشر سنوات من صدوره . حتى لفظة (الآداب) عندما أطلقها الشيخ علي يوسف على مجلته لم تكن تعني الأدب وحده وإنما هئيت مختلف مباحث الثقافة .

وفي خلال هذه الفترة كانت الصحف تمزج بين مباحث الأدب والعلم والتاريخ ومختلف الفنون الأخرى ، ولم تظهر صحف متخصصة في الأدب الخالص إلا في عام ١٩١٠ بظهور مجلة « الزهور » لأنطوان الجميل وأمين تقي الدين و « البيان » للشيخ عبد الرحمن البرقوقي سنة ١٩١١ . وقد غلب الطابع العلمي على المجلات غير السياسية حتى ليتمكن القول بأنه كان أبرز من الطابع الأدبي الخالص . كما كانت دراسات أحوال الوطن الإسلامي والعربي من أبرز موضوعات هذه المجلات ومن الصحافة الأدبية ذات الطابع الخاص : المجلات النسوية وقد صدرت أولاها « أنيس الجليس » عام ١٨٩٨ ثم صدرت « السيدات والرجال » عام ١٩٠٣ و « فتاة الشرق » عام ١٩٠٦ .

وهناك مجلات غلب عليها طابع الدين والثقافة الروحية « كالنار » و « الشرق » .
وأهم المجلات الأدبية التي صدرت في هذه الفترة هي :

- | | |
|--|--|
| الجنان (بطرس البستاني) ١٨٧٠ - بيروت | روضة المدارس (رفاعة الطهطاوى) ١٨٧٠ |
| بيروت المقتطف ^(١) (يمقوب صروف وفارس | القاهرة الآدب (علي يوسف) ١٨٨٧ |
| عمر) ١٨٧٦ | |
| القاهرة : الأستاذ (عبدالله القديم) ١٨٩٢ | القاهرة : الهلال (جرجى زيدان) ١٨٩٢ |
| القاهرة : والبيان (إبراهيم اليازجى) ١٨٩٧ | القاهرة : الضياء (إبراهيم اليازجى) ١٨٩٨ |
| - القاهرة | |
| بيروت : المشرق (لويس شيخو) ١٨٩١ - | اسكندرية : أنيس الجليس (اسكندره |
| | أفرينو) ١٨٩٨ |
| القاهرة : الموسوعات (أحمد حافظ عوض) ١٨٩٨ | القاهرة : مصباح الشرق (إبراهيم المويلحى) |
| - ١٨٩٨ | |
| القاهرة : الجامعة (فرح أنطوان) ١٨٩٩ - | القاهرة : المجلة المصرية (خايل مطران) ١٩٠٠ |

١ صدر المقتطف في بيروت ثم انتقل إلى القاهرة وصدرت الجامعة في القاهرة ثم انتقلت إلى نيويورك.

القاهرة : مجلة المجلات العربية (محمود حسيب) السيدات والرجل (روز انطوان) ١٩٠٣

١٩٠١ -

القاهرة : مجلة سر كيس (سليم سر كيس) ١٩٠٥ - القاهرة : فتاة الشرق (لببية هانم) ١٩٠٦ -

المقتبس (محمد كرد علي) ١٩٠٦ لبنان : العرفان (أحمد عارف الزين) ١٩٠٩ -

القاهرة : الزهور (أنطوان الجميل وأمين تقي الدين) بغداد : أمانة العرب (انستاس ماري السكرملي)

١٩١١ -

١٩١٠ -

القاهرة : البيان (عبد الرحمن البرقوقي) ١٩١١ .

تطور الصحافة الأدبية

ويبدو صورة تطور الصحافة الأدبية واضحاً في هذه المجلات : ف « الجنان » مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية ، شمارها « حب الوطن من الإيمان » ، عنى مؤسسها بطرس البستاني بأحوال العمران وتطور المجتمع في هذه الفترة ، وجعل للثقافة الأدبية والتاريخية جانباً واضحاً فيها . وفي العدد الأول (كانون الثاني ١٨٧٠) يتحدث عن بلاغة العرب ، وينشر أولى تجارب القصة له (قصة الهيام في جنان الشام) ثم يواصل دراساته في معنى التراجم ويكتب عن سيويوه وابن سينا والمتنبي ، وينشر دراسة عن اللغات (لويس صابونجي) وفي مجلة « الجنان » كتبت أول كاتبة عربية (مريانا مراث) في الصحف مقالها الأول (شامة الجنان) ثم اتبعته بمقال (جنون القلم) وتضمنت الصفحة الأخيرة ملحاً وأشعاراً وحكماً ، وتناولت أبحاثها : الحرب والتمدن وحقوق النساء وفضل اللغة العربية .

وأبرز دور قامت به في هذه الفترة هو نشر الدعوة إلى « تحرير المرأة » بخطاب بطرس البستاني المشهور . وبها نضرت فصول المساجلة الأولى تقريباً في معارك الأدب العربي بين اليازجي والشدياق . وكانت تحمل رأي إبراهيم اليازجي حيث كان ينشر الشدياق رده في مجلته « الجوائب » . كما نضرت كثيراً من التصانيد لفا صيف وإبراهيم اليازجي . أما « روضة المدارس » فقد صدرت بعبارة : « تحت نظارة حضرة رفاعة بك » ، ناظر قلم الترجمة . مباشر تحريرها : علي فهمي رفاعة . وكانت ذات طابع مدرسي الفعالة . فنضرت

بشرفصول متعددة من التاريخ والجغرافيا والنحو . وبها نشرت (المقامة الفكرية في المملكة الباطنية) ترجمة عبد الله فكرى ، و (قدماء الجرمانيين) لمحمد توفيق أحمد . كما عنيت ببعث للوثائق القديمة فأحيت (سياحة حسن الطيب البغدادي إلى مصر) ، واهتمت بأبحاث متعددة عن (تخطيط الصحراء الكبرى) لأحمد نجيب ، ونبذة في الرسم لحسن والى ، والألحان والأغاني لمهان مدوح .

كما نشرت كتاب (فلائد الفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر) ترجمة رفاة الطمطاوى ، وأبحاثا إجتماعية وفلسفية مثل (قدوة الفرع بأصله في حب الوطن وأهله) لملى فهمى رفاة ، و (توقف الجمعية على تماقب الأجيال البشرية) له أيضا ، (وكانوا يطلقون لفظة « الجمعية » على ما يعرف اليوم بالمجتمع) .

أما « المقتطف » فقد بدأ على نحو علمى خالص . ولم تظهر الأبحاث الأدبية فيه إلا بعد عشر سنوات ، أى حوالى عام ١٨٨٥ ، حيث بدأ يكتب عن أصل الكتابة والألفاظ الأدبية والتمثيل العربى والخط العربى ، وأخذ منذ عام ١٩٠١ في نشر الشعر ونقد دواوينه نقد ديوان حافظ لأسعد دافر) و ترجمة الروايات فترجم رواية « أممية » عن الإنجليزية . أما « الهلال » فقد كان طابعه في البحث التاريخى واضح الدلالة ، ولكنه عنى بنشر القصة عندما كتب جرجى زيدان (أرماتوسة المصرية) و (فتاة فسان) واهتم إلى جانب ذلك بدراسات التراجم وأبحاث اللغة والتعريب وتاريخ الأدب .

وعنى « الضياء » ثم « البيان » بالعلوم ، فقد كان الشيخ إبراهيم اليازجى محبا للعلوم الملك والكواكب ، فكان ذلك أبرز اهتمام مجلتيه . وكان أبرز أعماله في « الضياء » بحثه عن (لغة الجرائد) والعناية بالمطارات ومرادفات الألفاظ . وكان فنه هو تحويل الأدب إلى علم ، فهو يتحدث عن القمر كشاعر ثم لا يلبث أن يتحدث عنه كعالم يقول :
« . . . إذا استقل في فلسكه يسبح فوق الوهاد والآكام ، ورأيته يتراجع مع النجم وهو مجدّ في وجهته إلى الأمام ، فتخطى الأبراج وكأنه وانف لا يمس له الناظرون انتقالا ، مثال الرنق والجمال وآيه الأبهة والجلال . . . إذا برز من الأفق إنهمزمت في وجه جيوش الظلماء ، وانفجرت الكواكب لمره في عرض السماء . . . » .

ثم يقول « . . أما شكل القمر ، فالظاهر أنه كروى على الجلبة ، إلا أن الذى يستقبلنا منه إنما هو أحد صفحيه دون آخر . . . » . وقد تفاوت مجلتاه (الضياء والبيان) دراسات فى التربية وأشعة رنتجن والقوى النفسية للاطفال والزجاج والطاعون والصائبة ، ونشر شعرا لتجيب الحداد ، من ذلك قوله :

من بدور تسير فى المركبات ومن القبعات فى حالات
ملكها أزهار الصنع من نبت الأيادى لا أيادى النبات
افحوا نفاخر الثمر فى الحسن وورد يفاخر الوجنات

وكتب فيها شكيب أرسلان وحمد زكى الملقب من بمد بشيخ العروبة .

وكانت « المجلة المصرية » تحليل مطران فى أوائل القرن علامة على لون جديد من الأدب ، ففيها نشر دعوته إلى وحدة القصيدة واهتم بالشعر ، وجمّل أبوابها مقسمة على مختلف الفنون : التاريخ ، الزراعة ، الاقتصاد النفس ، العلم ، تلخيص الكتب . وقال فى افتتاحيتها أنه يتجنب البحث فى الدين والسياسة ، وإن هدفه الأدبى هو اطراح مبتذل القول ومطروق المأنى . ونشر فيها للكافى ، وإبراهيم رمزي . ونشر شعرا للبارودى وقصائد لحنى ناصف قاضى محكمة أسيوط ، كما قدم (المرأة الجديدة) لقاسم أمين ، وتمريب الألياذة لسليمان البستاني ، وعنى بالكفوز الدفينة من الكتب النادرة ، وقدم دراسات عنها ونشر طائفة من المؤلفات المترجمة كراوية (بين نارين) لجورج مطران ، وقد وصفه بأنه (شقيق وميمى فى إنشاء المجلة) ، وزهرة الشاى (قصة صينية) مترجمة لمحمد مسعود .

وكانت مجلة « الزهور » (١٩١٠) ثمة هذا التطور ، فقد أصدرها أنطوان الجليل وأمين تقي الدين فى أول مارس ١٩٠٠ فكانت « صلة تعارف بين كتاب العرب فى كل الأقطار ، وذلك بنشر ما تجود به قرائهم الوقادة من الفنشات الرائعة . وأعلنا أن عدداً من الكتاب

سيشاركون في تحرير المجلة ، وقد كانت فعلا مجلة أدبية خالصة لأول مرة في تاريخ الصحافة الأدبية ، لم تشغل بنير فنون الأدب - وقد قسمت المجلة إلى أبواب : رياض الشعر ، جوائن العرب ، حداثق الغرب ، أشواك وأرهاق ، حديقة الأخبار ، الروايات . واستطاعت فعلا أن تجمع الأدباء والكتاب من مصر والشام وبنفداد وتونس وطرابلس الغرب والجزائر وأمريكا (المهجر) وقد غلب عليها الاهتمام بالشعر . وكتب فيها شوقي والكاشف وعمر ونسيم واماعيل صبرى وأمين الريحانى وحافظ ابراهيم وحفى ناصف وخليل مطران وداود بركات وشبلى شمىل وفليكس فارس وعبد القادر المغربى ومحمد كرد طى ومحمد مسمود ومحمد السباعى والمنفلوطى وحليم دموس . وكتب فيها أنطون الجميل بتوقيع (حاسد) وعرض بالنقد لطائفة من المؤلفات كـ « النظرات » للمنفلوطى و « الريحانيات » لريحانى و « تاريخ الأدب » لحفى ناصف الذى أصبح (وكىلا لمحكمة طنطا) و « الجاذبية وتعليلها » للزهاوى . ونشر ابجائنا عن نهضة الأدب فى الشام وفى العراق ، وترجات لشبلى شمىل . وكتب فيها جبران من باريس . أما « البيان » فقد عنى صاحبها (عبد الرحمن الترقوقى) بالترجمة من اللغات العالمية . وكان ابرز كتابها العقاد والملازى ومحمد السباعى واطقى جمعة وعباس حافظ . وقد ترجموا كثيرا من الآثار الأدبية عن اللغة الإنجليزية . وكان دور « البيان » هاما فى مرحلة الترجمة . فقد جمعت إلى رصانة الأسلوب العربى جودة المترجات . ومن أبرز الكتب التى ترجمتها « الأبطال » لسكارليل ، و « الواجب » لجول سيمون و « الأكاذيب المقررة فى المدنية الحاضرة » لماكس نورد ، و « أميل القرن التاسع عشر » لروسو ، و « رباعيات الخيام » و « اعترافات موسيه » ، وترجات عن وليم هازلت وتشارلس دكفنز ، كأنشر فيها عبد الرحمن شسكرى وسلامة موسى ومحمد عبده . ونشرت « مذكرات ابليس » للعقاد ، وأبجائنا عن ابن الرومى للملازى ودراسة عن ابن زيدون لأحمد زكى (باشا) ومقالات للرافعى عن اللغة العربية فى الرد على لطفى السيد . وكتب فيها دكتور هيكل وصادق عنبر وحسن القاياتى . وفى هذه المرحلة ظهرت مجلة « لنة العرب » للآب الستاس مارى السكرملى وهى مجلة متخصصة فى ابجاث اللنة مع العناية بالتاريخ وتحقيقاته .

وتعد نهاية هذه المرحلة في أوائل الحرب العالمية الأولى علامة بدء مرحلة جديدة بتخصص عدد من المجلات لأبحاث الأدب منها مجلة «السفور» التي صدرت خلال الحرب العالمية وكتب فيها منصور فهمي ومصطفى وعلى عبد الرازق وأحمد زكي والزيات وهيكمل وطه حسين وما يذكر أن أربعا فقط من هذه المجلات هي التي استطاعت أن تستمر في الصدور من بعد هي : المقتطف والهلل والمران والمشرق ، وقد احتجب «المقتطف» و«المشرق» وبقيت مجلتا «الهلل» و«المران» تصدران إلى يومنا هذا ، الأولى في القاهرة والثانية في صيداء لبنان .

أما أبرز المجلات الأدبية والثقافية التي صدرت فيما بين الحربين^(١) :

- (١) السياسة الأسبوعية : هيكل ، المازني عفان ، طه حسين .
- (٢) البلاغ الأسبوعي : العقاد ، لطفى جمعة ، زكي مبارك .
- (٣) الرسالة : الزيات ، العقاد ، الرافعي ، طه حسين .
- (٤) الهلال : أمير بقطر ، إبراهيم المصري ، العقاد ، هيكل .
- (٥) المقتطف : فؤاد صروف ، الرافعي .
- (٦) المشرق : لويس شيخو .
- (٧) المنار : رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، وغيره .
- (٨) المصور : إسماعيل مظهر .
- (٩) المحلة الجديدة : سلامة موسى .
- (١٠) الفتح : محب الدين الخطيب .
- (١١) الزهراء : » » .
- (١٢) الثقافة : أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ، فريد أبو حديد .
- (١٣) الصفحات الأدبية الأسبوعية في : البلاغ ، كوكب المشرق ، الأهرام ، الجهاد ، الوادي .

(١) تناولنا دراسة هذه الصحف وكتابتها في كتابنا (النثر العربي للامامير) . وقد أصدر الدكتور محمود فياص دراستين عن الصحافة الأدبية من أوائلها إلى أوائل الحرب العالمية الثانية .

الكتاب والمصاحفون

دخل مجال الصحافة بعدد كبير من الكتاب والصحفيين والمصاحفين ، وقد استعملت الاصطلاحات الثلاثة في التفرقة بين أصحاب الأقلام من كتاب الصحف ، وبين الصحفيين الملتزمين في صياغة الخبر ، وبين الكتاب غير المحترفين الذين أطلق عليهم الدكتور محمود هزيم لقب المصاحفين . وكثيراً ما جمع العاملون في الصحافة في هذه الفترة بين عمل الكتاب وبين عمل الصحفيين ، فكانوا ينفون أحضار الخاصة ويمحزون السابق في مجال الخبر ، وفي نفس الوقت كانوا يكتبون المقاميل والتعليقات ، وهذا وقد جمع معظم كتاب الصحف ، بين الكتابة في مجال السياسة وفي مجال الأدب ، فكانوا صحفيين وأدباء في نفس الوقت . وقد كان للمقال الوطني والسياسي هو أبرز مادة الصحافة فيما قبل الحرب الأولى بينما أصبح الخبر موضع الاهتمام في فترة ما بين الحربين .

- ١ -

مرحلة ما قبل الحرب الأولى

(ميخائيل عبد السيد) : وصف سلامه موسى ميخائيل عبد السيد صاحب جريدة الوطن فقال : تعلم العربية في الأزهر وظل طوال مدة تعلمه متخفياً يتظاهر بالإسلام إلى أن عرف أنه مسيحي فأخرج . . أفاده الأزهر وأخره ممأ ، أفاده بأن جملة يقرأ ويكتب بالعربية بأحسن ما يمكن أن يصل إليه مسيحي في ذلك الوقت ، وأخره فكان لذلك يتمصب المسيحية ، بل إن ميخائيل كان ينز بالتمصب وقد ألف كتابه الهداية لذلك ، ومما يحكى أنه أخذه وأهداه إلى اليازجي صاحب مجلة الضياء فلما خرج أشعل اليازجي نقاباً وحرقة ترفماً عن قراءة المثالب والمطاعن في الإسلام .

(محمد بيرم) : أقام محمد بيرم الخامس في مصر بعد جولات طويلة بين تونس والعالم العربي وأوربا وصل إليها ١٨٨٤ وأنشأ جريدة الأعلام وكانت له خطة في محاسنة الانجليز والاستفادة منهم وقد انتقد عليه بعضهم ذلك ، لأنه يخالف الخطة التي كان عليها في تونس ، وأنه إغاءجرها فراراً من الحكم الأجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك (الهلال م ١٦) .

(حمزة فتح الله) : صاحب جريدة البرهان ، قال عنها محمود عزمي أنها كانت صحيفة السراي ، وأن حمزه كان يقول عن الشوري « لا يحب العمل بها ولكن يصح الأخذ بها » .

(سليم عنحوري) : كان واحداً من أولياء جمال الدين الأفغاني ، ثم أصبح من أولياء الحكومة التي جاءت بمدثةورة ١٨٨٢ ونظم قصيدة في مدح بريطانيا .

(أديب اسحق) : كان من أنصار جمال الدين ثم اختلف مع رياض باغا فخرج من مصر وهاجمه في باريس ، وكان يناصر الحرية ويهاجم الاستعمار ولكن كان يماذي انجلترا ويفاصر فرنسا ويرى أن استعمار فرنسا حلال واستعمار بريطانيا هو وحده الحرام ، أعيد إلى مصر وأعطى درجة ونيشان ومدحه عزيز مصر المرتبة الثانية فوجد الخديو والعهد البريطاني .

(أمين الحداد) : محرر مجلة أنيس الجليس التي كانت تصدرها (اسكندرا افريقيو)

(إبراهيم القفاني) : وصفه السيد رشيد رضا بأنه أرق تلاميذ السيد جمال الدين بعد

الأستاذ الامام .

كانت له المقالات الرائعة والمطبب النافذة ولكن الأمراض حالت بينه وبين الإصلاح حتى وافاه الأجل .

(أحمد حلمي) : حرر في جريدة اللواء أول عهدها، وظهر بنوعه في تدوين أخبار قضية دنشواي ، عمل مع عبد العزيز جاويز وأمين الرافعي وصادق عنبر وعلى الناياني وإبراهيم رمزي وعبدالرحمن الرافعي وسني اللقاني ، وكان مصطفى كامل يبعث إليه من باريس برسائله بوصفه نائبا عنه في تحرير اللواء ، وقد حوكم أحمد حلمي في قضية الطمن على الخديو ، بأن نقل إلى جريدة القطر للمصري يوم عيد الجلوس (يناير ١٩٠٩) مقالا نشرته جريد العدل .

(حسن حسنى الطويرانى) : صاحب جريدة (النيل) صحفى وشاعر، بدأ حياته بالتأليف والتصنيف ، عمل في الصحافة في القسطنطينية بين عربية وتركية . وبرع في الكتابة باللغتين ، عاد سنة ١٨٩٠ إلى مصر مستقناً عمله في الصحافة ، وفي القسطنطينية حرر جريدة الاعتدال والسلام وكتب عدداً من المؤلفات منها (صولة القلم في دولة الحكم) وبمحت مسائل ضعف المسلمين في كتابه (التصحيح العام في لوازم عالم الإسلام) وله كتاب الصدع والالتئام في أسباب انحطاط وأرتقاء الإسلام، هاجم إبراهيم اليازجى في قصائده في هجاء الترك . أصدر في مصر جريدة النيل (١٨٩١) والشمس والزراعة ١٨٩٤ والمارف وكان يفخر بأجداده الأتراك ويتمصب لهم على العرب . وقد أفسح صدر النيل للكتابة العربية زينب فواز وله معها مساجلات ، قال عنه أمام المبد : أن حياة حسن حسنى الطويرانى ضاقت في وجهه وسئم الحياة وكان يرى نفسه في المرآة خيالا، ومازالت حالة كذلك حتى جاد بنفسه والله يعلم أن مكانه الرجل من العقل مكانه من العقل .

(الشيخ الشربتلى) : عمل في الصحافة زهاء ربع قرن أو أكثر وأشرف على أكثر من عشر صحف يومية وأسبوعية وكان مقره في قهوة المعلم في باب الخلق : مجمع كتاب مصر وصحفيها .

يحمل تحت أبطه محرته الدجاسية وأورلق تحريره وأقلامه، ويجلس في انتظار أصحاب الصحف الذين كان أغلبهم من الأميين . يقول لطالب المقال : هل تريده من النوع العادي ، أم المتوسط أم الفاخر ، الأول من نوع أسلوب المؤيد واللواء وهذا ثمن تحريره خمسة قروش، للصحيفة الواحدة ، والثاني من أسلوب محمد عبده وتوفيق البسكري ، بمشرة قروش للصحيفة، والثالث (الفاخر) من نوع كتابات ابن المقفع، والجاحظ، وبديع الزمان ، خمسة عشر قرشاً للصحيفة - كتب مائة مقال تحت عنوان (السرطان السيامي) في إحدى الصحف اليومية ، كان يتحدث فيها عن مجاهل أفريقيا وعادات أهلها وعن المنزود الحر، وشدود طبائهم ، وكان يلفق الحوادث ويرتب وقائمه ترتيباً قصصياً .

(يوسف الخازن) : وصفت جريدته « الأخبار » بأنها جريدة لا مبدأ لها ولكنها تحافظ على صداقتها للاحتلال وعداوتها للدولة العلية .

وقالت جريدة المكشوف : وهي تسمى يوسف الخازن (آيار ١٩٤٤) لم تكن جريدة الأخبار مع الأسف تسايير الحركة الوطنية المصرية بل كانت تقاومها مقاومة جريئة وتسايير الأغراض الأجنبية، فكان المصريون يكرهون الأخبار ويسمونها (الجريدة الصفراء) ، وقد أصدر يوسف الخازن جريدة الأخبار بالاشتراك مع داود بركات الذي تركها ١٨٩٩ واستقل بالأهرام ، ثم توقفت الأخبار وكتب يوسف الخازن في الجوائب والراوى واشتعل في المقطم ، ثم أعاد الأخبار سنة ١٩٠٧ وقد عرفت مقالاته الماكرة اللثيمة في مختلف المواقف الوطنية وخاصة عندما هاجم مرابي بعد عودته من منفاه .

يقول صاحب هامش الأهرام : لم يكن يماليء الوطنيين وكثيراً ما كان يفقد مسلكتهم، كتب جورج طفوس يوماً عن لازمات الكتاب ، فقال «أما لازمة الخازن» فهي «أما سعد باشا» وقال إن الخازن سافر إلى باريس حتى أواخر ١٩١٩ وعاد إلى بيروت

وفي سبتمبر ١٩١٩ تولى عبد الحميد حمدي تحرير الأخبار ، ولما كانت السلطة مانعة إصدار صحف فقد ابتاع أمين الزاوي رخصة الأخبار بمبلغ ٨٠٠ جنيه في أوائل عام ١٩٢٠ وراجت رواجها كبيرا . (خليل مطران) : عمل في جريدة الأهرام ومكث بها بضع سنوات ، وهو الذي أقدم لها داود بركات الذي أصبح من بعد رئيسا لتحريرها . أكثر من أربعين سنة ، يقول : أصبح مرتبي فيها لا يكفي لإعالة عائلتي ، اضطررت أن أهرج اشتغالي بالأهرام ومارست التجارة وأسدرت إلى جانبها المجلة المصرية . ونشرت بها معظم ما نظمه إسماعيل صبري ، وقد مكثت هذه المجلة تسع سنوات ، وكانت طريقة التوزيع عسيرة لأنها تقوم على الاشتراكات ، وقد ذهب المحصل مرة إلى صديق من أعز أصدقائي لتحصيل الاشتراك فقال صديقي للمحصل : هل هذا بمن عيش ، فألمتني جدا هذه الكلمة وأغلقت المجلة ، وهجرت الصحافة واشتغلت بالتجارة ، ثم عدت إلى إصدار الجوائب المصرية خمس سنوات ثم انصرفت عنها .

(نقولا الحداد) : وصفته مجلة اللطائف فقالت في ١٩١٨ كان في المقدم الرابع من عمره . ويقيم في حاصمة القطر وله صيدلية باسمه في شارع شبرا . تلقى علومه في كلياتي صيدا وبيروت شغف منذ صغره بالتحرير والكتابة . مضى عليه في عالم التحرير نيف وعشرون سنة لم يخل جريده أو مجلة عربية من كتاباته ، لم يترك موضوعا إلا طرقة ، معرفته باللغنة الإنجليزية معرفة جيدة وأسفاره إلى أوروبا وأمريكا متصلة ، وله رواياته الفكاهة ، وأبحاثه الاجتماعية - اشتغل في الصحافة فكان محرر جريدة الرائد المصري ، المحروسة ، جريدة الأهرام ، الجامعة ، جريدة الجامعة في نيويورك - مال منذ اثني عشر عاما إلى تأليف الرواية وتصنيفها وتعريبها فلم تسكد تصدر أول رواية له (عين بعين) حتى تناولها الجمهور برغبة وإهتمام ، أشهر رواياته : الحفيظة الزرقاء ، حواء الجديدة ، الصديق المجهول - يضم نصب عينه في رواياته شيئا معلوما لا يعتمد ، فإذا أراد أن تكون رواياته مسلية فكاهية كان ذلك ، وإذا أراد أن يكون مغزى اجتماعي أو اقتصادي أو أخلاقي كان له ذلك أيضا ، كما يدرك ذلك كل من قرأ رواياته الكبيرة وهو كيف كتاباته تكييفاً بواقف الأحوال . وله مؤلفاته كثيرة في أبحاث عمرانية واجتماعية تدل على سلطة كلام مداوك فلسفة عقلية في المقام الأول بين الكتاب والمطاء والأدباء وله شغف بنظم الشعر كلما دعا .

٣ - مرحلة ما بين الحربين

(داود بركات) : قال : كان ذلك حوالى عام ١٨٩٣ حين رأى عزيز الزند صاحب المحروسة أنى أجيد الكتابة فبعث إلى وعرض على التحرير فقبلت . كانت الصحافة حزبية فى ذلك العهد . كانت المحروسة والأهرام تدافعان عن مصالح الوطن وتقولان بأن تركيا هى سياحة الحق فى مصر ، ويستندان إلى تأييد فرنسا وروسيا فى مكافحة الإنجليز . وكان ، (المقطم ومصر) يؤيدان إنجلترا . وكان الحزب الخديوي يؤيد الصحف الوطنية . وكانت من الجوائد المسموعة فى ذلك الوقت جريدة القاهرة (أسبوعية) والسلام لصاحبها طلبات ولسان العرب للشيخ بحيت الحداد من الجرائد اليومية ، وكلها لاتزيد عن أربع صفحات وبالنسبة للثورة المرابية . كان حزب الخديو يعتقد أن المرابين خونه ، ولكن الشبان كانوا يعتقدون أنها حركة وطنية رائدها الاخلاص ، فى سنة ١٨٩٦ اتفقت مع الشيخ يوسف الخازن على إصدار جريدة يومية ونجحنا فى ذلك نجاحا لم تكن نتظره ، إذ كان عندنا أنى مشترك وكنا نبيع فى اليوم ٨٠٠ نسخة وكان ذلك عدداً عظيماً فى ذلك الوقت كانت الصحافة (إذ ذاك) قليلة الانتشار ، كان المؤيد فى أحسن أيامه لم يكن يطبع أكثر من ٨ آلاف نسخة وطبعت الصحف يوم وفاة مصطفى كامل ٤٠ ألف سنة ١٩٠٠ ويوم وفاة سعد زغلول ١٣٠ ألف .

(عبد القادر حمزة) : صور عبد القادر حمزة إرتباطه بالصحافة فقال : فى ١٩٠٩ اشتغلت

فى الجريدة نحو عام ثم تألفت شركة لإصدار الأهالى فانتخبت رئيسا لتحريرها وبقيت على

ذلك إلى سنة ١٩١٩ ، ثم أدرت (الأهالي) لحسابي ، ونقلها إلى القاهرة ، وفي ١٩٢١ عطلت الحكومة الجرائد التقدمية للوفد ، كنت أحرر الأهالي للدفاع القومية الوطنية ومستقلا عن الوفد . أرسل سمد (باشا) حافظ عوض ليعرف رأبي فيما إذا كنت أنا صر الوفد أم لا ، أخذت الحكومة تحاربني فلما عطلت الأهالي ٨ نوفمبر ١٩٢١ ، أصدرت المحروسة . التي عطلت من بعد فأعدت إصدار الأهالي فمطلت في مارس ١٩٢٣ واعتقلت في قصر النيل .

(عباس العقاد) : لما توقف الدستور (الجريدة) دعاني حافظ عوض للعمل في المؤيد ، في ظل الحرب العالمية تركت الصحافة ، كتبت في الأهالي بعد الحرب . كانت الأهالي تناصر الوفد فاشتغلت بالتحرير فيها ، ثم انتقلت إلى جريدة الأهرام وكانت تناصر الحركة الوطنية . وكتبت في الأفكار ، البلاغ ، كوكب الشرق . ويقول العقاد : لم يسبق اسمد باشا أن أملى على خطة معينة لأتبعها في كتاباتي السياسية ، بل كنت دائما كما أنا الآن استوحى رأبي من عقيدتي السياسية وفكرتي الوطنية .

(ابراهيم عبد القادر المازني) : صور المازني علاقته بالصحافة فقال : لما قامت الحركة الوطنية هجرت الإشتغال بالتعليم وانتمرت في هذه الحركة ، وكان أمين الرافعي يعمل لإصدار الأخبار ، وقد طلب في أن أعمل معه في هذه الجريدة ، وفي الفترة التي كان يستعد أمين لإصدار الأخبار سافرت في رياضة إلى الإسكندرية فطلب مني صاحب جريدة وادي النيل أن أترجم له التفرقات الخارجية فاجبت طلبه وكفت إلى جانب ذلك أحرر بعض المقالات الخاصة بالقضية المصرية فارتاح صاحب وادي النيل إلى تلك المقالات .

وكان أمين الرافعي ما زال يستعد ، فاشتغلت بجريدة النظام وفي خلال اشتغالي طلب مني عبد القادر حمزة أن أرسل له ببعض المقالات لنشرها في الأهالي فكنت أقوم بها العمل أيضا إلى أن تم الإستعداد لإصدار جريدة الأخبار .

(أحمد وافي) : وصفه فكري أباطة فقال : في كتاباته ضحية المبدأ ، ارتفعت لفته (م - ٧٧ تطور الصحافة العربية للماصرة)

بجأة في العامين الآخرين لدرجة أنها يجب أن تهبط ، عندما يبدأ يقدم لك آية من آيات البلاغة ، وعندما يشور يقذف عليك ما يقذفه بركان فيزوف ، أعتقد اعتقاداً راسخاً أنه أعلم المصريين بتطورات وتاريخ القصة المصرية .

(عبدالله حسين) : بعد من أبرز كتاب الأهرام في فترة ما بين الحربين ، وقد صور صلته بالصحافة فقال : إنني متفرع من أسرة صحافة منذ إنشاء جريدتنا اليومية الكبرى « المؤيد » التي كان يصدرها قبل الحرب السيد علي يوسف ، وكان والدي من أكبر معاوينه في إنشائها إذ كان ابن خالته . كانت نشأت الأولى في دار المؤيد . عندما كان بشارع محمد علي ، ومنذ أن وقعت عيني على نور الدنيا شهدت في اللحظة نفسها جريدة (المؤيد) والجرائد الأخرى التي كانت ترد إليها . وعندما جاءت الحرب الكبرى وكفت أدرس الحقوق في السنة الأولى شجعتني الميل إلى هذه الحركة بالكتابة في الصحف واختصمت جريدتي المقطم والأهرام بالكتابة .

× لا أرى في الصحافة إلا أنها ميدان للدفاع عن الحقوق الوطنية ، ولذلك ترى كتاباتي مشبعة دائماً بهذه الروح وهي أكثر وأبعد من أن تشوبها الروح الصحافية التجارية الظاهرة في أقلام الكثيرين من الذين يمشون في الصحافة . وتضطرم الظروف إلى التنقل من الصحف بنير رغبة للمبادئ التي تروجها . وقد وجدت في جريدة الأهرام وسطاً كريماً وتشجيعاً كثيراً ، أن عملي في الصحافة قد دعت إليه رغبتني في الدفاع عن المبادئ الوطنية وفي اليوم القى أرى في الصحافة متمارضة مع مبادئ فاني أعزها وأكون خصماً لها .

× الصحفي الخبير هو صحفي المستقبل ذلك لأن المقالات تهبط قيمتها في نظر القراء طالما بعد عام وهم يؤثرون معرفة آخر الأخبار وأصدق الحوادث .

(الدكتور محمد أبو طايه) : اشتغل في الصحافة عشر سنوات ١٩٢٠ - ١٩٣٠ وكتب في افتتاحات كوكب الشرق والبلاغ وحرر في مجلات دار الهلال وخيال الظل

«الكشاف والوطن والاطائف والصور وكل شيء» والفكاهة وكان يوقع «أبوظارة».

(جورج طنوس) : كان وكيلًا لقلم الرقابة الصحفية في مصر في أثناء الحرب الأولى ، أصدر جريدة المنبر سنة ١٩٢٠ ، مؤلف كتاب بقطعة العرب باللغة الإنجليزية ، ولد في لبنان وتعلم في كلية فكتوريا بالإسكندرية وأتم علومه في كبرج ، وتزوج إحدى كريمات فارس نمر ، وصف بأنه كاتب متقن يكتب بأساليب مختلفة دون أن يشعر القارئ ، أن صاحب هذه الأقسام المختلفة شخص واحد ، عمل في تحرير كوكب الشرق ١٩٢٨ توفى (يونيو ١٩٤٢) .

(نجيب هاشم) : عمل في الأهرام منذ ١٨٨٩ ، ثم عمل في المؤيد ، واشتغل في المقطم ومصر والوطن والإكبريس والجريدة والأخبار (مع يوسف الخازن) ثم البلاغ . تأم مايندكر رواية خبر الإتفاق الإنكليزي الفرنسي ١٩٠٤ ، وكان عمله في جريدة الأخبار التطبيق على الأحوال الحاضرة كما كان مختصًا بترجمة تقرير الورد كرومر في المقطم . (توفى يوليو ١٩٣٤)

(منيرة ثابت) : برز اسمها في أوائل سنى الثورة الوطنية ، وكانت تتقن اللغة الفرنسية . وقد أصدرت جريدة لسبوار اليومية بالفرنسية فكان هذا أول حادث من نوعه ، أصبحت الصحيفة لسان حال الوفد ، ثم أصدرت جريدة الأمل الأسبوعية بالعربية ، وكانت تطالب بحق المرأة المصرية في الانتخاب وعضوية المجالس النيابية وتعديل شروط الزواج والطلاق لحفظ حقوق المرأة والحد من تعدد الزوجات ومساواة المرأة والرجل في الحقوق السياسية والاجتماعية بوجه عام ، وقد حملت لواء الدعوة إلى انشاء نقابة للصحفيين ، وتزوجت عبد القادر حمزة .

وصف فكري أباطة أسلوبها سنة ١٩٢٦ فقال : أسلوبها فيه روح - وفيه حياة ، يشترك أنه أسلوب جديد وإن كان لم يبلغ بعد درجة التكون الكامل ، متدفع للدرجة

القصوى، وهي تعتمد في ذلك على أنها أنسة، ومن الجنس اللطيف، جريئة... فلننظر إلى مستقبلها بعيد اليقظة.

(سيد على) صاحب جريدة النظام : رسم لطفى جمعة (أكتوبر ١٩٣٢) صورة وصفية للمصحف سيد على : كان سيد على صديق وشريكى فى تحرير جريدة اللواء أيام المرحوم مصطفى كامل . ليس على قيد الحياة الآن من هذه الفئة سوى أحمد حلمى وأمين عمر الذى كان يكتب مقالات فكاهة بتوقيع «أبو حفص»، أما البتية فقد امتدت إليها يدى الردى فى مدى ثلاثين عاما . كان محرراً مختصا بالترجمة من الفرنسية إلى العربية كما كان عثمان صبرى مختصا بالترجمة إلى اللغة الإنجليزية وفى حياة سيد على ثلاثة فترات : (١) عهد اللواء .

(٢) بعد وفاة مصطفى كامل وعهد تحرير مصر القناة وتأسيس النظام والأفكار .

(٣) عهد الانقطاع عن العمل .

وكان فى الفترة الأولى مترجماً ينقل ما يراه الباشا (أى مصطفى كامل) جديراً بالترجمة أو ما يماره هو بعد مطالعة صحف البريد الفرنسى وكان قلمه سيالاً، وأسلوبه فوق العادى وكان مصطفى كامل شديد التمسك بالـ «الموس»، وكان نهض من نومه حوالى الفجر ويبدأ العمل فى الساعة وكان أول وجه يلتقاه وجه سيد على طربوشه مدهوج على جنب، وفى عروة سترة زهرة، كان صحفياً فقط، لم يخضع لمبدأ معين، وقد خدم الحزب الوطنى فى اللواء مصادفة، وكان محباً لمصطفى كامل، فلما مات مصطفى تساوت الأمور فى نظره، ولم ينضح رأيه مع خلفاء مصطفى فى قزان، فاختلف معهم وأسس جريدة مصر القناة وسار جنباً إلى جنب مع الجرائد الوطنية ونالت نصيباً

عن الرواج سبباً أثناء المظاهرات الحادة التي حصلت في الجمعية التشريعية حول مد امتياز
قناة السويس .

اتصل سيد علي بـبعض رجال السياسة الأوربية وكانت الوكالة الإنجليزية
تخطب ود كل صحفي ابن المربة ، ولكن سيد علي كان قليل الإختلاط بهم ، اشترك
مع أبو العزب في جريدة الأفسكار ، بدأها في غبط العدة وانتقلت إلى حى عابدين
وفي ١٩١٦ اعتقل سيد ، ثم أفرج عنه بعد وفاة أبو العيين ، اختار جريدة النظام وكان
قد أسسها محمد مسمود ، وكان سمد زغول يدهوه ويكلفه ببعض الأعمال الصحفية .
ثم انقطع عن الصحافة منذ ١٩٢٥ تقريبا وأتجه نحو الزراعة ، وكان يركب فرسا أسود
اسمها عزبة وقد ألفها مآ جمعية الدفاع عن حقوق رجال الصحافة والأدب .

(الشيخ صالح روتر) : حاول أحد الصحفيين أن يرسم صورة له فقال : أنشأ شركة
أبناء تنقل كل ما تهفو إليه النفس من أسرار ومعلومات ، ولم يكن يحفظ إلا كلمة
أفريقية واحدة هي (ريز يدانس) : أى دار الحماية وكان يقولها في كل مناسبة وكل وقت .
ومهمة الشيخ روتر تتحضر في أنك تقول له نبأ ما ، فيطوف القهاوى بمد أن يضيف
إليه كل ما يقسم له خياله الخصب من رنوش ثم يعود إليك فيخبرك به على أنك
لا تعرفه ، فإذا جادلته في بعض النقاط صاح : سبحان الله : هذا خير من « بز أمه » .

(الدكتور سيد كامل) : وصفه زملائه بأنه كان صحفياً من الطراز الأول : عمل
في جريدة المؤيد ، وكان مندوباً له في قضية دنشواى ، أتم دراسة الحقوق ١٩٠٨ وسافر
إلى فرنسا وأكمل دراسته فى السربون ، وبهر الأساتذة الفرنسيين بذكائه ، نال الدكتوراه
فى الحقوق برسالة : « المسألة الشرقية ومصر فى مؤتمر الأستانة » ، عمل بمد عودته رئيساً للتحرير
للمؤيد بمد وفاة مؤسسه الشيخ على يوسف ، رافق الخديو عباس فى أوربا خلال سنى الحرب ،

عاد إلى مصر سنة ١٩٢١ قالتحق بتحرير جريدة الأخبار ثم عمل محرراً في جريدة السياسة ، ثم عمل مع طلت حرب في بنك مصر حتى توفي (يونية ١٩٣١) .

له جولات في وصف الحرب الروسية اليابانية ، كان يكتب بتوقيع (بيدبا) .

« توفيق حبيب » (صاحب عامود على الهامش) في الاهرام : بدأ يعمل في الصحافة ١٩٠٠ في جريدة الاهالي ، التقى في دار العلامة محمود أنيس في شبرا بكتير من أهل الادب والسياسة وفي مقدمتهم الشيخ عبده وأحمد زكي باشا ، أصدر جريدة اسمها « الشيطان » ثم التحق بجريدة مصر . اشترك مع جندي إبراهيم في شراء امتياز جريدة الوطن من صاحبها ميخائيل عبدالسيد ، ثم أصدر الإكسبريس ، وعمل في الجريدة مع لطفى السيد . وفي الاخبار مع يوسف الخازن وفي الصور والكشكول والاتحاد ثم التحق بالاهرام . وفي عام ١٩٣٢ تسمى « الصحفي المجوز » وبدأ يكتب عاموده : « على الهامش » يقول : بلوت الصحفي أشكلالا وألواناً ودرجات وطبقات مختلفة ولم أنل منها إلا الكفاية ومع ذلك لا أزال أحبها وأعشقها .

(د . محمود عزى) : كتب عن نفسه في ٢٣ أبريل ١٩٣٧ (الصور) يقول اشتملت بالصحافة ١٨ سنة ، كنت مدرسا في مدرسة التجارة العليا إلى نوفمبر ١٩١٨ ثم بدأت عملي الصحفي بإصدار (المحروسة) ١٩١٩ حتى عطلتها السلطة العسكرية . فأصدرت (الانفكار) إلى ١٩٢١ حتى عطلتها السلطة ، فأصدرت (الاستقلال) ١٩٢١ وساهمت في (السياسة) ١٩٢٢ حتى ١٩٢٨ وأصدرت مع توفيق دياب (وادي النيل) و (الشرق الجديد) ١٩٢٩ ، وجريدة اليوم ، ثم غادرت مصر ١٩٣٠ - ١٩٣٤ حيث عملت في صحبة الخديو السابق وعهدت ١٩٣٤ فتعاونت مع توفيق دياب في إصدار (الجهاد) ثم رأت تحرير جريدة (روز اليوسف) اليومية ١٩٣٥ ثم أصدرت مجلة الشباب سنة ١٩٣٦ وكفت أول من كتب (الملبوميات) في الجهاد ١٩٣٤ ، إنني أول صحفي مصر أدخل كلمة « ثقافة » في متداول الألفاظ العربية .

وأول صفى مصر حضر مؤتمرات دولة فى لوزان ١٩٢٢ وأول من أدخل بدعة البرلمانيات والتعليق على الحوادث البرلمانية بصراحة وجرأة كبيرة، وأول من سن نظام المقالة فى عامود واحد فى جريدة الاستقلال . وقد تحدث محمود عزمى عن تطور الصحافة فى محاضرة له عام ١٩٤٦ فقال : انه أصدر الاستقلال سنة ١٩٢١ وكانت فى أنجاهما « مصرى وطنى » مختلفة فى التفاصيل مع سعد زهلول ، وتميل إلى عدلى . وكتب فيها طه حسين وهيكىل وعنان، وقال بائع الصحف الصغير عنها انها (جورنال إنجليزى) . وكان باعة الصحف يذهبون بها إلى بيت الأمة ويقبضون الفلوس ، وقال أن جريدة الاهرام كتبت على صدرها بعد ثورة سنة ١٩١٩ : جريدة مصرية للمصريين) والصحيح (جريدة مصرية بالمصريين) .

وقال : كان الناس إذا شاهدوا « الهلباوى » يقولون : بسقط محامى دنشواى ، أو يقولوا : « أطلقنا الحمام » . وقال ان « سمودى » مقمهد الصحف الوفدى ، تحمدى ثروت باشا عندما أصدر الأحرار الدستوريين جريدة السياسة ، فأصر سمودى ألا توزع السياسة إلا نالسمرا القدى حده ، وكان ثروت باسا بمض الاشراف على التوزيع ، ولم تسقط السياسة أن ترى النور إلا بالاتصال بسمودى .

(فكرى أباطة) : يقول : كنت أحفظ أربعة آلاف بيت من بيوت الشعر المختار .
أين ذهبت هذه الآلاف من المذكرة النبوية . وكنت أحفظ مقالات الحربرى كلها . .

١٢ يولية ١٩٢٦ . فى تراس حمام سان استفانو جلست أجرعه الكازوزة جرحا يمد حمام مقرب كله صحة وعافية . . وإذا شاب سمهرى القند يحيل القوام يقرب منى ويحيينى قال : أنا أميل زيدان عفى ففكرة فى إصدار مجلة مصورة ويسرنى أن تعاوننا .
لم أكن أفهم مطلقا إلا أن أكتب وأفرح بطبع ما أكتب ونشره ، وكنت أكتب

الأهرام سبمة أعوام (١٩١٩) واصبت نجاحا بلا شك ، وفي ذات يوم من الأيام استبدعني جبرائيل تقلا وقال لي بلمهجة رقيقة : أنه جرت المادة في أوروبا أن يقبض الكتاب المشهورون حقهم من الكتابة ، فلا بد أن تحدد لك أجرا وثرث يومها ثورة .. شعرت كأن لطمة مست شرقي وحرجت كرامتي ، وكلما ازداد دهشة من ثورتى ازدادت غضبا وخفقا . كنت كاتبا (بكرا) وظننت أن الفلوس تخرج « غدريتي » وأخذت أصيح في دار الأهرام : أنا محترف . أنا حزب وطني . أنا أكتب للبلد لا الحبيبي . .

وكتب المقالات الأولى في الأسابيع الأولى من الزقازيق حيث كنت أقيم ، وإذا بشيك ظريف يتهاوى إلى بالبوسنة فأقلبه منددهشا ، ولكن رقه العالى يحمد ثورتى ويهدى أعصابى ونحدرنى تحديرا فاقبضه وأنا صامت وأظل أقبض - بصمت - من ١٩١٦ إلى اليوم ١٤٠٨ . وكان فسكى أباطة أول من مزج بين حرص الفقيه القانونى المتسلح دائما بالمنطق والقانون والأدلة والحجثيات وبين الأسلوب المصحف الناعم القوى أو السهل الممتنع .

(محمد الهياوى) : تمرد على الأزهر في وقت مبكر . المنشىء لأكثر دعايات الكشكول في الفترة التي وقع الخلاف فيها بين الحزب الوطنى والوفد ، كان أخطر من دافع عن الحزب الوطنى . قام مشروع ملتر في جريدة الأمة ، شاعر وكاتب . وله قصائد هزلية نشرها في الكشكول بامضاء «الشاعر إياه» ، له كتاب «الطبع في الشعر» وله كتاب اسمه (مصر في ثلثى قرن) . وعندما رفعت بريطانيا الحماية وقالت (الكلمة الآن لمصر) كتب تقول (الكلمة لمصر ولكن ليس لمصر أن تكلم) أول كتاب نشره : الفرائد : مجموعة ما كتب في مطلع صباه . قبيل أن سمد زغلول كان ينتظر كلماته في الكشكول كل أسبوع .

توقيعات الصحفيين

- (١) ع. م. - الأهرام: عباس مصطفى (٢) لكاتب كبير نيم عنه قلته - مصطفى لطفى المنفلوطى
(٣) س - سعد زغلول (٤) لأمر من أعلام البيان فى الجهاد، كوكب الشرق - (شكيب أرسلان)
(٥) محمد واحد : محمد بن : كوكب الشرق : كان الناس يظفون أنها حافظ عوض : ولكنها
جورج طنوس (٦) ابن طيبة : السياسة : محمد حامد محسب الحامى (٧) أبو التلاميذ . محمد سليمان
عناره (٨) هندس = محمد التابى (٩) خلدون : محمد خالد (١٠) ابن رشيق = محمد على غريب .
(١١) علم : فى جريدة الأهرام = اسماعيل أباطه (١٢) محمود المقاصد : محمود نجرى -
فى اللواء (١٣) س ١ : سعد زغلول فى البلاغ (١٤) حكيم : مكرم عبيد فى المصرى (١٥)
غالب القحط . وديك الجن : أحمد نجيب الهلالى - المصرى (١٦) صريح : محمد محمود -
المصرى (١٧) فؤاد ، سماد ، ربيمه ، ح. ي. ، = انطون الجميل : الزهور (١٨) مستقيم = اسماعيل
صدق (١٩) هى . بن . بى = داود بركات الأهرام ١٩٠٨/١٩٠٩ (٢٠) ابن غانم =
توفيق دياب (٢١) . حقوق : إبراهيم دسوقى أباطه (الغزالى أباطه) (٢٢) ع . م . :
عباس المنصفي (٢٣) ميمص : مصطفى أمين (٢٤) صحفى عجوز = توفيق حبيب
(٢٥) : اشموز : محمد أمين حسونه .

صحفيون اجتهدتهم للناصب

ترك الصحافة كثير من اعلامها أمثال : محمد مسعود وراشد رستم ومحمد أبو طايه
وعباس حافظ (فى عام ١٩٢٩) وعملوا بصحيفة التجارة والصناعة والتعاون الرسمية
ومن الصحفيين القدين ولوا منصب الوزارة : الدكتور هيكل ، والدكتور حافظ عفيفى ،
والدكتور أحمد ماهر ، والدكتور طه حسين .

كان أحمد ماهر مديرا لسياسة جريدة كوكب الشرق فى عهد وزارة صدق ١٩٢٣
يكتب المقالات الرائدة ، وعمل أحمد عبود بالصحافة فاصدر جريدة الكشاف سنة ١٩٢٧
وهو أول من أدخل تقليد نشر الصور فى الصحف اليومية ، وأول من عقد اتفاقات

مع كبريات الصحف الإنجليزية لنقل تفرقاتها لتنتشر في مصر وأجملتها في وقت واحد .
وعمل عبد الرحمن عزام في الصحافة ، وكان مديرا لسياسة الكشاف على مبادئ الوفد ،
فلمآرات أن تملن استقلالها تركها عزام ، وحافظ عفيفي كان صاحب امتياز جريدة
السياسة ثم مديرا لسياستها ، والإقتصادي أحمد نجيب انضم إلى أسرة الأخبار بمد
صدورها بأيام صحفيات :

للرأة ن الصحافة

عمل في هذه الفترة عدد من الصحفيات . في سنة ١٩٣٤ كانت أمينة السعيد
في كوكب الشرق وسهير القلاوى في الوادى ثم تحولت أمينة السعيد إلى الصور ودار
الهلل . أماميرة ثابت : فاصدرت الأمل (لاسبوار) بالفرنسية وأصدرت :
صيرانراوى « المصرية » بالفرنسية ، وأصدرت لبيبة أحمد : النهضة النسائية . وأصدرت
روز اليوسف : مجلة روز اليوسف ، كما أصدرت فاطمة نعمت راشد مجلة أسبوعية وعملت
بالصحافة أيضا حبيب المصري ومنير قاعبيد .

وقد صور انطون الجليل دور المرأة في الصحافة في نهاية مرحلة ما بين الحربين
فقال : إذا كان محور الصحافة « تسقط الأخبار » . فإن المرأة إذ تجلس في قاعة استقبالها
بين زائراتها أو تقعد على عتبة دارها مع جارئاتها ، هي أروع من يروي أخبار الناس .

إن الصحافة النسوية لم تعرف عندنا إلا منذ حوالى نصف قرن ، عندما أصدرت
(هند نوفل) أول صحيفة نسوية ١٨٩٢ . ثم توالى صدور الصحف ، ولا أغفل مجلة
الأجيسين التي أصدرتها : هدى شعراوى وتولت تحريرها سيزانبراوى وكثير مع استشار
تعليم للبنات عدد الكاتبات الأدبيات اللواتى ينشرن في الصحف والمجلات
المقالات والأبحاث . وللصحافة فضل لا ينكر على نهضة المرأة فقد أفسحت الصحف
المجال للمرأة ، تكتيب وتفترة آراءها وتذيع دفاعها عن حقوقها . وخصصت بعض
صحف يومية صفحات أسبوعية كاملة للمرأة والشئون النسوية (الكوكب البلاغ . الجهاد) .

المصاحفون

(فترة ما بين الحربين)

- محمود أبو العيون : ظل طوال حياته مكافحاً بالقلم في ميدان محاربة البناء ومساوئ الشواطيء ، والأخلاق ، والدعوة إلى التعلم الديني في المدارس . وله ثلاث مجموعات مقالات هامة نشرها في الأهرام .
- X الصحيفة السوداء ١٩٢١ وهاجم فيها الأنجليز بأن سطوة احتلالهم .
- X مذايح الأعراس ١٩٢٣ .
- X مقالات « يا ضيمة الأخلاق » ١٩٣٣ يقول : في نفسي آلام أرى في الكفاية ما يخفف عنها هذه الآلام ويشمرها بيمض اللذة .
- أحمد زكي باشا : له أكثر من ألف مقال في الصحف والمجلات في الفترة من ١٨٩٢ إلى ١٩٣٤ وكلها تتعلق بالتحقيقات التاريخية وتصحيح الأسماء الجغرافية .
- محبوب ثابت : أولى اهتماماته : الكتابة عن السودان ووحدة وادي النيل وشئون العمال :
- محمد مسعود : أولى اهتماماته لتصحيحات اللغوية والتحقيقات التاريخية ، قارع شيخ المروبة زكي باشا ، يقول ، اكتب لنفسى وللعالم ذوى أى اعتبار آخر .
- مفصور فهمي : أمضى وقتاً طويلاً بميدا عن العمل الرسمي ، وعاش في قريته يرأس الأهرام بكلمات من خواطره في مختلف المجالات تحت عنوان « خطرات نفس » جمع منها القليل في كتابه والباقي لا يزال منشوراً في دوريات الأهرام .

د. محمد صبرى : بدأ فى سنة ١٩٢٢ كتابات متنوعة فى الأهرام ، فى الوطنية والابحاث التاريخية والاجتماعية وما يزال يكتب إلى اليوم .

وحيد : كان يرسل الصحف فى فترة ما بين الحربين بكلمات قصيرة فى التصحيحات اللغوية (أقرأ عنه فى كتابنا الشرق فى فجر النقطة) .

محمد ليب البتاونى : نشر فى صحيفة الأهرام فصولا متنوعة عن رحلاته فى أنحاء العالم وأهمها رحلته إلى أسبانيا وأمريكا .

الفتتاوانى (محمد الغنيمى) : كان يحرر حديث الصيام فى الأهرام خلال الثلاثينات ، ويقنول خلالها موضوعات متنوعة فى التاريخ والأدب والتراجم .

توفيق اسكاروس : حفلت الصحف بمقالاته فى التحقيقات النوعية فى التاريخ المسيحى وتاريخ الأديرة ومناجم النيل وعلاقات مصر بالحبشة .

محمد فريد وجدى : نشر عدیدا من الفصول والدراسات فى الأهرام وغيرها عن تركيا الجديدة والأديان والمضلات الفكرية والاجتماعية والعرب والترك والقرآن وله أكثر من ٣٠٠ بحث فى مجلة الأزهر .

خلیم حسن : له عشرات الأحاديث والابحاث حول اكتشافات الآثار الفرعونية التى كان يقوم بها .

د. أحمد فلوش : حفلت الصحف والمجلات بكتابات وأحاديثه وصوره حول تحريم المسكرات .

الكاتبة مى زيادة : ظلت تنشر فصولها فى جريدة الأهرام وقتا طويلا ثم حررت باب المرأة فى السياسة الأسبوعية فترة من الوقت .

عمر طوسون : أولى اهتماماته للدراسات التاريخية المصرية في عصر محمد علي ، وخاصة الأرساليات ، الحملات العسكرية ، كما سجل رحلاته إلى الصحراء الغربية وغيرها .

أحمد فؤاد (الدكتور) : ركز اهتمامه وكتاباته عن : مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ .
د. علي مصطفي مشرفه . نشر عديدا من الأبحاث عن العلم وبسط مفاهيم وتحدث عن طبائهم
الاجرام السماوية .

أحمد شفيق (باشا) : نشر عديدا من مذكراته عن تاريخ مصر في عصر اسماعيل وما بعده .
عزيز خانكي : نشر عشرات من الدراسات والفصول التاريخية والقانونية .

لطفى جمعه : يضاها في نشاطه في تلخيص المؤلفات الغربية التي تهتم بمصر
والعرب والمسلمين ، نشاط أحمد زكي باشا ، فقد نشر عشرات من
الفصول والدراسات في مختلف الصحف ، وكانت له فصول أسبوعية
في البلاغ اليومي ، وله مقالات ممتددة في البلاغ الأسبوعي ، ومجلة
الرابطة العربية وعشرات المجلات منذ (١٦١٦ - ١٩٥٠) .

عبد المتعال الصميدى : من خيرة الكتاب في مباحث الاسلام والدين ، نشر عديدا من
الدراسات والمقالات .

محمد رمزي : أولى اهتمامه بدراسة الحواضر والمدن وتاريخها وأعلامها ، وسار
في ذلك على نهج الخطط التوفيقية لعل مبارك .

شكيب ارسلان : هذا كاتب عربي عاش فترة ما بين الحربين تقريبا في جنيف ، وقدم
للمصحف والمجلات المصرية ابحاثا ومقالات لأحد لها ، وكتب
في الأهرام وكوكب الشرق والجهاد والبلاغ وفي مجلتي المنار والفتح .

وتناول عشرات من أبحاث السياسة والاسلام وألقى نظرات صائبة

على آراء المستشرقين وكتاب الغرب في قضايا العرب والمسلمين .

الأب /انتاس الكرملى : نشر فى الصحف المصرية عديدا من أبحاثه اللغوية والأدبية
وكانت له مساجلات .

جميل صدقى الزهاوى : نشر فى الصحف المصرية شمره وكتاباتة وكانت له
مناقشات ومساجلات مع كتاب مصر حول كثير من القضايا
العلمية والفلسفية .

حسن القاياتى : أولى اهتمامه بالأنايبش اللغوية وتخصص فيها .

محمد ثابت : نشر كثيرا من الفصول عن رحلاته فى العالم العربى وآسيا وأفريقيا .

وهناك عديد من المصاحفين ، شغلوا الصحف بأثارهم ولكنهم كانوا أقل فى الدرجة من
حيث النشاط والانتاج فى مقدمة هؤلاء : الدكتور أحمد عيسى ، عبد الحميد أبو هيف ،
أحمد تيمور ، عبد الحميد نافع ، أمين واصف ، عود العزيز البشرى ، عبد الرحمن عزام ،
لييب الكردانى ، محمد عبد المطلب ، أحمد فهمى العمروسى ، الدكتور محمد شرف ،
أمين سامى (١) .

(١) يستطيع الباحث لتوسع فى دراسة هؤلاء الكتاب مراجعة مؤلفاتنا (١) للمرق فى غير البيضة
(٢) أعلام وأصحاب أعلام (٣) النثر العربى للماصر (٤) الصحافة السياسية فى مصر .

تكريم الكتاب^(١)

أول الهيئات الصحفية والسياسية كتابها بالاحتفاء والتكريم ، وكان الدكتور هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة (١٩٢٢ - ١٩٣٦) في مقدمة هؤلاء بعد أن ترك الصحافة وبمناسبة إصداره مؤلفاته الاسلامية : حياة محمد والصديق والفاروق ومزل الوحي .

X محمد علي علوبة^(٢) : صديق الدكتور محمد حسين هيكل رافع لواء الثورتين : ثورة الأدب وثورة النسكر أما الثورة الأدبية فقد شب إوارها وأزكى نارها وهو بمد في ربيع شبابه أما الثورة الدينية فقد حمل الدكتور هيكل لواءها زهاء تلك الفترة أو أكثر .

كان الدكتور هيكل في ثورة الأدبية والدينية على السواء ، قلقا حائر النفس ناقداً ، نوعا ما على الأدب العربي والنسكر العربي والتراث العربي بكل ما يحويه من أوضاع وسنن ، بعد أن رأى في أوربا مميضا فياضا من الماني والأفكار والاتجاهات ، وكان في قلقه وحيرته ونقمتة مخلصا ينشر الحقيقة لا يتكلف وممانيا لامباها ، ثم أدى به إجهاده وإخلاسه للحقيقة التي ينشرها من وراء القلق والحيرة والعقمة ويطلبها بالمائة والتجرد ، أدى به ذلك إلى النتيجة اللطقية التي لاممدى عنها لسكل من التجرد لنسكرة ، لقد عثر الدكتور هيكل على الفردوس المفقود ، الفردوس الذي يكشف له عن عظمة الشرق وسمو آدابه وجلال الشريعة التي ملأت نفسه زهوا ونفرا وعجبا وغمرتنا بلهجة من الطمأنينة ، فرأينا هيكل القلق الحائر النفس ، هيكل الناقم المسخط على التراث العربي ، يخرج منه هيكل العربي المعالج الباني ، هيكل الذي امتلأت نفسه يقينا ومنالاة بالشريعة السمحة وزهوا بالحمد العربي ، هيكل الذي يحمل في إحدى يديه قبسا من نور الحقيقة وفي الأخرى قلما يترجم عن معاني ذلك النور ويبشر به ،

(١) نمرنا نصلا عن تكريم العقاد في كتابنا (للامارك الأدبية)

(٢) الصحف مايو ١٩٣٥ .

مخلصاً في ذلك آكد الاخلاص واتمه . لقد قادت الحقيقة هيكل (ولو كان الهوى هو القدى)
قاده كما قاد كثيراً من الباحثين ، لما وصل إلى هذه النتيجة الباهرة ، ولكنه طلب الحقيقة
جاهداً حتى ظفر بها .

× عبد العزيز البشري : لقد كنا نحن معشر الأزهريين ولعلنا مازلنا نمتقدان المنطق
الصحيح حكمة لنا من دون الناس جميعاً ، ذلك بأن علم المنطق يدرس في الأزهر حتى درسه ،
فاذا أصبنا غير أزهري يرتب المقدمات ترتيباً معطوياً ، ويجري الأقيسة إجراءً مستقيماً ،
حتى يصل إلى النتائج الصحيحة ، أخذنا من صنينة المعجب .

ثم عرفت الشاب هيكل ، ١٩٣٠ ، فاذا هو على تدفقه في خاطر الساعة وإذا هو على
تمتمته في طلب دقائق المعاني ونظمها في أنوار الألفاظ لا ينحرف قيد شمره في سبيل المنطق
في ترتيب المقدمات ونظم الأقيسة ، على إختلاف أشكالها نظماً صحيحاً ، لا يطرده أى خلل
في أى قطر من أقطاره ، وأول ما يشعر به محدث الدكتور هيكل وقارئه على السواء هو إبعاده
في النظر وإمعانه في التفكير ، حتى لقد يرى المرء له ولا مثاله ، على ما بذلوه في ذلك من
جهد ، وما عانوا من تعب وكد ، وحسب هيكل فضلاً أن خلقا من الناس كانوا يظنون أن
هناك تناكراً بين العلم والدين ، فثبت بكتابة حياة محمد أن الدين لا ينافر العلم ولا يقف عند
هذا ، بل لقد أثبت أن الدين مما يحتمه ويلزم به : العلم الصحيح .

× الدكتور منصور فهمي : إنني عرفت هيكل القدى ارتفع به قلعه الثابت وجهاده
الفكري إلى أعلى الرتب من نحو ثلاثين سنة ، وهو من طلاب العلم وزين أعضاء الجمعيات
العامة ، وبين ناشئة الكتاب التميزين ، وكان يبشر منذ أدب الشباب الرائع بما كان
ينتظره في كهولته من فصيح الأدب ، وكان سمو خياله في صباه ينبئ بطموحه في سمو
المقاصد ، وكان صدقه وصفاء طويته يشعرنا بصدق وطنيته ، كان هيكل طالب
العلم والكتاب والمحامى في صفاد من الود لا يتسرب إليه حقد لخلاف في رأى ، ولم يقطع

صلة من صلات المودة بنضب وهو يتكشف لدى كل من عرفه حسنه بحبها ويرتبط به من أجلها .

× الشيخ مصطفى عبد الرازق : كنا شبابا نطلب العلم في باريس ، وذهبنا ثلاثة إلى بعض الملاهي تلمو كما يلهمو الشباب ووجدنا هناك عراقا يصف للناس أسرار قلوبهم وينبئهم بما يضر الغيب لهم في المستقبل المحبوب .

قال لأحدنا وهو يومئذ أصغرنا سنا وأحدثنا عهدا بباريس ، إنك ستكون عظيما بين أصحاب القلم ، ولم تكن هذه البشارة كبرى اليشار ، التي شرح العراف بها صدورنا للمستقبل ، ولكنها كانت على ذلك أكثر روعة في نفوسنا ، ذلك لأن الشباب المصري المثقف في ذلك العهد ، ينزع بحماس إلى مذاهب الديمقراطية التي تريد أن تهدم التفاوت بين الناس بالأموال والإنصاف والمناصب ، لتبني مراتب البشر على أساس الثقافة والعلم ، قد تكون يشاره العراف لزميلنا الشاب قد أعانت على توجيهه وجهة الدراسات الأدبية إلى جانب دراساته القانونية والاجتماعية ، وكان زميلنا من القكاء والجد والنشاط بحيث نهض بهذه الدراسات المختلفة نهضة السباق الممتازة ، وليس في إنتاج الدكتور هيكل شيء من نوع الأدب الرخيص ، الذي لا يقتضى جهدا ولا يحمل عناء ، بل تمتاز آثارة الأدبية بالفسر العميق والتحليل الدقيق ، وفي كتاب حياة محمد وفي منزل الوحي توجيه للأدب العربي جديد يصونه عن فقدان شخصية في الآداب الأجنبية ، من غير أن يضع عليه أى معنى من معاني النهوض والتحديد والرق ، ولقد صدق عراف باريس منذ عشرات السنين .

× إبراهيم عبد القادر المازني : إذا كانت القذاكرة لم تخفى نقصة زينب هي أول ما أنتح به الدكتور هيدل حياته الأدبية ، ويعينني من أمر هذه القصة التي لقيت بذلك

بسنوات من الإنصاف ما هي جديرة به ، أنها أولا ابتداء في ميدان جديد ، وثانيا: أن روح الإيمان التي برزت جداً في كتابية حياة محمد وفي منزل الوحي ظهرت في هذه القصة .

وهذا هو الذي أريد أن ألفت إليه النظر ، فإن روح الإيمان ظاهرة في كل ما أخرج الدكتور هيكل من الآثار الأدبية ، بل حتى في مقالاته السياسية وبغير الإلتفات إلى هذه الناحية ، يستحيل أن يمل المرء على وجه صريح بسترخ إليه العقل ، هذا الوتب المفاجيء من الغرب إلى الشرق ، ومن العناية المقصورة على الأدب الأوربي ، إلى العناية المقصودة على ينبوع للتاريخ الإسلامي ومصدره الأول ، وقد كنت في أول الأمر وقيل أن تتصل أسبابي بأسبابه أراي في حيرة من أمره ، لا أرى له عناية تذكر بالأدب العربي والتاريخ العربي ، وكنت فوق ذلك أسمع أنه ملحد ، وكان ذلك مضافاً إلى ذلك يجعلني أتصور أنه سأخ طاب له المقام فاقم ، ولكنه بقي محتفظاً بخصائصة التي جاء بها ولم يتأقلم ، ولحسني كنت أعود إلى كتيبه وأراجع نفسي في مقالاته السياسية التي يكتبها كل يوم في «السياسة» فاستغرب ذلك ؛ أن روحه هي روح المؤمن العميق الإيمان ، لأن روح الملحد الذي يحزى على الحكم على مالا يفهم بجمرة حكم مريحة ، وسأت نفسي يوماً : كيف يكون ملحداً من لا يختار من كتاب رنسا «جان جاك روسو» ليترجم له في العربية .

لماذا لم يختار فولتير مثلاً ، وكيف تتطلع النفس وتوجه دائماً إلى المثل العليا وصور السكال في الدنيا ، وتكون مع ذلك نفس ملحد ، وهيكل نازف فكيف يتأني أن تنزع إلى الثورة والتمرد ، نفس ملحد يكتبني من النظر بالسكف عن النظر ، ومن عذاب البحث بالراحة من البحث ، ومضت الأيام فمرقته وكتب لي الحظ أن أحمل معه وأن أكون أحد أعوانه في السياسة ، فلم أحدثه في هذا ، فقد أعفاني الاتصال به عن السؤال ، فلما شرع يكتب - ونحن في غمرة ثقيلة من المشاغل السياسية - «حياة محمد» وينشرها تباعاً في السياسة الأسبوعية ، كنت واحداً من القليلين الذين لم يستغربوا منه هذا الاتجاه ، ولم يقع منهم موقع المفاجأة ، بل كنت على يقين جازم بأنه - بفضل إحتيلاء روح الإيمان على نفسه - أفند

سمن يكتب حياة محمد كما ينبغي أن تكتب ، وأرجو أن تصدقوني حين أقول أن فرحت
بكتابته لحياة محمد ، وأن فرحي وزهوي ما كانا ليزيدا على ذلك ، لو أني كرهت الكتاب
الموفق لحياة محمد ، ولا أحب أن أكرم أن فرحي لم يخجل من أنافة ، فقد أعقبك لأن
نظرتي لم تخطيء ، حين اعتقدت من قبل أنني أعرفه ، أن في نفس هذا الرجل كزنا
سمن الإيمان . كثير أن يفرد به واحد ، ولو أن بيير يوت مورجان أو روكفلر وزع من
ملايينه التي لا يستطيع أن ينفقها كلها ، على بضع مئات لأيسروا ، ولما أحس هو بخسارة أو فرق ،
هو كذلك هيكل المليونير الروحاني ، فلهته بمطينا مما أعطاه الله فيقينا من هذه الدار الخالدة ،
إذ أن لكان لمثلي أن يطعم أن يكون يوما من الأيام شيئا .

الصحف العربية في مرآة الصحف الأجنبية

نشرت جريدة ما نشستر جارديان البريطانية مقالا عن الصحافة المصرية ١٩٢٩/٢/٢٢
مقات : تمثل الصحف والمجلات العربية دوراً هاماً نشيطاً في الآداب المصرية ، ليس فقط
بمخفى البلدان التي تتكلم العربية بل في بلدان يعرف أهلها العربية ولا يتعلمونها إلا كلغة
علمية ، وتحمي مطابع تجمع فيها الحروف العربية . فحصر اليوم المركز الرئيسي لهذا
النشاط الأدبي .

وقوة الصحافة في مصر عظيمة جدا وأبناء العرب يحترمون العلم كل الاحترام وهناك
الكلمة ما ثورة عن مصر ، هي أن المصري إذا رأى شيئا مطبوعاً اعتقد أنه حقيق ، فالصحافة
المصرية والحالة هذه تبرز نفوذاً قويا في نشر الآراء الجديدة ، وفي وسعها أيضا أن تكون
مصدر شر واذيه ، كما يفعل بعضها في تضليل الرأي العام لمأرب ذاتية ، ولحسن الحظ بزغ
الآن فجر جديد في عالم الصحافة وجمعت بعض الصحف من نفسها قدوة في هذا الشأن ،
وهو قد نشأ هناك سمور ، بالسلامة وسيصبح ما كان بدعي منها شاذاً مثالا عاما يحبذ ،
فهناك صحف عربية تشمر بمسئوليتها نحو قرائها ولا تهتمك الانهماك كله بتكديس
الأموال في خزائن أصحابها . وقد إنقضى الآن زمن عدم مراعاة القدمة والضمير ، وبدأ
القارئ المصري يحرز الموهبة اللازمة لتمييز بين الأخبار الصحيحة التامة المتزهة
التي تقدمها له أفضل الصحف العربية والأخبار المرتبكة والآراء المتخربة التي لا تزال رأسمال
الأنجار لبعض الصحف التي هي أخط سمة وكرامة .

ومن الغريب في مصر أن الجريدة التي لا تراعى كرامة الصحافة تباع « كالكوك السخن » بسبب مقالات يومية تنشرها لبعض مشاهير الكتاب يستعمل فيها كل ما في حافظته من عبارات القذف والسباب والكلام البلدى البذى .

وهناك بعض الصحف الفكورة تراها تبرز فجأة ، وتأخذ دوراً هاماً بين الجمهور ، لأن حزبا من الأحزاب يكون قد فقد جريدته وقتيا بسبب عقوبة تعطيلها يتخذها لسان حاله ، ولم يكن حدوث مثل هذا قليلا في خلال العشرين الأخيرة ، ومثل هذه الصحف لا تشتري وتقرأ إلا بمحتويه من الأخبار الهامة بل للاطلاع على الآراء التي تنشر فيها بطريقة حماسية مريرة . ولا يستعمل من يشترها عن شراء غيرها من الصحف التي يعتمد على صدق روايتها ، وهذا هو سر النجاح المستمر الذي صادفته صحيفتان استنفاهما القاضي مارشال من كتابه الأخير .

جريدة الأهرام أنشئت عام ١٨٧٥ وكانت أول جريدة عربية يومية وحافظت منذ صدورها على مكانها الأول في السبق بنشر الاخبار ، فهي والحالة هذه جريدة جذابة وافية المواد الإخبارية ، ساسة الامة ، جيدة الاسلوب ، وهي مشهورة بنوع خاص بتلفراتها المتخصصة ، ولا تزال الجريدة العربية الوحيدة ، التي لها مراسلون خصوصيون مقيمون في عدد غير قليل من المواسم الاجنبية تتلقى منهم يوميا برقيات خصوصية عن الحوادث في العالم ، والاهرام جريدة مستقلة لا يتحكم فيها أى حزب ضياعى .

أما جريدة المقطم فقد أنشئت عام ١٨٨٩ وحافظت على سمعتها بنشر الاخبار الموثوقة ولا سيما فيما يتعلق بالاخبار المحلية كترقية الموظفين وتقدمهم ، وما إلى ذلك من أخبار مصالح الحكومة ولهذا السبب يطالعها معظم موظفى الحكومة بمد الظهور عند ذهابهم إلى مشارب القهوة والاندية ، وللمقطم مكاتبها الخاص في لندن ، وهي معتدلة في آرائها السياسية ومياله إلى تأييد أية حكومة بتولى الحكم .

أما جريدة السياسة فلها أنشئت من قريب ، وأنها لسان حال حزب الاحرار الدستوريين ، ومن مظاهر التطور الصحافى الحديث النجاح العظيم الذى لقيه بعض للصحف الاسبوعية المصورة ، فانها تصدر في ثوب بديع من الصور المتقنة الطبع التي لا يقل رونقها وجمالها عن رونق أية صحف أخرى في سائر أنحاء العالم .

إطار لصورة العصر وملامح المجتمع

من خلال الصحافة العربية في مصر (فترة ما بين الحربين)

(١٩١٨ - ١٩٣٩)

١ - تحرير المرأة

سجلت ثورة ١٩١٩ إستشهاد عدد من الفتيات المجاهدات . شقيقه عمده ، نعيمه رياض ، عيشة عمر ، حميدة خليل ، كاسبق بمضمن إلى السجن وانخذن من سجنهن أو كآراً للحركة الوطنية كما انخذن من حجابهن وسيلة لإخفاء المنشورات السرية .

وعند ما تقرر إعلان اضراب العام لمدة ثلاثة أيام ، أصدر الحاكم العسكري البريطاني أمراً بفصل كل موظف لا يعود للعمل فى اليوم التالى ، هنالك بكرت كرام للسيدات ورباطن على أبواب اتوزارات والمصالح الحكومية وممهن سلال الخبز والطعام والنقود ، فسكن إذا رأين موظفاً متسللاً بآدون بملاقاته ، وقلن له : هذا هو الخبز إذا كنت جائماً ، وهذا هو المال إذا كنت محتاجاً ، فيعود خجلاً على عقبه ، وعنده ما أعلن مقاطعة البضائع الأنجليزية بادرت السيدات بمحاصرة المحلات الأنجليزية ، دون سواها ، وممهن جيش مرابط من طالبات المنازل .

٢ - ما كادت لهب الثورة تخف ، وتعود البلاد إلى طبيعتها شيئاً ما ، حتى احتفل بذكرى قاسم أمين فى ٢٣/٤/١٩٢٠ وحفلت الصحف فيها بمد ذلك بمبارك ومساجلات ضخمة فيها أطاق عليه « بين السفور بين والحجابين » وفتحت جريدة الأهرام باب المناقشة على مصراعيه ، واشترك فى ذلك ، عبد ربه مفقاح ، و«ع» هاتم فوزى ، وعبد القادر بسيونى وعبد الحمد حمدى (مدير جريدة السفور) وعبد العزيز سليمان ويوسف الدجوى ومن تحدثوا فى يوم قاسم أمين : الدكتور هيكل والشيخ محمد الخضرى .

قال الخضرى : أنه أول من رد على كتاب قاسم (تحرير المرأة) بالثويد ، وهو مدرس فى مدرسة المنصورة ، وكعب رده دون أن يقرأ كتابه لما كان متشعباه من أفكار تخالف أفكار قاسم ، ووصل فى اليوم ذاته إلى المنصورة المرحوم الامام الشيخ محمد عبده فتلا عليه

ذلك الرد منتظراً منه الشفاء والمدح ، فلم يفز من الإمام بكلمة ، وهز رأسه استخفافاً ، ولما اعترف له بأنه هو الكاتب ، وأنه لم يقرأ الكتاب ، نصحه بأنه يعرف الكتاب وما كتب ، والغرض من كتابة قبل الرد عليه ، فانتصح ولما ظهر الكتاب الثاني لقاسم « المرأة الجديدة » قرأه وكتب ثلاث فصول عنه ، وتعرف بقاسم ، وأدرك أن الرجل يريد تعليم المرأة التي تصوغ عقول أبناء الأمة ، وكما تصوغ تلك العقول ، تكون الأمة ، وهذا ذلك من حجاب وسواء ، فهي ذبول وتفاسيل لا يجوز أن تمس الجوهر وهو « تعليم المرأة » لتعلم الأمة ، لأنها الأساس !

٣ - مضت الصحف تولى مسألة تحرير المرأة أهمية كبرى حتى ظهرت بواكير خريجات الجامعة (في الثلاثينات) نعيمة الأيوبي (الملقبة بالعارف) ، ثروت التونسى (التي كتبت على اللاوحة النحاسية) : دكتور لا دكتور ، سهير القطاوى ، أمينة السعيد ، فضيلة عارف ، نفيسة سماحة (طبيبات) نبوية نصر الشافعى (كلية التجارة) فاطمة سالم (آداب) وكانت نعيمة الأيوبي أول من لبست روب المحاماة : « يوم أن نالت نعيمة الأيوبي ليسانس الحقوق من كلية الحقوق بالجامعة المصرية يومها تم ثارت ضجة في القطر كله ، وثارَت المناقشات في أعمدة الصحف حول اندماجها في سلك المحاماة ، وأرادت نعيمة أن تحقق أمالها إلى النهاية فأنخرطت في تلك المهنة القاسية ، وارتدت الروب الأسود وقامت مدافعة أمام المحاكم وبدأت مدة تمرينها عند محمود فهمى حندية المحامى . ثم ودعت الروب الأسود وعادت إلى أحضان الحكومة ووزارة المعارف . ثم اختصت بمقابلة الهيئات الوفادات إلى ديوان الوزارة . وبعد التدريس ، قررت العودة إلى الروب الأسود .

لم يكن نعيمة الأيوبي أول محامية مصرية ، فهناك الآنسة كريمة الأزبى أبو العز ، التي حصلت على ليسانس الحقوق بالفرنسية . ولم تعمل بالمحاماة . ومضت الصحف تنشر أخبار الخريجات . فالدكتور نعيمة الأيوبي الملقبة بوزارة المعارف ، تسافر ١٩٣٦ في بعثة لدراسة

الخدمة الاجتماعية إلى فرنسا ، وتقوم رحلة دراسية إلى ألمانيا والسويد وإنجلترا وفرنسا للوقوف على الخدمة الاجتماعية هناك ، ثم التحقت في بلجيكا بكلية الحقوق وحصلت على أجازتها في مادة : « الأحوال الشخصية في بلجيكا » بالمقارنة مع الأحوال الشخصية في مصر ، وتحدثت « أسما نهي » عن : كيف انتقمنا الجامعة لأول مرة عام سنة ١٩٢٤ .

بعد حصولي على الثانوية وقتت أفكر في طريقة تساعدني على مواصلة تعليمي بمد انتهاء مرحلة الدراسة الثانوية ، ولم أجد أمامي غير باب الجامعة المصرية القديمة ، ولكن لم يكن من السهل طرق هذا الباب ، لأن التعليم المختلط لم يكن معروفا ولا مألوفا في مصر ، على حين أن الفتاة المصرية لطول عهدنا بالحجاب تخشى بالضرورة للوجود بين أفراد الجنس الآخر وتنظر إليهم كما لو كانوا مخلوقات عجيبة نازحة إلى أرضا من كواكب بعيدة !

كما كان الحجاب لا يزال سائدا وأن لم يعد بالنسبة للطبقات المتعلمة أكثر من زي حادي قابل للتغيير والتعديل في آية لحظة ، وعلى الرغم من ضعف سلطان الحجاب وتبدل حاله لم يكن من اليسير التحرر من تأثيره تماما ، فان للمرف والتقاليد آثارها البعيدة في النفس ولها قوة الدفع التي يستمر مفعولها مدة طويلة حتى بعد التحرر من نيرها . بيد أن المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ولا مفر إذن من الأقدام على هذه القامرة وافتحام باب الجامعة ، على أني شعرت بشيء كبير من الاطمئنان عند ما علمت أن سيدتين مصريتين قد سبقاني إلى الميدان الجامعي ، وبذلك مهد الطريق وانتشمت النجوم ، بيد ان هذا التمهيد لم يؤثر إلا قليلا في تحقيق ما شعرت به من الملح عند ما وجدت نفسي لأول مرة وسط قاعة المحاضرات الرحبة بالجامعة ، وتبينت أن مئات العيون تصوب إلى ، ولا أظن أن دخول ميدان الحرب يكون أشد رعبا من الظهور لأول مرة ، في مكان يستأثر فيه الجنس الخشن على أن زميلتي وقد انضجتها تجارب الاشتراك في الثورة المصرية ، كانت من الشجاعة ورباطه الجأش بدرجة ألفت في روعي شيئا من الهدوء والسكينة فانتحينا جانبا من القاعة ، وجلسنا نستمع

لمحاضرة بليغة من التاريخ الرومانى، ولم يصبح ظهورنا فى الجامعة شيئاً مألوفاً، إلا بعد أن سعدنا، لعدد من التجارب القاسية، فقد كانت كل حركة من حركاتنا تحصى علينا بدقة . وشمرتنا أن مكاننا وسط الجنس (المضاد) يحتاج إلى تدعيم وتحصين ، وسرعان ما سئحت لنا الفرصة لاحتلال مواقع جديدة حصينة، فلم نتردد فى التقدم والافتحام، وبعد ثلاثين عاماً من وفاة قاسم تحدث الكثيرات عن نهضة المرأة ، نالت هدى شعراوى : كسبت المرأة المساواة بين الجنسين فى التعليم ، تحديدهن الزواج . حق الأم فى الحضانه . إدخال بعض تمديدات فى نظام الخطبة والزواج والطلاق ، اشتراك المرأة المصرية فى العمل على رفاهية الشعوب، وقالت اسمها فهمى : (نالت B. A. فى التاريخ و M. A. فى التربية) : أعتقد أننا نبالغ فى تقدير ما وصلت إليه المرأة المصرية إذ الواقع أنه قليل وضئيل . ولو أن قاسم أمين كان موجوداً ماسرته حالة المصرية ، ولا يصح أن نحكم على تقدم المرأة بحالة العواصم ولندن ، فالواقع أن الأكتية العظمى التى تبلغ حوالى تسعين فى المائة فى الأرياف لا تزال المرأة جاهلة ومكبلة بالقيود .

وأثيرت محاولات كثيرة لاستغلال نهضة المرأة بتغيير المقومات الأساسية للإسلام : وقد كتبت هدى شعراوى (الأهرام ٢٨ ديسمبر ١٩٢٨) : دعانى الأستاذ سلامه موسى فى كتاب أرسله إلى بناء على إقتراح وجه إليه أن أطلب إلى وزارة الحقانية سن قانون يساوى بين المرأة والرجل فى حق الميراث وباطلاعى على ملخص هذه المحاضرة قدرت للمحاضر حسن عطفه على النهضة النسائية، ولما كان تقييد المرأة فى الميراث ليس من المسائل الداخلية فى برنامجنا فليس لى أن أتدخل فى هذا الموضوع لا باقرار الحالة الحاضرة أو تعديلها .

وأقول بصفتى الشخصية أنى لست من الموافقين على رأى سلامة موسى فيها يتعلق بتعديل نصيب المرأة فى الميراث، ولا أظن مثله أن النهضة النسوية فى بلادنا لتأثرها بالحركة النسوية بأوروبا يجب أن تنبهما فى كل مظهر من مظاهرها ، ذلك لأن لكل بلد تشريعه وتقاليده، وليس كل ما يصلح فى بعضها يصلح فى البعض الآخر على أننا لم نلاحظ تدمراً من المرأة فى الميراث

ومن الرجم بالغيب أن يقال أن المرحوم قاسم أمين لما قام بنشر كتبه في سبيل تحرير المرأة، كان ينوى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل في الميراث، وأن القدي أخره عن إعلان هذا الطالب هو أنه نظار نضوج الرأي العام كما ذكر سلامه موصى، فاطلع على كتب المرحوم قاسم يقرأ بين سطورها أنه كان يبنى فأنط بمجمل المرأة وضوا صالحا في الهيئة الاجتماعية وأن تعد الفتاة لتكون أهلا للقيام بتسييرها من العمل في خدمة نائلها ووطنها .

وتحدث الدكتور هيكل عن المرأة المصرية والفن، وما يتقصها في المهامه . [قال : ما يزال الفن المصري الرقيق خاليا من وحي المرأة أوبكاد ، وتستطيع أن تستعرض ما تشاء ريشة المصورين المصريين، فلا ترى للمرأة فيه إلا أثرا قليلا ولا تكاد ترى فيه للمرأة الملهمة أثرا قط . والقائه اليوم على المرأة وحدها فيه ظلم كثير، ويحملها تبعات لا يصح أن تتدوء بها منفردة ، ولله من الانصاف أن تقول أن المرأة قد أوحى إلى الفن ورجاله حينما استطاعت هذا الوحي . بل أن فن مختار كله صادر من وحي المرأة .

أن نعمة عاملان أساسيان لهما أكثر الأثر في ذلك، «أولهما» : هذه التقديمة بين مسكرى الرجال والنساء برغم ارتفاع الحجاب في أكثر طبقات النساء فقل أن تجد المجتمع المشترك الذي يندمج فيه الرجل والمرأة من مختلف الأحاديث في شتى الأمور «والثاني» : هذا الاتجاه من جانب المرأة لسكب حقوق تمتد أن الرجل غصبها أياها في الماضي فلا بد لها من استردادها لتقف من الرجل موقف المساواة ، وهذا الاتجاه يجمل المرأة تنظر للرجل وكأنه خصمها اللدود وكأنه القوة العابثة المستبدة التي يجب محاربتها .

٢ - مجتمع القاهرة

رسم فكري أباطه صورة مجتمع القاهرة (١٩٣٥) :

ركبت الترام من مخزن شبرا حتى المتبة الخضراء ، ومن المتبة الخضراء حتى الأهرام ، ثم انحرفت إلى مصر القديمة ، ومن مصر القديمة إلى مصر الجديدة ، ثم تفلتت في الدراسة والحسينية والسيتية ، ثم صعدت للقلمة ثم هبطت للمناوري ، وفي الليل تسالت إلى نوادي والصالات والحانات والحفلات ، ثم ارتفعت إلى كلوب محمد علي ، وكراب الفسطاط ، ثم انحدرت إلى قهاوي باب الشمرية ومنها إلى جروبي وصوت .

أول ما يروع السائر في القاهرة ، حركة القاهرة : هذا جعش ، وهذا حمار ، بنله ، حصان . بسكليت ، مونسكيل ، عربية كارو ، عربية حنطور ، ترام ، سيارة ، بابور زلط ، رشاشة ، زحافة ، هذه المخلوقات الحيوانية والحارية ، تفوق في عددها المخلوقات الأدمية ، والشوارع ضيقة والعمارات لا تنجمل ولا تترجح . وفي القاهرة كرنفال في كل لحظة ، طاقية ويجوارها لاسه يجوارها كوفية وعقال ، ويجوارها طربوش ، ويجوارها عمة بطربوش يجوارها برنيطة ، هذه جرمة راءول ، يجوارها شبشب ، يجوارها قبتاب .

هذه بدلة بطربوش ، هذه بدلة بياقة ولسكن بعمة ، هذه جبة وقنطان ولسكن بعمة ، هذه جاكته بجلابية ، وهذه جلابية بياطو ، وهذا بدتلون بلاجا كته . هذه ملاية لف بيرقع أسود ، هذه حبرة بيرقع أبيض ، هذا بالطوا ببيشة ، هذا فستان بدون قناع .

* * *

إذا ما نمت الساعة الخامسة صباحا ، دق معها صوت بائمة الزبدة وبائمة اللبن ، إذا ما نمت في الصيف بعد الغذاء ، خرج عامل جروبي بصوته الشفيح معلنا وصول الجيلاتنه ، ودعت الآسة التي تعلم البيانو بجوارى أدواراً غير رخيمة ، وظل الفونغراف يسمنى

رغم أنقى أصوات المطربين والمطربات، ونادى بانموا الجرائد على المقطم والبورص، وأخذت خادمة الدور الثانى تنفض السجاجيد والأبسطة من شباكها .

إن القاهرة الموصرة تمش على حساب المذب والسكرور . إن القاهرة تبنى وتشيد على انقاص البيوت القديمة فى الريف . من يوم أن باع الأعيان قطعهم سنة ١٩٢٠ ، سنة ١٩٢١ بأربعين جنبها للقطار ، وامتلات جيوبهم بالمال زحفوا إلى القاهرة ، خفافا فاحتلوها إحتلالها وتخلوا عن قلاعهم وحصونهم فى الأرياف .

يمطر المطر فى ميدان الأوبرا وشارع المناخ وحقى قصر الدوبارة ، فإذا ما انتهى وجدنا ميدان الأوبرا وشارع المناخ وحقى قصر الدوبارة أنظف مما كان وأرشق مما كان ويمطر المطر فى الدراسة ، وبوابة المتولى وباب الشعرية فتظل آثاره أياما ، والقاهرة كما هى تزور وتزيف وتمش وتندح ، وتبدو للقاهدين من المحطة والنازلين من شبردو والكونتينتال وسيراميس ومينا هاوس عروسا هيفاء ناصعة البياض متقنة التواليت ، ولكنها هى نفسها فى الواقع شطاء صفراء عميلة فى الدراسة والتربيعة والجمالية والحسين والوايلية .

• • •

إندمم التزاور فى القاهرة داخل البيوت ، وأصبحت المقابلات فى جروبي وصولت وسيلندديار والانجلو وباب اللواء والشيشة . عيشة القهوات عيشة عقيمة ، الأنس العائلى مفقود ، قلما يتناول رب البيت طعام المشاء على المائدة مع زوجته وأولاده وقلما يعضى معهم السهرات .

فى القاهرة طرب وموسيقى ، ولكنه طرب متعب . أظل أنا طول الليل من الساعة التاسعة مساء إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أحرق فى وجه أنسة تندب سوء حظها مع حبيبها وأنا جالس لرواية بين المنية وجيبها لا دخل لى فيها .

فى القاهرة سموم قتاله تعصف بشباب الشبان هى الهروبين والسكروكاين والحشيش .

٣ - المقامى

وهذه سورة لصحن المعجوز عن المقامى فى القاهرة (١٩٢٧) .

أفقت « القهوة الوطنية » أكبر المقهوات والأندية العامة وأشهرها فى ميدان العتبة .
وميدان الخازندار . أنشأها سيد القهوجية الخواجا مانولى يوانيدس صاحب مرصص
الف ليلة وليلة لنعو عشرين سنة حلت فى عمارة حسن بك عبد المشرفة على شارع
الوسطى والبواكى والباب الشرقى، وعنى بتأثيرها وتأنيق فى تنظيم غرفها وقاعاتها ، ومنها
قاعات البلياردو وقاعات الطاولة والدومينو والشطرنج وقاعات القهوة والشيشة ومنها
أبهاء الصيف وأخرى للشقاء .

وكان الإقبال عليها عظيما ، إذ تراكب زبائن أندية العتبة والخازندار مجالسهم فى قهواتها
وتهافتوا على القهوة الوطنية وشاركوهم فيها بمعنى زبائن الاسبلندد بار وغيرها حيث تقدم
أنظر الشيش ، وكان لرواج الأسواق المالية ونشاط الوطنية أثرها فى ازدهار هذه القهوة
الجديدة التى اتسمت قاعاتها لعقد كثير من الجمعيات الوطنية والمذاكرة فى الشؤون العامة خفية
وعلنا . فلما أعلن الاستقلال والدستور اتخذها كثيرون من أعضاء البرلمان الريفين مركزا
لهم ، واحتفظ الشيخ سعد مكرم بالولاء لها حتى أعلن انقائها . وكسب منها الخواجة مانولى
وأرى ، حتى أنه اشترى عمارتها ، ولكنه لم يلبث حتى باع المارة والقهوة بأرخسائه
المشهوره فى تجارة الدخان وقصر أعماله حتى آخر أيامه على إدارة مرصص ألف ليلة وليلة .

الحلاقون

كانت لجماعة الأسطوات المزيدين أو الحلالين فى مصر صولة ودولة ، كان لهم تقيب
وكان منهم معلمون كبار وصبيان مزيدين . وكانت دكاكينهم أندية لأهل الذوق السليم
والفظافة يقصدونها عصر كل يوم للسامرات . وكان الحلاق لا يقتصر على قص شعر
الرأس وحلق اللعى والقنون بل كان يجمع إلى ذلك كثيرا من الحرف والصناعات .

٤ - منع المسكرات

كتب الدكتور أحمد هلووش الرئيس العام لجمعية منع المسكرات في القطر المصري في مجلة (الاطائف) ١٩٣٧ بصور حركة منع المسكرات .

بما أن جمعيتنا جمعية تسهر على خدمة الأمة المصرية ولا نألوا جهداً في سبيل ما يبرز الروح القومية ويصون الأخلاق الفاضلة ، لم نبدأ من أن نرى دولنا بين الدلاء قياما بواجبنا المقدس إننا نرحب بكل حركة ترى إلى خير مصر وتقع أبنائها ، ولما كانت مقاطعة البضائع الأجنبية التي يمكن الاستغناء عنها في مقدمة الأمور النافمة وأساس نهضة الأمة فإننا نضم صوتنا إلى الأصوات الصارخة بضروره مقاطعتها .

غير أننا رأينا خلال الضجة القائمة أموراً من الغرابة بمكان ، وأى أمر أغرب من أن ترى بعض الجرائد تهتف في صفحة من صفحاتها بحياة الصناعة الوطنية ومقاطعة البضائع الأجنبية ، وفي الصفحة الأخرى من نفس العدد تنشر الإعلانات الخلابة المواد هي شر البضائع الأجنبية وأشدّها كيداً وعبثاً ، وأى ضرر يقاس بضرر الخمر . شر الآفات الإجتماعية وأفظع ما منيت به الشعوب في تراخيات المصور .

إذا كانت البضائع الأجنبية تضر من الوجهة الاقتصادية وتحرم أبناء مصر أموالاً طائلة هم بها من جميع الشعوب أولى ، فإن الخمر تضرهم في مالهم ودينهم وشبابهم وأخلاقهم ، أيجمل ناشر وإعلانات الخمر أن ملايين الجنينيات تهدر كل مام في مصر على موائد الخمر المستوردة إليها من أوروبا .

لقد آن لهذه المهزلة أن تنتهي ، لقد صبرنا على هذه الدعوات المضارة مدة طويلة إلى أن بات الصبر ضرباً من التقصير والاستهتار .

إننا نمت للأدب بسبب ونفسي إليه بنسب ، وزهى للأقلام حرمه وتحفظ لأربابها
عهداً ولا تزيد أن نبعث من غضب اليراعة شرر إنتقاد كالنار مستطيراً وصرير لوم يصعد
كالسيف الصقيل صليلاً . واسكن طال أمد الصمت ، ولم يبين من أصحاب هذه الجرائد
بادرة تم عن ميلهم للإقلاع عن هذه الدعوة الخطرة فأصبح استمرار سكوتنا مما نسمع
وزرى ، إساءة لا يقبل لها عذر وليس لها من مساع .

إحترموا يا قوم روح الأديان ولا تسخروا بمواطن الأمة ولا تتجروا بمصالحها
وأخلاقها ، واعلموا أن الأعين ناظرة ليست بمغمضة ، وأن النفوس يفتى وليست بها
هجمة ، وأن المصلحين سيصلون هذه الدعوة الثانية من مضاء عزمهم ونور رشدهم ناراً
حامية ، نحن أمة تريد النور وتوخي الاستقلال ، وصرح الاستقلال لن يقوم على جدران
واهية ، وأركان متداعية يعصف بهاريج السوء وتعبث بها روح الفساد . ولا بد لي
من التنويه بفضل الصحف التي ترفع عن الكسب بنشر اعلانات الخمر ، أما نحن
فلقد عقدنا النية على إثارة حرب شعواء ضد كل ما يضر بمصالح مصر وسنولى وجهنا
شطر هذه الناحية ونسمع المستهترين من آيات الحق ما يقض المضاجع ويقلب كل ما يرى
إلى ضرر الأمة رأساً على عقب .

• - بنك مصر

تم إنشاء بنك مصر سنة ١٩٢٠ وكتبت مجلة الاطائف تحت عنوان «البنك الوطنى المصرى الجديد»
بنك مصر» في ١٩ يوليو ١٩٢٠ نقول :

نعم لقد قامت بك حرب بفضيئه من العمل ، وأوجد بنك مصر فانتهى الدور الأول
ودخلنا في الدور الثانى وهو دور عمل أفراد المصريين ، أغنياهم قبل متوسطيهم ، فالميون
شاخصه اليهم ، ناظرة إلى كيفية إقبالهم على المشروع . ويقول بمزيد الأسف
أن الأسهم المروضة للاكتتاب فى تأسيس البنك لم تنط بمد (إلى حين كتابه
هذه السطور) ولا يزال من واجب الثرين المصريين وهم يحصون بالألوف وأموالهم
مكدسة فى المصارف الأجنبية أن يدركوا مزايا هذا المشروع الوطنى العظيم ويمثلوا أنه
ميزان حرارة الوطنية التى نراها تنقذ فى كل آن .

* * *

فى ٧ مايو ١٩٣٥ احتفل بمرور عشرين عاما على إنشاء بنك مصر فى سنة ١٩٢٠ .
وتحدث كثيرون عن الخطوات التى حققتها .

قال إدوارد كوك محافظ (البنك الأهلى) : يخيل إلينا أحيانا أن هناك رجلا هم أهل إحدى
طبقتين : الحالمون وأصحاب الرأى والانتباء من ناحية ومن الناحية الأخرى : الرجال المملين
وذوو العزيمة ، ومن النادر أن تجد رجلا يجمعون بين مميزات الطبقتين ، وأمامنا هنا مثال
منهم هو «طلعت حرب» أن كل من يعرفون طلعت حرب لا يهرم ما يرونه فيه من حدة الفكاه
والجهد على العمل وقوة الذاكرة بقدر ما يهرم ما يلمسون فيه من قوة البداهة وميزة الاستنتاج
بالسليقة . ، أن تجربة الائمة العربية نجحت فى الشركات نجاحا باهرا كما نجحت تماما فى أعمال
البنك ، وأن تجربة جمل الأسهم فى البنك والشركات أسميه لا يملكها إلا مصريون قد ظهر
أثرها الطيب .

قال محافظ البنك الأهلى : أن ماتم فى خلال هذه السنوات الخمسة عشر لا يقاس

بالإحصائيات والأرقام وحدها، فقد تم شيء كبير ، بل هناك ما هو أهم من هذا ، وأعنى به التأثير النفساني في عقول الشباب المصري ممن يتوقنون إلى خدمة وطنهم ، فقد تولدت في نفوسهم آمال جديدة وبثت فيهم روح احترام النفس ، لقد شق طلعت حرب طريقاً جديداً وقد أتمنى له في هذا الباب القيام لبلادته بخدمات أجل كثيراً مما قام به كثيرون .

وقال أحمد عبد الوهاب : في اعتقادي أن أساس نجاحه وسر توفيقه ، أنه عمل قوى بحسب ، تجلت فيه القومية بأكل معانيها بحيث لا تفريق بين حزب وحزب ولا تمييز بين طائفة وطائفة ، هو فكرة مصرية يستوى عندها المصريون جميعاً مهما اختلفت مذاهبهم الدينية وتنافرت نزواتهم السياحية فهو بقوميته الكاملة هذه قد سما فوق الانقسامات والاختلافات ونجا من آفات الحزب والمحسومات .

قال طلعت حرب : كان تأسيس بنك مصر ١٩٢٠ مفاجأة أدهشت الجميع واقتبل بعضهم على بعض من فرط ما دهشوا بتساءلون عن مستقبل هذا المشروع وعن كفاية الدين يتولون أموره ويهيمنون على شئونه ، وعماً إذا كان من السطوح إستعمال لنة البلاد في أعماله ، وعن مدى تأثيره من الناحية الاقتصادية المصرية .

لقد هال بنك مصر بلاشك يوم بدأ حملته الأليجد آرا لعمل مصري صميم إلا النادر يدرأ عن الأمة سخرية الساخرين . أما في ٧ مايو سنة ١٩٢٥ فقد تغيرت الظروف وأصبح لمصر بنك قوى بلغ رأس ماله مليوناً من الجنيهات بعد أن كان في البداية ٨٠ ألف جنيه ، وبلغت الودائع أكثر من عشرة ملايين ، وزى إلى جانبه عدد كبير من الشركات تخدم مصر في الأرض والبحر والسماء .

وقال : طلعت حرب : بنك مصر وشركات مصر ليست إلا معاهد للتربية الاستقلالية يكمل فيها الشباب المتعلم علومه بالعمل والمران عليه ، لسنا نذبح سرأ إذا قلنا أن سبب نجاح بنك مصر ، هو أولاً الابتعاد عن زحام السياحة والحزبية فهو قد فتح أبوابه لخدمة جميع المصريين عامة وخاصة على السواء ، كما يرجع سر نجاح البنك إلى الأسرة (أسرة بنك مصر) التي تسود فيها المودة والولاء ويستنق فيها البر بالرحمة ، وابتعاد البنك عن السياحة ليس نأجماً

عن عدم أكثرنا بمصالح البلد العليا ، فان المصري القدي لا يكثر بمصالح وطنه لم يولد بدمه ،
ولكنه إبتاع للحكمة المأثورة « اسكر عمال رجال ، فالسياسة رجال » وللمال رجال ، من يخلط
بين عمل وعمل يختلط عليه الأمر والتوى عليه القصد وأفلت منه سر النجاح ، أنظروا إلى ما عمله
البنك في بحر الخمسة عشر عاما : أنه فتح ميادين عمل مختلفة للشباب المصري كانت موصدة
في وجهه . ساعد المقاومين المصريين حتى ولجوا باب المنافسة وبرزوا فيها أقرانهم كما أسدى في أيام
الأزمة من المساعدات والخدمات الوطنية لمواطنيه ما لا يمكن أن ينسوه ، سلو عملاء البنك
عما لا قوة من بنك مصر ويلاقونه من مساعدات زراعاتهم وصناعاتهم وتجاراتهم ، سلو عن
الروح التي عاملهم وبعاملهم بها بنك مصر ، أنها روح عطف ورحمة قبل أن يكون حزما
وشدة ، سلواكم من صانع لولا بنك مصر لما كان له وجود ، وكم من تاجر مدين ببقائه إلى
بنك مصر . وكم من دور غنية عامرة وعائلات كبيرة لولا بنك مصر لأصبحت في أوقات
الشدة طما للخراب والافلاس .

لكم أن تسمو بنك مصر أعجوبة مصر ، فاحكموا علينا أولنا ، وما نحن إلا بشر ،
تخطئ ونصيب . فان أخطانا فلنا من حسن نيتنا شفيح ، وأن أصبنا فذلك فضل
الله يؤتاه من يشاء ، وحسبنا راحة الضمير ، حسبنا هذه الثقة أعظم جزاء تقدمه الأمة لخدماتها
المخلصين . أننى على استعداد دائما للتخلي عن العضوية والإدارة لسكل مصري كفاء يتقدم
لحمل الأمانة مع حسن الفية في كل عمل يأتيه . لنقواسي جميعا بالصبر والحق ، وبالحرص دائما
على هذا الهيكل القوي المقدس ولنجملة للناس آية على أننا أمة النيل ، أمة نستحق الوجود ،
نيل وتستحق الخلود ولتحجي مصر .

وقال عبد الله فكبرى أباطه : أننى لأذكر أننى رأيت طلعت حرب في مستهل حياة
البنك يمسك بعض دفاتر البنك بنفسه ويقيد فيها بيده . وبشترك مع صفار الموظفين في عمل
قسوية حسابية أو قيد طلبية . وكان يصرف مرتبات موظفيه القلائل من إدراج مكتبه
حتى لا يعرف الواحد ما يتقاضاه سواء من أجر منعا للغيرة وفساد الروح بين الموظفين .

٦ - الأزهر

أولت الصحافة إهتماما كبيرا بتطور الأزهر، ومن ذلك ما كتبه الدكتور زكي مبارك (١٩٣١) قال: أن الأزهرين يشعرون بالخطر الدائم الذي يواجههم من كل جانب. فقد أصبح بديهيا أن الأزهر يجب أن يسير الحياة أو أن يزول. ومسيرة الأزهر للحياة ليست مسالة هينة. توضع أصولها في يوم أو يومين. وإنما هي عقيدة صعبة الحل، لأنها تضم إلى جنباتها عناصر الثورة على القديم، والشوق إلى الجديد. أهم ما يلاحظ على رجال الأزهر أنهم يهتمون أشد الإهتمام بفظنطة الألفاظ وجلجلة الحروف. ومن شواهد ذلك أنهم حين فسكروا في إصلاح الأزهر منذ سنين كان أول ما بدأوا به أن سموه (الجامعة الأزهرية) ولقد أولع صديقنا الشيخ أبوالميون بتلك الكلمة، ولكنها رآها على طرفتها ليست كافية فسمى الأزهر في بعض مقالاته «الجامعة الأزهرية الكبرى» ومن أغرب ما شهدناه من غرام رجال الأزهر بالألفاظ أنهم كانوا يستغلون لفظ «العالمية» فكان المتخصصون منهم ولا يزالون يكتبون على بطاقتهم كلمة (دكتوراه) وقال في موضع آخر: أن اختلاف بين الأفندي والشيخ هو خلاف في العقلية. يلتفت الأفندية إلى الماضي فيرون عطاء مصر كانوا من المشايخ، أو الأفندية الذين اصطنعوا مذاهب المشايخ، يرون أسماء سعد زغلول ومحمد عبده وعبد العزيز جاويز وإبراهيم الهلباوي وهؤلاء كانوا مشايخ، سيرون أسماء مصطفى كامل ومحمد فريد وإسماعيل رأفت وهؤلاء وأمثالهم كانوا أفندية يصطنعون مذهب المشايخ، ما رأيكم في الشيخ مكرم عبيد، أن هذا الرجل يحفظ القرآن ويروي الأشعار ويصرح بأنه مسلم وطنا أزهرى ثقافة. والمشايخ في كلية الآداب: طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وإبراهيم مصطفى وأمين الخولي وأحمد الشاذلي وعبد الوهاب عزام، وفي الصحافة على يوسف وعبد العزيز شاوبش ومحمد

عبده وسعد زغلول وأن أول مظاهرة قامت ١٩١٤ أقامها الأزهريون ، وأول دكتور في الآداب كان أزهرياً ، وأول بمئة علمية كانت أزهرية .

X وكتب أحد الصحفيين الأمريكيين سنة ١٩٤٤ مقالا عن الأزهر قال : أن الشيخ الباجوري كان يبلغ اعترازه بكرامة الدين والعلم أن والى مصر في ذلك الحين عباس الأول كان معتاداً أن يرد الأزهر أثناء الدرس فكان يذهب إلى حلقة الشيخ ، فما كان الشيخ يفعل أكثر من أن يرد عليه السلام وهو جالس في مكانه لا يتحرك ، بينما يأخذ الوالى مكانه على مقعد من الخريد يسمع إلى الدرس ماشاء ثم ينصرف في هدوء ، والشيخ رابض حيث هو لا يخف لاستقبال الوالى ولا توديعه ، والشيخ الشربيني ولى مشيخة الأزهر ١٣٢٣ هـ فرأى الخديو توفيق أن يكرمه فدعاه لتناول الأفاطار على مائدته في أحد أيام رمضان ، فاعتذر الشيخ اعتذاراً تقرب إلى أن يكون رفضاً ، فما زال به رجال القصر حتى قبل ولكن اشترط شرطاً عجيباً ، هو أن يأخذ منه طعامه وشرا به ، ودنت ساعة الأفاطار وامتلات ردهات القصر بالدعويين وإذا بالشيخ يقبل على ظهر بقلته ، وفي إحدى يديه قلة ماء غطيت بقطعة من الليف الأحمر وفي الأخرى منديل محلاوى ، ظهر فما بعد أنه كان يحوى طعام الأفاطار ، وتناولت الأعناق وأسقط في أيدي رجال القصر ولكن أحد لم يستطع أن يناقش الشيخ ، بل أفسحوا له صدر المكان ، حتى إذا انطلق المدفع ففتح الشيخ منديلته ، فإذا هو يحوى رقيقاً وقطعة من الجبن التريش وقليلاً من التمر ، تناول الشيخ واحدة منها في سكون ، ثم خاع عبادته وفرشها وأقام الصلاة حتى إذا ما اتعها عاد إلى طعامه فأكله دون أن ينظر إلى شيء مما كانت المائدة تذخره من فاخر للطعام والشراب ، وهذا هو الشيخ الذى زاره كرومر في داره ومعه عقيلته فإذاها يجدانها خالية من الآثاث ، لأن الشيخ كان ينام على حصير ولا يمس من مرتبه ولا من الأموال الطائلة

التي كانت تؤول إليه غير ما يكفي لطامه وشرابه، ثم يوزعها جيمًا، ومن شيوخ الأزهر القديين كانوا على كثير من الفتوى والزهد الشيخ حسونة النواوي، حدث في عهد توليه أن توفي الشيخ عبده الذي لم يكن موضع رضا الحديو، وإذا بأحد رجال المية يزور الشيخ حسونة ليفهمه ويفهم بقية العلماء أن الإمام لم يكن مخلصًا للخديو، وأنه لذلك يحسن عدم الاشتراك في جنازته، فظل الشيخ يصفى إليه دون أن يتكلم حتى إذا فرغ من كلامه التفت إلى من كان معه من العلماء قائلاً: « بالله بنا يا مشايخ أحسن معاد الجنازة قرب » ورأى الرسول أن كلامه لم يؤثر التأثير المطلوب فلم يجد بدا من مصارحه الشيخ بأنه يحمل إليه أمر أفندينا بعدم الاشتراك في الجنازة فنظر إليه الشيخ وهو يقول: ان الله وحده هو أفندينا، فذهب وقل لا أفنديك أن حسونة النواوي سيضيع جنازة الإمام . ا . ه .

* * *

ومن أخبار الأزهر إشتراك كبير من نوابغ المسيحين في دراسة اللغة العربية والفقهاء في الأزهر متخفين، ومن ذلك ما وقع لوهبي بك مدير مدارس الأقباط، فقد قضى تسع سنوات في الأزهر مجاوراً، قال له الشيخ الانبأبي: لولم تكن ياوهبي نصرانيا لمددناك من شيوخ الأزهر. ثم أصبح يتردد على دار العلوم والأزهر، قبل أن ينشأ الرواق المباسي وكان من شيوخه الذين حضر عليهم: عمدا الشريف، عبد الهادي البياري وكان الطلبة يجهلون أمره، فهو يتردد على الأزهر متأبطاً المحفوظة بشرح طابدين في فقه أبي حنيفة وصحيح البخاري وتفسير الخازن وشرح ابن عقيل على الألفية والأشعوني على الألفية، وقد اتصل بكبار رجال الأزهر وخاصة جمال الدين، الذي أعجب بذكائه وأخذ نفسه مدرسا للغة الفرنسية، وقد صلى صلاة الجمعة مرة واحدة في حياته، ليحضر خطبة منبرية للشيخ ابراهيم السقا، كما ألف عدة خطب منبرية في موضوعات مختلفة نشرتها الوقائع ومن ذلك قوله: « الحمد لله جلا من آياته البينات عجباً وجل لأولى البصائر من أسرار الكائنات حجباً، فوصب على مختار بديعها خطيب المعاني وصبا، واستطاب بحلى حسفات صنمها وصبا .

٧ - مهرات رمضان

وتحدثت الصحف عن مهرات رمضان : وهذه صورة منها :

مجالس ومهرات رمضان في بيت طلعت حرب . إنه حريص على أن يدعو جلساءه إلى مائدة السحور متى جاء وقتها ، الحديث في العلم والأدب والمال والفكاهة والظرف . مضيعة القاياتي ، حسن القاياتي ، لما كان بيت القاياتي بيتا صوفيا قبل كل شيء ، فرنين تقبيل الأيدي لا يقطع ، وجفان الثريد واللحم المسلوق تملأ المكان وتطعم كل البطون ، ولعلماء الأزهر وطلابه ورجال الشمر والأدب نصيبهم الكبير في هذا المجلس الحاشد ، تجرى المناقشات في مسائل ههية وصوفية وأدبية ، وتروى القصائد والأزجال ويقرأ القرآن وترتل ترانيم دينية بأصوات جميلة منبثة من بطن الريف ، الراوية حمام ، ومعمم الأديب حسن القاياتي وقد احتلوا ركننا هادئا في مقهى الفيشاوي ، جماعه الصحفيين فريق يترجمه الأستاذ المهماوي يلتف حول الشيخ مزوز ، فكاهة الحى ، وهو رجل بادن الجسم صغير الرأس ، في سرعة اليدين وحلاوة النكتة وأهل الفن زكى طلبات وعزيز عبيد .

٨ - المولد النبوى

كتب الدكتور زكى مبارك (١٩٣١) يتحدث عن تقاليد المولد النبوى قال :

قبل المولد بأيام قابت بهض مشايخ الطرق ومنهم ناس ظرافاء ، سألت ماذا اعترتم هذا العالم في مهرجان المولد ، فأجاب : تريد الزفة ، قلت نعم ، فقال : لقد رأينا لشدة الحر أن نلقى الزفة في هذه المرة ، وإبتدأ المولد مبكرا وقد بكرت أنا أيضا لمشاهدته وقد لاحظت أن الجانب الدينوى سبق الجانب الدينى بأيام ، الأول لأصحاب الملامى والثانى للصوفية . أما الصوفية

فلم يبتعدوا موسمهم إلا متأخرين ، في حين أن أصحاب الملاهي أمرعوا فذهبوا خيامهم وأعدوا ملاعبهم في خفة ونشاط . أصحاب الملاهي يستفيدون ماديا من ملاعبهم . أما مشايخ الطرق فإنهم يتهيبون نفقات الاستقبال من قهوة وقرقة ، وفول نبات وحمص مجوهر ولحم مقعد أو مسلوق ، لقد غشيت خيام الملاهي لأعرف بمض ما هناك . الشيخ شمس الدين شيخ السادة المرازقة ، زرته في خيمته مرتين واتفق أن أحد المريدين وقع منشيا عليه فسألت في خشوع عن ذلك فأجاب : داخ فوقع .

وقضيت لحظات في خيمة الشيخ التقنازاني ، وكنت أعلم أنه إستقدم الموسيقار عبد الوهاب للانساد على حلقة الذكر : فأخبرني أنه لاقى في ذلك مشقة شديدة حيث قضى اثني عشر يوما يعلم محمد عبد الوهاب كيفية القيام والتمود ، حتى استطاع أن يؤدي المهمة . . . وفي خيمة الشيخ التقنازاني أديب مطلع هو الشيخ حسن الغزالي أحد أدباء نجم حمادى بالصعيد ، وللصاميدة فرام بالشمر البليغ والفصيح من الكلام ، وقد مررت بخيمة الشيخ الجربى وهو يعظ عند الشيخ حامد سلامة وهو زعيم من زعماء الشاذليه ، وكنت قرأت له فقرات في غاية الجودة ، وقد رأيت خيمته أكبر الخيام في ساحة المولد ، ورأيت أتباعه أكثر عدداً من جميع المريدين .

٩ - الطرق الصوفية

وحفلت الصحف بأخبار الطرق الصوفية ورجالها :

والصوفية مجلس أعلى : شيخ المشايخ السيد عبد الحميد البكرى وهو نفسه شيخ السجّادتين البكرية والوفائية ، وقد تلقى ذلك عن عمه الأديب المشهور محمد توفيق البكرى هن أخيه عبد الباقي البكرى . والطرق الصوفية في مصر : تضم : الطريقة السعدية : الطريقة الغزالية : المرازقة الأحمدية ، الطريقة الشاذلية ، الرفاعية ، البراهمة ، القادرية ، البكرية ، السباعية ، الخلوتية .

الطريقة الدمرداشية : تولى المغفور له عبد الرحيم الدمرداش الطريقة من عام ١٢٩٤هـ إلى ١٣٤٨هـ . فأحيا أربعة وخمسين مولداً ، يقدر عدد رجالها الآن بخمسة آلاف شخص ، لم يجعل له خلفاء في الأقاليم ، من يريد الدخول فيها لا بد أن يأتي القاهرة ويتقدم إلى شيخ الطريقة ويلقنه نقيب النقباء بحضوره ، وعبد الرحيم الدمرداش هو ابن مصطفى بن صالح أنا أحد المهاليك الشراكية الوالدين لمحمد علي . تزوج والده من إحدى كريمي الشيخ محمد محمد الدمرداش ، وتوفي في ٥ فبراير ١٩٣٠ - ١٠ شعبان ١٣٤٨ .

رسالة الولاية

من عبد الرحيم مصطفى شيخ الطريقة الدمرداشية الخلوئية إلى صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري شيخ المشايخ الصوفية بالديار المصرية ورئيس المجلس الصوفي العالي .

حضرة صاحب السماحة :

السلام على مقام سماحتكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد تمينت شيخا لطريقة السادة الدمرداشية عام ١٢٩٥هـ في عهد جدكم المغفور له السيد علي البكري ومعلوم لسماحتكم أن مشيخة هذه الطريقة في بيتنا من بدئها ، ومنذ ما عرفت شيخا لها بدلا من المرحوم والدي بعد وفاته ، وأنا قائم بخدمتها خبر قيام ومشييد لأركانها وموطد لداعمها وساهر على مصداقتها ليل نهار ، ولم أفرط يوما من الأيام في أقل واجب من واجباتها ، والآن قد أصبحت بفضل الله تامة النظام من الطرق الرفيعة التي يشار إليها بأطراف البنان ، وإني قد بلغت سن الشيخوخة مع أني حافظ لقواي العقلية والأوصاف الشرعية ، ولا بد من يوم يلاقى كل إنسان فيه ربه ، وإني أحب أن أكون في كل حين مطمئنا على طريقتي حاملا على ما يحفظ كيانها في الحال والاستقبال ، وأريد أن أعهد في مشيختها لمن يقع في قلبي أن فيه الخير والصلاح لهذه الطريقة ، ولما لم يكن عندي ذكور من الأولاد وقع إختياري على سبطي عبد الرحيم مصطفى الدمرداش ، وذلك لما عهدته فيه من حبه للطريقة وميله إليها كل الليل وحضوره معي في حفلاتها ، ولما أراه من كونه ميسور الحال

فيكون ذلك سببا لتوطيد أركان الطريقة ، ولقد لقتته المهدي بمحضور رجال الطريقة وكلمهم راضون عن ذلك ، وإني لازالت قائما بأعمال الطريقة باعتباري شيخا لها ما مت حيا ، فإذا قضى الله بما هو كائن وهي سنة الله في خلقه، فيكون من عهدت إليه في هذا الأمر شيخا لها بدلامي ، بدون منازع ولا معارض له في ذلك ، وإذا لم يكن قد بلغ سن الرشد حينذاك فيكون الوكيل عنه في إدارة شؤونها هو تقيب نقباء للطريقة وقتذاك .

فبناء عليه :

التمس من سماحتكم صدور قراركم الكريم بذلك حفظا لسكيان الطريقة واستبقاء لبيتنا الذي قام بخدومتها الأزمان الطويلة ولما قدمته لهذه الطريقة من الخدمات الجليلة مدة حياتي والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والسلام .

« إمضاء »

عبد الرحيم مصطفى الدمرداش

على أثر ورود هذا الكتاب لمقام المشيخة إنتدب سماحة السيد البكري شيخين من شيوخ الطارق الصوفية وأعضاء المجلس الصوفي لقيادة الشيخ الدمرداش والوقوف على حالته الصحية ومناقشته في محتويات كتابه . وعاد الشيخان المرحوم الشيخ الدمرداش وقدما تقديرهما لسماحة شيخ المشايخ بأنه في حالة عاديه، واضح الحديث مستقيم التفكير حاضر البديهية ، وقد أكد لها أن رغبته في إسناد مشيخة الطريقة من بعه إلى حفيده عبد الرحيم مصطفى مختار الدمرداش هي رغبة جديده .

وتوفي عبد الرحيم مصطفى الدمرداش بعد ذلك بشهر تقريبا ، ونعتته المشيخة العامة إلى جميع مشايخ الطرق الصوفية الذين شهدوا تشييع جفازته بأتباعهم وأعلامهم باعتباره واحداً منهم كما هي عادتهم، وقد تاتي سماحة شيخ المشايخ طلبات عن محمود رشيد القاضي ، الدكتور محمد بدر الدين ، كامل محمود عثمان الدمرداش برغبة كل منهم في أن يعين شيخا لطريقة السادة الدمرداشية، باعتبارهم من أفراد الأسرة ومن بيت المشيخة ، الأولان من بنات اخوات المرحوم الشيخ الدمرداش الإناث والأخير ابن أخيه لأمه ، ورفض المجلس الصوفي

طلبهم عند عرضه ، إذ ثبت لديه أنهم جميعا لم يسلكوا طريقة السادة الدمرداشية ولم يلتفتوا عهدها ولا يحنظون أولادها وأحزابها ولم يمارسوا خلوتها ولا اذكارها ، وهي الشروط واجبة الراحة فيمن يعين شيخا لأى طريقة صوفية .

وأنحصر الطلب في ترشيح حفيد شيخها المتوفى لأنه معزز بطلب شيخ الطريقة في حياته . وتأيد هذا الترشيح من تقباء الطريقة الإثني عشر ، وهم في العرف أصحاب التحدث النيابي عن سائر رجالها ، ووصلت عرائض بتأييد هذا الترشيح مقدمة إلى ساحة شيخ المشايخ من أعيان رجل الطريقة الدمرداشية وبهم عدد من العلماء والأعيان والتجار والموظفين ، وهدد يربو على الاربعين من علماء الأزهر ومدرسيه وكلمهم من أتباع الطريقة الدمرداشية ، الشيخ محمد الحجابي أحد أعضاء هيئة (هكذا كانوا يكتبونها) كبار العلماء بالأزهر .

ثم إنعقد المجلس الصوفي المالى للنظر في تعيين شيخ لطريقة السادة الدمرداشية ، وأصدر قرارة بتعيين الشيخ عبد الرحيم الدمرداش التاجر شيخا للطريقة وصمى خصوم الشيخ الجديد جهدهم لإثارة المحكوك حول هذا التعيين ، واعترضوا لدى وزاة الداخلية . وأحالت الداخلية إعتراضهم إلى فضيلة منفي الديار المصرية ، فأفتى بما أفتى به ، طبق نصوص مذهبه . وردت المشيخة على فتوى فضيلته . وعاد فضيلته ففقدرد للشيخة ، وأصرت المشيخة على قرارها معانته أنه ليس هذا هو الأول من نوعه بين مشايخ الصوفية وأن هذه الوراثة تقليد من تقاليدهم ، لو عدل عنها لهدمت بيوت وتفرق أتباعهم .

١٠ - أصحاب اللحى

تحدثت الصحف في مجال الدعابة عن ثلاثة من أصحاب اللحى : الدكتور عجوب ثابت والدكتور أحمد غلوش وحسن شافعى الجيزاوى . قال الدكتور عجوب ثابت : أطلقت لحيتى منذ ٣٥ عاما زهدا . ففي عام ١٩٠٣ بدأت أطلق لحيتى سنة ، وكنت قد أحسست قبلها بانصراف عن الدنيا وميل إلى الزهد ، وكان للحية في تركيا مقام كبير فهى علامة الوفاق الاحتشام كما أنها توحى إلى نفس صاحبها بكثير من معانى الرجولة والمظمة .

وقال الدكتور فلوش : إنما أطلقتها تصوفاً فقد أخذت العهد على شيخى المرحوم عبد الله البنا شيخ الطريقة الخلوئية بالإسكندرية وكان الناس يعتبرون به ويمرفون فضله ، وأنا الآن مسلك على الطريقة الشاذلية والطريقة الخلوئية . وقد وضعت رسالة عن التصوف فى الإسلام باللغة الإنجليزية قدمتها لجامعة بروكسل ، كما قررت جامعة بوسطن منحى لقب دكتوراه شرف فى الآداب . ولكنى مع ذلك لا أفخر بهذا اللقب قدر ما أفخر بأنى «مسلك طريقه» ، لقد كتبت فى شبابى عياقة كحل شباب هذه الأيام ، ولكنى بمد أن درست كتب الإمام الغزالى منذ أكثر من عشرين عاماً سنة ١٩١٥ . أنجحت نيتى إلى التصوف تقرباً إلى الله وزلقى .

وقال حسن شافى الجيزاوى : اللحية فضلاً عن كونها مظهرأ دينياً فإنها تدعو أصحابها إلى التزام الوفاق والاحتشام والمحافظة على الآداب .

١١ - لباس الرأس

كانت لحركة تغيير لباس الرأس معارك وتطورات وهذه صورة منها :
(توفيق الحكيم) دعوت إلى خلع الطربوش ولبس القبعة ليس فقط لأسباب صحية واجتماعية ولكن لسبب آخر هو مركزنا الدولى كافة بين الأمم ذات الحضارة . لا يدهش شىء مثل أولئك الذين يستفكرون ليس القبعة ، لأن ذلك تقليداً للأوربيين ، أن فكرة التقليد نفسها أصبحت الآن لا محل لها ولا معنى ومع ذلك فهل نحن لم نقلد العالم المتمدن فى كل شىء .
(الدكتور سليمان عزهى) : إن مسألة لباس الرأس مسألة عادة وقليل منها ما يخص الطب ومن يزعم أن الطربوش يحدث عند لابسه إستعداداً لضربة الشمس رددت عليه بأن الإصابة بضربة الشمس إنما ترجع للاستعداد الشخصى .

ولا يمكن القول بأن القبعة بشكها الحالى تمنع لطفة الشمس لأننا إذا أردنا غطاءاً

للرأس يستوفى الشروط وجب أن يوافر تغطية الصدفين والقفا . ومن أراد حقيقة لباسا للرأس يبقى لطشة الشمس فعليه بالممامة المستعملة في جنوب الصعيد . (ذات الرقارف) إن العالم تجتاز الآن موجة ترمى إلى هدم تغطية الرأس بالمرّة .

١٢ - التمثيل

كتب عبد الرحمن رشدي فصلا عن : ذكرياته في التمثيل قال : ذاع في الإسكندرية خبر مؤذن جامع (تربانة) وتناقضته الألسن فوصل خبره إلى اسكندر فرج الذي كان له مسرح باسمه في شارع عبد الميز فاستقدم الشيخ - لامة (حجازي) ومنحه مرتباً لأبس به ، وأخذ في تدريبه على الأدوار الرئيسية . صارفا كل هم في استئلال هذا الصوت العذب المدهش .

وقد استقبلته الجماهير بتشجيع لم يتلقه فتى قبله ، فقد عرف كيف يعلّم مركزه ويصادق على حسن ظن الجمهور فيتقدم بقدم ثابتة . . وكان أحمد الفار القديم وناجى وسيد قشطة أول من جاء بالتمثيل الكوميدي ، ومن البلاهة أن يقول أحد أن أولئك كانوا أرقى من السينما والتمثيل الهزلي ، ولستكنهم كانوا على الطبيعة وكانت أعمالهم أدخل إلى النفوس نخلوها من عنف التأليف والتكاف الذي زاه في التيارات . وكانت طائفة الأدبانية يرتجلون الأزجال الآخذة بمجامع القلوب .

١٣ - الفكاهة

مازال اسم الشيخ حسن الآلاتي معروفا لدى الذي شاهدوا رجال الجيل الماضي ، وما كان لهم من أدب وفكاهة ونوادير ، وقد أشتهر من ظرفاء الجيل الماضي بمضحكانية التي أسهاها « المضحكانة الكبرى » للضحك والتنسكيت . ، كان حسن الفكاهة لطيف النادرة جذابا في أحاديثه . يجيد الزجل بأنواعه . رأى أعضاء هذا الحرب

أن البيوت لا تنسج لعدد دم الكبير، فاختراروا مقهى في شارع الخليفة بحى السيدة زينب بالقاهرة، أطلقوا عليه اسم (الضحكانة الكبرى) واختاروا له رئيسا هو الشيخ حسن الآلاتي وأطلقوا عليه اسم (الشيخ العتيد). أطلق الرئيس على وزرائه أسماء: ناظر مقاطف، باش مفتري، يسرع الغراب، بلطجى وخاب إلخ وابتدع أمام العبد طريقة القفش في الصحف الهزلية فكان أول من برع من الصحفيين الهزليين. كان من زبائن ملاهى الأزبكية يجتمع بحافظ إبراهيم والبايلى فى قهوة بشارع خيرت، ومهم عبد العزيز البشرى، وحسين انترزى، أمام العبد هو صاحب فكرة نادى البؤساء الذى بنه قد نحت شجرة على رصيف ميدان لاطوغلى برئاسة وعضوية حافظ إبراهيم و خليل نظير وأحمد فؤاد صاحب الصاعقة.

X ومحمد البايلى وحفى ناصف وأبو النصر المنفلوطى ومحمد عثمان جلال وعلى الايى، وعمود ثابت وعمود لاشين وإبراهيم ناجى.

١٤ - الأغاني الشعبية

حفلت الصحف طوال هذه الفترة بأبحاث ودراسات وكتابات مختلفة عن الأغاني الشعبية والأناشيد القومية، وقد إتصل ذلك بعورة ١٩١٩ وما ظهر خلالها من أناشيد، وقد أشارت هذه الكتابات إلى أن الأغاني قبل الحركة الوطنية كانت مبتذلة تحذش الأذان فلما جاءت الحركة هذبها، وكان سيد درويش أكثر اتاجا، وقد ظهر التجديد فى الأغاني فى روايتى « هدى وشهر زاد » ورواية هدى هى التى انفتحت بها فرقة عاكشة مسرح الأزبكية ١٩٢٢ (عمر طارف) وكانت مقدماتها على هذا النحو:

« بلادنا نعيمنا ، هفاؤنا ، أنا فداؤها ، نحب بلادنا ، تميمش » ومن بينها أغاني رواية العشرة الطيبة، وأعلن عن مسابقة لنظم النشيد الوطنى المصرى فتقدم للمسابقة ٥٩ شاعرا فاخترت لجنة النشيد أنشودة شوق وكتبت جريدة الأهرام إفتتاحيتها

في ٢٧/١١/١٩٢٠ عن النشيد القومي فقالت : أشهر أناشيد اليونان من أناشيد أورفه وهوميروس وكاليك وأشهر أناشيد الرومان أناشيد هوارس . أما العرب فإن لكل قبيلة منهم أناشيدها ، وتقدمهم في ذلك السريان فوصلوا إلى مفتحي البلاغة في أناشيدهم حتى قيل أنهم حفروها على جدار الصين لما اتسع ملكهم اتساعا عظيما ، حتى أنهم وجدوا من آثارهم على سواحل الاوقيانوس الأطلنطي ، وكانت الشعوب جميعا تنشد أناشيدها في الحروب فتثيرهم الرجال بتلك الأناشيد . وقال مؤرخو اليونان الحديثة والبلغار أن الذي حفظ اليونان من الضياع ، أناشيد أجدادهم ورجال دينهم وكلا العاملين كان باعثا للحياة ولم يكن الأناشيد من الأمور الدينية أقل منها أهمية في الأمور الدنيوية .

ويستهل شوقي نشيدة على هذا النحو :

بني مصر مكانكوا تهيأ فيها مهدوا للملك هيا

وقد غناه الشباب ، ثم انصرفوا عنه وفي ١٩٢٢ نظم مصطفى صادق الرافعي

نشيده المعروف :

احلى يا مصر إننى الفدا ذى يدي إن مدت الدنيا يدا

وانصرته جريدة الأخبار ، ثم نظم عباس العقاد نشيدا وطنيا عام ١٩٣٤ وجرت

ممركة أدبية بين مصطفى الرافعي والعقاد في المناضلة بين النشيدين ، ثم عقدت سنة ١٩٣٦

مباراة في النشيد القومي نظم فيها نحو مائتين من الشعراء ، وكان منهم : محمود صادق ،

والرافعي ومحمد المرأوى ومحمد فضل إسماعيل . وكان نشيد الرافعي يبدأ بقوله :

إلى الملا إلى الملا بنى الوطن إلى الملا كل فتاة وفتي

وقد وضع له الشيخ حسن الملوك النوتة الموسيقية

الأغاني القومية

وكتب عبد الفتاح عباده سنة ١٩٢٦ عن الأغاني القومية التي تستحق البقاء فقال :
مادخل على الفتيات في حذورهن والعواتق في حجابهن أضر عليهن وأدعى لأن يتورطن من
هذه الأغاني والألحان الملونة بجراثيم الفجور . ألم تسمع تلك الحناجر المطربة بأوتارها الرنانة
ذات الصوت الشجي الرخيم ، وهي تدفع في آذان الجمهور ميكروب الفساد ، وجراثيم هجر
القول وخشه مع ماتدفع الأغاني .

أست ترى السم يسرى في أحشاء هذه الأمة ، وينساب في هرقها النابض . وشبابها
النض'عدة المستقبل ، بفعل الموسيقى ، وما أشد فعلها في النفوس ، وأخطر أثرها في الأخلاق
ومن في الحياة ينسكركم للموسيقى والأغاني من الخطر وعظيم الأثر في تسكين تربية النفوس
وتوجيه الميول وإيقاظ العواطف وتنبيهها ، وفعلها بالاجمال في الأخلاق وفي الحياة القومية
والتربية الوطنية ، وقال «المصور» أن شركات الفونوغراف لا تدون على أقراصها إلا الأدوار
للمشهور المتداولة .

* * *

وقد تناول الأستاذ العقاد موضوع الأغاني بين الأمس واليوم قال : أغانينا اليوم ليست بخير
ولا أجل من أغانينا بالأمس ، وربما صح أنها تأخرت من جهة المعنى والصيغة عما كانت عليه
قبل جيل أو جيلين حيث يمكن تقسيم الغناء إلى عهد الحجاب وعهد الشمور .
في عهد الحجاب كان للرجال غناء وللنساء غناء . غناء النساء بين أيدي العوالم والراقصات
وبنات الهوى ، وكان يفتى ويسمع في حدود الحجاب فيقال فيه كل ما يطيّب للعائلة أو الراقصة
أو بنت الهوى أن تغنى به ولا حرج فيه عندهن من السخف والتكشيف والإباحية .
أما غناء الرجال فقد كان غناء الطبقة الممتازة من الأمة ولا سيما الرؤساء والكبراء
وذوى الحثيثيات ، لم يكن نظام الحفلات العمومية معروفا ، في تلك الأيام ، وهي الحفلات
التي يحضرها السامعون بتذاكر .

× ثم انطوى عهد الحجاب وتلاه على التدريج عهد السفور ، وشاع في المواسم والدين نظام الحفلات العمومية والتذاكر المروضة ، وظهرت السيدات والفتيات في تلك الحفلات وأصبح الحكم على الأغاني مسألة عدد كثير وجمهور مزدحم لا مسألة ذوق واختيار ، فكانت النتيجة أن الفن القدي كان في أيدي النخبة الممتازة من الرجال أصبح ممرضاً لسيطرة المرأة وهي في بواكير نهضتها قبل أن تستوفي تلك النهضة حظها من النماء ، وأصبح ممرضاً لسيطرة الجماهير التي لم تستوف حظها من الدراية والتهديب ، ونظر هؤلاء وهؤلاء إلى الغناء نظرة حسية جسدية لأنهم لم يستطيعوا أن تبطروا إليه نظره فنية روحية ، كما ينبغي أن ينظر إلى الفنون العالية ، فنزابة ذلك عجب من العجب . فن أكثر المشيمين لغناء أم كلثوم الرجال بلا جدال ، ومن أكثر المشيمين لغناء عبد الوهاب النساء ولأمراء ، وعلى هذا لا موضع للدهشة إذا لحظنا أن غناء عبد الوهاب يكثر فيه الحنين والتوجع والشكاية ، ولحظنا أن أم كلثوم لم تلحق به في هذا المضمار ، وقد كان المعقول والمتنظر أن نسبة عمراجل ، ومنذ عشرين سنة دخلت الألحان والأنغام عندنا في دور جديد ، تصرف الملحنون في القوفيق بين الأغراض والآلحان ، وجملوا اللحن لفنة مفهومة تضاف إليها لفنة الكلام ، وتوسع الملحنون في الاقتباس من الموسيقى الغربية والشرقية بل من الموسيقى الشعبية في مصر وفيها كثير من الأنغام السهلة التي بقيت على الفطرة ولم تفسدها رخاوة الترفيه في عصور الضعف والانحلال ، منذ عشرين سنة ظهر سيد درويش القدي بمدح بحق أمام فن الغناء الحديث ، ومنشئ المذهب القدي يمضى عبد الوهاب على طريقته .

١٥ - الأفراح الشعبية

هذه صورة الأفراح كما كانت ترسمها الصحف :

جرت عادة الجمهور في المبالغة أن لقول عن الفرح المشهور أن صاحبه أقامة أربعين ليلة وليلة . ومن حق الفن علينا أن نفزو تقدم صفاة الغناء والموسيقى وتطورها إلى هذه الأفراح وللوالد ، لأنه لم يكن في مصر مسارح ودور للملاهي ، إلا بمض القهاوى ، لم يكن الغناء مقصوراً على الرجال فقد كانت هناك جماعة العوالم ، وكان لمن غناء خاص بهن أشقت منه الطقاطيق ، على أن بمض العالمت (العوالم) قد برعن في غناء الرجال مثل «الظ» زوحة عبده الجمولى ، والسنت اسما الكسارية وقد كانتا مضرب الأمثال في تقاء الصوت وموسيقية ومهارة الأداء واتقان الصنمة ، وكان في مصر جماعة من المهرجين والبهلوانات والمضحكين يحيون ليالى الأفراح ويعرضون بضاعتهم في الموالد داخل صواوين أو وسط حلقات في الهواء الطلق ، ربما كانت الليلة السابقة لليلة الدخلة لا تقل عنها ابهة واحتمالا . لسكن الصباحية وهى صبيحة ليلة الزفاف كانت أقل زينة وبهجة وحبوراً .

أما زفة العروسة فعلى نوعين نوع يسير في الطريق من دار أبيها إلى دار زوجها ، والنوع الآخر يمترق حجرات المنزل ، وزفة الشارع كانت تسير على نطاق متعق عليه . فى المقدمة تجتهد المهرج الذى يرتدى لباسا من الجلد ويمسك بيده قطعة من الجلد على شكل الطاقية ويضرب بها على يديه ونفذه ويثب في الهواء ويتشقلب ، ويجيء بعده الطبائون على الجمال يتقدمهم شاعر ربابته وكل جل يمسك به رجل في الزى العربى ، وأمام الشاعر أبطال زائفون في زى العرب أيضا ، ييدم بنادق وسيوف غير صالحة للفنك ، يتظاهرون بالسكر والفر والهجوم والدفاع ، وفى بعض الأحيان كان يسير بمدم موكب ملك يشبه كثيرا ملك بيت التمثيل إياها ما يأتيه صاحب الأمر والدمى تنازل فسار في موكب العروسة ، ومن حلف الجمال يتهادى التختروان

وهو حجرة من الخشب تنهات عندها صناعة التجارة العربية (الأرابسكا) وزخرفت بالصدف والماج والأبنوس .

ثم بعد ذلك (الطبل البلدى) والمادة هي أن الفتوات كانوا يتهمزون فرصة مرور الزحف ، فيستوقفونها ليظهروا براعتهم في الرقص بالمصى ، وكان بمض الفتوات يتربصون للزفة القادمة من خط أى حى يمدونه فيقفون في وجهها وتدور بينهم وبين فتواتها معركة حامية ، وأكثر ما يحدث ذلك في حى الحسين . وبعد الطبل البلدى تجيء المزبكة . وقد اشتهرت من بينها مزبكة حسب الله ومزبكة فرحات ، وتآلف من فلول الموسيقى الأمازيغية وموسيقى الجيش .

ثم تأتي عربة مزدانة بالشميلان الكشميرى والورد وحولها جماعة المضوية يصيحون قائلين (هو السعيد الذى يصلى على النبي) وكانوا يرتدون لباسا واسما مصنوعا من قماش اسمه (القباني) . وعربة المروسة يجرها جناد أربعة ويركب خلفها مملوكان يلبس كل منهما بذلة خاصة وطربوشا أحمر ، وخلف عربة المروسة تسير عربات أخرى من صنف (الكوييل) المغلقة، ويتولى الأشراف على الزفة رجال يثق بهم والد العروس وكفت تسمع الزغاريد تنطلق من العربات كلها إذا كانت الزفة لأولاد البلد . ويرش الملح على صبيحات (ملححة في عين الله ما يصلى على النبي) ومتى وصلت المروسة نزلت من العربية وسارت في دهليز من الخيام ، وإذا ذلك تبدر النقود وتظل تبدر حتى تستقر على كرسى خاص يسمى الكوشة .

وتزف المروسة داخل المنزل العوالم بالأغنية المشهورة « أعخطرى يا حلوة يازينه » ..

وتسير المدعوات بين يدي المروسة حاملات الشمعدانات وباقات الورد ، وتبدر عليها قطع الذهب المسمى (الخرجات) . وعند ما يصعد العريس قادمًا من زفته التي تخترق الشوارع تزف المروسة ثانية معه .

الشاعر على الرابطة

قصص أبو زيد الهلالي ، الزير سالم ، الظاهر بيبرس ، عنترة بن شداد ، الأميرة ذات
الهممة ، على الزبيق المصري ، ينشد على الرابطة بتوقيع موسيقى فى القهوة بعد صلاة العشاء
حيث يقوم الشاعر فى الأسواق والوالد بانشادها .

وكان الجمهور ينقسم فريقين فثلا كان الأكترية بتشيمون لأبى زيد الهلالي ويسمون
أنفسهم بالهلالية والآخرى بتشيمون للزناتى خليفة ويسمون أنفسهم (الزغابة) .
ولا شىء كان يزعج الجمهور إذ ذاك كوقوع البطل فى ورطة أو إصابته ببطءة ولكنهم
يثقون فى فوزه وانتصاره . فاذا فاز على خصمه وإجتاز العقبات فرحوا واعتبطوا وقد اعتاد
بعض المحدثين والشعراء أن يأخذوا قسطا من الراحة ساعة يكون البطل فى موقف حرج
موروطا حائرا .

١٦ - المجتمع بعد ثورة ١٩١٩

كتب الشيخ محمود أبو العيون عدة مقالات (١٩٣٤) تحت عنوان: «باضيمة الأخلاق في عهد الحرية»: قال كانت ثورة الشعب ١٩١٩ ونتائجها من الناحية السياسية بقدرها دهافين السياسة ، أما هذا الكاتب فإنه لا يشك في أن نتائجها من النواحي المختلفة كانت من أكبر الشرور والويلات على مصر ، فالناحية الدينية والناحية الخلقية والناحية الإجتماعية قد تصدعت وعصفت بها العواصف والأزراء فإكنا نراه من الصفات الحميدة ، والآثار الحميدة في تلك النواحي ، أصبحت الآن لا يحلمها الناس فيما بينهم محل الاستحسان ولا ينظرون إليها بعين القبول بل قابلوها بما شاءوا من الإغفال والإهمال .

إن الفضائل والأخلاق والآثار الأدبية لا تتأثر بالظروف ولا حكم للحوادث عليها فهي ثانية ، ولكن تقديرها ووضعها في منزلتها الملائمة لشرفها والوقوف بها عند حدها ، كل ذلك يختلف باختلاف الأعراس التي تولد في النفوس ، فالنفوس قبل ثورة ١٩١٩ كانت بعيدة عن الأعراس والهوى ، فكانت أحكام الدين والأخلاق وقواعد الإجماع الذي تواضعت عليها الأمة تدرك مقبولة متمدة ، أما الآن فقد غشى الناس ما غشيتهم من طغيان المدنية وسحرهم من يهرجها الزائف ما جعلهم في فتنة وضلالة فانقلبوا ساخرين بكل كمال ذاتي .

إن الناس بما أصابهم من الشكوك والريب فقدوا الثقة في كل شيء حتى في أنفسهم ، وأصبحوا يقفون بأزاء ضرورات الحياة موقفنا حرجا وجعلهم من بعضهم في شبه عزلة ، لا يكاد يلوى أحدهم على أخيه إلا لمصلحة مشتركة ، والشباب المصري كان زينة الشباب ، أصبح بعد الثورة والحرية أرجوحة في يد الأهواء وعبث الأيام فقد فقد قداسة المقيدة والثقة بالنفس وشرف الحرية وعزة الوطن .

إن القحط الخلقى قد أصاب أكثر جماعة الشباب فأوهى بينهم الروابط الإجتماعية والشعور بالواجب ، أصبح الكثير من شبابنا يحدقون الملق والكذب والفتاق ، ويألقون القلة والهبوان والضعمة ، وأصبحت الكفاءات وللؤهلات بمقدار ما يبذله الشباب لرئيسة من التخضع والمداهن والرشوة ، وبعد أن كانت قيمة العاملين بما يحسنون من الأعمال أصبحت قيمتهم بمقدار ما يعرفونه من وسائل الزلق للرؤساء . وبذلك نعلم سر ايشار هذه (الأممات) على غيرها الباهين .

وقد جعل كثير من الشباب ينعمون بتلك الحرية، وينزعون إلى الصبوة والفناء في مجرحتهم ، وما هي إلا أن جنحوا إلى الدعة والترهل ، ولم يتخرجوا عن مقارعة المآثم الفاجرة .

ما أعجب ما نرى من أولئك الشبان أنهم بذلك يهدمون الخلق والفضلة والشرف ، أنهم لم يخلقوا أنانا ولكنهم خلقوا شبابا ليؤدوا رسالة الجيل الماضى إلى الجيل المستقبل ، حشيت أفكار الشباب بصور الأوهام الفاسدة ، والهفوات الشائنة ، وأنهم في مقدمهم ومراحيمهم يحملون أوزاراً وأناماً من الفاظ مستهجنة ونظرات خائبة .

وفي موسم الصيف تجد الشبان يقيمون عرائسهم (أكشاكهم) على شواطئ البحار و يقيمون فيها المقاصف وصفوف الملاهي، لا شيء أفضل للفضيلة ولا أذى للرودة ولا أحط لسكرامة الشعوب من تلك الإباحية الخاسرة ، هذه هي غمار الحرية التي أهدناها بالمذنابات الأليمة والدم المسفوك ، أيتها الحرية كم لك من صرعى .

إن ثورة ١٩١٩ قد تركت أثراً بالغا في آداب الامة المصرية وأخلاقها ولكننا لا نفهم أن ما كنا نسميه نهضة سامية ترمز إليها بالتأثيل وتقيم لها الانتصار ، وما كنا نود أن تأخذ من معناه كماله الاوفى يحور إلى انتكاس واضمحلال في كل معاني الحياة الناهضة . تقول أن ثورة ١٩١٩ التي طأطأ لها التاريخ اجلالا وهومت لها الامم إكبارا وإعظاما كانت في حياة مصر فجرا كاذبا لمع ثورة في أظلمها كلسان الشمعة ثم خبا وأظلم وما نحن في ديجور الظلم نأهين حيارى -

١٧ - توت عنخ آمون

كان كشف قبر توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ حدثاً ضخماً إشتراك فيه كارنارفون وكارتر وقد توفي اللورد كارنارفون مكتشف قبر توت عنخ آمون ، بالأقصر في ابريل ١٩٢٣

قالت الأهرام في أوائل هذا العام: دخل اللورد كارنارفون الحجر المقدسة من مدفن الملك توت عنخ آمون في الأقصر وكان الناس يجهلون من هو ذلك اللورد حتى في مصر رغم بقائه سبعة عشر عاماً بمصر ويقوم مع شريكه كارتر في وادي الملوك وفي يوم وليلة تبوأ اللورد كارنارفون أعظم مركز في العالم فان رجاله ما كادوا يمشون على درجات قبر توت عنخ آمون ويدخلون الغرفة الأولى ويرون كنوزها المكسدة الدهشة ، حتى كانت الجرايد في ممالك الأرض ومضاربها قد أذاعت الخبر ورفعت اللورد كارنارفون من مستوى الباحثين العاديين إلى مراتب أشهر رجال التاريخ والعلم والاختراع ، وقد توفي اللورد بالموت العاجل الذي حار العلم في تعاليله فعادة ثبوته ذلك المقام الخليل فمن لسعة ناموسة مصرية صغيرة إلى تسمم في الدم إلى ذات الرئة وكأله استثار بالسلطة في وادي الملوك والتحفيز في إعطاء الأخبار لجرائد بلاده، وقد جاء الاكتشاف في وقت تسمى فيه الامة المصرية إلى نيل استقلالها وحريتها واستمادة مجدها فسكان عمل اللورد أشبه برقع الستار عن ماضي مصر والمصريين أمام العالم، بأن المصريين هم سلالة أولئك الفرعنة العظام الذين سبقوا العالم في المدن والعمران وها هو مجدهم الأمثل .

وتحدث اللورد كارنارفون عن اكتشافه فقال : في ٥ نوفمبر ١٩٢١ كان المستر كارتر يعمل في مكان لم يستطع مسه من قبل لانه كان أمام مدفن رمسيس الرابع، وهو مقصد الزوار والسياح فتمت على درجة عمقورة في الصحرا، فواصل إزالة الاتقاض، وبعد ما كشف درجات أخرى بلغ جداراً منطى بالسمت وعليه أختام المدائن الملكية والنظم مؤلف من نسمة

أسرى واقفين في صفوف وفي كل صف منها ثلاثة وفوقهم ثعلب رابص وهو ختم لا يستعمل إلا في الأجزاء الملكية في مدافن طيبة . وبعد ما فحص المستر كارتر السقوف فحفا دقيفا أرسل إلى يقول أنه عثر على اكتشاف بديع ثم عاد فرحم المسكان ومكث يفقظ وصولي إلى مصر من إنجلترا .

ولما وصلت إلى طيبة شرعت في الحال في إزالة الردم وقضينا نهراً بطولة في صنع باب من الخشب على منوال (الشمربة) وأحكنا غلقه بأربعة أقفال احتياطاً من السرقة . وفي اليوم الثاني بدأنا تطهير المدخل (الدهليز) فوجدنا أن طوله نحو ثمانية أمتار ، وكنا نلقى أشياء كثيرة معظمها مكسور في طريقتنا وكان من جملة ما لقيناه صندوق محطم ومنقوش على ضلعه إلا على أسماء عديدة ضمن حلقات بيضاويه ، وكما أكلنا تطهير المدخل بلقنا باباً مخفوقاً أو جداراً عليه عين الاختام التي على الجدار السابق ، ففسأنا : هل يمكن أن يكون وراء هذا الجدار سلم آخر مسدود ، أو هل أننا سنبلغ غرفة أخرى من الغرف وكلفت مستر كارتر أن يزرع بضمة أحجار ، ويفقظ إل الداخل ففعل ذلك في دقائق معدودة وأدخل رأسه في الثغر فتمكن أن يشاهد ما في الداخل على نور شمعة وتلا ذلك سكوت عميق فسألته بصوت مرتجف ما هذا ؟

فأجابني : إن هناك أشياء هجبية غريبة . فكان جوابه بشري عظيمة ونزل من مكانه فذهبت أنا وكريمتي إلى الثفرة وعسر على أن أضبط شدة إنفعالي ، فإن كل ما تقع عليه عين الناظر لأول وهلة في نور الشمعة الضئيل يبين لي أن هذه الأشياء ليست سوى مقاعد عظيمة مذهبة لهارووس غريبة وصفاديق صغيرة هنا وهناك .

ثم وسعنا الثورة فتمكن مستر كارتر من الدخول إلى العرفة وهي أوطأ من أرض المدخل ، ولما أخذ يطوف في أنحاء العرفة على نور الشمعة علمنا أننا عثرنا على شيء قريب لم يسبق له مثيل على الإطلاق ، فإن الإنسان كان يستطيع أن يرى حتى على نور الشمعة

الضئيل مجموعة عجيبة من الاثاث والتماثيل وبمد ماوسمنا الفتحة قليلا ، دخلنا الغرفة وأدركنا هذه المرة حق الإدراك عظم الاكتشاف ، وكفا قد أوصلنا النور الكهربائي إلى المدفن الذى فوقنا فيمكننا بذلك من فحص الموجودات بدقة .

لعنة الفراعنة

وتردد الحديث عن : « لعنة الفراعنة » فقال الدكتور محرم كمال :

أول من أصابته اللعنة : اللورد كارنفون ، صاحب إمتياز الحفر للكشف عن توت عنخ أمون ويذكر أن مقبرة توت عنخ اكتشفت فى نوفمبر ١٩٢٢ غير أن غرفة المدفن التى كانت تحتوى جثة الملك بقيت مغلقة وظل بابها مسدوداً حتى فبراير ١٩٢٣ .

وقد ظهر يوم ١٦ فبراير ١٩٢٣ كانت الشمس ترسل أشعتها المشرقة فى ذلك الوقت . كان نحو العشرين من الاشخاص بينهم الاستاذ بريستد يستعدون لدخول المقبرة ليقوموا بهدم باب غرفة المدفن ، إلى ذلك الباب المسدود الختم الذى ظل أربعة آلاف سنة مغلقا محتوما لم تمسه يد بشر . فى هذه اللحظة الرهيبة أراد اللورد كارتارفون أن يعزح فإذا به يقول : إننا لا شك مقيمون حفلة موسيقى وسحر فى ذلك المكان الذى ستزل إليه فى داخل المقبرة .

١٨ - أمير الشعراء

وصف أحمد شوقي بأنه أمير الشعراء فكيف جاء هذا اللقب، يقول داود بركات رئيس تحرير الأهرام (١٩٢٦/٥/٩).

منذ ربع قرن ونيف جرت على لسان « الأهرام » كلمتان في وصف أحمد بك شوقي وشعره الذي كان الأديب بل الجمهور كله خاصته وعامته يرقب نشره على صفحاتها في كل ظرف من الظروف كالأعياد والحوادث الجسام ، فقالت في وصف انشاعر أنه « أمير الشعراء » وقالت في وصف شعره « الشوقيات » لأن هذه الكلمة تتضمن في نفسها كل تعريف ، وفي هذا التعمير كل مدح ، فأقر هذا الوصف بل التعريف الكتاب جديما ، وأقره الشعراء ذاتهم ومن ورائهم الجمهور ، وما كان ذلك تبرعاً لأحمد شوقي وشعره ، والناس مطبوعون على الضن يمثل هذه الثموت والأوصاف ، وقد بما قالوا : كل ذى نعمة محسود ، وقالوا « والسيل حرب للسكان العالي » ولكنه كان حقا يؤدي لصاحبه ولم يكن هذا الثوب عارية يزول بل كان الثوب الصحيح نبت وبقى وازداد مع الزمان رواء وجمالا ومتانة .

فماذا استحق « شوقي » هذا الوصف ولماذا لقي بقلبيبه بهذا اللقب ذلك الاجماع : سؤال يرجع في الجواب عليه إلى تعريف الشعر ، وهل وصل شوقي منه إلى الدرورة حتى صار أميره وحتى صار شعره إذا نسب إليه في غنى عن كل مدح أو هو فوق المدح المتعارف بين الناس ، ليس فرضنا اليوم درس شعر شوقي وما فيه من الروائع ، فان ذلك لا يتسنى لباحث من الباحثين استيفائه إلا إذا كان كل ما نظمه شوقي مبسوطا لديه في مجلداته الأربعة التي لم يصدر فيها الآن سوى مجلد واحد ، وكل ما نقصده ، والجزء الأول من الشوقيات أمامنا أن شوقي كان « أمير الشعر » بلا مفازل لأن صفات الشاعرية توافرت لشعره كل التوافر .

١٩ - جمال الدين ومحمد عبده

نشر فتح الله بركات مذكراته التي كانت يملئها عليه سعد زغلول في مفناه وقد تناولت هذه المذكرات شخصين هامين هما جمال الدين ومحمد عبده قال (١٤/١/١٩٢٢):

إن سعدا حدثهم في مساء ذلك اليوم عن السيد جمال الدين الأفغانى فقال : نرى السيد جمال الدين من بلاد الأفغان فجاء إلى مصر واحتضنه رياض باشا وجعل لى مرتباً قدره عشرة جنيهات شهرياً، وكان رجلاً واسع الفكر تولى الذاكرة جداً حلوا الحديث ، جذاباً لسكل من سمعه ولم يكن واسع العلم ولكن ما اكتسبه من سياحته العديدة ومشاهداته المستوعبة وحرية فكره ، كل ذلك جعله يخاطب ألباب سامعيه، فيتأثرون بأرائه ويترقبون طريقة تعلم العلم الصحيح ، وكان يلقي دروساً فى منزله فالتف حوله كثير من طلبة الأزهر وفى مقدمتهم محمد عبده وإبراهيم الهلباوى والسيد وقا زغلول (سعد).

وإليه يرجع الفضل فى تحسين التحرير باللغة العربية الفصيحة بعد ما كان مملوءاً لحناءً وغلظاً ، وكان يحث تلاميذه على أن يكتبوا ما سموه منه من المحاضرات ثم يتلوه عليه . فى اليوم التالى من مجلسه فكان ذلك داعياً لأن يتبارى التلاميذ فى هذا المضمار، وثانياً: سعى فى نشر الجرائد وهو القدى سعى فى تأسيس جريدة الأهرام وغيرها، ثالثاً: سعى فى تحرير الفكر من قيود التعاليد ، وقد كان الناس قبل ذلك مقتدين باتباع ما يقرأونه من الكتب التى كان تعلمها مقصوراً على فهم الكتب بذاتها يقطع النظر عن العلم ، وكانت الحكومة مقدسة ، لا يمكن لأحد أن يتطالع إليها بنقد مهما كان لها من سيئات ، فأطلق التعلم من قيود التقاليد مسترسلاً مع حرية الفكر التامة وأخذ يمود الناس على نقد الحكومة بطريقة غير ظاهرة ومنها إنشاء الجرائد الوجدانية الهزلية .

سأل جمال الدين سعد زغلول ذات يوم : هل تريد أن تكون مثل الشيخ الأنابى .

«وكان شيخ الأزهر يومئذ) فرد عليه سمد قائلا : كيف يكون لي ذلك وبينه وبينى بون هائل، وظن أنه يسخر منه، فقال لى السيد : أنك ستكفون أحسن منه ؛ وقال سمد : بمد نقى جمال الدين كان الشيخ محمد عبده أ كبر تلاميذه وكان تفوقه فى العلم ، وكان رجل جلد واستمرار على العمل من غير ملل ، وكان فيلسوفا ومسدلا شمر رأسه ومرسلا لحيته على خلاف الأزهرية جميعا .

كتب مرة مقالا فى جريدة جاء فيها : «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأبنائه أساطين الأولين والآخريين» فوشى به أحدم إلى الشيخ عليش الذى كان عالما تقيا ورعا وفسر كلمة «أساطين» بغير معناها فقال أنها جمع اسطوانة وأن هذا كفر بالانبياء فمضب الشيخ عليش على الشيخ عبده وقال : اعطونى سكيننا لندبح هذا الكافر . فتدخل بعضهم فى الشفاعة له ، فعفا عنه بعد حلق رأسه . ولما تقدم لامتحان المالمية كان متضلما قويا ، فتآمر المتحفزون على إسقاطه حسداً منه ، فلم يتمكنا من ذلك لتفوقه عليهم فاعطوه شهادة المالمية من الدرجة الثانية أو الثالثة ، والواقع أنه كان أحق بالدرجة الأولى وكان له الفضل فى تدريس العلوم الفلسفية والمنطقية فى الأزهر وكان الأزهر محروما منها .

وقد إتصل رياض باشا بمد عودته من الشام ، حيث ظل منفيا ثلاث سنوات لأنه كان له (رياض باشا) دخل فى العقو عنه فمبين مديراً لتحرير أ الوقائع المصرية فأخذ معه سمد زفلول ثم إبراهيم الهلباوى ، وبذلك تطورت الوقائع المصرية من جريدة رسمية إلى جريدة لإرشاد الناس إلى حسن التحرير واصلاح الأخلاق ونقد الأحكام لفة وموضوعا ، وكان سمد يتولى نقد المضابط (الأحكام) وذلك أن الجريدة كانت تنقل الإفادات التى ترد عليها من جهات الحكومة بلقمتها العقيمة وتعلق عليها بما يجب أن يكون على لفتها ويرسلها نسخا من الجريدة إلى الجهة التى صدرت منها تلك الإفادة .

وحدث أن مدير بنى سويف (الياس شقيق خيرى باشا المهديدار الخديوى) وجه

إليه نقد ، فنضب منه وأمر رسمياً بمنع وصول جريدة الوقائع الرسمية إلى بنى سويف .
ولكن الشيخ عبده إحتج لدى رياض واستكتبه خطاباً كله توبيخ وتمنيف لتلك المدير .

وكان الشيخ محمد عبده عفوراً رحباً ومن ذلك أن الذى وشى به عند الشيخ هليش
سمى أيضاً لدى مأمور السجن الذى كان به الشيخ عبده لى ينزع منه المصحف الذى
كان يقرأ فيه والكتب الأخرى ، ثم ساعه على هذا كله بعد ذلك وساعده . وقال سعد :
أنه كان له نقد على طريقة التعلّم فى الأزهر منذ أول انحراطة فى تلك المجاورة ، فإنه أولاً
لم يتقيد بتتبع دراسة الكتب على الطريقة التى كانت جارية فيه ، وثانياً أنه فكر مع المرحوم
السيد وفا زفلول فى عقم طريقة التعلّم فيه ولما لم يستطيعا نشر انتقادهما فى الصحف ابتكرا
طريقة للنقد بنشور كتبهما بخطهما من سبيع نسخ وألصقاها بأعمدة الأزهر قبل الفجر والناس
نيام فأحدث ذلك رجة فى الأزهر فى الصباح ، وكان المجاورون يتقاطرون على هذه
النشورات لقراءتها فكان ذلك باعثاً للشيخ أحمد رافع لأن يكتب مقاله ملاًها طمناً
صريحاً على الطريقة المذكورة ونشرها فى الصحف فضربه الأزهريون عاقبة حامية وانتقده .
سعد زفلول فى الوقائع المصرية بطريقة يؤيد جوهرها وجهة نظره فى النقد .

وقال سعد : أنه لما بدأ الدراسة فى الأزهر قضى فيه شهرين لم يفهم فى أثناءهما شيئاً
حتى أدركه اليأس وحدته نفسه بالعودة إلى بلده ولكنه ندرع بالصبر إلى أن أصبح قادراً
على الإحاطة بدروسه فيها فى القاهرة ، (سنة ١٨٩٢) .

وقال سعد أنه فى ١٨٩١ وقد سافر إلى ألمانيا فرأى عزبة من عزبها ودخل كنيسة
القرية فرأى الصبيان والبنات يؤدون الصلاة وهى على غاية ما يكون من الأداء والخشوع
والنظافة ، فلما شاهد ذلك قال فى نفسه أنه لا بد أن يكون هذا الرقى نتيجة علم لا يعرفه
إلا الخبير بلغة الاجاب وبكى ومن ساعتها طلب مدرسا يعرف الافرنسية .

٢٠ - جوليت آدم

أول الصحف اهتماماً كبيراً لمدام جوليت آدم الصحفية الفرنسية التي شجعت مصطفى كامل على الدعوة لمصر في صحف فرنسا وقد تحدث « توفيق حبيب » صاحب الهامش عنها (١٩٣٣) قال :

لولا مدام آدم لما عرف مصطفى كامل كيف يتصل بكثائر الكتّاب الفرنسيين فيعملهم على خدمة مصر . التعاون السياسي كان بالكتابة على صفحات الجرائد والمجلات وإلقاء الخطب والمحاضرات والتقارير والرسائل التي كان يكتبها مصطفى كامل وأنصاه إلى آدم . التعاون الروحي الذي يتجلى في الرسائل الخاصة التي كان يبعث بها مصطفى كامل إلى آدم ونشرت بعد وفاة صاحب اللواء في كتاب عنوان (رسائل مصرية فرنسية) . كانت رسائل مصطفى كامل الخاصة إلى مدام آدم تحكّاد تكون بعيدة عن السياسة إلا بعض إشارات فيها إلى ما يتعلق به .

وكتبت إحدى الصحف بمناسبة وفاتها ١٩٢٦ :

توفيت في الأسبوع الماضي (١١ سبتمبر ١٩٢٦) مدام جوليت آدم عن مائة عام طوّتها في الدفاع عن وطنها وعن حرية الأمم المهضومة الحقوق حتى لقيت في عالم السياسة بعمره الأمم . كانت أدبية كبيرة وسياسية خطيرة ووطنية مخلصه ، أشتهرت بالخاصة والدفاع عن حقوق بلادها منذ عام ١٨٧١ ، وهو العام القوي عقدت فيه معاهدة فرانكفورت بعد انتصار الألمان على الفرنسيين في الحرب السبعينية وأملت فيها ألمانيا على فرنسا شروطاً مجحفة ، منها دفع الأخيرة ملياراً من الفرنكات أي ما يعادل مائتي مليون جنيه غرامة حربية . وساعدها في ذلك أنها تزوجت بصحافي كبير هو مسيو آدمون آدم وكانت تكتب في الفصول السياسية والأدبية في صحيفتها : « لانوفل ريفو » وإليها يرجع الفضل في بروز الأديب

الفونسي الكبير (بيرلوتي) وقد أجلها الفرنسيون واعترفوا بفضلها ، حتى أن كليمانصو أرسل لها سيارة حملتها إلى الإجتماع الذي عقدت فيه معاهدة فرساي بين الألمان والحلفاء ، وقد دافعت على حرية مصر منذ الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ ، وللسافر مصطفى كامل إلى أوروبا وجد منها عضوا قويا اعتمد عليه في الدفاع عن بلاده . وكانت مدام آدم من أشد المعارضين لاتفاقية ١٩٠٤ بين إنجلترا وفرنسا . وقد أجلت مصطفى كامل وحنقه بمطقتها وكانت تدعوه ابنها . ووصفت تمارفهما فقالت : طالما اتفق أثناء مقاي في هذا الدار - وقد عمرت - جائي البريد بالدهشات التي تتردد في حياتي بقدر ما أحرز أصحاب الرسائل من الشهرة وعلى نسبة ما قالوا من اللقام .

تموزج من رسائل مصطفى إلى مدام آدم : طولوز ١٢ سبتمبر ١٨٩٥

سيدتي : إني لا أزال صغيرا ولكن لي أطاها جساما فإني أريد أن أوقفني مصر الهرمة ، « مصر الفتاة » ، هم يقولون أن وطني لا وجود له ، وأنا أقول ياسيدتي أنه موجود وأشمر بوجوده ، بما آنس له في نفسي من الحب الشديد الذي يتغلب على كل حب سواه ، وسأجود في سبيله بجميع قواي ، وأنديه بشبابي وأجمل حياتي وقفا عليه . إني أبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة وقد نلت شهادة الإيسانس في الحقوق من طولوز منذ عهد قريب وأريد أن أكتب وأخطب وأنشر الحمية والإخلاص للوطن اللذين أجدهما في نفسي . وقد قيل لي أكثر من مرة أني أحاول عمالا ، وحقيقة تصبوا نفسي إلى تحقيق هذا المجال ، قاهيني ياسيدتي فإنك من الوطنية بكمكان بفرديك بمزية تدبر قولي وتقوية عزى ومساعدتي .

وعلفت مدام جوليت على اللحظات فقالت : : حقيقة أعجبنى كثيرا هذا الكتاب الذي لا يتجاوز عشر صفحات ، حتى أنشأت في ١٥ سبتمبر مقال عليه واقبست معه أسانيد جديدة في المسألة المصرية ، واثبتت على المؤلف في مقالتي وضربت له موعد اللقاء ، وواعده في دار لانوفل ريفو ، فأقبل على شاب خلته ابن ثمانى عشر سنة فقلت له ضاحكة - لم تصدقني سنك فإنك لم تبلغ الحادية والعشرين قال : قد بلغت ياسيدتي وأكلمتها .

وبمدان تجاذبنا أطراف الحديث رأيت أن عقل هذا الشاب قد بلغ أشده واستوى قبل أوانه ، ورأيت أنه قد أطل التدر والتروى فى إمكان مصيره ، كما يقول خطيب مصر ورأيت أعراضه الجسام محالة ممكنة مما ، ربما لاح اغيرى أن هذا الفتى إنما كل زاده وهم ودعوى ، ولكن جاء كتابه دالا على حقيقته .

٢١ - مصريون فى مالطة

كشفت حامد الملبجى عن حياة المصريين العتقلين فى مالطة إبان الحرب العالمية الأولى فقال: لما اندلعت الحرب فى أوربا . ساورت بريطانيا المخاوف من موقف السلطة العثمانية بالنسبة لمصر وأهلها مقدمون لسياسة الاختلاف . كان الأسرى فى جزيرة مالطة موزعين على ثلاث كتكتات تضمها جميعا قلعة واحدة قديمة اسمها (مات كلنت) لا تزال عليها نقوش بأيدى العرب الذين حكموا مالطة نحو ٢٣٠ عاما وكنا ٢٧ مصريا . فافترحت تأليف رواية مصرية سياسية الموضوع تقوم نحن المصريين بتمثيلها ، فقبلوا الفكرة ولكن أبت أكثرتهم إلا اختيار رواية عربية ألفت منذ حين هى رواية حرب الباسوس . فألفت رواية ومثلت ولم يكن رجال السلطة يعلمون موضوعها السياسى ، ولكنهم فوجئوا بالأمر الواقع ، ولم يجدوا بدام من استغلال هذا الأمر لمصلحة حكومتهم ، فبعد مؤاخذتى بشدة على إدخالى السياسة فى هذه الرواية عادوا فطلبوا تصوير مناظرها ثم نشروا فى صحفهم بمالطة هذه المناظر ، وفى سويسرا فظهرت تحت عنوان « كيف يمايل الإنجليز أسراهم » وطلب منى قومندان المسكر أن أعيد تمثيل الرواية فأعدت تمثيلها خمس مرات متوالية ، أما موضوع الرواية فيتلخص فى سبيل بسط تاريخ دخول الإنجليز للبلاد المصرية وذكر شىء عن معاملتهم للمصريين وفيها حادث دنشواى ، وحوادث القبض على المصريين ومحاكاتهم ، وما يتحملونه من الصبر فى السمو لمصلحة البلاد وللتنضحية فى سبيلها .